ضحايا الشيطان

- تعريفٌ بالشّيطان، ومَداخِلِه، وطُرُقِهِ الخبيثة..
- بيان طُرُق النَّجاة مِن حِيَلِه..
- ذِكرُ الأمراض النَّفسيَّة والباطِنيّة التي يتسبَّب بها..
- صَرع الشّيطان للإنسان.. والعِلاج..
- ترجَمَة لِظاهِرة عَبدة الشَّيطان..
- ذِكرُ قصص لِكثيرٍ من ضَحاياه..

خادم السُّنَّة

يوسف الحاج أحمد

مكتبة ابن حجر

سلسلة الدعوة والإرشاد

هَلْ فكّرتَ في أنْ تُهدِي كِتاباً
فَاعْلَم أنَّ العِلْمَ ممّا يَلْحقُ العبدَ بعْدَ موْتِهِ
ولَئِنْ يهْدِي اللّهُ بكَ أحداً خيرٌ لكَ مِنَ الدُّنيا ومَا فيها

١٦

قال ابنُ القيِّم ـ رحمهُ الله ـ:
لَـو كُشِـفَ الْغِطَـاءُ لرَأيْـت أكْـثرَ النُّفُـوسِ الْبَشَـرِيّةِ صَرْعَـى هَـذِهِ الأرْوَاحِ الْخَبِيثـة وَهِـيَ فِـي أسْـرِهَا وَقَبْضَتِـهَا تَسُـوقُهَا حَيْثُ شَـاءت، ولا يُمْكِنُـهَا الامْتِنَـاعُ عَنْـهَا ولا مُخَالَفَتُهَا، وَبِهَا الصّرعُ الأعْظَمُ الّذِي لا يُفِيـقُ صَاحِبُـهُ إلاَّ عِنْـدَ الْمُفَارَقَـةِ وَالْمُعَاينَةِ فَهُنَالِـكَ يَتَحقّقُ أنَّهُ كَانَ هُـوَ الْمَصْـرُوع حَقِيقَـةً وبِـالله الْمُسْتَعَانُ. [زاد المعاد].

مكتبة ابن حجر
طباعة . نشر . توزيع
دمشق ـ الحلبوني ـ هاتف:
(٢٢٣٣٦٩١)

ضحايا الشيطان

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

رقم الموافقة: /٩١٠٠٢/٢/ ٢٠٠٦م.

الموضوع: في المسائل الاجتماعية.

العنوان: ضحايا الشيطان.

التأليف: خادم السنَّة المطهرة يوسف الحاج أحمد.

الصف التصويري: ابن حجر للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف وفاكس: ٢٢٣٣٦٩١.

عدد الصفحات: ٤٣٢ صفحة.

قياس الصفحة: ١٧× ٢٥.

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

توزيع: مكتبة ابن حجر بدمشق.

الحلبوني، بجانب المؤسسة العسكرية.

هاتف، وفاكس: ٢٢٣٣٦٩١

ضحايا الشيطان

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

إنَّ الحمد لله تعالىٰ نحمدُهُ، ونستعينُهُ ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنَا ومن سيِّئات أعمَالِنَا، من يهدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ومن يُضلل فلا هَادي لَهُ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، أرسلَهُ بالهُدَى ودين الحق ليظهرَه علىٰ الدِّين كلِّه ولو كرهَ الكافرونَ، وبعدُ:

فإنَّ الحربَ بين بني آدمَ وعدوِّ الله إبليس حربٌ قديمة بدأت منذ خَلَقَ اللهُ آدم، وأمرَ ملائكته بالسّجود له فسجدُوا إلاَّ إبليس عليه لعنةُ اللهِ، فطرده اللهُ مِن رحمته، وأخرجه من جنَّتِهِ. قال تعالىٰ: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨].

عندها طلبَ النظرة، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤].

ولَمَّا أُجيبَ طلبُهُ أقسمَ الشَّيطانُ لربِّ العالمين بعزَّةِ اللهِ ليغوينّ بني آدم أجمعين، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩- ٤٠].

وأنَّه لَن يترك بابَ فسادٍ إلاَّ فتحه لهم، ولن يدع جهة شرّ يمكنهُ أن يَأتيهم منها إلاَّ فعل، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِم وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧]. ومن يومها بدأت المعركة.

ولقد نجح إبليسُ في مهمته نجاحاً منقطع النظير، واستهوى الناسَ وأغواهم بشتىٰ الطرق، ولبَّسَ عليهم بمختلف الحيل حتىٰ أضلَّهم عن سواء السبيل.

ولم يعد عجباً أن تسمع عن أناس يعبدونَ الحجر أو الشجرَ، وآخرين يعبدون الشمسَ أو القمرَ، وقوم يعبدون البقرَ حتىٰ عبد أقوام الفئران وتدنىٰ قوم وتدنسوا وعبدوا الفروج.

وآخرونَ اتَّخذوا الشيطانَ إلهاً معبوداً، وربَّاً مرغوباً مرهوباً، تقامُ له الطقوس، وتقدَّم له القرابين، ويُبذَل الوسع لنيل محبته ورضاه!! والعياذُ بالله.

وستجد في هذا الكتاب إن شاء اللهُ تعالىٰ ما يُبين لك كثيراً ممَّا تقدَّم، كي تكونَ علىٰ أهبة الاستعدادِ لمواجهة هذه المعركة الحتمية مع الشيطان، ولئن وعيت عني ما ذكرتُهُ لكَ لتكوننَّ منصوراً بإذن الله تعالىٰ وليكوننَّ عدوكَ مهزوماً مدحوراً..

وقل معي: اللهمَّ إنَّك سلَّطت علينا عدوّاً يرانا هو وقبيلُهُ من حيثُ لا نراهم، اللَّهمَّ فآيسهُ منَّا كما آيستهُ من رحمتِكَ، وباعد بيننا وبينَهُ كما باعدتَ بينهُ وبين عفوكَ ومغفرتكَ، ولا تجعل لهُ علينا من سبيلٍ أو سلطانٍ يا أرحمَ الرَّاحمين.

وصدق الشاعرُ يومَ قال:

إنِّي بُلِيتُ بأربعٍ ما سُلِّطوا ... إلاَّ لِعَظيمِ بَلِيَّتِي وَشَقائي
إبليسُ والدُّنيا ونَفْسِي والهَوى ... كيفَ الخلاصُ وكلُّهم أعدَائِي
إبليسُ يَسْلُكُ في طَرِيقِ مَهَالِكِي ... وَالنَّفْسُ تأمُرُني بكلِّ بَلائي
وأرى الهَوَى تَدْعُو إليه خَوَاطِرِي ... في ظلمَةِ الشُّبُهَاتِ والآراء
وزخارفُ الدُّنيَا تَقُول أمَا تَرَى ... حُسْنِي وَفَخْر مَلابِسِي وَبَهَائِي

وفي الختام أسألُ اللهَ تعالىٰ أن يكتبَ لنا التوفيق فيما ابتغينا، وأن ينفعنا بهِ وسائرَ المسلمينَ، وأن يجعلهُ خالصاً لوجههِ الكريم، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ الرَّحمةِ المهداة محمد بن عبد الله ﷺ. وآخر دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

دمشق الشام/ الأحد ٢٠ ربيع الأول/ ١٤٢٦ هـ

خادم السنة
يوسف الحاج أحمد

الفصل الأول

من هو الشيطان

● **(الشّياطين)** جمع شيطان وصيغته (فيعال) من شطن إذا بعد أي: بعد عَن الخيرِ، أو من الحبلِ الطّويل كأَنَّه طالَ في الشّرِّ. وهذا فيمن جعل النُّون أصلاً، وقيل: الشَّيطان (فعلان) مِن شاطَ يشيط إذا هلكَ واحترقَ، وهذا فيمن جعلَ النُّون زائدة.

قال الأزهريّ: الأوَّل أكثر. وهو من حيث العموم: العصيّ الأبيّ الممتلئ شرّاً ومكراً، أو المتمادي في الطّغيان الممتدّ إلىٰ العصيان. وكلّ عات متمرّد من الجنّ والإنس والدّوابّ شيطان. فبين الجنّ والشّيطان عموم وخصوص وجهيّ.

ويدعىٰ متمرّد الشّياطين «**عفريتاً**». والعفريت: الخبيث المنكر الدّاهية، ويسمّىٰ الجنّ عفريتاً إذا بلغ الغايةَ في الكفر والظّلم والتّعدّي والقوّة.

قال أبو عمر ابن عبد البرّ: الجنّ عند أهل الكلام واللّسان منزّلون علىٰ مراتب. فإذا ذكروا الجنّ خالصاً قالوا: (**جنّيّ**). فإن أرادوا أنّه ممّن يسكن مع النّاس قالوا: (**عامر**) والجمع عمّار. فإن كان ممّن يعرض للصّبيان قالوا (**أرواح**) فإن خبث وتعزّم فهو (**شيطانٌ**) فإن زادَ علىٰ ذلك فهو (**ماردٌ**) فإن زادَ علىٰ ذلك وقويَ أمرُهُ قالوا: (**عِفريت**) والجمع عفاريت. وكبير الجنّ: (**إبليس**). قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾. [الموسوعة الفقهية الكويتية].

● **(إبليس)**: وزنه إفعيل، مشتقٌّ من الإبلاسِ وهو اليأسُ من رحمةِ اللهِ

تعالىٰ. ولم يَنْصَرِف، لأنَّه معرفة ولا نَظير له في الأسماءِ فشبه بالأعجميةِ، قالـه أبـو عبيدة وغيره. وقيل: هو أعجمي لا اشتقاقَ له فلم ينصرف للعجمةِ والتَّعريف.

● وَعَن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قَال: إبليسُ أبلَسَهُ اللهُ مـن الخيرِ كلِّه وجعلَهُ شيطاناً رجيماً عقوبة لمعصيته. [ابن جرير]

● وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قالَ: كانَ إبليسُ من حيٍّ من أحياءِ الملائكةِ، يُقال لهم: (الجنّ) خُلِقُوا من نارِ السَّموم من بينِ الملائكة. قالَ: فكانَ اسمُهُ (الحارث). قالَ: وكان خازناً من خُزَّان الجنَّةِ. قال: وخُلِقَت الملائكةُ مِن نُور غير هذا الحيِّ. قَالَ: وخُلِقَت الجنُّ الَّذين ذُكِرُوا في القرآنِ مِن مارج مِن نار، وهو لسانُ النَّار الَّذي يكون في طرفهَا إذا التهبت. [ابن جرير].

● وعَن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كانَ إبليس قبلَ أن يركبَ المعصيةَ مِن الملائكَةِ اسمُهُ عزازيل، وكانَ مِن سكَّان الأرضِ وكانَ من أشدِّ الملائكةِ اجتهاداً وأكثرهم علماً، فذلكَ دعاهُ إلىٰ الكِبْرِ، وكانَ مِن حيٍّ يسمون جنًّا. [ابن جرير].

● وعَن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما قالَ: إنَّ من الملائكـةِ قبيلاً يُقال لهم: الجنُّ، فكان إبليسُ منهم، وكان إبليسُ يسوسُ ما بينَ السَّماء والأرضِ فَعَصَىٰ، فمسخَهُ اللهُ شيطاناً رجيماً. [ابن جرير].

● وعَن الحسنِ، قالَ: ما كانَ إبليسُ من الملائكةِ طرفةَ عينٍ قطُّ، وإنَّهُ أصلُ الجنِّ كما أنَّ آدمَ أصلُ الإنس. [ابن جرير].

- والرَّاجح - واللهُ أعلم - ما قاله ابن زيد: إنَّ إبليس أبو الجنِّ، كما أنَّ آدم أبو الإنس. وحجَّةُ من قال هذهِ المقالَةَ، أنَّ اللهَ جَلَّ ثناؤه أخبر في كتابهِ أنهُ خَلَقَ

إبليسَ مِن نارِ السَّمُوم ومن مارج مِن نار، ولم يُخْبِر عَن الملائكةِ أنَّه خلقَها من شيءٍ من ذلك. وأنَّ الله جلَّ ثناؤه أخبرَ أنه من الجنِّ. فقالوا: فَغَيْرُ جائزٍ أن يُنْسَبَ إلىٰ غير ما نَسَبَهُ اللهُ إليه. قَالُوا: ولإبليس نَسْلٌ وذُرِّيةٌ، والملائكةُ لا تتَنَاسَلُ ولا تَتَوَالَدُ. [ابن جرير].

ولكن هَل يَنْفَعُ العِلْمُ بدونِ العَمَلِ؟

كلاَّ ثمَّ كلاَّ بَل يكونُ حُجَّة عَلىٰ صاحبهِ إلىٰ يوم القيامةِ، ومن هنا صَدَرَ الأمرُ الإلهيُّ بالطردِ واللَّعن، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٤ـ ٣٥].

ثم إنَّ إبليس أُخْرِجَ مِنَ الجَنَّةِ بَعْدَ الاستكبارِ عَن السُّجود لآدمَ، وأسكَنَها آدم قبلَ أن يَهْبِطَ إبليسُ إلىٰ الأرضِ، ألا تسمعونَ اللهَ جَلَّ ثناؤه يقولُ: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٥ـ ٣٦].

فقد تبينَ أنَّ إبليس إنما أزلَّهما عن طاعةِ الله، بعدَ أن لُعِنَ وأظْهَرَ التكَبُّرَ، لأنَّ سجودَ الملائكةِ لآدم كان بعدَ أن نَفَخَ فيهِ الرُّوحَ، وحينئذ كانَ امتناع إبليس مِن السجودِ لَهُ، وعند الامتناع مِن ذلكَ حَلَّت عليه اللَّعنَةُ. [ابن جرير].

وبذلك تأصَّلت العداوةُ بين الشيطانِ ـ لعنهُ اللهُ تعالىٰ ـ وبين آدمَ عليهِ السَّلامُ ففكَّر الشَّيطانُ في الانتقام والتَّشفِّي منهُ ومن ذرِّيَّتهِ، ووَضَعَ خُطَّةً ماكرةً خبيثةً فَنطَقَ عَلىٰ عجلٍ كما ذكر اللهُ لنا حكايةً عنهُ في كتابهِ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦].

أنظرني إلى يوم يبعثون

وكانَ إبليسُ يَستَحِقّ هذا الجَزاء العَادِل علىٰ عِنَادِهِ وكِبْريَائِهِ وتَمرُّدِه فأخْرَجَهُ اللهُ تَعَالىٰ مِنَ الجنَّةِ ذَليلاً مُهاناً، وَهُنَا طَلَب إبْليسُ اللعينُ مِن ربِّهِ تَبارَكَ وتَعالىٰ أن يُمْهِلَهُ إلىٰ يومِ القِيامَةِ فَأجَابَهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ وأعطَاهُ سُؤلَهُ لِحِكمَةٍ يَعلَمُها اللهُ تَعالَىٰ وَقَالَ لهُ: ﴿فإنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ ۝ إلىٰ يَومِ الوَقْتِ المَعْلُومِ﴾ [ص: ٨٠-٨١]. والوقتُ المَعْلُومُ هُوَ يَومُ القِيَامَةِ. فَأنْظَرَهُ الحَلِيْمُ الَّذي لا يَعْجَلُ علىٰ مَن عَصَاهُ بالعُقُوبَةِ.

لقدَ طلبَ النَّظرَ إلىٰ يوم البعثِ لا لينـدمَ علـىٰ خطيئتـهِ ولا ليتـوبَ إلىٰ اللهِ ويرجعَ ويُكَفِّرَ عن إثمِهِ الجسيم، ولكـن لينتَقِـمَ مِن آدمَ وذرِّيته جزاءَ ما لعنَهُ الله وطرَدَهُ، حيثُ أنهُ يربطُ لعنةَ اللهِ لَهُ بآدمَ ولا يربطُهَا بعصيانِهِ للهِ تعالىٰ.

وبعدَما اطمأنَّ لبقائِهِ إلىٰ يوم البعثِ، وحقَّقَ اللهُ لَـهُ رَغْبَتَهُ في البَقَاءِ إلىٰ اليَوم المَعْلُوم، وأمِـنَ مـنَ الهـلاكِ إلىٰ يـوم القِيَامَـةِ تَمَرَّدَ وطَغَىٰ، وقَابَلَ ذَلِكَ بِالجُحُودِ وَالكُفْرَانِ وقَالَ: ﴿فَبِمَا أغْوَيْتَنِي لأقْعُدَنَّ لَهُم صِرَاطَكَ المُسْتَقِيْمَ ۝ ثُمَّ لآتِينَّهُم مِن بَيْنِ أيْدِيْهِم وَمِن خَلفِهِم وَعَن أيْمَانِهِم وَعَن شَمَائِلِهِم ولا تَجِـدُ أكْثَرَهُم شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

أي: بِسَبَبِ حُكْمِكَ عَلَيَّ يَا ربِّ بِالخُسْرَانِ أُقْسِمُ لأُحَاوِلَنَّ جَهْدِي أن أُضِلَّ بَنِي آدَمَ وَأصْرِفَهُم عَن طَرِيْقِكَ المُسْتَقِيْمِ مُتَّخِذاً في سَبِيْلِ ذَلِكَ كُلَّ وَسِيْلَةٍ مُمْكِنَةٍ، وَسَآتِينَّهُم مِن كُلِّ جِهَةٍ أسْتَطِيعُهَا مُتَرَقِّباً كُلَّ غَفْلَةٍ مِنْهُم حَتَّىٰ أصلَ إلىٰ إغْوائِهِم وإفْسَادِهِم، وَأجعلَ أكْثَرَهُم غَيْرَ شَاكِرِينَ لَكَ.

فَقَالَ تَعَالَىٰ لهُ: ﴿اخْرُج مِنْهَا مَذْؤوماً مَدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُم لأملأنَّ جَهَنَّم مِنْكُم أجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨].

فَطَرَدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أيضاً مِن رَحْمَتِـهِ ، بَعْدَ أن طَرَدَهُ مِن جَنَّتِهِ فَأقْسَمَ إبليسُ بِعـزَّةِ اللهِ أن يَتَرَصَّدَ لِعِبَادِهِ بِالغِوايَةِ ، وَيَجْهَدَ في إضْلالِـهِم مَا اسْتَطاعَ إلىٰ ذَلكَ سبيلاً ، إلاَّ عبادَ اللهِ المُخْلَصِيْنَ ، كَمَا قَالَ تَعَـالَىٰ : ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغوِيَنَّهم أجْمَعِيْنَ ۝ إلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُم المُخْلَصِيْنَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

وبذلك حدَّدَ إبليسُ المعركةَ إنـها الأرضُ وحـدَّدَ عِدَّتَـهُ فيـها إنَّـه التَّزيين تَزيـينُ القبيح وَتجميله فالإنسانُ لا يفعل الشَّرَّ إلا وعليهِ مِنَ الشيطانَ مَسحة تُزَيِّنُهُ وتجمِّلُهُ وتُظهِرُه في غير حقيقتِهِ وردائِهِ ، فَليَفْطَن النَّاسُ إلىٰ عِدَّةِ الشـيطانِ وليحـذَرُوا كُلَّما وجدوا في أمرٍ تزييناً ، وكلَّما وجدُوا من نُفُوسهم إليهِ اشتِهَاء ليحذَرُوا فقـد يكـون الشيطانُ هناك فليتَعوَّذوا بالله وحدهُ وليعتصموا بِهِ فليسَ للشيطانِ علىٰ عبادِ اللهِ المخلصينَ مِن سبيلٍ هذا هُو شَرطُهُ : ﴿إلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُم المُخْلَصِيْنَ﴾ [ص: ٨٣].

❖ ❖ ❖

أولاد إبليس

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَن أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُم لَكُم عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٠].

قال مجاهد: لإبليس خمسةُ أولاد جعلَ كلَّ واحدٍ منْهُم علىٰ شَيء وهُم: (شبر، والأعور، وسوط، وداسم، وزلنبور) فشبر صاحِبُ المصائِب الَّذي يأمرُ بالثّبور، وشقِّ الجيوبِ، ولطم الخدودِ، ودَعْوَى الجاهليةِ. و(الأعور) صاحبُ الزِّنا يأمرُ بهِ وَيُزَيِّنُهُ لهم. و(سوط) صاحبُ الكَذِب. و(داسم) يدخُلُ مَع الرَّجل علىٰ أهلِهِ يُريهِ العَيْب فيهِم ويُغْضِبُهُ عَليهم. و(زلنبور) صاحبُ السُّوق. وشَيطان الصَّلاة يُسمىٰ: (خِنْزَب) والوضوء يسمىٰ: (الولهان) وكما أنَّ الملائكةَ فيهم كثرةٌ ففي الشياطين كثرةٌ أيضاً.

قلت: والذي يثبتُ من ذلك (خِنْزَب) للصلاة، و(الولهَان) للوضوء. وما تبقَّىٰ فلم أجد فيه نصّاً صحيحاً، واللهُ تعالىٰ أعلم.

❖ ❖ ❖

الحكمة من خلق إبليس

تَعالىٰ اللهُ وَتَقَدَّس، وتَنَزَّه أن يخلُقَ شيئاً عَبَثاً، فإنَّ الحكيمَ لا يفعلَ شيئاً عبثاً. فلا يُوجد مخلوقٌ خَلَقَهُ اللهُ تعالىٰ لِغَير حِكمةٍ، بما في ذلكَ صغار الحيواناتِ والحشراتِ والميكروبات.

وقَد تظهر الحكمةُ في هذا المخلوقِ لبعضِ النَّاس وتخفَىٰ علىٰ آخرينَ، فإذا عُلمت الحِكمةُ فبهَا ونِعْمَت، وإن لم تُعْلَم سلَّمنا وآمنَّا بأنَّ اللهَ عليمٌ حكيمٌ.

أما خَلقُ إبليس فقَد ذَكَر ابنُ القيِّم رحمهُ اللهُ في كتابهِ (شفاء العليل) حِكَماً عديدةً في خَلْق إبليس، وفي خَلق الكفَّار، فَقَالَ: فإن قِيل: فإبليس شرٌّ محضٌ، والكفرُ والشَّرُّ كذلكَ، وقد دَخَلُوا في الوجودِ، فأيُّ خيرٍ في إبليسَ؟ وفي وجودِ الكفرِ؟

قيل: في خَلْق إبليسِ مِنَ الحِكَم والمصَالح والخيراتِ الَّتي ترتبت علىٰ وجودهِ مَا لا يعلمُهُ إلاَّ اللهُ كمَا سَنُنبِّه علىٰ بعضهِ، فاللهُ سُبحانَهُ لم يخلُقْهُ عبثاً، ولا قَصَدَ بخلقهِ إضرارَ عبادهِ وهلاكهم، فكَم للهِ في خلقهِ مِن حكمةٍ باهرةٍ، وحجّة قاهِرَة، وآية ظاهِرة، ونعمة سابغة، وهو وإن كانَ للأديانِ والإيمانِ كالسُّموم للأبدان، ففي إيجادِ السُّمُوم مِنَ المصَالح والحِكَم ما هو خيرٌ مِن تفويتها، وأمَّا الذي لا خَير فيه، ولا شرّ فلا يدخلُ أيضاً في الوجودِ، فإنهُ عَبثٌ، فتَعَالىٰ اللهُ عَنْهُ.

وإذا امتَنَع وجودُ هذا القِسم في الوجودِ فَدُخُولُ ما الشرُّ في إيجادهِ أغلَب من الخيرِ أولىٰ بالامتناع، ومن تأمَّل هذا الوجودَ عَلِمَ أنَّ الخيرَ فيه غالبٌ، وأنَّ الأمراض ـ وإن كَثُرَت ـ فالصِّحةُ أكثر منها، واللَّذَّات أكثر مِنَ الآلام، والعافيةُ أعظمُ من البلاءِ، والغرقِ والحرقِ والهدم ونحوِها، وإن كثُرت فالسَّلامةُ أكثَرُ،

ولو لم يُوجد هذا القِسم الذي خَيرُهُ غالبٌ لأجل ما يعرض فيه مِنَ الشَّرِّ لَفَاتَ الخيرُ الغالِب، وفواتُ الغالب شرّ غالبٌ، ومثال ذلكَ: النَّار، فإنَّ في وجودها منافع كثيرة، وفيهَا مفاسد لكن إذا قابلنا بينَ مصالحهَا ومفاسدِهَا لم تكن لمفاسدِها نسبة إلىٰ مَصَالِحِها، وكذلك المطرُ والرياحُ والحرُّ والبردُ، وبالجملة فعناصرُ هذا العالم السُّفلي خيرُها ممتزج بِشَرِّها، ولكن خيرَها غالبٌ، وأمَّا العالم العلوي فبريءٌ مِن ذلك.

فإن قيل: فهَلاَّ خلَقَ الخلاَّقُ الحكيمُ هذه خالية مِنَ الشرِّ بحيثُ تكون خيرات محضة؟

فإن قلتم: اقتَضَت الحكمةُ خَلْق هذا العَالَم ممتزجاً فيه اللَّذة بالألم، والخير بالشَّرِّ، قد كان يمكن خَلْقَهُ علىٰ حَالَةٍ لا يكون فيه شرّ، كالعَالم العلويّ، سَلَّمنا أنَّ وجودَ ما الخير فيهِ أغلب مِنَ الشرِّ أولىٰ مِن عدمِهِ، فأيُّ خير ومصلحة في وجودِ رأس الشَّرِّ كُلِّه ومنبعه وقُدوة أهله فيه إبليس؟ وأيّ خيرٍ في إبقائِهِ إلىٰ آخر الدهر؟

وأيُّ خير يغلبُ في نشأةٍ يكونُ فيها تسعةٌ وتسعونَ إلىٰ النَّار وواحدٌ في الجنةِ؟ وأيُّ خيرٍ غالب حَصَلَ بإخراج الأبوين مِنَ الجنَّةِ حتَّىٰ جرَى علىٰ الأولادِ مَا جرى، ولَو داما في الجنَّة لارتَفَع الشَّرُّ بالكليةِ؟.

ثمَّ قالَ ابنُ القيِّم بعدَ ذَلِكَ:

قولهم: أيّ حكمة في خلْق إبليس وجنُوده؟

ففي ذلكَ مِن الحِكم ما لا يحيطُ بتفصيله إلاَّ اللهُ.

(١) ما يترتَّب علىٰ مجاهدة الشيطان وأعوانه من إكمال مراتب العبوديَّة:

فمنهَا: أن يكمل لأنبيائِهِ وأوليائِهِ مَرَاتِب العبوديةِ بمجاهدةِ عَدُوِّ اللهِ وحزبهِ،

ومخالفتهِ ومراغمته في اللهِ، وإغاظتهِ وإغاظة أوليائهِ، والاستعاذة بهِ منه، واللجوء إليهِ أن يعيذَهم مِن شرّهِ وكيدِهِ، فيترتب لهم علىٰ ذلك مِنَ المصالح الدُّنيوية والأُخروية ما لم يحصل بدونه.. والموقوف علىٰ الشيءِ لا يحصل بدونهِ.

② خوف العباد من الذنوب:

ومنها: خوفُ الملائكةِ والمؤمنينَ مِن ذَنْبِهِم بعدمَا شاهَدُوا مِن حالِ إبليس مَا شاهدُوهُ. وسقوطه مِن المرتبةِ الملَكيَّة إلىٰ المنزلةِ الإبليسيةِ يكون أقوَى وأتمّ.

ولا ريبَ أنَّ الملائكةَ لما شاهَدُوا ذلكَ حَصَلَت لهم عبوديّة أُخرَى للربِّ تعالىٰ، وخضوعٌ آخر، وخوفٌ آخَر، كما هوَ المشاهدُ مِن حالِ عبيدِ الملِكِ إذا رأوه قَد أهانَ أحَدَهُم الإهانةَ الَّتي بَلَغَت منهُ كُلَّ مبلغ وهُم يُشاهِدُونَهُ، فَلا ريبَ أنَّ خوفَهُم وحَذَرَهُم يكونُ أشدّ.

③ جعلهُ اللهُ عبرةً لمن اعتبر:

ومنها أنهُ سبحانَهُ جعلَهُ عبرةً لمن خالَفَ أمرَهُ، وتكبَّرَ عَن طاعتِهِ، وأصرَّ علىٰ معصيتِهِ، كما جعلَ ذنبَ أبي البَشر عِبرَةً لمن ارتكبَ نَهْيَهُ أو عصَىٰ أمرَهُ، ثمَّ تابَ ونَدِمَ ورجعَ إلىٰ ربِّه، فابتلَىٰ أبوَيّ الجنّ والإنس بالذّنب، وجعلَ هذا الأبَ عِبْرَةً لمن أصرَّ وأقامَ علىٰ ذنبِهِ، وهذا الأب عبرةً لمن تابَ وَرَجَع إلىٰ ربِّه.

فللَّه كَم في ضمن ذلكَ مِنَ الحِكم الباهرةِ والآيات الظاهرة.

④ جعلهُ فتنةً واختباراً لعبادِهِ:

ومنها: أنه مَحَكٌّ امتحنَ اللهُ بهِ خلقَهُ ليتبينَ به خبيثهم مِن طيِّبهم، فإنهُ سبحانَهُ خلَقَ النوعَ الإنسانيَّ مِن الأرضِ وفيها السَّهل والحَزَن، والطيّب والخبيث، فَلا بدَّ أن يظهر فيهم ما كانَ في مادَّتِهم، ففي الحديث الذي رواهُ

الترمذي، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ الله تعالىٰ خَلَقَ آدمَ مِن قَبْضَةٍ قَبضَـهَا مِـن جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدمَ عَلَىٰ قَـدْرِ الأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ». [صحيح].

فما كانَ في المادَّة الأصليةِ فهو كائنٌ في المخلوقِ منهَا، فـاقتَضَت الحكمَـةُ الإلهيةُ إخراجه وظهوره، فلا بدَّ إذاً مِن سببٍ يُظهر ذلكَ، وكانَ إبليس محكّاً يميّز به الطيّب من الخبيثِ، كمَا جعلَ أنبيـاءهُ ورُسلَهُ محكّاً لذلـكَ التميّز. قـال تعـالىٰ: ﴿ما كانَ اللهُ لِيذرَ المؤمنينَ علىٰ ما أنتمُ عليه حتَّىٰ يَميزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيبِ﴾. [آل عمران: ١٧٩]. فأرسلَ رسُلَهُ إلىٰ المكلَّفين وفيهِم الطيّب والخبيث، فانضَـافَ الطيِّبُ إلىٰ الطيِّبِ والخبيثُ إلىٰ الخبيثِ.

واقتَضَـت حكمتُـهُ البالغـةُ أن خلطَـهُم في دارِ الامتحـانِ، فإذا صـارُوا إلىٰ دارِ القرارِ ميَّزَ بينَهُم وجعَلَ لهؤلاءِ داراً علىٰ حِدَة، ولـهؤلاءِ داراً علـىٰ حـدة، حكمـةٌ بالغةٌ وقدرة قاهرةٌ.

⑤ إظهارُ كمال قدرتِه سبحانه بخلق الأضداد:

ومنـها: أن يظهـرَ كمـالَ قدرتِـهِ في خلْـقِ مثـل جـبريل والملائكـة، وإبليـس والشياطين، وذلكَ مِن أعظم آياتِ قُدْرَتِهِ ومشيئتِهِ وسُلطانِهِ.

فإنهُ خالِقُ الأضدادِ: كالسماءِ والأرضِ، والضياءِ والظـلام، والجنةِ والنارِ، والماءِ والنارِ، والحرِّ والبردِ، والطيّب والخبيث.

⑥ الضّد يظهر حسنه الضدّ:

ومن هذهِ الحِكم: أن خَلْقَ أحد الضدّين مِن كمالِ حُسْنِ ضِدِّه، فإنَّ الضدَّ إنَّما يظهرُ حسنه بضدّه، فلولا القَبيح لم تُعْرَف فضيلةُ الجمِيل، ولولا الفَقْر لم يُعرف الغِنَىٰ.

⑦ الابتلاء بهِ إلىٰ تحقيق الشكر:

ومنها: أنه سبحانَهُ يحبّ أن يُشكَر بحقيقةِ الشُّكر وأنواعِهِ، ولا ريبَ أنَّ أولياءَهُ نالُوا بوجودِ عَدُوِّ اللهِ إبليس وجنودِهِ وامتحانهم بهِ مِن أنواع شكْرِهِ مَا لم يكُن ليحصل لهُم بدونِهِ، فكَم بينَ شُكْرِ آدم وهُو في الجنَّةِ قبلَ أن يخرُجَ منهَا وبينَ شكرِهِ بَعْدَ أن ابتُلِيَ بعدُوِّه ثمَّ اجتباهُ ربُّهُ وتابَ عَليهِ وقَبِلَهُ.

⑧ في خلق إبليس قيام سوق العبوديَّة:

ومنها: أنَّ المحبةَ والإنابةَ والتوكُّل والصَّبر والرِّضا ونحوها أحبّ العبودية إلىٰ اللهِ سبحانهُ، وهذهِ العُبوديَّةُ إنما تَتَحقَّق بالجهادِ وبذلِ النَّفس للهِ، وتَقْديم محبَّتِهِ علىٰ كلِّ ما سِوَاه، فالجهادُ ذَرْوَةُ سَنَام العبوديةِ وأحبُّها إلىٰ الربِّ سُبْحَانَهُ، فكانَ في خَلْقِ إبليسَ وحزبِهِ قيام سُوقِ هذهِ العُبُوديَّةِ وتوابعها الَّتي لا يحصي حكمهَا وفوائدهَا وما فيهَا مِن المصَالح إلاَّ اللهُ.

⑨ وترتَّبَ علىٰ ذلكَ ظهورُ آياتِهِ وعجائب قدرته:

ومنها: أنَّ في خَلْق من يضادّ رسلَهُ ويكَذِّبهم ويعاديهم، مِن تمام ظُهُور آياتِهِ وعجائبِ قُدْرَتِهِ، ولطائِف صُنْعِهِ ما وجودُهُ أحبّ إليهِ وأنفَع لأوليائِهِ مِن عَدَمِهِ، كظُهُور آيةِ الطوفانِ، والعصَا، واليد، وفَلْق البحر، وإلقاء الخليل في النَّار، وأضعاف أضعاف ذلك من آياتهِ وبراهين قدرتِهِ وعلمِهِ وحكمته، فَلَم يكُن بدٌّ مِن وُجُودِ الأسبابِ الَّتي يترتَّب عليهَا ذلك.

⑩ الخلقُ من النار آية:

ومنها: أنَّ المادةَ الناريةَ فيهَا الإحراقُ والعلو والفساد، وفيهَا الإشراق

والإضاءةُ والنُّورُ، فأخرَج منها سبحانَهُ هذا وهَذَا، كما أنَّ المادةَ التُّرابيـةَ الأرضية فيها الطيِّب والخبيث، والسَّهل والحـزَن، والأحمَر والأسـود والأبيض، فأخرجَ منها ذلكَ كلّه حِكْمة باهرة، وقـدرة قاهرة، وآية دالّـة علىٰ أنه: ﴿ليسَ كَمثلِهِ شَيءٌ وهو السَّميعُ البَصِيرُ﴾. [الشورى: ١١].

(١١) ظهور متعلقات أسمائِه:

ومنـها: أنَّ مـن أسمائـهِ: الخـافض، الرَّافـع، المعـزّ، المـذِلّ، الحَكَـم، العــدل المنتقم، وهذِهِ الأسماءُ تَستَدْعي متعلقات يَظْهَرُ فيها أحكامُها، كأسماءِ الإحسانِ والرِّزق والرَّحمة ونحوها، ولا بدَّ مِن ظُهُور متعلقات هذهِ وهذهِ.

(١٢) ظهور آثار تمام ملكِهِ وعموم تصرُّفهِ:

ومنها: أنهُ سبحانَهُ المِلك التامّ الملك، ومن تمام مُلكِهِ عُمُوم تصرُّفِهِ، وتنوُّعـهِ بالثَّواب والعقابِ، والإكرام والإهانَةِ والعدلِ، والفضلِ والإعزازِ والإذلال، فلا بدَّ مِن وجودِ مَن يَتَعَلَّق بِهِ أحدُ النوعين كما أوجدَ مَن يتعلّق به النَّوع الآخر.

(١٣) وجودُ إبليس من تمامِ حكمتهِ تعالىٰ:

ومنها: أنَّ مِن أسمائِـهِ الحكيـم، والحِكْمةُ مِن صفاتِـهِ سُبْحانَهُ، وحكمَتُهُ تَسْتلزِم وضعَ كـلّ شيءٍ في مَوضِعِـهِ الَّـذي لا يليـقُ بـهِ سِـوَاهُ، فـاقتَضَت خَلْـق المتضَـادَّات، وتخصيص كلّ واحدٍ منها لا يليقُ بهِ غيره مِنَ الأحكـام والصِّفات والخصائِص، وهل تَتِمُّ الحكمةُ إلاَّ بذلكَ، فوجودُ هذا النَّوع مِن تمام الحكمَةِ، كمَا أنهُ مِن كمال القدرةِ.

(١٤) حمده تعالىٰ علىٰ منعه وخفضه:

ومنها: أنَّ حمـدَهُ سبحانَهُ تـامّ كـاملٌ مِن جَميـع الوجـوهِ، فَـهُو محمـودٌ علىٰ

عدلِه ومنعه وخَفْضِه وانتقامهِ وإهانَتِه، كما هُو محمودٌ علىٰ فضلِه وعطائِـه ورفعِهِ وإكرامِهِ، فللّهِ الحمدُ التامّ الكامِلُ علىٰ هذا وهَذَا، وهـو يحمـدُ نَفْسَهُ علىٰ ذلك كُلِّه، ويحمدهُ عليهِ ملائكتُهُ ورسلُهُ وأولياؤهُ، ويحمدُهُ عليهِ أهلُ الموقفِ جميعُهُم. وما كانَ مِن لوازم كمالِ حمدِهِ وتمامِهِ فَلَهُ في خلقِهِ وإيجادِهِ الحكمة التامّة، كما لـه عليهِ الحمدُ التامُّ، فلا يجوزُ تَعطيل حمدِهِ، كما لا يجوزُ تَعطيل حِكْمَتِهِ.

(١٥) وبخلقِهِ يُظهِرُ اللهُ لعبادِهِ حلمه وصبره:

ومنها: أَنَّهُ سبحانَهُ يحبُّ أن يُظْهِرَ لعبادِهِ حلمَهُ وصبرَهُ وأناتـه وسِعَة رحمَتِهِ، وجوده، فـاقتضىٰ ذلـك خلْق مَن يشـرك بـهِ، ويضـادّه في حكمِـهِ، ويجتـهد في مخالفَتِهِ، ويسعَىٰ في مساخطه، بل يشبهه سبحانَهُ وهو مَع ذلكَ يَسُوقُ إليهِ أنواعَ الطيباتِ، ويرزقُهُ ويعاتِبُهُ، ويمكِّن لَهُ مِن أسبابِ ما يلتذّ بـهِ مِن أصناف النِّعَم، ويجيبُ دعاءَهُ، ويكشف عنهُ السُّوءَ، ويعامِلُهُ مِن برِّهِ وإحسانهِ بِضِدِّ ما يعامِلُهُ هُو بهِ مِن كفرهِ وشركهِ وإساءته، فللّه كَم في ذلكَ مِـن حكمةٍ وحَمْدٍ، ويتحبّب إلىٰ أوليائِهِ ويتعـرّف بـأنواع كمالاتـه، كمـا في الصحيـح عنه أنـهُ قـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «لاَ أَحَـدَ أَصْبَرُ عَلَـىٰ أذى يَسْـمَعُهُ مِـنَ اللهِ عَـزَّ وَجَـلَّ، إِنَّـهُ يُشْـرَكُ بِـهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِم وَيَرْزُقُهُمْ». [متفق عليه].

وفي صحيح البخاري عَن النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَم يَكُن لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَم يَكُـن لَـهُ ذَلِـكَ، فَأَمَّا تكذيبُـهُ إِيَّايَ فَزَعَـمَ أَنِّي لا أَقْدِرُ أَن أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُـهُ لِـي وَلَـدٌ، فَسُبْحَانِي أَن أَتَّخِـذَ صَاحِبَةً أَو وَلَداً».

وفي رواية له: عَن النَّبِيِّ ﷺ قالَ: قَالَ اللَّهُ تعالىٰ: كَذَّبَنِـي ابْـنُ آدَمَ وَلَـم يَكُـن

لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَم يَكُن لَهُ ذَلِكَ. فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَن يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِن إِعَادَتِهِ. وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَم أَلِد وَلَم أُولَدْ، وَلَم يَكُن لِي كُفُؤاً أَحَدٌ».

وهو سبحانَهُ مَع هـذا الشَّتم لَهُ والتكذيب يَرزُقُ الشاتمَ المكذِّبَ، ويعاتبُهُ، ويدفعُ عنهُ، ويدعُوه إلىٰ جنَّتِهِ، ويقبل توبَتَهُ إذا تابَ إليهِ، ويُبدِّل بسيئاتِهِ حَسَنات، ويلطف بهِ في جميع أحوالِهِ، ويؤهِّله لإرسالِ رُسُلِهِ، ويأمرهم بأن يلينُوا لَهُ القَولَ ويَرفِقُوا بِهِ.

قال الفُضَيل بن عِيَاض: ما مِن ليلةٍ يختلطُ ظلامُها إلاَّ نادَى الجليلُ جلَّ جلالُهُ: (مَن أعظم منّي جوداً، الخلائقُ لي عاصُونَ، وأنا أكلأهُم في مضاجِعِهِم كأنهم لَم يَعْصُوني، وأتولّىٰ حِفْظَهُم كأنَّهم لَم يُذْنِبُوا، أجُودُ بالفضلِ علىٰ العاصِي، وأتفضّل علىٰ المسيء.

مَن ذا الَّذي دَعاني فَلَم ألبِّه؟ ومَن ذا الَّذي سَألَني فَلَم أعطِهِ؟

أنا الجوادُ ومنّي الجودُ، أنا الكريمُ ومنِّي الكَرَمُ، ومن كَرَمِي أنِّي أُعطِي العبدَ مَا سَألَنِي، وأعطيهِ ما لَم يسألنِي، ومِن كرمِي أنِّي أُعطِي التائبَ كأنهُ لم يَعْصِنِي، فأينَ عَنِّي يهربُ الخلقُ، وأينَ عَن بابي يَتَنَحَّىٰ العاصونَ؟.

وفي أثر إلهي: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: إِنِّي والجِنَّ والإنْسَ فِي نَبَإٍ عَظِيمٍ، أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي، وأرْزُقُ ويُشْكَرُ غَيْرِي»[1].

وفي أثرٍ حَسَنٍ: «ابن آدم مَا أنصفْتَني، خَيري إليكَ نَازل، وشَرُّك إليَّ صاعِد، وكَم أتحبّب إليكَ بالنِّعم وأنا غَنيٌّ عنكَ، وكم تَتَبَغَّض إليَّ بالمعاصي

---

١ ـ (إسنادُهُ ضعيف) رواه البيهقي في (الشعب) وفي إسناده: مهنا بن يحيىٰ، مجهول، وبقية بن الوليد أورده الذهبي في الضعفاء وقال: يروي عن الكذابين ويدلسهم..

وأنت فقيرٌ إليَّ، ولا يزالُ الملَكُ الكريمُ يَعرجُ إليَّ منكَ بعملٍ قَبيح»[١].

وفي الصَّحيح: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذي نَفسي بِيَدِهِ لَو لَم تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بقَوم يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ تعالىٰ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ»[٢].

١٦ خلقَ اللهُ خلقَهُ بحيثُ يظهرُ فيهم أحكام أسمائِهِ وصفاتِهِ وآثارها:

فهو سُبحانَهُ لكمالِ محبَّتِهِ لأسمائِهِ وصفاتِهِ اقتضىٰ حمده، وحكمتُهُ أن يخلُقَ خلقاً يُظهر فيهِم أحكامها وآثارها، فَلِمَحَبَّتِه للعفوِ خَلَقَ مَن يحسِن العفوَ عَنه، ولمحبَّتِهِ للمغفرةِ خَلَقَ مَن يَغْفِرَ لَه، ويحلُم عنهُ، ويَصبرُ عليهِ، ولا يعاجله، بَل يكون يحبّ أمانه وإمهالَهُ. ولمحبَّتِهِ لعدلِهِ وحكمَتِهِ خَلَقَ مَن يُظهر فيهم عدلَه

١ - (موضوع) وأنّىٰ لهُ الحسنُ، وهو عن عليٍّ ﷺ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ: «يقولُ اللهُ تَعَالىٰ: يا ابنَ آدمَ مَا تُنْصِفُنِي: أَتَحبَّبُ إليكَ بالنِّعَمِ وتَتَمقَّتُ إليَّ بِالمَعَاصي، خيري إليكَ مُنَزَّلٌ، وشَرُّكَ إليَّ صَاعِدٌ، ولا يزالُ مَلَكٌ كريمٌ يأتيني عنك كلَّ يومٍ وليلةٍ بعملٍ قبيح. يا ابنَ آدمَ لو سمعتَ وصْفَكَ من غيرِك وأنتَ لا تعلمُ مَنِ المَوْصوفُ لَسَارَعْتَ إلىٰ مَقْتِهِ». رواه الديلمي (٥/٢٣٣) والرافعي في تاريخه (٣/٤) وهذا إسناده: .. ثنا علي بن محمد بن مهرويه القزويني بنهاوند، حدثني أبو أحمد داؤد بن سليمان القزويني، حدثني علي بن موسىٰ الرضا، حدثني أبي موسىٰ بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين بن علي، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: يقولُ اللهُ تَعالىٰ: .. فَذكَرَهُ.

قلت: قال الذهبي في الميزان (٢٦١١): «داود بن سليمان الجرجاني الغازي عن علي بن موسىٰ الرضا، وغيره كذبه يحيىٰ بن معين ولم يعرفه أبو حاتم، وبكل حال فهو شيخٌ كذَّاب له نسخةٌ موضوعة علىٰ الرضا رواها علي بن محمد بن مهرويه القزويني الصدوق عنه». ا.هـ

ورواه البيهقي في الشعب (٤٥٨٩) عن مالك بن دينار قالَ: قرأت في بعض الكتب: فذكر الحديث. والله تعالىٰ أعلم.

٢ - (مسلم/٢٧٤٩). (كي يذنبوا) أي: فيستغفروا (فيغفر لهم) لاقتضاء صفة الغفار والغفور ذلك. والمعنىٰ المراد من الحديث هو أن الله كما أحب أن يعطي المحسنين أحب أن يتجاوز عن المسيئين وقد دلَّ علىٰ ذلك غير واحد من أسمائه فهو: الغفار، الحليم، التواب، العفو، ولم يكن ليجعل العباد شأناً واحداً كالملائكة مجبولين علىٰ التنزه من الذنوب بل يخلق فيهم من يكون بطبعه ميالاً إلىٰ الهوى متلبساً بما يقتضيه ثم يكلفه التوقي عنه ويحذره من مداناته ويعرفه التوبة بعد الابتلاء، فإن وفىٰ فأجره علىٰ الله، وإن أخطأ الطريق فالتوبة بين يديه. والله أعلم.

وحكمته، ولمحبَّته للجودِ والإحسانِ والبرّ خَلَقَ مَن يُعامله بالإساءةِ والعِصيان وهو سبحانه يُعَامِلُهُ بالمغفرةِ والإحسانِ.

فلولا خلقُ مَن يجري علىٰ أيديْهِم أنواع المعاصِي والمخالفَات لفاتَت هذه الحِكَم والمصَالح وأضعافهَا وأضعاف أضعافِها، فَتَبَارَكَ اللهُ ربّ العالمين، وأحكم الحاكمين، ذو الحِكْمة البالغةِ والنِّعم السَّابغة، الَّذي وَصَلَت حكمتُهُ إلىٰ حيث وَصَلَت قُدرَتُهُ، وله في كلّ شيءٍ حكمةٌ باهرةٌ، كما أنَّ له فيهِ قدرةً قاهرةً، وهداياتٍ، إنما ذكرنا منها قطرةً مِن بحرٍ، وإلاَّ فعقولُ البشرِ أعجَز وأضعَف وأقصَر مِن أن تحيطَ بكمالِ حِكْمَتِهِ في شيءٍ مِن خلقِهِ.

(١٧) ما حصلَ بسببِ وجودِ الشيطانِ من محبوبات للرحمن:

فكم حَصَلَ بسببِ هَذا المخلوقِ البغيض للربِّ، المسخوط له مِن محبوبٍ لهُ تبارَكَ وتعالىٰ، يَتَّصِل في حبِّه ما حصَلَ بهِ من مكروه، والحكيم الباهِر الحكمة هُو الذي يحصل أحبّ الأمرين إليهِ باحتمالِ المكروهِ الَّذي يبغضهُ ويسخطهُ إذا كان طريقاً إلىٰ حصولِ ذلك المحبوب، ووجود الملزوم بدونِ لازمه مُحالٌ.

فإن يكُن قَد حَصَلَ بِعَدُوّ اللهِ إبليس مِن الشُّرور والمعاصِي ما حَصَلَ، فكَم حصلَ بسببِ وجودِهِ ووجودِ جُنُودِهِ مِن طاعةٍ هي أحبُّ إلىٰ اللهِ وأرضَىٰ لهُ مِن جهادٍ في سبيلِهِ، ومخالفة هوى النَّفس وشهوتها له، ويحتمل المشاقّ والمكارِهَ في محبَّتِهِ ومرضاتِهِ، وأحبُّ شيءٍ للحبيبِ أن يَرَى مُحِبّهُ يَتَحَمَّل لأجلهِ مِنَ الأذَى والوَصَبِ ما يُصدّق محبته.

من أجلك قد جَعلتُ خدِّي أرضاً للشامتِ والحَسودِ حتَّىٰ تَرْضا

فللَّه ما أحبّ إليهِ احتمال محبّيه أذى أعدائِهِ لهم فيهِ وفي مرضاتِهِ، وما أنفع

ذلك الأذَى لهم، وما أحمدهم لعاقبته، وماذا ينالونَ بهِ مِن كرامةِ حَبيبِهِم وقربِهِ قرَّة عيونهم به، ولكن حرامٌ علىٰ منكري محبَّة الرَّبِّ تَعَالىٰ أن يشمُّوا لذلك رائحةً، أو يدخُلُوا مِن هذا البابِ، أو يذوقُوا مِن هذا الشَّراب.

فقُل للعيون العُمْي للشمسِ أعينٌ سواك تَراها في مَغِيبٍ ومطْلعِ
وسامِح نُفوساً لم تُؤهَّل لحبِّهِم فما يحسُن التخصيصُ في كلِّ موضعِ

فإن أغضَبَ هذا المخلوقُ ربَّهُ فَقَد أرضاه فيهِ أنبياؤهُ ورسُلُهُ وأولياؤه، وذلك الرِّضا أعظَمُ مِنَ ذلكَ الغَضَب.

وإن أسخطهُ ما يجرِي علىٰ يديهِ مِنَ المعاصِي والمخالفَات، فإنَّهُ سُبحانَهُ أشدّ فرحاً بتوبةِ عَبْدِهِ، مِن الفاقِدِ لراحلَتِهِ الَّتي عليهَا طعامُهُ وشرابُهُ إذا وجدَهَا في المفاوِزِ المُهلكات، وإن أغضبَهُ ما جرَى علىٰ أنبيائِهِ ورُسُلِهِ مِن هذا العَدُوِّ اللَّعين، فَقَد سرَّهُ وأرضاهُ مَا جَرَى علىٰ أيديهم مِن حربِهِ ومعصيتِهِ ومراغمَتِهِ وكبتِهِ وغيظِهِ، وهذا الرِّضَا أعظم عندهُ وأبَرّ لديهِ مِن فواتِ ذلكَ المكروهِ المستلزم لفوات هذا المرضيّ المحبوب.

وإن أسخطهُ أكلُ آدمَ مِن الشَّجرةِ، فَقَد أرضاه توبتُهُ وإنابتُهُ وخضوعُهُ وتذلُّله بينَ يديهِ وانكسارُه لَهُ.

وإن أغضبَهُ إخراج أعدائِهِ لرسولِهِ مِن حَرَمِهِ وبلدَتِهِ ذلكَ الخروج، فَقَد أرضاه أعظَم الرِّضا دخوله إليهَا ذلكَ الدُّخول.

وإن أسخَطَهُ قَتْلُهُم أولياءهُ وأحبابَه، وتمزيق لحومهم وإراقة دمائِهم، فَقَد أرضاه نَيلهم الحياةَ التي لا أطْيَبَ منهَا ولا أنعَمَ ولا ألذّ في قُربهِ وجوارِهِ.

وإن أسخَطَهُ مَعَاصي عباده، فَقَد أرضاه شُهُود ملائكتِهِ وأنبيائِهِ ورُسُلِهِ

وأوليائهِ سعة مغفرتِـهِ وعفوهِ وبرِّهِ وكرمـهِ وجُودِهِ والثناء عليه بذلك، وحمده وتمجيده بهذهِ الأوصافِ الَّتي حمدُهُ بها والثناءُ عليهِ بها، أحبّ إليهِ وأرضَىٰ له من فواتِ تلك المعاصِي وفوات هذه المحبوبات.

واْعلم أنَّ الحمدَ هُو الأصلُ الجامعُ لذلك كُلِّه، فهو عقد نظام الخَلْق والأمر. والربّ تعالىٰ له الحمدُ كُلُّهُ بجميع وُجُوهِـهِ واعتباراته وتصاريفه، فما خَلَقَ شيئاً ولا حَكَم بشيء إلاَّ وله فيه الحمدُ، فوصَل حمدُهُ إلىٰ حيثُ وَصَلَ خلْقُهُ وأمرُهُ، حمداً حقيقاً يتَضَمَّن محبَّتَهُ والرِّضا به وعنه، والثناء عليهِ، والإقرار بحكمتِهِ البالغة في كلِّ مَا خلقه وأمرَ به، فتعطيلُ حكمتِهِ غير تعطيل حمده..

فكما أنهُ لا يكونُ إلاَّ حميداً فلا يكونُ إلاَّ حكيماً، فحمدُهُ وحكمتُهُ كعلمِهِ وقدرتِهِ، وحياته من لوازم ذاتِهِ، ولا يجوز تعطيلُ شيء مِن صفاتِـهِ وأسمائِهِ عَن مقتضياتِها وآثارها، فإنَّ ذلك يستلزمُ النَّقص الَّذي يناقضُ كَمَالَهُ وكبرياءه وعظمتَهُ.

(١٨) محبَّتُهُ سبحانهُ أن يكونَ ملاذاً ومعاذاً لأوليائهِ:

يقولُ ابنُ القيِّم أيضاً: كما أنَّ مِن صفاتِ الكمال وأفعالِ الحمدِ والثَّناء أنهُ يجودُ ويُعطي ويمنَحُ، فمنهَا أنَّهُ يُعيذُ وينْصُرُ ويُغيثُ، فكَمَا يحبّ أن يَلُوذَ بِهِ اللائذونُ يحبُّ أن يعوذَ بِهِ العائذونَ.

وكمالُ المملوكِ أن يلوذَ بِهِم أولياؤهُم، ويعوذُوا بهم، كما قالَ أحمدُ بنُ حسين الكِنْدي في ممدوحه:

يا مَن ألوذُ به فيما أؤمِّله	ومَن أعوذُ به فيما أُحاذِرُه
لا يجبُرُ الناس عظْماً أنت كاسِرُهُ	ولا يَهِيضُون عَظْماً أنتَ جابِرُهُ

ولو قالَ ذلكَ في ربِّهِ وفاطِرِهِ لكان أسعد بهِ من مخلوقٍ مثله.

والمقصودُ أنَّ مَلِكَ الملوكِ يحبّ أن يلوذَ به مماليكُهُ، وأن يَعُوذُوا بهِ، كما أمَرَ رسولَهُ أن يَسْتَعيذَ بِهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم في غير موضع مِن كتابِهِ، وبذلكَ يظهرُ تمامُ نعمتِهِ علىٰ عبدِهِ إذا أعاذهُ وأجاره مِن عَدُوِّهِ، فلم يكُن إعاذته وإجارته منه بأدنَىٰ النِّعمتين.

واللهُ تَعَالىٰ يحبُّ أن يكمل نعمتَهُ علىٰ عبادِهِ المؤمنينَ، ويريهُم نصرَهُ لهم علىٰ عدوِّهِم، وحمايتهم منهُ وظفرهم بهم، فيا لها مِن نعمةٍ كَمُلَ بهَا سرُورُهم ونعيمُهُم، وعدل أظهرَهُ في أعدائهِ وخصمائِهِ.

وما منهما إلاَّ له فيه حكمةٌ يقصر عن إدراكها كلُّ باحثِ

❖ ❖ ❖

الحكمة من بقاءِ إبليس إلى آخر الدَّهر

قال ابنُ القيِّم في (شفاء العليلِ):

فكم للهِ في ذلكَ مِن حكمةٍ تَضيق بها الأوهامُ منها:

① امتحانُ العباد:

فمنها: أنه سبحانَهُ لما جَعَلَهُ محكّاً ومحنةً يخرج بهِ الطيّبَ مِنَ الخبيثِ، ووليّه من عدوِّه، اقتضَت حكمتُهُ إبقاءه ليحصُلَ الغرضُ المطلوبُ بخلقِهِ، ولو أماتَهُ لفاتَ ذلكَ الغرضُ، كما أنَّ الحكمَةَ اقتضَت بقاءَ أعدائهِ الكفار في الأرضِ إلى آخرِ الدَّهر، ولو أهلَكَهُم ألبتة لَتَعَطَّلت الحِكَمُ الكثيرةُ في إبقائِهِم.

فكما اقتَضَت حكمَتُهُ امتحانَ أبي البَشر، اقتضت امتحان أولادِهِ مِن بعدِهِ بهِ، فَتَحْصُل السعادةُ لمن خَالَفَهُ وعاداهُ، وينحاز إليه مَن وافَقَهُ ووالاهُ.

② أبقاهُ مجازاةً لهُ على عملِهِ السَّابق:

ومنها: أنه لما سبقَ حكمُهُ وحكمَتُهُ أنه لا نَصيبَ له في الآخرةِ، وقَد سبقَ له طاعةٌ وعبادةٌ، جزاهُ بهَا في الدُّنيا بأن أعطاهُ البقاءَ فيها إلى آخرِ الدَّهر.

فإنه سبحانهُ لا يظلمُ أحداً حسنةً عَمِلَهَا، فأمَّا المؤمن، فيجزيه بحسناتِهِ في الدُّنيا وفي الآخرةِ، وأما الكافر فيجزيهِ بحسناتِ ما عَمِلَ في الدُّنيا، فإذا أفضَى إلى الآخرةِ لم يكُن لهُ شيءٌ، كما ثبتَ هذا المعنى في الصَّحيح عن النبيِّ ﷺ.

③ أملى لهُ ليزداد إثماً:

ومنها: أنَّ إبقاءه لم يكن كَرَامَةً في حقّهِ، فإنه لو مَاتَ كانَ خيراً لهُ وأخفَّ لعذابِهِ وأقلَّ لشرِّهِ، ولكن لما غَلَظ ذنبُهُ بالإصرارِ على المعصيةِ، ومخاصمة من يَنبغي التَّسليم لحكمِهِ، والقَدح في حكمَتِهِ، والحلف والعَمَل على اقتطاع عبادِهِ

وصدِّهم عَن عبوديته، كانت عُقُوبَة الذَّنب أعظَم عقوبة بحسب تغلّظه.

فَأُبْقِيَ في الدُّنيا وأملَىٰ له ليزدادَ هذا إثماً علىٰ إثم ذَلِكَ الذَّنب، فيستوجب العقوبَةَ الَّتي لا تَصْلُح لِغَيْرِهِ، فيكون رأسَ أهلِ الشَّرِّ في العقوبةِ، كما كانَ رأسَهُم في الشرِّ والكُفر.

ولما كانَ مادةَ كلّ شرٍّ وعنه يَنْشَأ، جُوزي في النَّار مثل فعلهِ، فكلّ عذابٍ ينزلُ بأهلِ النَّار يبدأ بِهِ فيهِ ثمَّ يسرِي منه إلىٰ أتباعهِ عدْلاً ظاهراً وحكمةً بالغةً.

(٤) وأبقاهُ ليتولّىٰ المجرمين:

ومنها: أنه قالَ في مخاصمَتِهِ لِربِّهِ: ﴿أرأيتَكَ هذا الَّذي كرَّمتَ عليَّ لَئِن أخَّرتنِ إلىٰ يومِ القيامةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّته إلاَّ قَليلاً﴾ [الإسراء: ٦٢].

وعلِم سبحانَهُ أنَّ في الذُّرية مَن لا يَصْلُح لمساكنَتِهِ في دارِهِ ولا يَصْلُحُ إلاَّ لما يصلُحُ له الشَّوك والرَّوث أبقاهُ لَهُ، وقالَ له بلسانِ القَدر: هؤلاء أصحابُكَ وأولياؤكَ فاجلِس في انتظارِهِم، وكُلَّما مرَّ بكَ واحدٌ منهُم فشأنكَ بهِ، فلو صَلُحَ لي لما مَلَّكتُكَ منهُ، فإنِّي أتولَّىٰ الصَّالحين، وهُم الَّذين يصلحونَ لي، وأنتَ وليّ المجرمينَ الَّذين غنوا عَن مُوالاتِي وابتغاءِ مَرضَاتِي. قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إنَّه ليسَ لَهُ سُلطانٌ علىٰ الَّذين آمنُوا وعلَىٰ ربِّهم يَتوكَّلونَ ۝ إنَّما سُلطانُهُ علىٰ الَّذين يَتولَّونَه والَّذين هم به مُشرِكُونَ﴾. [النحل: ٩٩- ١٠٠].

فأمَّا إماتة الأنبياءِ والمرسلين فَلَم يكُن ذلكَ لهوانِهم عليهِ، ولكن ليصِلُوا إلىٰ محلّ كرامَتِهِ، ويستريحُوا مِن نكَدِ الدُّنيا وتَعَبِهَا ومُقَاسَاةِ أعدائِهِم وأتباعِهِم، وليحي الرُّسُلَ بَعْدَهُم فيرَى الناسُ رسولاً بَعْدَ رسولٍ.

فإماتتهُم أصلحُ لهم وللأمَّةِ، أمَّا هُم فَلِراحَتِهِم مِنَ الدُّنيا ولحوقهِم بالرَّفيق

الأعلىٰ في أكملِ لذَّةٍ وسُرور، ولا سيَّما وقَد خيَّرَهُم ربُّهم بينَ البقاءِ في الدُّنيا واللّحاق به.

وأمَّا الأممُ فيعلم أنَّهم لم يطيعوهُم في حياتهم خاصَّة، بَل أطاعُوهُم بَعْدَ مماتهم، كما أطاعُوهُم في حياتِهم، وأنَّ أتباعَهُم لم يكُونُوا يعبدونَهُم، بَل يعبدونَ اللهَ بأمرهِم ونَهيهم، واللهُ هُوَ الحيُّ الَّذي لا يموت.

فكم في إماتَتِهِم مِن حكمةٍ ومصلحةٍ لهم وللأمم، هذا وهُم بَشرٌ، ولم يخلُق اللهُ البشرَ في الدُّنيا علىٰ خِلْقةٍ قابلة للدَّوام، بَل جَعَلَهُم خلائِفَ في الأرضِ، يخلفُ بعضُهُم بعضاً، فَلَو أبقاهُم لفاتَت المصلحةُ والحكمةُ في جَعْلِهِم خَلائِفَ، ولضاقَت بهمُ الأرضُ، فالموتُ كمالٌ لكلِّ مُؤمِنٍ، ولولا الموت لما طابَ العَيْشُ في الدُّنيا ولا هناء لأهلها بِهَا، فالحكمةُ في الموتِ كالحكمةِ في الحياةِ.

❖ ❖ ❖

مصير إبليس وخطبَتُهُ في النَّار

اعلم أنَّ مصيرَ الشيطانِ إلىٰ النارِ، هو وجنوده وأتباعه، جزاءً وفاقاً، قال تَعالىٰ: ﴿قَالَ اخْرُج مِنهَا مَذْؤوماً مَدْحُوراً لَمَن تَبِعَكَ مِنهُم لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنكُم أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿قَالَ اذْهَب فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُم فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُم جَزَاءً مَوْفُوراً﴾ [الإسراء: ٦٣].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿لأَمْلأَنَّ جهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تبِعَكَ مِنْهُم أجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥].

أمَّا عَن خُطبتِهِ بأتباعِهِ مِن أهلِ النَّار فَقَد ذَكَرَ اللهُ تَعالىٰ ذلكَ في كتابِهِ العزيز فقالَ تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إنَّ اللهَ وَعَدَكُم وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُم فَأَخْلَفْتُكُم وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِن سُلْطَانٍ إلاَّ أن دَعَوْتُكُم فَاسْتَجَبْتُم لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُم مَا أنَا بِمُصْرِخِكُم وَمَا أَنْتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

هذا العنوان (خطبةُ إبليس في النَّار) قالَهُ الإمامُ العلاّمة أبو الفداء ابنُ كثير في تفسيره، وفي هذا العنوان - في ظنِّي - ما يحتاجُ إلىٰ بعض التوضيح لتَصويب ما يقعُ في خلدِ القارئ من تمثُّل للطريقةِ الَّتي يُلقي فيها الشَّيطانُ خُطبَتَهُ، وهذا التمثّل له أهمّية في تحقيق المعنىٰ النَّفسي لقارئ هذه الآيةِ العظيمةِ، فإنَّ تصوّر المسلم لخطيبٍ فوق منبر، شامخ بأنفِهِ، دَافع لِصَدْرِهِ، معتزٌ بنفسهِ، تُلْقِي ظلالاً من الهيبةِ علىٰ معاني الكلماتِ التي يُخْرِجُها، وتُكْسِبُ الألفاظ قوّة زائدةً، كما هو شأنُ حركةِ اليدِ للخطيبِ أو المدرِّس أو الواعظِ، وهذا الموقفُ الذي سيخطبُ فيه الشيطانُ خطبَتَهُ ليس فيهِ أيّ قَدرٍ مِن هذهِ المعاني، بَل هو علىٰ الضِّدِّ منها مِن كلِّ وجهٍ.

فإذا كـانَ شأنُ الخطيب أن يخطبَ علىٰ مستمعيهِ من علو، فوقَ درجةٍ أو درجاتٍ، فإنَّ الشيطانَ ها هنا يخطبُ مِن سفلٍ تحتَ دَركاتٍ..

وإذا كانَ الخطيب فوقَ منبرهِ يقرِّرُ ويَعِظُ ويُعَلِّمُ، فإبليسُ هنا يتنصَّلُ ويبكتُ ويَخْزَى ويُخزِي.

وإذا كـانَ الخطيبُ يرفعُ رأسَـهُ لـيراهُ النَّـاسُ وليكسـيَ ألفاظَـهُ معنـىٰ الهيبـةَ والقوَّةَ، فإنَّ إبليسَ هنا ينكَمِشُ ويتصَاغَرُ لأنَّ جموعَ المطالبين بالحقوقِ منه هَادِرَةٌ غاضبةٌ صادخةٌ، تَطلُبُ التَّفسيرَ والجوابَ.

فإبليسُ في خطبتِهِ هذهِ قابعٌ في الـدَّرك الأسفلِ، بَل في أسفلِ دَركةٍ، خائبٌ حسيرٌ، تلفحُهُ النَّارُ ويأتيهِ العذابُ مِن كـلِّ مكَـانٍ، وملائكـةُ العـذابِ تَضربُـهُ مِن كلِّ جانبٍ، وصراخُ وعويلُ أتبَاعِهِ تَزيدُهُ آلاماً فوقَ ما هو عليهِ، ورؤيتُهُ للفقـراءِ والمساكين الَّذين كان يَستهزئُ بهم ويتعَالىٰ عليهم وهُم ملوكٌ في الجنانِ تأكل قَلْبَـهُ وَتُشعِلُ نَدَمَهُ، هكذا يجبُ أن نَقْرأ هذه الخطبةَ، وإلاَّ وَقَعْنَا في الكثيرِ مِـنَ الأخطـاءِ في فهمِنَا لما يقولُهُ اللهُ تَعَالىٰ.

ويقولُ الحسنُ البصريُّ - رحمه اللهُ تعالىٰ - إنَّ إبليسَ يقفُ علـىٰ مِنْبَرٍ مِن نـارٍ. ومَن يقومُ علىٰ هذا المنبرِ باختياره؟ فوجهُ ما قالـهُ الإمـام - والله أعلـم - أنَّه أُقِيْمَ رَغْمَ أنفهِ عَلىٰ منبرِ محاكمَةٍ وعذابٍ ولم يَقُم باختِيَارِهِ، فَلا يَبْعُدُ أبـداً عـن المعنَىٰ الذي قلناه، واللهُ الموفّقُ للصوابِ.

وهـذه الآيـة عـن خطبـةِ الشَّيطانِ قِيْلَـت في كتابِ الله تعالىٰ بعدما أخبرنَـا اللهُ تعـالىٰ عـن تـبرّي الأسيادِ مِنَ الأتبـاع، قـالَ تعـالىٰ: ﴿وَبَـرَزُوا للهِ جَمِيعـاً فَقَـالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُم تَبعاً فَهَل أَنْتُم مُغْنُونَ عَنَّا مِـن عَـذَابِ اللهِ مِـن

شَيْءٍ قَالُوا لَو هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُم سَوَاءٌ عَلَيْنَا أجَزِعْنَا أم صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأمْرُ إنَّ..﴾ [إبراهيم: ٢١].

فالمناسبةُ بينَ الآيتين واضحةٌ جليّةٌ، فإنَّ سياق الآيتين حديثٌ عن قضيّة مهمَّة وهي قضيةُ الخول والأتباع، وأنّه لا حُجَّةَ لهم عندَ الله تعالىٰ بكونِهم كانوا مستضعفينَ في قوّتهم وعقُولِهم، رضُوا لأنفسهم بالتَّسليم، وتعليقِ ما هُم عليه مِنَ الكُفر والضَّلال علىٰ مشجبِ أسيادِهِم، رافعينَ عَن أنفُسِهم التُّهمَةَ، واجدينَ لها العُذْرَ والحجَّةَ، وهي حجّةٌ تتكَرَّرُ علىٰ مرِّ الأزمانِ والدُّهُور، يقولُها الناسُ بصيغ متعدّدةٍ وبألفاظٍ متباينةٍ لكنَّها تدورُ علىٰ معنىٰ واحدٍ وهو: ﴿كنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأرضِ﴾ واللهُ تَعَالىٰ قَد قَطَعَ هذهِ الحجّةَ في الدُّنيا وقَطَعَهَا في الآخرةِ، أمَّا في الدُّنيا فإنَّ اللهَ تَعَالىٰ قَد أهلكَ أتباع الفراعنةَ والطواغيتَ مَع أسيادِهِم، ولم يستَثْنِهِم من العذابِ والهلاكِ، قال تعالىٰ عن فرعون: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُم فِي الْيَمِّ فَانْظُر كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠].

وَدَمَّر اللهُ تعالىٰ صنيعَ الآمرِ والمأمورِ، قال تعالىٰ: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: من الآية ١٣٧].

وأمَّا في الآخرة فكما هو قوله سبحانه وتعالىٰ في هذه الآية التي بينَ أيدينا.. وكما في غيرهَا من الآيات الكثيرة.

وقد ذكرَ الإمامُ ابنُ القيّم رحمه الله تعالىٰ في كتابه « طريق الهجرتين » مراتبَ المكلّفين، وذكر مرتبةً من هذه المراتبِ هي مرتبةُ بهائم البشرِ من المقلِّدين للكفّار والطواغيت. أعاذنا اللهُ الكريمُ من ذلكَ.

والآيات في هذا البابِ فيها التَّحذير من التَّقليد الأعمىٰ، ومن عدم استعمالِ المرءِ لما وَهَبَهُ اللهُ تَعَالىٰ من نعمةِ العقلِ والنَّظر..

وفيها أيضاً الدَّعوة إلىٰ عَدَم قَبول الاستضعافِ، وأنَّ الاستضعافَ والذِّلَّةَ هي طريقُ الكفرِ والضَّلال والعياذُ باللهِ تعالىٰ..

فالإنسانُ، عِلْمٌ وإرادةٌ، وما جاءَ الإسلام إلاّ لتحريرهِمَا من الأغلال والقيود والموانع، وإنَّ تقدُّمَ أيِّ أمَّةٍ من الأمم لا يكونُ إلاَّ بتصويب العِلم وتحرير الإرادةِ، وصدَقَ الشافعيّ رحمهُ الله تَعالىٰ حينَ مَدَحَ نَفْسَهُ بأنَّـه يَرى المذلّـة كفراً كما هو في ديوانه، وما تَراجُعُ أمَّتنا وتخلُّفُها وارتكاستُها في مراتبِ الـذُّلِّ والهوان إلاَّ بسبب الجهلِ والَّذي منهُ التَّقليدُ، وبسببِ تحطّم إرادتِهَا بقيودِ الشَّهوات والأفكارِ الباطلةِ.

﴿وقالَ الشيطانُ لمّا قُضِي الأمرُ..﴾

لا بدَّ هنا مِن حركةٍ يتصوّرها المرءُ لتسبق قولَ الشَّيطان، إنَّها حركةُ الأتباع والعبَّادِ له، ذلك أنَّهم تشاورُوا فيما بينهم واتَّفقوا علىٰ محاسبَتِهِ ومطالبَتِه بتنفيذِ وُعُودِهِ، فتدافَعُوا كالموج يُطالبون الشَّيطانَ أن يُبرِّرَ لهم هذا المستَقَرّ الَّذي آلوا إليهِ، وصَرَخُوا بملء أفواههم: أيُّها الشَّيطانُ.. يا إبليس.. أين مَا وَعدّتنَا..؟ أينَ ما زَيَّنتَ لنا..؟ أين مَا أقسَمْتَ لنا مِن صِدْقِ القولِ وصَواب الحديثِ، إنَّهم يصطرخونَ فيها.. ليسَ صُراخاً.. إنّه اصطراخٌ.. وزيادةُ المبني تدلّ علىٰ زيادةٍ في المعنىٰ. فإمَّا أنَّهم جرجروهُ حتَّىٰ أقامُوهُ فوقَ منبرٍ مِن نارٍ.. وإمَّا أنَّه تَصَاغَرَ وأطلق كلماته هذه محاولاً قَدر استطاعَتِهِ أن يُخفي خِزْيَهُ وعَارَهُ، ولم يَبْقَ لهُ مِن عُذْرٍ فقد قُضي الأمرُ، وآبَ النَّاسُ إلىٰ منازلهم: هو وحزبُهُ إلىٰ النَّار وحزبُ الله إلىٰ الجنّة. فقال لهم:

﴿إنَّ اللهَ وَعَدَكُم وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُم فَأخْلَفْتُكُمْ﴾

فوعدُ الشيطانِ في هذهِ الآيَةِ مثلُ وصفِ اللهِ تعالىٰ في هذه الآية أعمالَ الكفَّار فقالَ سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أعْمَالُهُم كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ

إِذَا جَاءَهُ لَم يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

فاللهُ قَد وَعَدَ، ووعدُهُ حقٌّ، وهو القادرُ سبحانَهُ وتَعالىٰ أن ينفّذَ وَعْدَهُ، لا يُعجزُهُ شيءٌ إذا أرادَهُ. وقد وعدكُم اللهُ تعالىٰ بالبعثِ والجنَّةِ والنَّار، والثَّوابِ للمطيع وبالعِقَابِ للعاصِي، ووعدكُم في اتِّبَاعِ الرُّسُلِ بالنجاة والسَّلامة، وكانَ وعداً حقاً وخبراً صدقاً فَصَدَقكُم وَعْدَهُ، أمَّا أنا فوعدتكُم أن لا بعثَ ولا جنَّةَ ولا نارَ ولا ثوابَ ولا عِقاب فأخلفتكُم.

نعم لقد ظَهَرَ سَرابُ وعُودِهِ، وتكشَّف كذبُهَا، وبانَت علىٰ حقيقَتِها، لقد تلاشَت كلُّها تحتَ كلمةِ الشَّيطان ﴿فَأخلَفتُكُم﴾.. لقَد بحثُوا عنهُ في كلِّ مَوطن أقسمَ لهم أن يكونَ لهم فيهِ، ونادُوا عليه بكلِّ أصواتِهم حتَّىٰ كلَّت وبحّت، لكنَّهُ لم يكن هناكَ، لقد تخلَّفَ.

﴿فَأَخْلَفْتُكُم﴾.. كلمةٌ لَم تُبقِ لهم في نُفُوسِهم أملاً، وقَطّعت كُلّ أمَانيهم، ولم يبقِ لهم مِن رَجَاء، وإذا كانَ للشَّيطانِ أن يَصْدُقَ قليلاً فإنَّ صِدْقَهُ هنا لم يكُن سِوى تَصوير لحقيقَةِ الأمرِ الَّتي لا دافعَ لَها. وللهِ الأمرُ مِن قَبْلُ ومِن بَعْدُ.

ثمّ بكلماتٍ يسيرةٍ خاطفةٍ، ككلّ خطبةٍ، قذفَ البراءةَ والتبرّي في وجوههم:

وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِن سُلْطَانٍ إِلاَّ أن دَعَوْتُكُم فَاسْتَجَبْتُم لي..﴾

والسُّلطان ههنا اختلفَ العلماءُ في تَفسيره، فأكثرهُم علىٰ أنَّهُ الحجّةُ والدَّليل، أي: لم يكُن لي مِن دليل ولا حجَّة علىٰ ما دَعَوتكُم لـه من الشِّركِ والكُفْرِ والمعصيةِ، بَل بمجرّد أن رَفَعْتُ لكم لواءَ الشَّهوات حتّىٰ أقبلتُم إليها دونَ تفكّر بالعواقبِ، ودون نظرٍ صحيح، وقالَ بعضُ أهل العلم: إنّما السلطان هو القوّة والقَهْرُ، أي: لم أقهركُم علىٰ الكفرِ والشِّركِ إنَّما أقبَلْتُم إلىٰ ذلك بمحضِ

إرادتِكُم، ولا يبعدُ أنّ المرادَ بالسلطانِ هو هذا وهَذا، بل كلمةُ السُّلطان أشمل من ذلك، فإنَّ الشيطانَ يُريد أن يبرّئَ نَفْسَهُ، وأن يُحمِّلَ الأتباعَ نتيجةَ ما أتوا وعَمِلُوا، ولكنَّه استدركَ وبيّنَ مَا كانَ مِنْهُ مِن عَمَل: ﴿إلاَّ أن دَعَوتكُم﴾ وهكذا أخفَىٰ كلَّ مَا يقومُ به من تَزيين للباطلِ ونُصْرَةٍ للشَّرِّ والنَّفْخ والهمزِ في قلوبِ الناسِ بكلمةٍ واحدةٍ: ﴿دَعَوتُكُم﴾.

وهي كلمةُ تَبرّي، نَعَم، لكنَّها كلمةُ تبكيتٍ وتحقيرٍ لأتباعِهِ وعُبَّادِهِ، وهي بلا شكّ ستملأ قلوبَهُم حسرةً وندامةً. لأنَّ الشيطانَ هو الذي دَعَاهُم، وزَيَّنَ لهم، ووسوسَ لهم، ووعَدَهُم، وأوحَىٰ لَهُم، ورمَاهُم بِسِهَامِهِ، وقذفَ في طريق الحقِّ ألفَ معوّق ومعوّق، وصاحَبَ قُلُوبَهُم في السِّرِّ والعلنِ، وكانَ ممّا قالَ لربّه يومَ لَعَنَهُ: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِن أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٦٢].

فقال اللهُ تَعَالىٰ لَهُ: ﴿.. اذْهَب فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُم فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُم جَزَاءً مَوْفُوراً ۝ وَاسْتَفْزِز مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِب عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُم فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُم وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ۝ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِم سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ [الإسراء: ٦٣ ـ ٦٥].

فقارن بين هذهِ الأفعال: دفعُ الشيطان النَّاسَ بالصَّوت والنِّداء إلى الكُفر والشِّركِ والمعصيةِ، والجَلْبِ عليهم بالخيلِ والرِّجَال والمشاركةِ في الأموال والأولادِ، والوعودِ الكاذبةِ، وهي قولُهُ: ﴿لأحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَتَهُ﴾ أي: لأشُدَّنَّهم إلى الشرِّ مِن الحنكِ وأسوقنَّهُم إليه بكلِّ قُوّةٍ، وبينَ قولِهِ: ﴿دَعَوتُكُم﴾ ترى كيفَ أنَّ الشَّيطان مَا زالَ يكذبُ ويُراوغُ في كلِّ مَوطنٍ، فكلّ مَا فعلَهُ اختزَلَهُ في كلمةٍ

واحدةٍ، أمَّا تحقيقُهَا علىٰ أرضِ الواقع فهي تحتاجُ إلىٰ شروح وشُروح.

وقولهُ: ﴿دَعوتُكُم فَٱستَجَبْتُم لي﴾..

وهكذا يتمّ التَّقريع والتَّبكيت، لقد استجبتُم لنداءِ الشَّيطان بمجرَّد أن دَعاكُم، لكن هل سكتُوا؟ اسمَع ماذَا قالَ اللهُ عَن جوابِ الأتبَاع للأسيادِ بَعْدَ قولِ الأسيادِ: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُم عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذ جَاءكُم بَل كُنْتُم مُجْرِمِينَ﴾ [سبأ: ٣٢]. فَردَّ الأتباع: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَل مَكرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذ تَأْمُرُونَنَا أن نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَل يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣٣].

نعم.. إنَّه مكرُ الليل والنَّهار، والتَّخطيط الدؤوب بترتيبِ الخطواتِ ـ خطوات الشيطان ـ ليتمّ الانزلاق والعياذُ باللهِ.

ثمَّ قال لهم: ﴿فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُم﴾

إذاً كان ممّا صَرَخُوا في وجهه أنَّهم لامُوهُ علىٰ ما زيَّن لهم، فيردّ لومهم عليهم، لكنَّ السؤالَ الذي يوجّه له: لماذا لا يَلُومُوه؟ أليسَ هو الَّذي دعاهم، وقد اعترفَ بذلكَ؟! أم أنَّه يعتبرُ أنَّ هذهِ ليست بالجريمةِ التي تستحقُّ العقابَ ولا حتَّىٰ اللومَ، نعم.. ليس لهم عذرٌ عِنْدَ اللهِ بأنَّهم اتَّبَعُوا الشيطانَ وَصَدَّقُوا وعودَهُ، لأنَّ الشيطانَ قد حذّرنا جميعاً منه فقال تعالىٰ: ﴿.. وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: من الآية ١٤٢].

ثمَّ قال: ﴿مَا أنا بمصرِخكُم ومَا أنتُم بمصرِخِيّ﴾..

وهكذا تَدَرَّج في حديثِهِ حتَّىٰ وصلَ إلىٰ هذه الحقيقةِ، وهي: أنَّهُ لا يستطيعُ

ولـن يستطيعَ إنقـاذهم ولا نجدتـهم، كمـا أنَّـهم لا يَستطيعونَ إنقـاذَهُ ولا نجدتَـهُ، والعربُ تقولُ للنَّجـدة والمغيثِ والمعـين: الصَّـارخ، والصّراخ هـو الصِّياح، لأنَّ طلبَ الغوثِ وكذا المغيث لا يخلو منهُ غالباً.

قال أميّة بن أبي الصلت:

وليسَ لكُـم عنـدي غنَـاءٌ ولا نَصْـر ولا تَجْزَعُوا إنِّي لكم غَير مُصـرخ

أي: لست لكُم بمغيث.

وهكـذا لم يجدُوا عنـدَهُ إلاَّ السَّرابَ الخـادع، والأمـانيّ الكاذبـةَ، والوُعُـود الباطلَـةَ، والمرءُ لا يقـدِّم إلاَّ ما يَقْـدِرُ عليه، وهـهنا لا يَقْـدِرُ الشيطانُ علىٰ إنقـاذِ نَفْسِهِ، فكيفَ يَقْدِرُ علىٰ إنقاذِ غَيره؟! ثـمَّ مَتَىٰ اسـتطاعَ الشيطانُ أن يقـدِّمَ لِعُبَّادِهِ وأتباعِهِ شيئاً؟! ومتَىٰ صَدَقَ في وعدٍ قَطَعَهُ علىٰ نفسِهِ لهم؟

ألا مَا أشقىٰ من يتّبع الشيطانَ وَيثِقُ بهِ ويصدِّقُ وعودَهُ.

وأخيراً قالَ لـهم: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ..﴾

فـها هـو ذا يَـردُّ عبادَتَـهُم لَـهُ في وجوهِـهِم، ويرميهَا خلقَــةَ باليـةً، فَقَـد كفَـرَ بعبادَتِهم، وتبرَّأ مِن إشراكهم إيَّاه مَع اللهِ تَعَالىٰ، لَقَد كَفَرَ بشركهم، وهو اعترافٌ منه أنَّ تألّههُ علىٰ أتباعِهِ هو تألّهٌ باطلٌ، وأنَّ عِبادَتَهُم إيَّاهُ عبادةٌ باطلـةٌ، وأنَّ كـلَّ طاعةٍ قدَّموهَا له رجاءَ خيرٍ منه أو جزاء ذَهَبت سراباً ولم تَكُ شيئاً.

وهكذا تبيَّن للأتباع من عُبَّادِهِ الَّذين نَراهم يملؤون السَّهلَ والـواد، ويـأخذونَ عنـه شَريعتهم، ويدمِّـرونَ فِطرَتَـهُم بالانقيـاد لـه، ويُعْرِضُـونَ عَـن أمـرِ ربِّـهم وشريعتهِ، وسنّة النبيِّ ﷺ وهديِهِ، تبيّنَ لـهم، أنَّ وعودَهُ كاذبةٌ، وأنَّ نهايةَ العلاقةِ بينهمَا هـي التبريِّ والقطيعـة، وأنَّـه لـن يَنْصُرَهُـم في أيّ مقـام مِن مقامَاتِـهم الَّتي

يحتاجونَ فيها إلىٰ النُّصرة والتأييدِ.

واعلموا أخيراً أنَّ قولَ اللهِ صدقٌ، ووعدَهُ حقٌّ، وما أخبرنَا بهذا إلاَّ رحمةً بنا، وإخباراً لما سَيَقع يقيناً من أجلِ العِظَةِ قبلَ فَواتِ الأوان، فيومها لا ينفعُ الظالمين معذرتهم، فَليعَجِّلِ الناسُ بوصلِ حبالهم مَع اللهِ تَعَالىٰ، وليقطَعُوا حبَالَهُم مَع الشَّيطانِ وجُنْدِهِ، وليسمَعُوا قَولَهُ سُبحَانَهُ: ﴿أَلَم أَعْهَد إِلَيْكُم يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦١]. فويلٌ بعد ذلكَ للقاسيةِ قُلوبهم مِن ذِكْرِ اللهِ.

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني

الجن

(الْجِنُّ): خِلافُ الإِنْسِ، وَالْجَانُّ: الْوَاحِدُ مِنَ الْجِنِّ، يُقَالُ: جَنَّهُ اللَّيْلُ وَجَنَّ عَلَيْهِ وَأَجَنَّهُ: إِذَا سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سُتِرَ عَنْك فَقَد جُنَّ عَنْك.

قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: وَبِهِ سُمِّيَ الْجِنُّ لاسْتِتَارِهِم وَاخْتِفَائِهِم عَنِ الأَبْصَارِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْجَنِينُ لاسْتِتَارِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ.

وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ جِنّاً لاسْتِتَارِهِم عَنِ الْعُيُونِ. وَالْجِنُّ: أَجْسَامٌ نَارِيَّةٌ لَهَا قُوَّةُ التَّشَكُّلِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَارِ السَّمُومِ﴾. [الحجر: ٢٧].

قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: الْجِنُّ أَجْسَامٌ عَاقِلَةٌ خَفِيَّةٌ تَغْلِبُ عَلَيْهِم النَّارِيَّةُ أو الْهَوَائِيَّةُ. وَقَالَ أَبو عَلِيِّ بْنُ سِينَا: الْجِنُّ حَيَوَانٌ هَوَائِيٌّ يَتَشَكَّلُ بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَلا يَخْرُجُ الاصْطِلاحُ الْفِقْهِيُّ عَن ذَلِكَ.

● أَمَّا (الشَّيَاطِينُ): جَمْعُ شَيْطَانٍ وَصِيغَتُهُ (فَيْعَالُ) مِن شَطَنَ إِذَا بَعُدَ أَيْ: بَعُدَ عَنِ الْخَيْرِ، أو مِنَ الْحَبْلِ الطَّوِيلِ كَأَنَّهُ طَالَ فِي الشَّرِّ. وَهَذَا فِيمَن جَعَلَ النُّونَ أَصْلاً، وَقِيلَ: الشَّيْطَانُ فَعلانٌ مِن شَاطَ يَشِيطُ إِذَا هَلَكَ وَاحْتَرَقَ، وَهَذَا فِيمَن جَعَلَ النُّونَ زَائِدَةً. قَالَ الأَزْهَرِيُّ: الأَوَّلُ أَكْثَرُ.

وَهُوَ مِن حَيْثُ الْعُمُومُ: الْعَصِيُّ الأَبِيُّ الْمُمْتَلِئُ شَرّاً وَمَكْراً، أو الْمُتَمَادِي فِي الطُّغْيَانِ الْمُمْتَدِّ إِلَىٰ الْعِصْيَانِ. وَكُلُّ عَاتٍ مُتَمَرِّدٍ مِن الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالدَّوَابِّ شَيْطَانٌ. فَبَيْنَ الْجِنِّ وَالشَّيْطَانِ عُمُومٌ وَخُصُوصٌ وَجْهِيٌّ.

وَيُدْعَىٰ مُتَمَرِّدُ الشَّيَاطِينِ (عِفْرِيتًا).

◉ و(الْعِفْرِيتُ): الْخَبِيثُ الْمُنْكَرُ الدَّاهِيَةُ، وَيُسَمَّىٰ الْجِنُّ عِفْرِيتًا إِذَا بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالتَّعَدِّي وَالْقُوَّةِ.

قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: الْجِنُّ عِنْدَ أَهْلِ الْكَلام وَاللِّسَانِ مُنَزَّلُونَ عَلَىٰ مَرَاتِبَ. فَإِذَا ذَكَرُوا الْجِنَّ خَالِصًا قَالُوا: (جِنِّيٌّ). فَإِن أَرَادُوا أَنَّهُ مِمَّن يَسْكُنُ مَعَ النَّاسِ قَالُوا: (عَامِرٌ) وَالْجَمْعُ عُمَّارٌ. فَإِن كَانَ مِمَّن يَعْرِضُ لِلصِّبْيَانِ قَالُوا: (أَرْوَاحٌ) فَإِن خَبُثَ وَتَعَزَّمَ فَهُوَ: (شَيْطَانٌ) فَإِن زَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَهُوَ: (مَارِدٌ) فَإِن زَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ وَقَوِيَ أَمْرُهُ قَالُوا: (عِفْرِيتٌ) وَالْجَمْعُ عَفَارِيتُ.

وكَبِيرُ الْجِنِّ: (إِبْلِيسُ). قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَن أَمْرِ رَبِّهِ﴾. [الكهف: ٥٠].

أصل الجن وخلقهم

قال القرطبيُّ: اختلفَ أهلُ العِلْم في أصلِ الجنِّ، فَرَوَى إسماعيلُ عَن الحسنِ البصريِّ: أنَّ الجنَّ ولدُ إبليس، والإنسُ ولدُ آدمَ، ومِن هؤلاءِ وهَؤلاء مؤمنونَ وكافرونَ، وهُم شركاء في الثَّواب والعقابِ، فَمَن كانَ مِن هؤلاء وهؤلاءِ مؤمناً فهوَ وليُّ اللهِ، ومَن كانَ مِن هؤلاءِ وهؤلاءِ كافراً فهُو شيطانٌ.

وروى الضحاك عَن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ الجنَّ هُم ولدُ الجانِّ وليسوا بشَيَاطِين، وهُم يؤمنونَ، ومِنهُم المؤمنُ ومنهُم الكافرُ، والشَّياطينُ: هُم ولدُ إبليس لا يموتونَ إلاَّ مَع إبليس

واختلَفُوا في دُخُولِ مُؤمني الجنِّ الجنَّةَ، علىٰ حسبِ الاختلافِ في أصلِهِم. فمن زَعَمَ أنَّهُم مِنَ الجانِّ لا مِن ذريةِ إبليسَ قالَ: يَدْخُلُونَ الجنَّةَ بإيمانهم، ومَن

قالَ: إنَّهم مِن ذُرِّيةِ إبليسَ فَلَهُم فيهِ قَولان: أحدُهما: وهو قَولُ الحسنِ يدخلونَها. والثَّاني: وهو رواية مجاهِد: لا يَدْخُلُونَهَا وإن صرفوا عَن النَّار. حكاه الماوردي. ا. هـ

لكن الَّذي هو محلُّ اتِّفاق، مَا دلَّت نُصُوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ عليه مِن أنَّ الجنَّ خُلِقُوا مِن نَارٍ، وهذهِ النُّصوصُ هِيَ المعتمدَةُ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥]. قالَ ابنُ عبَّاس ﷺ: ﴿مِن مَارِجٍ مِن نَارٍ﴾: من لهبِ النَّار. وعنهُ أيضاً: مِن خَالِصِ النَّارِ، ويذهب سيِّد قُطب إلىٰ أنَّ المراد بالمارج: المشتعل المتحرِّك كألسنةِ النَّار مَع الرِّياح، ويقولُ تَعَالىٰ كذلكَ علىٰ لسانِ إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

ويقولُ سبحانَهُ وتَعَالىٰ كَذلكَ: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [سورة الحجر: ٢٧]. قالَ فخرُ الدِّين الرَّازي: «معْنىٰ السَّموم في اللُّغة: الرِّيح الحارَّة تكونُ بالنَّهار، وقَد تكونُ بالليلِ، وعلىٰ هَذا فَالرِّيح الحَارَّةُ فيهَا نارٌ ولَها لَفْحٌ وأوارٌ، سُمِّيت سمُوماً لأنَّها بِلُطفِها تَدْخُلُ في مَسَام البدنِ وهي الخروقُ الخفيَّة التي تكونُ في جِلْدِ الإنسانِ يَبْرُزُ منها عَرَقُهُ وبخار باطنِهِ».

إضافةً إلىٰ هذهِ الآيات القرآنيةِ جاءت السُّنَّةُ النَّبويةُ كذلكَ مُشيرة إلىٰ الأصلِ الذي خُلِقَ منهُ الجنُّ، عَن عائشةَ ﷺ قَالَت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِن نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِن مَارِجٍ مِن نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ».
[رواه مسلم] هذه النصوصُ تُغنينَا عَن الخوضِ والبحثِ في الأصلِ الَّذي خُلِقَ منهُ الجنُّ، بطرحِ احتمالاتٍ وافتراضاتٍ تُمزِّق فِكْرَ الإنسانِ، لأنَّ هذهِ المسألةَ مِنَ القضايا التَّوقيفية الَّتي لا مجالَ للاجتهادِ فيهَا.

فالنصوصُ السَّابقةُ تُثبتُ أَنَّهُ خُلِقَ مِن نَار، وهنا قَد يُثارُ سُؤالٌ مهم: هَل بَقي الجنُّ علىٰ ناريَّتِه الَّتي خُلِقَ منهَا أم تَحوَّل عنهَا؟ الحقيقةُ أنَّ الجنَّ ليسَ ناراً وإنما أضافَ اللهُ سُبحانَهُ الجنّ إلىٰ النَّار كما أضافَ الإنسانَ إلىٰ التُّراب والطِّين، فالإنسانُ أصلُهُ مِن طينٍ وهو ليسَ طيناً صِرفاً، وإنما هُوَ كائنٌ حيٌّ بهِ رُوحٌ وله عَقْلٌ، وفيه عروقٌ وأعصابٌ ولحمٌ وعظمٌ.. كذلكَ الجنُّ أصلُهُ نارٌ لكن تحوَّل عَن أصلِهِ، يُدلُّنا علىٰ ذلكَ الأحاديث التَّالية:

عَن يحيىٰ بن سعيد أنه قالَ: «أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَرأى عِفريتاً مِنَ الجِنِّ يطلبُهُ بِشُعلةٍ مِن نارٍ، كُلَّمَا التَفتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رآهُ، فَقَالَ لَهُ جِبريلُ: أَفَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولهنَّ إذا قُلتهنَّ طُفِئَت شُعْلَتُهُ وَخَرَّ لِفيهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بَلىٰ. فَقَالَ جبريلُ: فَقُل: أعوذُ بِوَجْهِ اللهِ الكَرِيم، وبكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ اللاَّتي لا يُجَاوزهُنَّ برٌّ ولا فَاجِر، مِن شرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ، وشرِّ مَا يَعْرُجُ فيهَا، وشرِّ ما ذَرأَ في الأرضِ، وشرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، ومِن فِتَنِ اللَّيلِ والنَّهارِ، ومِن طوارقِ اللَّيل والنَّهار، إلاَّ طارقاً يطرقُ بخيرٍ يا رَحْمَنُ». [رواه مالك، في الموطأ]

فَلَو كانَ الجنُّ باقينَ علىٰ عُنصرهِم الناريّ وأنهم نارٌ حقيقية محرقَة لما احتَاج هذا العفريتُ أن يأتِي بشعلةٍ مِنَ النَّار كما جاءَ في الحديثِ.

وعَن أبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: «أعُوذُ بِالله مِنْكَ» ثُمَّ قَال: «ألْعَنُكَ بِلَعْنَةِ الله» ثَلاثاً، وبَسطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يتَناولُ شيئاً، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ قَد سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلاَةِ شَيئاً لَم نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذلكَ، وَرَأيْنَاكَ بَسطْتَ يَدَكَ، قَالَ: «إنَّ عَدُوَّ الله إبْليسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِن نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: أعُوذُ بِالله مِنْكَ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ

أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ التَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأخِرْ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ وَاللهِ لَوْلاَ دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لأَصْبَحَ مُوثَقاً يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ». [رواه مسلم].

فهذا الحديثُ يُثبتُ لنا بما لا يَدَع مجالاً للشكِّ أنَّ هذا الشيطانَ احتاجَ إلىٰ النَّارِ ليجعلَهَا في وجهِ النَّبيِّ ﷺ وأنَّ ذاتَهُ ليسَت ناراً.

ذِكْرُ ابتداءِ خَلقِهِم

اعلم أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الجنَّ قَبْلَ أن يَخْلُقَ الإنسَ بمدَّةٍ لا يعلمُ زَمَنَهَا إلاَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حيثُ يَقولُ جَلَّ شأنهُ: ﴿وَلَقَد خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٦-٢٧]. وهذهِ القبلية معناهَا الفتْرَة الزَّمنية الَّتي عمر وسكنَ فيها الجنُّ الكوكبَ الأرضَ قبلَ الإنسان، وقالَ تَعالىٰ كذلكَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

يقولُ الألوسي عَن هذهِ الآيةِ الكريمةِ: (ولعَلَّ تَقديم الجنِّ في الذِّكْرِ لتَقدُّم خَلْقِهم علىٰ خَلْقِ الإنسِ في الوجودِ) [روح المعاني/ م: ٩ ج: ٢٧ ص: ٢٠].

وقد وردَ عَن بعضِ الصَّحابة تحديدُ هذه المدَّةِ منهم عبدُ اللهِ بنُ عُمر حيثُ يَقُول: «كانَ الجنُّ قَبْلَ آدَمَ بألفِ عام، فَسفكُوا الدِّماءَ، فبعثَ اللهُ تعالىٰ إليهم جُنداً مِنَ الملائكةِ فَطَرَدُوهُم إلىٰ جزائِرِ البحُور». [قصص الأنبياء/ ابن كثير ص: ١٣].

وكذا وردَ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما في قولِهِ تعالىٰ: ﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

قالَ: الَّذينَ سفكُوا الدِّماءَ، هُم الجنّ الَّذينَ سكنُوا الأرضَ قبلَ آدم عليهِ السَّلام. [انظر: الدرّ المنثور].

وُجُودُ الْجِنِّ

ثَبتَ وُجُودُ الْجِنِّ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَعَلَىٰ ذَلِكَ انْعَقَدَ الإِجْمَاعُ، فَمُنْكِرُ وُجُودِهِم كَافِرٌ لإِنْكَارِهِ مَا عُلِمَ مِن الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ.

قُدرتُهُم عَلَى التَّشكُّلِ فِي صُوَرٍ شَتَّى

قَالَ بَدْرُ الدِّينِ الشِّبْلِيُّ: لِلْجِنِّ الْقُدْرَةُ عَلَىٰ التَّطَوُّرِ وَالتَّشَكُّلِ فِي صُوَرِ الإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ، فَيَتَصَوَّرُونَ فِي صُوَرِ الْحَيَّاتِ، وَالْعَقَارِبِ، وَفِي صُوَرِ الإِبِلِ، وَالْبَقَرِ، وَالْغَنَمِ، وَالْخَيْلِ، وَالْبِغَالِ، وَالْحَمِيرِ، وَفِي صُورِ الطَّيْرِ، وَفِي صُوَرِ بَنِي آدَمَ، كَمَا أَتَىٰ الشَّيْطَانُ قُرَيْشًا فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِك بْنِ جُعْشُمٍ لَمَّا أَرَادُوا الْخُرُوجَ إِلَىٰ بَدْرٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذ زَيَّنَ لَهُم الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُم وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُم الْيَوْمَ مِن النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُم فَلَمَّا تَرَاءت الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُم إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وكَمَا رُوِيَ أَنَّهُ تَصَوَّرَ فِي صُورَةِ شَيْخٍ نَجْدِيٍّ لَمَّا اجْتَمَعُوا بِدَارِ النَّدْوَةِ لِلتَّشَاوُرِ فِي أَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ هَل يَقْتُلُونَهُ، أَو يَحْبِسُونَهُ، أَو يُخْرِجُونَهُ.. [سيرة ابن هشام]

وَوَرَدَ عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه يَرْفَعُهُ: « أَنَّ بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ قَد أَسْلَمُوا فَمَن رَأَى شَيْئًا مِن هَذِهِ الْعَوَامِرِ فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلاثًا، فَإِن بَدَا لَهُ بَعْدُ فَلْيَقْتُلْهُ، فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ». [رواه مسلم، وأبو داود]

قَالَ ابْنُ عَابِدِينَ: تَشَكُّلُهُم ثَابِتٌ بِالأَحَادِيثِ، وَالآثَارِ، وَالْحِكَايَاتِ الْكَثِيرَةِ. وَأَنْكَرَ قَوْمٌ قُدْرَةَ الْجِنِّ عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَىٰ: لا قُدْرَةَ لِلشَّيَاطِينِ عَلَىٰ تَغْيِيرِ خَلْقِهِم وَالانْتِقَالِ فِي

الصُّوَرِ، وَإِنَّمَا يَجُوزُ أن يُعَلِّمَهُم اللهُ تَعَالَىٰ كَلِمَاتٍ وَضُرُوبًا مِن الأفْعَالِ إذَا فَعَلَهُ وَتَكَلَّمَ بِهِ نَقَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِن صُورَةٍ إلىٰ صُورَةٍ.

وَرُوِيَ عَن عُمَرَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إنَّ أحَدًا لا يَسْتَطِيعُ أن يَتَغَيَّرَ عَن صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهَا وَلَكِن لَهُم سَحَرَةٌ كَسَحَرَتِكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُم ذَلِكَ فَأَذِّنُوا.

هَذَا وَمِن خَصَائِصِ الْجِنِّ أَنَّهُم يَرَوْنَ الإِنْسَ وَلا يَرَاهُم الإِنْسُ إلاَّ نَادِرًا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُم هُوَ وَقَبِيلُهُ مِن حَيْثُ لا تَرَوْنَهُم﴾ [الأعراف: ٢٧].

مَسكن الجن ومأكلهم ومشربهم

اعلم أنَّ غَالِبَ مَا يَسْكُنُ الْجِنُّ فِي مَوَاضِعِ الْمَعَاصِي وَالنَّجَاسَاتِ، كَالْحَمَّامَاتِ، وَالْحُشُوشِ، وَالْمَزَابِلِ، وَالْقَمَّامِينَ. فَعَن زَيْدِ بْنِ أرْقَمَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ، فَإِذَا أَتَىٰ أحَدُكُم الْخَلاءَ فَلْيَقُل: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِن الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ». [رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه].

وَالْمُحْضَرَةُ: مَكَانُ حُضُورِ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ. وَقَد جَاءت الآثَارُ بِالنَّهْيِ عَن الصَّلاةِ فِي هَذِهِ الأمَاكِنِ.

◉ أمَّا أزْوَادُ الْجِنِّ: فمنها:

(الْعِظَامُ) فَفِي الْحَدِيثِ أنَّ الْجِنَّ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ الزَّادَ فَقَالَ ﷺ: «كُلُّ عَظْمٍ يُذْكَرُ اسْمُ اللهِ يَقَعُ فِي أيْدِيكُم أوْفَرُ مَا كَانَ لَحمًا، وَكُلُّ بَعْرَةٍ أو رَوْثَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُم». [رواه مسلم].

وَقَد نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ أن يُسْتَنْجَىٰ بِالْعَظْمِ وَالرَّوْثِ وَقَالَ: «إنَّهُ زَادُ إخْوَانِكُم مِن الْجِنِّ». [رواه مسلم].

تَكليفُ الجنِّ ودُخولُهم في عُمومِ بعثةِ محمَّدٍ ﷺ

اتَّفقَ الْعُلَماءُ عَلىٰ أنَّ الْجنَّ مُكلَّفونَ مُخَاطَبُونَ لِقوْلِهِ تعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿قُل أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفرٌ مِن الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلىٰ الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١].

وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِن اسْتَطَعْتُمْ..﴾ الآية [الرحمن: ٣٣].

إِلىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِن الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ تَكْلِيفِهِم وَأَنَّهُم مَأْمُورُونَ مَنْهِيُّونَ، وَلِمَا فِي الْقُرآنِ مِن ذَمِّ الشَّيَاطِينِ وَلَعْنِهِم، وَالتَّحرُّزِ مِن غَوائِلِهِم وَشَرِّهِم، وَذِكْرِ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُم مِن الْعَذَابِ، وَهَذِهِ لا تَكُونُ إِلاَّ لِمَن خَالَفَ الأَمْرَ وَالنَّهْيَ، وَارْتَكَبَ الْكَبَائِرَ، وَهَتَكَ الْمَحَارِمَ، مَعَ تَمكُّنِهِ مِن أَن لا يَفْعَلَ ذَلِكَ، وَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ فِعْلِ خِلافِهِ.

قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ: لا نَعْلَمُ خِلافًا بَيْنَ أَهْلِ النَّظَرِ فِي أَنَّ الْجِنَّ مُكَلَّفُونَ. وَحُكِيَ عَنِ الْحَشَوِيَّةِ أَنَّهُم مُضْطَرُّونَ إِلىٰ أَفْعَالِهِمْ، وَأَنَّهُم لَيْسُوا مُكَلَّفِينَ.

وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ دُخُولِ الْجِنِّ فِي عُمُومِ بِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلىٰ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِن حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُعْطِيت خَمْسًا لَم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِن الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلىٰ الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ، وَكَانَ النَّبِيُّ إِنَّمَا يُبْعَثُ إِلىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلىٰ النَّاسِ عَامَّةً..».

وَحَدِيثِ: «كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ خَاصَّةِ قَوْمِهِ وَبُعِثْت أَنَا إِلىٰ الْجِنِّ وَالإِنْسِ..» [رواه البزار، والبيهقي].

قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: وَالْجِنُّ دَاخِلُونَ فِي مُسَمَّىٰ النَّاسِ لُغَةً.

وَيَقُولُ الْفَيُّومِيُّ: يُطْلَقُ لَفظُ النَّاسِ عَلَىٰ الْجِنِّ وَالإِنْسِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ثُمَّ فَسَّرَ النَّاسَ بِالْجِنِّ وَالإِنْسِ فَقَالَ تعالىٰ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾. [سورة الناس].

ثوابُ الجن على أعمالِهم

ذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ إلىٰ أنَّ الْجِنَّ يُثَابُونَ عَلَىٰ الطَّاعَةِ وَيُعَاقَبُونَ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَن أسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤ـ ١٥].

وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُم أعْمَالَهُم وَهُم لا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف: ١٩]. وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿لم يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُم وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤].

وَحَكَىٰ ابْنُ حَزْمٍ وَغَيْرُهُ عَن أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ قَالَ: لا ثَوَابَ لَهُم إلاَّ النَّجَاةَ مِن النَّارِ لأَنَّهُ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ فِيهِم: ﴿يَا قَوْمَنَا أجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وآمِنُوا بِهِ يَغْفِر لَكُم مِن ذُنُوبِكُم وَيُجِرْكُم مِن عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١]. والْمَغْفِرَةُ لا تَسْتَلْزِمُ الإِثَابَةَ، لأَنَّ الْمَغْفِرَةَ سَتْرٌ. وَرُوِيَ عَن لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ قَالَ: ثَوَابُ الْجِنِّ أن يُجَارُوا مِن النَّارِ، ثُمَّ يُقَال لَهُمْ: كُونُوا تُرَابًا..

وَرُوِيَ عَن أَبِي الزِّنَادِ قَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِمُؤْمِنِي الْجِنِّ وَسَائِرِ الأُمَمِ: كُونُوا تُرَابًا، فَحِينَئِذٍ يَقُولُ الْكَافِرُ: (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا).

ثُمَّ إِنَّ الْعُلَمَاءَ اتَّفَقُوا عَلَىٰ أنَّ كَافِرَ الْجِنِّ يُعَذَّبُ فِي الآخِرَةِ، كَمَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

دُخُولُ الجن في بَدَنِ الإنسان

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الأشْعَرِيُّ: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْجِنِّ، هَلْ يَدْخُلُونَ فِي النَّاسِ؟ عَلَىٰ مَقَالَتَيْنِ: فَقَالَ قَائِلُونَ: مُحَالٌ أن يَدْخُلَ الْجِنُّ فِي النَّاسِ.

وَقَالَ قَائِلُونَ: يَجُوزُ أن يَدْخُلَ الْجِنُّ فِي النَّاسِ، وَلِحَدِيثِ: «اخْرُج عَدُوَّ اللهِ فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ» [رواه أحمد].

وَلأَنَّ أجْسَامَ الْجِنِّ أجْسَامٌ رَقِيقَةٌ، فَلَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ أن يَدْخُلُوا فِي جَوْفِ الإِنْسَانِ من خُرُوقِهِ، كَمَا يَدْخُلُ الْمَاءُ وَالطَّعَامُ فِي بَطْنِ الإِنْسَانِ، وَهُوَ أكْثَفُ من أجْسَامِ الْجِنِّ، وَلا يُؤَدِّي ذَلِكَ إلَىٰ اجْتِمَاعِ الْجَوَاهِرِ فِي حَيِّزٍ وَاحِدٍ، لأَنَّهَا لا تَجْتَمِعُ إلاَّ عَلَىٰ طَرِيقِ الْمُجَاوِرَةِ لا عَلَىٰ سَبِيلِ الْحُلُولِ، وَإِنَّمَا تَدْخُلُ أجْسَامُنَا كَمَا يَدْخُلُ الْجِسْمُ الرَّقِيقُ فِي الْمَظْرُوفِ. وَسَيأتِي مَزِيداً لِهَذَا الْبَحْثِ إن شَاءَ اللهُ.

رِوايةُ الجن للحديث

تَجُوزُ رِوَايَةُ الْجِنِّ عَن الإِنْسِ مَا سَمِعُوهُ مِنْهُم، أو قُرِئَ عَلَيْهِم وَهُم يَسْمَعُونَ، سَوَاءٌ عَلِمَ الإِنْسُ بِحُضُورِهِم أم لا. لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُل أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ من الْجِنِّ..﴾ الآيَاتِ [الجن: ١].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذ صَرَفْنَا إِلَيْك نَفَرًا من الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُنْذِرِينَ ۝ قَالُوا يَا قَوْمَنَا..﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٠]

فَإِذَا جَازَ أن يُبَلِّغُوا الْقُرآنَ جَازَ أن يُبَلِّغُوا الْحَدِيثَ. وَكَذَا إذَا أجَازَ الشَّيْخُ مَن حَضَرَ أو سَمعَ دَخَلُوا فِي إجَازَتِهِ، وَإِن لم يَعْلَم بِهِ، كَمَا فِي نَظِيرِ ذَلِكَ مِن الإِنْسِ.

وَأَمَّا رِوَايَةُ الإِنْسِ عَنْهُمْ: فَقَالَ السُّيُوطِيُّ: الظَّاهِرُ مَنْعُهَا، لِعَدَمِ حُصُولِ الثِّقَةِ بِعَدَالَتِهِمْ. وهو الرَّاجِحُ واللهُ أعلمُ.

الذَّبحُ للجِنِّ

جاء في الموسوعةِ الفقهيَّةِ ما نصُّهُ: «مَا ذُبِحَ لِلْجِنِّ وَعَلَىٰ اسْمِهِم فَلا يَحِلُّ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿حُرِّمَت عَلَيْكُم الْمَيْتَةُ﴾ إلىٰ قوْلِهِ ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ..﴾

قَالَ يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ: قَالَ لِي وَهْبٌ: اسْتَنْبَطَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ عَيْنَ ماءٍ وَأَرَادَ إجْرَاءَهَا وَذَبَحَ لِلْجِنِّ عَلَيْهَا لِئَلاَّ يَغُورُوا مَاءَهَا فَأَطْعَمَ ذَلِكَ نَاسًا، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ شِهَابٍ، فَقَالَ: أَمَّا إِنَّهُ قَد ذَبَحَ مَا لَم يَحِلَّ لَهُ، وَأَطْعَمَ النَّاسَ مَا لا يَحِلُّ لَهُمْ. واللهُ أعلمُ.

حكمُ الاستِعَاذَةِ بِالْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ

الاسْتِعَاذَةُ تَكُونُ بِاللَّهِ تَعَالَىٰ، وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَقَالَ الْبَعْضُ: لا بُدَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِن الْقُرْآنِ لِلتَّعَوُّذِ أن يَكُونَ مِمَّا يُتَعَوَّذُ بِهِ، لا نَحْوَ آيَةِ الدَّيْنِ.

وَيَجُوزُ الاسْتِعَاذَةُ بِالإِنْسَانِ فِيمَا هُوَ دَاخِلٌ تَحْتَ قُدْرَتِهِ الْحَادِثَةِ، كَأن يَسْتَجِير بِهِ مِن حَيَوَانٍ مُفْتَرِسٍ، أو مِن إنْسَانٍ يُرِيدُ الْفَتْكَ بِهِ.

وَيَحْرُمُ الاسْتِعَاذَةُ بِالْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، لأنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَخْبَرَ أنَّ مَن اسْتَعَاذَ بِهِم زَادُوهُ رَهَقًا، كَمَا فِي قَوْلِه تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِن الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِن الجِنِّ فَزَادُوهُم رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. [هذا البحث جلّه من الموسوعة الفقهية الكويتية بتصرف].

الاسْتِعَانَةُ بِالْجِنِّ

أَمَّا الاسْتِعَانَةُ أيضاً بِغَيْرِ اللهِ تعالىٰ، كَالاستِعَانَةِ بِالْجِنِّ، فَهِيَ مَمْنُوعَةٌ، وَقَد تَكُونُ شِرْكًا وكُفْرًا، فالاسْتِغَاثَةُ بِالْجِنِّ مُحَرَّمَةٌ، لأَنَّهَا اسْتِغَاثَةٌ بِمَن لا يَمْلِكُ، وَتُؤَدِّي إلَىٰ ضَلالٍ، وَقَد بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِن الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِن الجِنِّ فَزَادُوهُم رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. وَيُعْتَبَرُ هَذَا مِن السِّحْرِ.

الأذكارُ التي يُعْتصَمُ بها مِن الشَّياطين مَرَدَةِ الجن ويُسْتَدفَعُ بها شَرُّهم

وَذَلِكَ فِي عَشرَةِ حُرُوزٍ ـ كَمَا قَالَ صَاحِبُ الآكَام ـ:

◉ (أحدُهَا): الاسْتِعَاذَةُ بِاللهِ مِن الْجِنِّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِن الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَجُلَيْنِ اسْتَبَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّىٰ احْمَرَّ وَجْهُ أَحَدِهِمَا فَقَالَ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَو قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِن الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

◉ (الثَّانِي): قِرَاءَةُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ. فَقَد رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِن حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِن الجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسَانِ حَتَّىٰ نَزَلَت الْمُعَوِّذَتَانِ فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا». [صحيح].

◉ (الثَّالِثُ): قِرَاءَةُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ. فَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: وَكَّلَنِي رسولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَبِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟». قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً وَعِيالاً، فَرَحِمْتُه، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ.

فَقَالَ: «أَمَا إِنهُ قَد كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ» فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَقُلْتُ: لأرْفَعَنَّكَ إِلىٰ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لا أعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً وَعِيَالاً، فَرَحِمْتُه، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ قَد كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ» فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ. فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لأرْفَعَنَّكَ إِلىٰ رَسُولِ الله ﷺ وَهذا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ! فَقَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَ: إذا أَوَيْتَ إِلىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، فَإِنَّهُ لَن يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟»

قلْت: يا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَه قَالَ: «مَا هِيَ؟» قُلْتُ: قَالَ لِي إذا أَوَيْتَ إِلىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِن أَوّلِها حَتَّىٰ تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿اللهُ لا إِلـه إلاَّ هُوَ الحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وَقَالَ لِي: لا يَزَالُ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلَن يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَد صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَن تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قلت: لا، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ»[1].

١- (البخاري/٥٠١٠). (آت) اسم فاعل من أتىٰ، وأصله آتي فحذفت الياء لالتقاء الساكنين (يحثو) يأخذ بكفيه (علي عيال) نفقة عيال وهم الزوجة والأولاد ومن في نفقة المرء (أسيرك) سمي أسيراً لأنه ربطه بحبل، وكانت عادة العرب أن تربط الأسير إذا أخذته بحبل (البارحة) أقرب ليلة مضت (فرصدته) ترقبته (آية الكرسي) الآية التي يذكر فيها كرسي الرحمن جل وعلا، وهي قوله تعالىٰ: ﴿الله لا إله إلاَّ هو الحي القيوم﴾. إلىٰ آخر الآية [البقرة: ٢٥٥]. (وكانوا) أي: الصحابة يحرصون علىٰ تعلم الخير، فيأخذونه حيثما صدر، ويبذلون في سبيله كل شيء من متاع الدُّنْيا (قد صدقك) أخبرك بما يوافق الواقع والحق (وهو كذوب) من شأنه وخلقه كثرة الكذب.

◉ (الرَّابِعُ): قِرَاءةُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَفِي الصَّحِيحِ مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُم مَقَابِرَ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِن الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»(١).

◉ (الْخَامِسُ): خَاتِمَةُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَعَن أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن قَرَأَ الآيَتَيْنِ مِن آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ» [متفق عليه].

ومعناه: أي: كَفَتَاهُ المَكْروهَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَقِيلَ: كَفَتَاهُ مِن قِيَامِ اللَّيْلِ.

وَعَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَن يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَي عَامٍ أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلا يُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ». [رواه الترمذي، وهو صحيح].

◉ (السَّادِسُ): أَوَّلُ سُورَةِ حم الْمُؤْمِنُ ﴿غَافِرُ﴾ - إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ - ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ مَعَ آيَةِ ﴿الْكُرْسِيِّ﴾ فَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن قَرَأَ حم الْمُؤْمِنَ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ وَآيَةَ ﴿الْكُرْسِيِّ﴾ حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ بِهِمَا حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَمَن قَرَأَهُمَا حِينَ يُمْسِي حُفِظَ بِهِمَا حَتَّىٰ يُصْبِحَ». [الترمذي]

◉ (السَّابِعُ): أن يقولَ المسلمُ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. مئةَ مرَّةٍ.

فَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَن قَالَ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ كَانَت لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَت لَهُ مِئَةَ حَسَنَةٍ، وَمُحِيت عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَت لَهُ حِرزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُمسِيَ، وَلَم يَأتِ أَحدٌ بِأَفضَلَ مِمَّا

---

١ - (مسلم/٧٨٠). (ينفر) يزعج من مكانه. وخصت سورة البقرة بذلك لطولها وكثرة أسماء الله تعالىٰ والأحكام فيها، وقد قيل: فيها ألفُ أمرٍ، وألفُ نهيٍ، وألفُ حُكْمٍ، وألفُ خبرٍ، كذا في المرقاة.

جَاءَ بِهِ إلاَّ رَجُلٌ عَمِلَ أكثَرَ منه »[١].

◉ (الثَّامِنُ): كَثْرَةُ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَعَـن الْحَارِثِ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَـالَ: إنَّ اللهَ أمَرَ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أن يَعْمَلَ بِهَا وَيأْمُرَ بَنِـي إسْرَائِيلَ أن يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّـهُ كَـادَ أن يُبْطِـئَ بِـهَا، فَقَـالَ عِيسَـىٰ: إنَّ اللهَ أمَـرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بهَا وَتَأمُرَ بَنِي إسْرَائِيلَ أن يَعْمَلُوا بهَا، فَإِمَّا أن تَأمُرَهُم وَإِمَّا أن آمُرَهُمْ، فَقَالَ يَحْيَىٰ: أخْشَىٰ إن سَبَقْتَنِي بِهَا أن يُخْسَفَ بي أو أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ، فَامْتَلأ المَسْجِدُ وَتَعَدَّوا عَلَىٰ الشُّرَفِ، فَقَالَ: إنَّ اللهَ أمَرَني بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أن أعْمَلَ بِهِنَّ وآمُرَكُم أن تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أوَّلُهُنَّ أن تَعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئَاً، وَإِنَّ مَثَلَ مَن أشْرَكَ بِـاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْداً مِن خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أو وَرِقٍ فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَل وَأَدِّ إلَـيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إلَىٰ غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُم يَرْضَىٰ أن يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللهَ أمَرَكُم بِالصَّلاَةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُم فَلا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَه لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلاَتِهِ مَا لَم يَلْتَفِتْ، وَآمُرُكُم بالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُم يَعْجَبُ أو يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِن رِيحِ المِسْكِ، وَآمُرُكُم بالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِـكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أسَرَهُ الْعَدُوُّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إلَىٰ عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أنَا أفْدِيه مِنْكُـم بـالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَفَدى نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَآمُرُكُم أن تَذْكُرُوا اللهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أثَرِهِ سِرَاعاً، حَتَّىٰ إذَا أتَـىٰ عَلَـىٰ حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْـهُمْ، كَذَلِـكَ العَبْـدُ لا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إلاَّ بِذِكْرِ اللهِ..» الحديث [رواه الترمذي، وهو صحيح].

---

١ - (البخاري/٦٤٠٣، مسلم/٢٦٩١). (عدل) مثل (رقاب) جمع رقبة، أي: إنسان مملوك عبد أو أمة من المسلمين، والمراد: ثواب عتقهم. والله أعلم.

◉ (التَّاسعُ): الْوُضُوءُ: وَهُوَ مِن أعْظَمِ مَا يُتحَرَّزُ بِهِ لا سِيَّمَا عِنْدَ ثَوَرَانِ قُوَّةِ الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ، فَإِنَّهَا نَارٌ تَغْلِي فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَعَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ألا وَإِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أمَا رَأيْتُم إلىٰ حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أوْدَاجِهِ، فَمَن أحَسَّ بِشَيْءٍ مِن ذَلِكَ فَلْيَلْصَق بِالأرْضِ» [الترمذي].

وَقَالَ ﷺ: «إنَّ الْغَضَبَ مِن الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِن النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أحَدُكُم فَلْيَتوَضَّأ». [ضعيف: رواه أبو داود].

◉ (الْعَاشِرُ): إمْسَاكُ فُضُولِ النَّظَرِ وَالْكَلامِ وَالطَّعَامِ وَمُخَالَطَةِ النَّاسِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إنَّمَا يَتسَلَّطُ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ مِن هَذِهِ الأبْوَابِ الأرْبَعَةِ.

فعَن عَبْدِ الله بْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «الإثْمُ حَوَّازُ الْقُلُوبِ، وَمَا مِن نَظْرَةٍ إلاَّ وَلِلشَّيْطَانِ فِيهَا مَطْمَعٌ». [صحيح].

«حوَّاز القلوب»: هو ما يحوزها، ويغلب عليها حتىٰ ترتكبَ مَا لا يحسنُ، وقيل: بتخفيف الواوِ، وتشديد الزَّاي: جمع حازة، وهي الأمورُ الَّتي تحزّ في القلوبِ، وتحكّ وتُؤثِّر، وتَتخَالج في القلوبِ أن تكونَ مَعَاصِي، وهذا أشهرُ.

❖ ❖ ❖

الفصل الثالث

قصة الصراع بين الإنسان والشيطان

بدأ هذا الصراع في الجنَّة حينَ رفضَ الشيطانُ أن يَمْتَثِلَ لأمرِ اللهِ بالسُّجود لآدمَ، فطرَدَهُ اللهُ ولعَنَهُ، فأقسم بينَ يَدَي اللهِ أن يُضِلَّه وذُرِّيَّتَهُ ما قدرَ على ذلكَ قالَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢- ٨٣].

ثم كانَت الجولةُ الأولى في إضلالِ الأبوينِ، فَنَجَحَ الشَّيطانُ في إغوائِهِمَا وإخراجِهِما مِنَ الجنَّةِ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۝ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ۝ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١١٥- ١٢٣].

ونزلَ آدمُ إلى الأرضِ ليواجهَ وذُرِّيَّتُهُ كيدَ الشَّيطانِ ودأبهِ على إضلالِ بني آدمَ، وقد تَسلَّح الشيطانُ بأسلحتِهِ المختلفةِ، ومنها:

١ - قدرتُهُ على التَّزيين والإغواءِ، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩].

وقال تعالىٰ: ﴿تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُم فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ٦٣].

٢ - الكذبُ والمخادعةُ قال تعالىٰ واصفاً كذبه: ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَن هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أو تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: من الآية ٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿يَعِدُهُم وَيُمَنِّيهِم وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ [النساء: ١٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

٣- أنَّ هذا العدوّ يَرانا ولا نَراهُ قال تعالىٰ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُم هُوَ وَقَبِيلُهُ مِن حَيْثُ لا تَرَوْنَهُم إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

٤- أنَّهُ يجري منَّا مَجْرى الدَّم قَالَ ﷺ: « إنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ابنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّم » [رواه البخاري، ومسلم].

٥- استراقه سماع الأمرِ الذي قُضِيَ في السَّماء، عَن عائشةَ ﵂ أنَّها سَمِعَت رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّ الْمَلائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ ـ وَهُوَ السَّحَابُ ـ فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلىٰ الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ مِن عِنْدِ أَنْفُسِهِم » [رواه البخاري، ومسلم].

ورَغْم هذا كُلّه فإنَّ كيدَ الشَّيطان ضعيفٌ وضعيفٌ جداً، كما قَالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ [النساء: من الآية ٧٦] وذلك عندما يلتجأ المسلمُ إلىٰ ربِّهِ ويَعْتَصِمُ بإيمانه، ولا يَسْتَسْلِم إلىٰ وسَاوسِ الشَّيطان اللَّعين. قَالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

الفصل الرابع

غاية الشيطان وأهدافه

اعلم أنَّ غايةَ الشَّيطان النِّهائية التي يُريدُهَا لكلِّ بني البَشَرِ هي أن يَصيرُوا إلىٰ النَّار ويُحرموا الجنَّةَ، كمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُم عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِن أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. وقال تعالىٰ: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أن يُضِلَّهُم ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء: من الآية ٦٠].

فإنَّ الغاية التي يسعىٰ إليها إبليسُ جهدَه هي: الكفرُ وإخراج النَّاس مِن الجنَّةِ إلىٰ عذابِ السَّعير ليكونوا من حزبِه، فلهذا يَدْعُوهُم في الليلِ والنَّهار، ويزيِّن لهم المعاصي والفواحشَ ما ظهرَ منهَا وما بَطَن. قالَ تَعالىٰ: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُم صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِن بَيْنِ أَيْدِيهِم وَمِن خَلْفِهِم وَعَن أَيْمَانِهِم وَعَن شَمَائِلِهِم وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُم شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

فإن لم يَصِلِ الشَّيطانُ إلىٰ غايَتِهِ ولم يَقْدِر علىٰ تكفيرِ النَّاس فإنَّه لا ييأس بَل يَرْضَىٰ ببعض أبوابِ الغِوَاية والتَّقصير.

فعن سَبُرَة بن أبي فاكِه قَالَ سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابْنِ آدمَ بِأطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإِسْلامِ، فَقَالَ لَهُ: أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ، وَدِينَ آبَائكَ، وَآبَاءِ أبيكَ؟» قالَ: «فعَصَاهُ فَأسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ، فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ؟ وَإِنَّمَا مَثَلُ المُهَاجِرِ كَمَثَلِ الفَرَسِ فِي الطِّوَلِ» قَالَ: «فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ» قَالَ: «ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الجِهَادِ، فَقَالَ لَهُ: هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ المَرْأَةُ، وَيُقَسَّمُ المَالُ» قَالَ: «فَعَصَاهُ

فَجَاهَدَ» فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فمَن فعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فمَاتَ، كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أن يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أو قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ عزَّ وجَلَّ أن يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وإن غرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أن يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أو وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أن يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ». [صحيح، رواه أحمد، والنسائي].

ويتساءلُ المرءُ عَن نسبةِ نجاح الشَّيطان في أهدافِهِ وضَلالِهِ، وتأتي الإجابَةُ لِتصيبَ المرءَ بالذُّعر، إذ نسبةُ النَّاجين لا تَتعَدَّى الواحد مِنَ الألفِ، فعَن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «يَقولُ اللهُ تعَالَىٰ: يَا آدمُ. فيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فيَقُولُ: أَخْرِج بَعْثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِن كُلِّ ألفٍ تسعمِئَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ. فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ. ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟ قَالَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُم رَجُلاً وَمِن يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ ألف. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي أَرْجُو أن تكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ. فَكَبَّرْنَا فقَالَ: أرجُو أن تَكونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ. فكَبَّرْنَا فقَالَ: أَرْجُو أن تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ فكَبَّرْنَا فقَالَ: مَا أَنْتُم فِي النَّاسِ إِلاَّ كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ أو كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ». [رواه البخاري، ومسلم].

❖ ❖ ❖

تحذيرٌ وتذكيرٌ

هذا وقد حَذَّر اللهُ تعالىٰ النَّاس جميعاً من طاعةِ الشَّيطان وأتباعِـهِ، وأخبَرَهُم أنَّ عاقبةَ ذلك وخيمة، وبيَّن لهم ما يَدْعُو إليهِ الشيطانُ مِن فسادٍ وضَلالٍ، ليهلكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنةٍ، ويحيىٰ مَن حيَّ عن بَيِّنةٍ. ومِن ذلكَ قَولُه تَعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَىٰ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩]. وقالَ سُبحانه: ﴿وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ٦٢] وأخبرَ سبحانَهُ أنَّ أتباعَ الشَّيطان لن يَجنُوا باتِّباعِهم لَهُ إلاَّ الحسرةَ والنَّدامةَ والخسرانَ. قالَ تَعالىٰ: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُم ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة آية: ١٩] وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً﴾ [النساء آية: ١١٩].

وذكَّرَ اللهُ تَعالىٰ عبادَه بما فَعَلَهُ الشَّيطانُ بأبيهم آدمَ فقَالَ تَعالىٰ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُم هُوَ وَقَبِيلُهُ مِن حَيْثُ لا تَرَوْنَهُم إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف آية: ٢٧] وأمر اللهُ عبادَهُ بإعلانِ العَداوةِ الظَّاهرةِ والباطنَةِ للشَّيطان فقَالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُم عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِن أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر آية: ٦].

فيا عبدَ اللهِ.. ويا أمَةَ اللهِ!

إنَّ الاستعانَةَ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ، والاعتصامَ بحبلِهِ، والتَّمسك بهدي الكتابِ

والسُّنَّة، والتَّقيد بالأوامر فعلاً والنَّواهي تركاً هو الَّذي يُنْجي مِن مكـائِدِ الشَّيطان وحيَلِه، لأنَّ الشيطانَ كما قالَ النبيُّ ﷺ: «يجري مِن ابنِ آدمَ مجـرَى الـدَّم» [متفق عليه] فَلا يستطيع الإنسانُ التَّخلُّصَ ممَّن يخالطُ لحمَهُ وَدَمَهُ إلاَّ بمعونةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وصِدْق العبوديـةِ لَـهُ. قـالَ ﷺ: «الشَّيْطانُ يَلتَقِـمُ قَلْـبَ ابـنِ آدمَ، فـإذَا ذَكَـرَ اللهَ خَنَسَ عندَهُ، وإذا نَسِيَ اللهَ التَقَمَ قَلْبَهُ». [رواه الحكيم، وهو ضعيف].

◉ ورُوي عَن قيس بنِ حَجَّاج أنـه قَـالَ: قَـالَ لي شَيطانِي: دَخَلْـتُ فيـكَ وأنـا مثـل الجزورِ، وأنـا منـكَ اليـوم مثـل العُصفُـور. قَـالَ: قُلـتُ وَلِـمَ؟ قـالَ: تُذِيبُنِـي بكتابِ اللهِ تعالىٰ!!

◉ وقـال مطـرف: نظـرتُ فـإذا ابـن آدَمَ مُلقَـىٰ بـين يـدي اللهِ عَـزَّ وجـلَّ وبـين إبليس، فإن شاءَ أن يَعْصِمَهُ عَصَمَهُ، وإن تركَهُ ذَهَبَ به إبليسُ.

◉ وقـالَ عبدُ العزيـز بـن رفيـع: إذا عُـرِج بِـرُوح المؤمـنِ إلىٰ السَّـماء قَـالت الملائكةُ: سبحانَ الَّذي نَجَّىٰ هذا العبدَ مِن الشَّيطان! يا ويحه! كيفَ نَجَا؟

وسيأتي بعد قليلٍ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ بيان أهمِّ مَداخل الشَّيطان وهجماتـه علىٰ الإنسان، لتكون دائماً متيقِّظاً منه، وعلىٰ حذر:

❖ ❖ ❖

الفصل الخامس

ضعف الشيطان وقوته

للأسف يظنُّ كثيرٌ مِنَ النَّاس أنَّهُ لا قُدرةَ له علىٰ مُواجهةِ الشَّيطان، وأنهُ إذا حَدَثَت المواجهةُ بينَهُ وبينَ الشيطانِ فإنَّ الغلبةَ ستكُونُ للشَّيطان، لِقوَّة سُلطانهِ وقُدرتهِ علىٰ الإغواءِ والتَّزيين.

والحقيقة أنَّ الشَّيطانَ ليسَ لهُ سلطانٌ علىٰ عبادِ الرَّحمن، فَمَتَىٰ استَمْسَكَ العبدُ بالكتابِ والسُّنَّةِ، واهتَدَى بهدي النَّبيِّ ﷺ واتَّقىٰ اللهَ مَا استطَاع، فإنَّ الشَّيطانَ لا يتمكَّن منهُ ولا يستطيع غِوايَتَهُ، كما قَالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِم سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ [الإسراء: ٦٥] وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِم سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢] وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّن هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢١].

والشيطانُ نَفْسُهُ يَعْلَم أنهُ ليس لَهُ قُدرةٌ علىٰ غوايةِ عبادِ اللهِ المؤمنينَ، ولذلك استثناهُم مِن الَّذين قرَّرَ أن يغويَهُم فَقَالَ تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُم فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُم أَجْمَعِينَ ۝ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر آية: ٣٩-٤٠].

وسوفَ يُصرِّحُ الشيطانُ نفسُهُ بذلكَ يومَ القيامةِ لأتباعِهِ ويَقُولُ لهم: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُم فَاسْتَجَبْتُم لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم آية: ٢٢].

ولذلكَ أخبرَ اللهُ عزَّ وَجَلَّ عَن ضَعْفِ الشَّيطانِ وَتَهافُتِ حيلهِ فقَالَ تعالىٰ: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ [النساء آية: ٧٦].

ولذلك قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لسيِّدنا عُمر ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكاً فَجّاً إلا سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ». [متفق عليه].

◉ ولئن كانَ الشَّيطانُ ضعيفاً بالنِّسبةِ للمؤمِن، فإنَّه قَويٌّ بالنِّسبة لغيرِ المؤمنِ، لأنَّ غير المؤمن هو الَّذي جعلَ للشَّيطان سبيلاً عليهِ، بموالاتِهِ واتِّباع مَا يأمرُهُ به مِنَ المعاصِي والمخالفات، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠]. فهؤلاء ارتضوا أن يكونَ الشيطانُ قائداً لهم وإمامَ ضلالةٍ يتبعونَهُ ويصدرُونَ عَن أوامِرِه، فسلَّطَهُ اللهُ عليهم عُقُوبةً لَهُم، فاللهُ تَعَالىٰ لا يجعَل للشَّيطانِ علىٰ العبدِ سُلطاناً، حتَّىٰ يجعل لهُ العبدُ سبيلاً بطاعتهِ والشِّرك به. قالَ تَعَالىٰ: ﴿أَلَم تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَىٰ الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُم أَزّاً﴾ [مريم آية: ٨٣] أي: تحركُهُم وتُهَيِّجُهُم.

قصَّة النبيِّ مع الشيطان

عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قال: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ فَصَلَّىٰ صَلاةَ الصُّبْحِ وَهُوَ خَلْفَهُ، فقرَأَ، فَالْتَبَسَت عَلَيْهِ القِرَاءةُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِن صَلاتِهِ قَالَ: «لَو رَأَيْتُمُونِي وَإِبْلِيسَ، فَأَهْوَيْتُ بِيَدِي، فَمَا زِلْتُ أَخْنُقُهُ حَتَّىٰ وَجَدْتُ بَرْدَ لُعَابِهِ بَيْنَ إِصْبَعَيَّ هَاتَيْنِ - الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا - وَلَوْلا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ لأَصْبَحَ مَرْبُوطًا بِسَارِيَةٍ مِن سَوَارِي المَسْجِدِ، يَتَلاعَبُ بِهِ صِبْيَانُ المَدِينَةِ، فَمَن اسْتَطَاعَ مِنْكُم أَن لا يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القِبْلَةِ أَحَدٌ فَلْيَفْعَلْ». [حسن: رواه أحمد].

قصةُ شابّ

أحدُ الشَّبابِ كانَ مُستقيماً يدعُو إلىٰ اللهِ في قريتِهِ وفي خارِجِها، كانَ يخطُبُ في النَّاس ويدعوهُم إلىٰ العقيدةِ الصافيةِ ويحذِّرُهُم من الذهابِ إلىٰ السَّحرةِ المعادينَ للهِ تعالىٰ، ويُعَلِّمُهُم أنَّ السِّحرَ كُفْرٌ.

وكانَ في القريةِ سَاحِرٌ مشهورٌ، كُلَّما أرادَ شابٌّ الزَّواجَ ذَهَبَ إليهِ ليعطيهُ المبلغَ الَّذي يطلبهُ منهُ هذا الساحر، وإلاَّ كانَ جزاؤهُ أن يَعْقِدَ عَن زَوجتِهِ، فَلا يجد بُدّاً مِن العودةِ إلىٰ الساحرِ لِيَفُكَّ لهُ السِّحرَ، وحينئذٍ يأخذُ الساحرُ الثمنَ مُضاعفاً لأنهُ لم يحترِمِ السَّاحِرَ قَبْلَ الزَّواجِ..

وكانَ هذا الشَّابُّ الداعيةُ يُحَاربُ السّاحِرَ علانيةً ويذكُرُهُ باسمِهِ ويفضحُهُ ويحذِّر الناسَ منهُ، ولم يكُن قَد تَزَوَّج بعدُ، لِذَلِكَ كانَ الناسُ ينتظرونَ مَا الَّذي سيحدثُ يومَ زواجِهِ..

وفعلاً أقبلَ الشابُّ علىٰ الزَّواجِ فَجَاءني وقَصَّ عَلَيَّ القِصَّةَ فَقَالَ: إنَّ السَّاحِرَ يَتوَعَّدُني وإنَّ أهلَ القريةِ يَنتظرونَ لمن ستكونُ الغلبةُ، فما رأيكَ؟ هَل تَستطيع أن تعطيني شيئاً مِنَ التَّحصينات ضِدَّ السِّحرِ، وخاصَّةً أنَّ الساحرَ سَيَبْذُل قُصَارَى جُهده وسَيَصْنَع أشدَّ السِّحر عنده لأنَّني قَد أهنتُهُ كثيراً..

فقلتُ: نَعَم، أستطيعُ ولكِن بشرط أن تُرْسِل إلىٰ السَّاحِر وتَقُول لَهُ: إنَّني سأتزوجُ في يوم كذَا وكذَا وأتحدَّاكَ فَاصنَع ما شِئْتَ وأحضِر مَعَكَ مَن شِئْتَ مِن السَّحرةِ إن لم تَستطع أنتَ أن تفعلَ لي شيئاً، واجعَل هذا التَّحدي علناً أمامَ الناس.

قالَ: هَل أنتَ مُتأكِّد؟

قلتُ: نَعَم.. متأكِّدٌ أنَّ الغلبةَ للمؤمنينَ، وأنَّ الذُّلَّ وَالصَّغَارَ علىٰ المجرمينَ.

وفِعْلاً أرسَلَ الشابُّ للساحرِ مُتَحَدِّياً، وانتظَرَ الناسُ في لهفةٍ وشوقٍ هذا اليوم العصيب.. وأعطيتُ الشَّابَّ بَعْضَ التَّحصينات.. وكانت النَّتيجةُ أن تَزوَّجَ الشَّابُّ ودَخَلَ بأهلِهِ وَلم يُؤَثِّر فيهِ سِحْرُ السَّاحِرِ.. واندَهَشَ الناسُ وتَعَجَّبُوا، وكانَ هَذا الأمرُ نصراً للعقيدةِ ودليلاً علىٰ صُمُودِ أهلها وحمايةِ اللهِ لَهُم أمامَ أهلِ الباطل..

وصدقَ اللهُ تعالىٰ: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ [النساء آية: ٧٦].

وارتَفَعَ شأنُ هَذا الشابِّ بينَ أهلِهِ وعشيرتِهِ، وسقَطَت هيبةُ الساحِرِ واللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ وما النَّصرُ إلاَّ مِن عِنْدِ اللهِ.

[الصارم البتار/ علاج بعض أنواع السحر، وحيد بالي].

❖ ❖ ❖

الفصل السادس

خطواتُ الشيطان

«تَدَرُّج الشَّيطان في الإغواءِ»

اعلم أخي المسلم - حفظني اللهُ وإيَّاكَ من كل سوء - أنَّ اللهَ جلَّ وعَلا حذَّرنَا في كتابِهِ الكريم فنهانَا عَن اتِّباع خطواتِ الشَّيطان، وذلكَ بقولِهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِع خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُم وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنْكُم مِن أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

وهذا الاستدراجُ حَذَّر منهُ النبيُّ ﷺ أمَّتَهُ فعَن ابْن عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ رَجُلانِ مِن المشْرِقِ خَطِيبَانِ علىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَامَا فتَكَلَّمَا، ثُمَّ قعَدَا، وَقَامَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ خَطِيبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فتكَلَّمَ، ثُمَّ قَعَدَ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِن كَلامِهِمْ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، فَإِنَّمَا تَشْقِيقُ الكَلامِ مِن الشَّيْطَانِ». [صحيح: رواه أحمد].

وفي حادثةٍ أُخرى يحذِّرُ النبيُّ ﷺ أصحابَهُ مِن استدراج الشَّيطانِ، فعن أَنَسٍ: أنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا خَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا، وَيَا سَيِّدنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا. فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، ولا يَسْتَجْرِكُم الشَّيْطَانُ - أو الشَّيَاطِينُ، قَالَ: إِحْدَى الكَلِمَتَيْنِ - أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أن تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ». [صحيح: رواه أحمد].

فالشيطانُ يَا عبادَ اللهِ لا يَأتي للمسلِم ويأمرهُ بالمعصيةِ مباشرةً، كأن يَأمرهُ بالزِّنىٰ، وشُرب الخمرِ، والسَّرقةِ، والقَتْل، وغيرها مِنَ الذُّنوب، وإنما يبدأُ مَعَهُ بتزيينِ المعصيةِ لَهُ أوَّلاً، كأن يقولَ لَهُ مثلاً: انظُر إلىٰ هذهِ المرأة وإلىٰ جمَالِها، يا سبحانَ من خلَقَها.. وذَلِكَ لا يَضُرُّك لأنكَ تخافُ اللهَ ولا يمكِنُ أن تُقْدِمَ علىٰ الزِّنىٰ، وهذهِ من الصَّغَائرِ، يغفرها اللهُ لكَ عند آخر قطرةٍ من الوضوءِ وقد حانَ وقتُ الصَّلاة.. فإن اقتنع الإنسانُ بهذهِ الحيلةِ فرحَ الشيطانُ بذلكَ فرحاً عظيماً.. لأنَّهُ يعلمُ أنَّهُ لا بدَّ وأن يقعَ قريباً بفتنةِ الجمالِ التي سوفَ تُسوِّدُ لهُ قلبَهُ وتجعل الرَّانَ يعلوهُ، وما أصابَ من أصابَ من الزنىٰ إلاَّ من جرَّاءِ استباحتِهم لهذهِ النظرات، بحجَّةِ أنَّها من الصغائرِ.. لذا قال تعالىٰ موضِّحاً الخلاصَ من هذهِ الحيلةِ: ﴿قُل لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِن أَبْصَارِهِم وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُم ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُم إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِن أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَو آبَائِهِنَّ أَو آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَو أَبْنَائِهِنَّ..﴾ إلىٰ قولِهِ تعالىٰ: ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وهذا ما فعلهُ رسولُ اللهِ ﷺ بابنِ عمِّه الفضل، والحادثةُ في مُسند أحمَد، عَن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: وَقَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعَرَفَةَ .. قال: فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ مِن خَثْعَمَ، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي شَيْخٌ قَد أَفْنَدَ، وقَد أَدْرَكَتْهُ فَرِيضَةُ اللهِ فِي الْحَجِّ، فَهَل يُجْزِئُ أن أَحُجَّ عَنْهُ؟ قَالَ: «نعَمْ، فَأَدِّي عَن أَبِيكِ» قَالَ: وَلَوَى عُنُقَ الْفَضْلِ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: يا رَسُولَ اللهِ، مَا لَكَ لَوَيْتَ عُنُقَ ابنِ عَمِّكَ؟ قَالَ: «رَأَيْتُ شَابًّا وَشَابَّةً، فَخِفْتُ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمَا». [صحيح].

ومن هذا القبيلِ النَّظر إلىٰ الممثِّلةِ والمذيعة في التِّلفاز، يتدرَّجُ بهِ الشيطانُ إلىٰ أن يُزين لهُ النظرَ إلىٰ الرَّاقصات، والمغنِّيات، ثمَّ الأفلام الخليعة، وهكذا يستمرُّ الشيطانُ بالتَّزيين لهُ حتَّىٰ يُوقِعهُ في حبالِهِ وشباكِه وفخاخِهِ..

وكم هُم الَّذينَ جَلَبُوا الدّشَّ إلىٰ بُيُوتِهم ومِن بَعْدِهِ (الدِّيجتال) الَّذي - كما سَمِعْت - يحتوي علىٰ (٤٠٠) قناة راقصة وفاجرة ماجنة، فحينَ جلبهُ بَعْضُهُم زيَّنَ لهُ الشيطانُ أنَّ فيه دروساً علميَّةً نافعةً، وفيه يشاهد مكَّةَ والمدينةَ والصَّلوات وخُطب الجمعة.. إلخ.. ولكنَّ الشيطانَ لن يتركَهُ يَنظُر إلىٰ المحطَّاتِ الدينيّة فقط، فيبدأ معهُ فَيقُول لَهُ: انظُر إلىٰ عَالم البِحَار.. انظُر إلىٰ المصَارَعَةِ.. انظُر إلىٰ عَالم الحيوان.. انظر إلىٰ المسلسلاتِ الاجتماعية.. انظر.. وانظر.. وهو يقلِّبُ هذهِ المحطَّات مللاً وسآمةً إلىٰ أن يقعَ بصرُهُ علىٰ الفاسِقَات المغنِّيات، والراقصات الماجنات.. وهذا ما تحبُّهُ النَّفسُ وتلتذّ بهِ.. وقليلٌ همُ الذين لا يقدرُ الشيطانُ أن يُوصلَهُم إلىٰ هذهِ المرحلةِ.. فنسألُ اللهَ تعالىٰ العصمةَ .. آمين.

وهل يكتَفِي الشيطانُ بِذَلِكَ ويرضَىٰ؟ لا وَالله لا يكتَفِي حتَّىٰ يجرّهُ إلىٰ تَرْكِ الصَّلاةِ، ويجعَل منهُ إنساناً يَبْحَث عَن شهوتِهِ حتىٰ في نَهَارِ رَمَضانَ، مِن الأوقاتِ والأزمنةِ المفضَّلةِ فيبعدهُ بذلك عَن العباداتِ، ويجعله غارقاً في المحرَّمات، بَل ويجعل منهُ إنساناً لا أخلاقَ لَهُ، ولا غيرةَ عِنْدَهُ، بَل ويجعلهُ كافراً باللهِ العظيم، وذلكَ بتركِهِ للصَّلاةِ، وباعتراضِهِ علىٰ أمرِ اللهِ، إذ يجعَل منهُ إنساناً رافضاً لأحكام اللهِ الشَّرعية مُبغضاً لها، كَرَجْم الزَّاني المحصَن مثلاً، وذلكَ إذا كانَ مِن الزناة المحصنين، وغيرها مِنَ الأمورِ والأحكام، بَل إنَّ الشيطان لا يهنأ ولا يَهْدَأ له بالٌ حتىٰ يُوصِلَ الإنسانَ إلىٰ الكُفْرِ باللهِ وبِدِينِهِ ولقائِهِ، وبأسمَائِهِ وصِفَاتِهِ، وبما

أخبَرَت بهِ رُسُلُهُ عنه، فإن حَصَلَ له ذلكَ وظَفِرَ بهِ في هـذهِ العقبةِ الَّتي هي عقبة الكُفر، والتي هي (أوَّل عقبة) مِن العقباتِ السِّتةِ التي ذكرَهَا ابنُ القَيِّم ـ رَحِمَهُ الله ـ في (مَدَارج السَّالكين) بَرَدَت نارُ عَدَاوَتِهِ واستَرَاحَ، إذ أن في هذهِ العَقَبَةِ ضَياع الدُّنيا والآخرةِ، فإن اقتَحَمَ الإنسانُ المسلم هذه العقبةَ ونجا منهَا ببصيرةِ الهدايةِ، وسَلِمَ معهُ نُورُ الإيمانِ طلبَهُ علىٰ (العقبة الثانية):

وهي عَقَبةُ البِدْعَةِ، وهذهِ العقبةُ ذكرهَا ابنُ القَيِّم ـ رحمَهُ اللهُ ـ بَعْدَ عَقبةِ الكُفر باللهِ، وذلكَ لأنَّها مِن أخطرِ العقباتِ، إذ تجعَل الإنسانَ يتعبَّد للهِ تَعالىٰ بما لم يَشْرعهُ اللهُ، بَل يتعبَّد للهِ بما يخالفُ هَدي المصطفىٰ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام..

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: (تزوّجت الحقيقةُ الكافرةُ بالبدعَةِ الفَاجِرَةِ، فَتَولَّد بينَهُما خُسرَانُ الدُّنيا والآخرةِ).

فإن قَطَعَ الإنسانُ المسلِمُ هَذِهِ العقبةَ، وخَلَصَ منهَا بنورِ السُّنَّةِ، واعتَصَمَ منها بحقيقةِ المتابعةِ للنَّبيِّ ﷺ وأصحابِهِ والتَّابعين لهم بإحسانٍ طلَبَهُ الشيطانُ علىٰ (العقبةِ الثَّالثة):

وهي عقبةُ الكَبَائِر، وهذهِ العقبةُ إن ظَفِرَ بهِ فيها الشيطانُ زيَّنها له، وحسَّنها في عينِهِ، وسوَّفَ به، وقالَ لَهُ: الإيمانُ هُوَ نَفْسُ التَّصديق، فلا تقدح فيهِ أعمالُ الفُسُوق والعِصيان، وربَّما أجرَى علىٰ لسانِهِ وأذنِهِ كَلِمَةً طالما أهلَكَ بهَا الخَلْقَ، وهي: قوله: «لا يَضرُّ مَع التَّوحيد ذنبٌ، كمَا لا يَنْفَع مَع الشِّرك حَسَنة» بَل وعَمِلَ جاهداً علىٰ أن يُقْنِعَهُ بأنه لا يَضُرّ مَع الإيمانِ مَعصية، وجَعَل مسلَكَهُ التَّسويف، فيجعلهُ يقولُ: سَوف أتوبُ غداً.. سَوفُ أتوبُ إذا تزوَّجت. سوفَ أتوبُ إذا بَلَغتُ الخمسينَ عاماً.. سوفَ، وسوف، وسوف.. فإذا بِمَلَكِ الموتِ يَطْرُقُ عليه البابَ يُريدُ نَزْعَ رُوحِهِ، فماذا سَتَقُولُ لهُ يا عبدَ اللهِ إذا وَقَفْتَ بينَ يَدَي

اللهِ تعالىٰ، بَل ماذا سَتَقُولُ إذا جاءكَ مُنكر ونكير، ماذا سَتَفْعَل في القبرِ وظُلْمَتِهِ، بَل ماذا سَتَفْعَل وأنتَ علىٰ وجهِ الأرض، وأنتَ تعيش بلا أخلاق؟ بلا غيرةٍ.. بلا دِيْن.. بلا خَوفٍ مِنَ اللهِ تعالىٰ.. تُجاهِر اللهَ بالمعاصِي، تَبحَث عَن شهوتِك ليلَ نَهار، وأنتَ غارقٌ بالمنكرات، فأيُّ ضياع يَا عَبْدَ اللهِ بَعْدَ هذا الضَّياع؟ وأيُّ هلاكٍ بَعْدَ هذا الهلاكِ؟ كيفَ سَمَحتَ لَهُ أن يحرِّكَ مِن ذنبٍ إلىٰ ذنبٍ حتَّىٰ جعلَكَ مِن أصحابِ الكبائرِ والعياذُ باللهِ.

فإن قَطَعَ المسلمُ هذهِ العقبةَ بعصمةٍ مِنَ اللهِ تعالىٰ، أو بتوبةٍ نَصُوح تُنجيه منهَا، طَلَبَهُ علىٰ (العقبةِ الرَّابعةِ):

وهي عقبةُ الصَّغائر، فيأخذُ الشيطانُ يُهوِّنها في عينِهِ، ويزيِّنُها لَهُ، ويقول لَهُ: لا تَضرُّكَ الصَّغائرُ إذا اجتَنَبتَ الكبائر، ويخبرُهُ بأنَّ الصَّغائرَ تُكفَّر باجتِنَاب الكبَائر، ولا يَزَالُ يهوِّن عليهِ أمرَ الصَّغائرِ حتَّىٰ يجعلهُ مصراً عليهَا، فيكون مُرتكبُ الكبيرةِ الخائفِ الوجِل النَّادم أحسَن حالاً منهُ، فالإصرارُ علىٰ الذَّنب أقبحُ مِنهُ، ولا كبيرةَ مَع التَّوبة والاستِغْفَار، ولا صَغيرة مَع الإصرار، وقَد قَال ﷺ في الحديثِ الَّذي رواهُ أحمَد «إِيَّاكُم وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاء ذَا بِعُودٍ، وَجَاء ذَا بِعُودٍ، حَتَّىٰ أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَىٰ يُؤْخَذ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ». [صحيح].

فهذا حالُ الصَّغائرِ يا عبادَ اللهِ إذا اجتَمعَت علىٰ الإنسانِ أهلكتهُ، فَلا تَدري لعلَّك تأتي يَومَ القيامةِ وإذا بهذهِ الصَّغائر أثقَل في الميزانِ مِن جَبَلِ أُحُد، فَلا تَستهين بهَا يا عبدَ اللهِ، ولا تَستهين بتَحْذِيرِ النَّبيِّ ﷺ لكَ منهَا..

فإن نجَا المسلمُ مِن هذهِ العقبةِ بالتَّحرز والتَّحفُّظ، ودوام التَّوبة والاستغفار،

وأتبعَ السيئةَ الحسنَةَ، طَلَبَهُ عَلىٰ (العقبةِ الخامسة):

وهي عقبةُ المباحاتِ الَّتي لا حرجَ علىٰ فَاعِلِها، فشغلهُ بهَا عن الاستكثَارِ مِنَ الطَّاعاتِ، وعَن الاجتهادِ في التَّزود لمعادِهِ، ثـمَّ طَمِعَ فيهِ أن يَستدرجَهُ منها إلىٰ تَرْكِ السُّننِ، ثـمَّ إلىٰ تَرْكِ الواجباتِ، وإن لم يَقْدِر عليهِ، فأقلّ مَا يَنَال منهُ أن يُفَوِّت عليهِ الأرباح، والمكاسِب العظيمة، والمنازِل العَالية، ولـو عرفَ السِّعر لما فوَّت علىٰ نفسِهِ شيئاً مـن القرباتِ ولكنَّهُ جاهلٌ بالسِّعر، وقد جاءَ في الحديثِ الذي رواهُ التِّرمذي عن النَّبيِّ ﷺ أنهُ قَالَ: «مَـن خَافَ أدْلَجَ، وَمَن أدْلَجَ، بَلَغَ المَنْزِلَ، ألا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، ألا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّةُ»(١).

وَ(أدْلَجَ) معناه: سَارَ مِن أوَّلِ اللَّيْلِ، وَالمُرادُ: التَّشْمِيرُ في الطَّاعَة. والله أعلم.

فإن نجَا مِن هـذهِ العَقبةِ ببصيرةٍ تامَّةٍ ونـور هـادٍ، ومَعْرفَـةٍ بقـدر الطَّاعـاتِ والاستكثَار منهَا، طلبَهُ العَدُوُّ علىٰ (العقبةِ السَّادسَةِ):

والَّـتي هـي عقبـةُ الأعمـالِ المرجوحـةِ المفضولـةِ مـنَ الطَّاعـات، فيـأمرُه بـهَا، ويُحَسِّنهَا في عينِهِ، ويُزَيِّنها لَهُ، وأراهُ ما فيهَا مِن الفضلِ والرِّبح، ليشغلهُ بهَا عمَّا هو أفضَل منهَا، وأعظم كَسْباً وربحاً، لأنهُ لما عَجزَ عَـن تخسيرهِ أصل الثَّواب، طَمِعَ في تخسيرهِ كمَالَه وفضلهُ، ودرجاتهِ العالية، فشغلهُ بالمفضولِ عَن الفَاضِل، والمرجوح عَن الرَّاجح، وبالمحبوبِ للهِ عَن الأحبِّ إليهِ. فانظرُوا عبادَ اللهِ إلىٰ تَدرُّج الشَّيطانِ في الإغواءِ، وكونـوا منهُ علىٰ حذرٍ، واللهَ تعالىٰ أسأل أن يحـولَ بيـني وبينـهُ، وأن لا يجعلَ لهُ علينَا مِن سُلطانٍ، وأستودعُ اللهَ تعالىٰ ذلكَ، إنَّهُ نِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النَّصير.

---

١ - (الترمذي/٢٤٥٢). (من خاف) أي: البيات والإغارة من العدو وقت السحر (أدلج) سار أول الليل وبالتَّشديد من آخره (ومن أدلج بلغ المنزل) أي: وصل إلىٰ المطلب (ألا) بالتخفيف للتنبيه (إن سلعة الله) أي: من متاعه من نعيم الجَنَّة (غالية) أي: رفيعة القدر (سلعة الله الجَنَّة) يعني: ثمنها الأعمال الباقية المشار إليها بقوله سبحانه: ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾.

الفصل السابع

مداخل وهجمات الشيطان على الإنسان

بحق إنَّهُ عدوٌّ مبين كما قَال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: من الآية ٥]. وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: من الآية ١٦٨]. وحول هاتين الآيتين الكريمتين سأبين وأفصِّلُ لك أخي المسلِم ما استَطعتُ جَمْعَه مِنَ القرآن الكَريم، وهَدْي سيِّد المرسلين ﷺ، في بيانِ مداخلِهِ وهَجَمَاتِهِ الَّتي يَغْتَنِم فيهَا إمَّا جَهْلَ المسلِم أو غفلَتَهُ أو ضَعْفَهُ، أعاذنَا اللهُ وإيَّاكَ منه بمَنِّهِ وكرمِهِ..

◉ **الهجمة الأولىٰ: (عند الولادة)**

وتبدأُ المعركةُ وتكون بدايتها هَجمَةُ الشيطان الأولىٰ علىٰ الإنسانِ وهو في اللحظاتِ الأولىٰ من خروجِهِ إلىٰ الدُّنيا لحظة ولادتِهِ، فعَن أبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صِيَاحُ الْمَوْلُودِ حِينَ يَقَعُ، نَزْغَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ». [رواه مسلم].

وعنهُ أيضاً قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ غَيْرَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ». [رواه البخاري].

وفي رواية: قَالَ ﷺ: «مَا مِن مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهِلُ صَارِخاً مِن نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلاَّ ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ». ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤوا إِن شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]. [متفق عليه].

قال علماؤنا: ولا يلزم من هذا أن نخسَ الشَّيطان يلزم منه إضلال الممسوس وإغواؤه فإنَّ ذلك ظنٌّ فاسدٌ، فكم تَعرَّضَ الشيطانُ للأنبياءِ والأولياءِ بأنواع

الإفسادِ والإغواءِ ومع ذلك فَعصَمَهُم اللهُ مما يَرُومُهُ الشيطانُ، كما قالَ تعَالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِم سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

◉ الهجمة الثانية: (التشكيك في التوحيد)

وتستَمِرُّ المعركةُ ويقومُ بالهجمةِ الثَّانية وهي التَّشكيكُ في التَّوحيد، فالتَّوحيد هو أساسُ الإسلام وصَرْحُهُ الشَّامخ ولهذا تكونُ مُعظَم هجماتِ الشَّيطانِ موجَّهةً نحو هذا الأساسِ وذلكِ الصَّرح، قالَ تَعَالىٰ: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُر فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ [الحشر: ١٦]

والشَّيطانُ لا يدعُو المؤمنَ إلىٰ الكُفرِ مَرَّةً واحدةً، ولكن يَستَخْدِمُ في سبيل ذلكَ أسلوبَ التَّدرُّج مِنَ الدَّعوةِ إلىٰ تَرْكِ الفَاضِلِ والاهتمام بالمفضُول، ثمَّ العمل علىٰ تزيينِ الصَّغائر وتهوينها، ومِنَ الصغائر يستطيع إيقاع العبدِ في الكبائر، فإذا وقع العبدُ في الكبائرِ كان قَريباً من الكفرِ والعياذ بالله.

وفي الحديثِ الصَّحيح عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «ألا إنَّ رَبِّي أمَرَني أن أُعَلِّمَكُم مَا جَهِلتُم مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحلَتُهُ عَبْداً حَلالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُم أَتَتهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُم عَن دِينِهِمْ، وَحَرَّمَت عَلَيْهِم مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وأَمَرَتهُم أن يُشْرِكُوا بِي مَا لَم أُنْزِل بِهِ سُلْطَاناً..» [رواه مسلم].

◉ وعَن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يأتِي الشَّيْطَانُ أحَدَكُم فَيَقُولُ: مَن خَلَقَ كَذَا، مَن خَلَقَ كَذَا، حتَّىٰ يَقُولَ: مَن خَلَقَ رَبَّكَ؟ فإذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذ بالله وَلْيَنْتَهِ» وفي رواية في الصَّحيح أيضاً قالَ ﷺ: «لا يَزالُ النَّاسُ يَتساءلُونَ حتَّىٰ يُقال هَذَا: خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فَمَن خَلَقَ اللهَ؟ فَمَن وَجَدَ مِن ذلك شَيْئاً فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ باللهِ وَرُسُلِهِ». [متفق عليه].

◉ **الهجمة الثالثة: (عند الوسوسة)**

فمن شرِّ الشيطانِ أنَّهُ يوسوسُ للعبدِ، والوسوسةُ أعظمُ صفاتِ الشيطان، وأشدُّها شرراً، وأقواها تأثيراً، وأعمُّها فساداً، وهي أصلُ كلِّ معصيةٍ وبلاءٍ.

فعَن أبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِن أصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أحدُنَا أن يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «وَقَد وَجَدْتُمُوهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ». [رواه مسلم].

وعَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يا رَسُولَ الله إنَّ أَحَدَنَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ ـ يُعَرِّضُ بالشَّيْءِ ـ لأن يَكُونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِن أَن يَتَكَلَّمَ بِهِ. فَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ.. اللهُ أَكْبَرُ.. اللهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لله الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلىٰ الْوَسْوَسَةِ».

[صحيح: رواه أبو داود].

وحصولُ هذا الوسواس، مع هذهِ الكراهةِ العظيمة له ودفعهِ عن القلبِ، هو من صريح الإيمانِ، كالمجاهدِ الذي جاءهُ العدُوُّ فدافعهُ حتىٰ غلبهُ، فهذا أعظمُ الجهادِ و(الصريح) هو الخالصُ، كاللبنِ الصريح، وإنَّما صارَ صريحاً، لَّما كرهوا تلكَ الوساوسَ الشَّيطانيةَ ودفعوهَا فخلصَ الإيمانَ فصارَ صريحاً، والحمدُ لله الذي كانَ غايةُ كيدِ الشَّيطانِ الوسوسَة.

◉ **الهجمة الرابعة: (في الكذب)**

◉ عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها عَن النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «المَلائِكَةُ تَتَحَدَّثُ فِي العَنَانِ ـ وَالعَنَانُ الغَمَامُ ـ بِالأمْرِ يَكُونُ فِي الأرْضِ، فَتَسمعُ الشَّيَاطِينُ الكَلِمَةَ فَتَقُرُّهَا فِي أُذُنِ الكاهِنِ كَمَا تُقَرُّ القَارُورَةُ، فَيَزِيدُونَ مَعَهَا مِئَةَ كَذِبَةٍ». [رواه البخاري].

◉ وعَن عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً

بابنِ آدمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً ، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإيعَادٌ بالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ ، وَأَمَّا لَمَّةُ المَلَكِ فَإيعَادٌ بالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بالْحَقِّ ، فَمَن وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَم أَنَّهُ مِنَ الله فَلْيَحْمَدِ الله ، وَمَن وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذ بالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرجيمِ ، ثُمَّ قَرأَ : ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة : ٢٦٨] » الآيَةَ . [صحيح : رواه الترمذي].

◉ وذكرَ مسلمٌ في مقدِّمةِ صَحيحهِ عَن عَبْدِ الله بـن مسعودٍ ﷺ قَالَ : إنَّ الشَّيْطَانَ لَيَتَمَثَّلُ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ ، فَيأْتِي الْقَوْمَ فَيُحَدِّثُهُم بِالْحَدِيثِ مِنَ الْكَذِبِ ، فَيَتَفَرَّقُونَ ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ : سَمِعْتُ رَجُلاً أَعْرِفُ وَجْهَهُ ، وَلا أَدْرِي مَا اسْمُهُ ، يُحَدِّثُ .

◉ ورُوي أيضاً عَن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ قَالَ : إنَّ فِي الْبَحْرِ شَيَاطِينَ مَسْجُونَةً أَوْثَقَهَا سُلَيْمَانُ ، يُوشِكُ أن تَخْرُجَ فَتَقْرَأَ عَلَىٰ النَّاسِ قُرآناً .

◉ الهجمة الخامسة: (عند الوضوء)

وتستمر المعركةُ بين الإنسانِ والشَّيطان وتشتدُّ عندَ إرادةِ المسلم للوضوءِ والصَّلاةِ.. روى الترمذيُّ عَن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إنَّ لِلْوضُوءِ شَيْطَاناً يُقالُ لَهُ : الْوَلَهَانُ ، فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ »(١) . [ضعيف الإسناد].

---

١ ـ (الولهان) بفتحتين مصدر وله يوله ولهاناً وهو ذهابُ العقل والتَّحيُّر من شدَّة الوجدِ وغاية العشق ، سُمِّي بها شيطان الوضوء إمَّا لشدَّة حرصهِ علىٰ طلب الوسوسةِ في الوضوء ، وإمَّا لإلقائه النَّاس بالوسوسة في مهواة الحيرة حتىٰ يرَى صاحبهُ حيران ذاهب العَقْل لا يدري كيف يلعب به الشيطان ، ولم يعلم هل وصلَ الماءُ إلىٰ العضو أم لا ، وكم مرة غسله ، قاله القاري (فاتقوا وسواس الماء) قال الطيبي : أي : وسواسه هل وصلَ الماءُ إلىٰ أعضاءِ الوضوء أم لا ، وهل غسل مرَّتين أو مرة ، وهل هو طاهر أو نجس ، أو بلغ الماءُ قلَّتين أو لا ، وقال ابن الملك ، وتبعه ابن حجر : أي : وسواس الولهان. والحديث يدلُّ علىٰ كراهية الإسراف في الماء للوضوء ، وقد أجمعَ العلماء علىٰ النَّهي عن الإسراف في الماء ولو علىٰ شاطئ النهر لحديث سعد. والله تعالىٰ أعلم. [تحفة الأحوذي].

◉ **الهجمة السادسة: (عند الصلاة)**

وهي تكونُ عندَ إرادة المسلِم الصَّلاةَ، ففـي الصَّحيحين، عَن أبِي هُرَيْرَةَ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ أدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّىٰ لا يَسْمَعَ التَّأذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّأذِينُ أقْبَلَ، حَتَّىٰ إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلاةِ أدْبَرَ، حَتَّىٰ إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أقْبَلَ، حَتَّىٰ يَخْطرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ لَهُ: اذْكُر كَذَا، وَاذْكُر كَذَا، لِمَا لَم يَكُن يَذْكُرُ مِن قَبْلُ، حَتَّىٰ يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَم صَلَّىٰ».

◉ وعن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «مَا مِن ثَلاثَة فِي قَرْيَةٍ وَلا بَدْوٍ لا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاةُ إلاَّ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكُم بِالجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَةَ»[١].

◉ وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّىٰ أصبَحَ قَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ» أو قَالَ: «فِي أُذُنِهِ»[٢].

◉ وعَن أبي هُريرَةَ رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَعْقِد الشَّيْطَانُ عَلَىٰ قَافِيَةِ رَأسِ أحَدِكُم، إذا هُوَ نَامَ، ثَلاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَىٰ كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُد، فإنِ اسْتَيْقَظَ، فَذَكَرَ الله تَعَالىٰ انحَلَّت عُقْدَةٌ، فَإِن تَوضَّأ، انحَلَّت عُقْدَةٌ، فَإِن صَلَّىٰ، انحَلَّت عُقَدُهُ، فَأصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإلاَّ أصْبَحَ خَبِيْثَ النَّفْسِ كَسْلانَ»[٣].

١- (أبوداود/٥٤٧). (القاصية) أي: البعيدة عن صواحباتها وهو حال من الذئب والعامل معنىٰ التشبيه. وهو تمثيل مثل حالة مفارقة الجماعة واعتزاله عنهم ثُمَّ تسلط الشيطان عليه بحالة شاة شاذة عن الغنم ثُمَّ افتراس الذئب إياها بسبب انقطاعها. والله تعالىٰ أعلم.

٢- (البخاري/١١٤٤، مسلم/٧٧٤). (بال الشيطان في أذنيه) اختلفوا في معناه. فَقَالَ ابن قتيبة: معناه أفسده. وَقَالَ المهلب وغيره: هو استعارة وإشارة إلىٰ انقياده للشيطان وتحكمه فيه.

٣- (البخاري/١١٤٢، مسلم/٧٧٦). (قَافِيَةُ الرأسِ): آخِرُه. (ثلاث عقد) جمع عقدة ولعله أريد=

● وعَن عُثْمَانَ بْنِ أبي الْعَاصِ ﵁ أَنَّهُ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَد حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلاتِي وَقِرَاءتِي يُلَبِّسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « ذاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ: خِنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذ بِاللهِ مِنْهُ وَاتْفُل عَن يَسَارِكَ ثَلاثًا ». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذلكَ فأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي. [رواه مسلم].

● وعَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً يُحَرِكُ الْحَصَىٰ بِيَدِهِ وَهُوَ فِي الصَّلاةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: لا تُحَرِّكِ الْحَصَىٰ وَأَنْتَ فِي الصَّلاةِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَلَكِنِ اصْنَع كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ قَالَ: وَكَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ؟ قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَىٰ عَلَىٰ فَخِذِهِ الْيُمْنَىٰ وَأَشَارَ بِأُصْبُعِهِ الَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ فِي الْقِبْلَةِ وَرَمَىٰ بِبَصَرِهِ إِلَيْهَا أَو نَحوِهَا، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ ». [حسن صحيح: رواه النسائي].

● وعَن عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ التَّلَفُّتِ فِي الصَّلاةِ، فَقَالَ ﷺ: « اخْتِلاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِن صَلاةِ الْعَبْدِ ». [رواه البخاري].

● وعن أنس ﵁ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: « رَاصُّوا صُفُوفَكُم وَقَارِبُوا بَيْنَهَا وَحَاذُوا بِالأَعْنَاقِ، فَوالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لأَرَى الشَّيَاطِينَ تَدْخُلُ مِن خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهَا الْحَذَفُ ». [صحيح: رواه أبو داود والنسائي].

و(الحذف): غنم سود صغار. فكأن الشَّيطان يَتصغَّر حتىٰ يَدْخُلَ ويَنْدَسَّ كالغَنَم الصِّغار في خللِ الصَّفِّ.

=بها مَا يكون سبباً لثقل في الرأس يثبط النائم عن القيام ويجلب إليه النوم والكسل (يضرب علىٰ كل عقدة) أي: بيده إحكاماً لها (ليلاً طويلاً) أي: اعتقد ليلاً طويلاً، ورُوي بالرفع أي: عليك ليل طويل ويمكن أَنَّهُ مفعول ليضرب علىٰ تقدير النصب أي: يضرب هذه الكلمة ويلزمها ويخيلها إلىٰ النائم (فإن صلىٰ) ولو ركعتين، وتخصيصه بالثَّلاث ليمنع كلّ عقدة من واحد من الأمور الثلاث أعني: الذِّكر والوضوء، والصَّلاة. والله تعالىٰ أعلم.

◉ **الهجمة السابعةُ: (عند الدُّخول إلىٰ المنزل)**

وهكذا تستَمِرُّ المعركةُ ويقفُ الشَّيطانُ عند بابِ البيتِ ينتظر دخولَ المسلم إلىٰ بيتهِ وعودته إلىٰ منزلِه فإن ذَكَرَ اللهَ تَعَالىٰ فَلا سُلطانَ لهُ عليـه وإلاَّ شـاركَهُ في مبيتِه وطعامِهِ وشرابِهِ.. فَعَن جابرٍ رضي الله عنه قَالَ: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «إذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ تَعـالىٰ عِنْدَ دُخُولِـهِ وَعِنْدَ طَعامِهِ قـالَ الشّيْطانُ: لا مَبِيتَ لَكُـم وَلا عَشاءَ، وَإذا دَخَلَ فَلَم يَذكُرِ اللهَ تَعالىٰ عنْدَ دُخُولِه، قالَ الشَّيْطانُ: أدْرَكْتُمُ المَبِيـتَ، وَإذا لَم يَذْكُرِ اللهَ تَعالىٰ عِنْدَ طَعامِهِ قالَ: أدْركْتُمُ المَبِيتَ والعَشَاء». [رواه مسلم].

◉ **الهجمة الثامنة: (عند الجماع)**

ففي حالِ أرادَ المسلمُ الجماعَ، فينبغي للمسلم أن يستَتِرَ وأن يذكر اللهَ تعـالىٰ، حتىٰ لا يدع للشيطانِ عليهِ من سبيل، فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه عَن النَّبيِّ ﷺ قـالَ: «إذا أتَىٰ أحدُكُم أهلَهُ فَلْيَستَتِرْ، فإنَّـهُ إذا لَـم يَسْتَتِر اسْتَحْيَتِ الملائِكَةُ وخَرَجَتْ، وحَضَرَ الشَّيْطَانُ، فإذا كَانَ بيْنَهُما وَلَـدٌ كَانَ للشَّيطانِ فيهِ شَرِيكٌ». [الطبراني في الأوسط، ضعيف].

◉ وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَو أنَّ أحَدَكُم إذَا أرَادَ أن يَأتِيَ أهْلَهُ فَقَالَ بِاسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّب الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فإنَّـهُ إن يُقَدَّر بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَم يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أبَدًا». [متفق عليه].

قال المناوي في «الفيض»: قوله: (بسم الله اللّهم) أي: يا الله (جنبنا الشَّيطان) أي: أبعده عنَّا (وجَنِّب الشَّيطان ما رزقتنـا) مـن الأولادِ أو أعـمَّ، والحمـل عليه أتمّ لئلا يذهب الوهمُ في أنَّ الإنس منهم لا يُسن له الإتيان بهِ، إذ العلـةُ ليست حدوث الولد فَحَسبُ، بل هو إبعادُ الشَّيطان حتىٰ لا يشاركه في جِماعِهِ، فَقَد وردَ أنَّه يلتَفّ عَلىٰ إحليلِهِ إذا لم يُسَمّ. واللهُ تعالىٰ أعلم.

◉ **الهجمة التاسعةُ: (عند النوم)**

وتستَمِرُّ المعركةُ فإذا أرادَ المسلمُ أن ينام وأخذَ مضجعهُ لم يتركهُ، وجاءهُ ليثبِّطهُ ويعْقِدُ عندَ قَافيةِ رأسهِ العُقَدَ قائلاً: أمامكَ ليلٌ طويلٌ فَٱرقُد..

قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَعقِدُ الشَّيطانُ على قافيةِ رأسِ أحَدِكُم إذا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ، يَضرِبُ على كُلِّ عُقْدَةٍ مَكانَها: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَويلٌ فارْقُدْ، فإنِ اسْتَيْقَظَ وَذَكَرَ اللهَ تعالىٰ انْحَلَّت عُقْدَةٌ، فإن تَوَضأ انْحَلَّت عُقْدَةٌ، فإن صَلَّىٰ انْحَلَّت عُقَدُهُ كُلُّها فأصبَحَ نَشِيطاً طيبَ النَّفْسِ، وإلاَّ أصْبحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ» [هذا لفظ رواية البخاري، ورواية مسلم بمعناه، وقافية الرأس: آخره].

◉ **الهجمة العاشرة: (عند الغضب)**

عَن أبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رَجُلاً قَالَ للنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِراراً، قَالَ: «لا تَغْضَبْ»(١).

◉ وكذا إذا غضبَ السُّلطان: فَعَن عطيَّة السَّعدي رضي الله عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا اسْتَشَاطَ السُّلْطَانُ، تَسَلَّطَ الشَّيْطَانُ». [رواه أحمد، وهو ضعيف].

◉ وَعَن سُلَيْمانَ بْنِ صُرَد رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ جَالِساً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلان يَسْتَبَّانِ، وَأَحَدُهُمَا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَت أوْدَاجُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَو قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَو قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ذَهَبَ مِنْهُ مَا يَجِدُ». فَقَالُوا لَهُ: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَعَوَّذ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»(٢).

١- (البخاري/٦١١٦). (مراراً) كرَّرَ طلبه للوصية مرَّاتٍ (لا تغضب) أي: اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه، وأما نفس الغضب فلا يَتأتَّىٰ النهي عنه لأنه أمر طبيعي لا يزول من الجبلة.

٢- (البخاري/٣٨٨٢، مسلم/٢٦١٠) (يستبان) يشتم كل واحد منهما الآخر (أوداجه) جمع=

وَعَن جَابِرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «إنَّ الشَّيْطَانَ قَد أَيِسَ أن يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، ولَكِن في التَّحْرِيشِ بَيْنَهم»(١).

◉ الهجمة الحادية عشرة: (في الحُلم)

عن أبي سعيد الخدْرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّهُ سَمعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إذَا رَأى أحَدُكُم رُؤْيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ تَعَالىٰ، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيهَا، وَلْيُحَدِّث بهَا - وفي رِوَايَةٍ: فَلا يُحَدِّث بهَا إلاَّ مَن يُحِبُّ - وَإذا رَأى غَيرَ ذلكَ مِمَّا يَكرَهُ، فإنَّمَا هِيَ منَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذ مِن شرِّهَا، وَلا يَذكرْها لأحَدٍ، فإنها لا تَضُرُّهُ»(٢).

=ودج، وهو عرق يكون علىٰ جانب العنق، وانتفاخها كناية عن شدة الغضب ودليلٌ عليه (ما يجد) أي: ما فيه من الغضب، وفي رِوَايَة الشيخين زيادة قال الرَّجُلُ (هل بي جنون) أي: حتَّىٰ أتعوذ؟ قال النووي رحمه الله تعالىٰ: وأما قول هذا الرجل الَّذي اشتد غضبه: هل ترى بي من جنون؟ فهو كلام من لم يفقه في دين الله تعالىٰ، ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة، وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالجنون، ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان ولهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله، ويتكلم بالباطل ويفعل المذموم، وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح المترتبة علىٰ الغضب. ثم قال النووي: ويحتمل: أن هذا القائل كان من المنافقين أو من جفاة الأعراب، والله أعلم.

١ - (مسلم/٢٨١٢). (إن الشيطان) المراد به إبليس رئيسهم (قد أيس) أي: يئس وصار محروماً (أن يعبده المصلون) أي: من أن يعبده المؤمنون.

٢ - (البخاري/٦٩٨٥، مسلم/٢٢٦٢). (من الله) الإضافة إلىٰ الله تعالىٰ تشريف. ومعنىٰ كونها من اللهِ من فضلِهِ ورحمتِهِ أو من إنذارِهِ وتبشيرِهِ أو من تنبيههِ وإرشاده. و(الحُلم) هو لغة: عامٌّ للرؤية الحسنة والسيئة، غير أنَّ الشرعَ خصَّ الخير باسم الرؤيا، والشرَّ باسم الحلم. وقوله: (مِن الشيطان) أي: من إلقائهِ وتخويفه ولعبه بالنَّائم.

وفي الحديث: بيان أنه ليس كلّ ما يراه الإنسان في منامه يكون صحيحاً، إنما الصَّحيح فيه ما كان من الله يأتيكَ به مَلَكُ الرؤيا من نسخة أمِّ الكتاب، وما سوى ذلك أضغاثُ أحلام لا تأويل لها، وهي علىٰ أنواع: قد يكون من فعل الشيطان يلعب بالإنسان، أو يريه ما يحزنه، وأمر النبيُّ ﷺ في ذلك بأن يبصق عن يساره، ويتعوذ بالله منه كأنه يقصد به طرده إخزاءً، وقد يكون من حديث النَّفس كمن يكون في أمر أو حِرفة يرى نفسه في ذلك الأمر، والعاشق يرى معشوقَهُ، وقد يكون ذلك من مِزاج الطبيعة كمن غلَب عليه الدم يَرَى الفصد والرّعاف والحمرة، ومن غلبه الصفراء يرى النَّار والأشياء الصّفر، ومن غلب عليه السوداء يرى الظلمة والأشياء السود، والأهوال والموت، ومن غلب عليه البلغم يرى البياض=

◉ وعن أبي قَتَادَةَ ﷺ قالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الرُّؤيَا الصَّالِحَةُ - وفي رِوَايَةٍ: الرُّؤيَا الحَسَنَةُ - مِنَ اللهِ، والحُلمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَن رأى شَيئاً يَكرَهُهُ فَلينْفُث عَن شِمَالِهِ ثَلاثاً، وليَتَعوَّذ مِنَ الشَّيطَانِ فإنَّها لا تَضُرُّهُ». [متفق عليه].

◉ عَن جَابِرٍ ﷺ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لأعْرَابِيٍّ جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي حَلَمْتُ أَنَّ رَأسِي قُطِعَ، فَأنَا أَتَّبِعُهُ، فَزَجَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «لا تُخْبِر بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي الْمَنَامِ». [رواه مسلم].

◉ وعنهُ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ رَأيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأسِي ضُرِبَ فَتَدَحْرَجَ فَاشْتَدَدْتُ عَلَىٰ أَثَرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلأعْرَابِيِّ: «لا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي مَنَامِكَ». وَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدُ، يَخْطُبُ فَقَالَ: «لا يُحَدِّثَنَّ أَحَدُكُم بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي مَنَامِهِ». [رواه مسلم].

◉ الهجمة الثانية عشرة: (عند التثاؤب)

اعلم أنَّ الشَّيطانَ يحبُّ أن يُكثِرَ الإنسانُ من التَّثاؤب، لأنهُ علامةٌ علىٰ الكسلِ والفُتُور، ولذلكَ أمرَ النبيُّ ﷺ بِدَفع التَّثاؤب وكظمِهِ فعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثاؤُبَ، فإذا عَطَسَ أحَدُكُم وَحَمِدَ اللهَ تعَالىٰ كَانَ حَقًّا عَلىٰ كُلِّ مُسْلِم سَمِعَهُ أن يقولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، وَأمَّا التَّثاؤُبَ فإنَّما هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فإذا تَثاءبَ أحَدُكُم فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإنَّ أحَدَكُم إذا تَثَاءبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»[(١)].

=والمياه والثلج، ولا تأويل لهذه الأشياء، (لا تضره) لا يصيبه أذى بسببها. وقيل: معناه أنَّ الله تعالىٰ جعل هذا سبباً للسَّلامة من مكروهٍ يترتب عليها، كما جعلَ الصدقةَ وقايةً للمال وسبباً لدفع البلاء انتهىٰ. والله أعلم. (كذا في أوجز المسالك ١٥/٦٩، وشرح رياض الصالحين للمؤلف).

١ - (البخاري/٦٢٢٣). (التثاؤب) تنفس ينفتح منه الفمُ من الامتلاء وكدورة الحواس. وقال ابنُ=

◉ وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إذا تَثَاءبَ أحَدُكُم فَلْيُمْسِك بِيَدِهِ عَلىٰ فِيهِ، فَإنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ». [رواهُ مسلم].

وفي رواية لمسلم: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إذَا تَثَاءبَ أحَدُكُم فِي الصَّلاةِ، فَلْيَكْظِم مَا اسْتَطَاعَ، فَإنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ».

◉ **الهجمة الثالثة عشرة: (عند التبذير)**

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ [الإسراء: ٢٧].

قال الشافعي رحمه اللهُ: التَّبذير: هو إنفاقُ المال في غيرِ حقِّه، ولا تبذير في عَمَل الخيرِ. وهذا قول الجمهور.

وقالَ أشهب عَن مَالك: التَّبذير: هو أخذُ المالِ من حقِّه ووضعِهِ في غيرِ حقِّه، وهو الإسراف، وهو حرامٌ لقولهِ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ

=حجر في «الفتح»: في كونه يَضحكُ منه، لأنهُ صَيَّره ملعبة له بتشويهِ خلقه في تلكَ الحالة.

وأما قوله في روايةِ مُسلم: «فإنَّ الشيطانَ يَدخل» فيحتمل: أن يُراد به الدخول حقيقةً، وهو وإن كان يجري من الإنسانِ مجرى الدَّم لكنه لا يتمكن منه ما دام ذكرَ اللهَ تَعَالىٰ، والمتثائب في تلكَ الحالة غير ذاكرٍ فيتمكن الشَّيطان من الدُّخول فيه حقيقة. ويحتمل: أن يكون أطلقَ الدخولَ وأراد التَّمكن منه، لأنَّ مِن شأن من دَخَلَ في شيءٍ أن يكون متمكناً منه.

وأمَّا الأمر بوضع اليدِ علىٰ الفَم فيتناول ما إذا انفتَح بالتَّثاؤب فيغطَّىٰ بالكفِّ ونحوه، وأمَّا إذا كان منطبقاً حفظاً له عن الانفتاح بسبب ذلكَ. وفي معنىٰ وضع اليدِ علىٰ الفم وضع الثوب ونحوه مما يحصل ذلك المقصود، وإنما تتعين اليد إذا لم يرتد التثاؤب بدونها، ولا فرق في هذا الأمر بين المصلِّي وغيره، بل يتأكّد في حال الصَّلاة، ويستثنىٰ ذلك من النَّهي عن وضع المصلِّي يَدَهُ علىٰ فمه.

ومما يؤمر به المتثائب إذا كان في الصَّلاة أن يمسك عَن القراءة حتىٰ يذهب عنه لئلاَّ يتغير نظم قراءته، وأسند ابن أبي شيبة نحو ذلك عَن مجاهد وعكرمة والتَّابعين المشهورين، ومن الخصائص النَّبوية ما أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري في (التاريخ) من مرسل يزيد بن الأصم قال: «ما تثاءب النبيُّ ﷺ قطّ». وفي (الشفا لابن سبع): أنه صلَّىٰ اللهُ عليه وسلم كانَ لا يَتَمَطَّىٰ، لأنه من الشيطان. واللهُ أعلم.

الشَّيَاطِينِ..﴾ وقوله: ﴿إِخْوَانَ﴾ يعني: أنَّهم في حكمِهم، إذ المبذر ساع في الإفسادِ كالشَّياطين، أو أنهم يفعلونَ مَا تُسوِّلُ لهم أنفسُهم، أو أنَّهم يقرنونَ بهم غداً في النَّار، ثلاثة أقوال. و(الإخوان) هنا جمعُ أخ مِن غير النَّسب. وقوله تَعَالىٰ: ﴿وكَانَ الشيطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ أي: احذَرُوا متابعتَهُ والتَّشبّه بهِ في الفسادِ. [تفسير القرطبي].

قلت: والقاعدةُ الفقهيةُ تقول: «لا خيرَ في إسرافٍ، ولا إسرافَ في خيرٍ».

◉ **الهجمة الرابعة عشرة: (عند الصدقةِ)**

قال تعالىٰ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨].

قال القرطبيُّ: ﴿يَعِدُكُم﴾ معناه: يخوِّفكُم ﴿الفقر﴾ أي: بالفقرِ لئلاَّ تُنفِقُوا في سبيلِ اللهِ. فهذهِ الآية مُتَّصلة بما قَبْل، وأنَّ الشيطانَ له مدخلٌ في التَّثبيط للإنسانِ عَن الإنفاق في سبيلِ اللهِ، وهو مع ذلكَ يأمرُ بالفحشاءِ وهي المعاصِي والإنفاق فيها. وقيل: أي: بأن لا تَتَصَدَّقُوا فتعصُوا وتَتَقَاطَعُوا. ا.هـ

وقال المحلِّي: ﴿الشَّيطانُ يَعِدكُم الفقرَ﴾ أي: يخوفكُم بهِ إن تَصدَّقتم فتُمسكُوا ﴿ويأمرُكُم بالفَحْشَاءِ﴾ أي: بالبخل ومَنْع الزكاةِ ﴿واللهُ يَعِدُكُم﴾ علىٰ الإنفاقِ ﴿مَغْفِرَةً منهُ﴾ لِذُنُوبِكُم ﴿وَفَضْلاً﴾ رزقاً خَلَفاً مِنْهُ ﴿واللهُ وَاسِعٌ﴾ فَضْلُهُ ﴿عَليم﴾ بالمنفِقِ المتصدِّق في سبيل اللهِ تعالىٰ فيثيبُهُ في الدُّنيا والآخرةِ.

وَفي الحديث الذي رواهُ أحمَد في (مسنده) عَن بُرَيْدَةَ ﵁ قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يُخْرِجُ رَجُلٌ شَيْئاً مِنَ الصَّدَقَةِ حَتَّىٰ يَفُكَّ عَنْهَا لَحْيَي سَبْعِينَ شَيْطَاناً».

ورواهُ البَيْهَقِيُّ أيْضاً عَن أبِي ذرّ موقوفاً عَلَيْهِ قَالَ: «مَا خَرجَت صَدَقَةٌ حَتَّىٰ يُفَكَّ عَنْهَا لَحْيَي سَبْعِينَ شَيْطَاناً كُلُّهُم يَنْهَىٰ عَنْهَا».

هذا وإنَّ وعدَهُ لهُ بالفقرِ ليسَ شفقةً عليهِ، ولا نصيحةً لهُ، وإنَّما وعدُهُ لهُ بالفقرِ، وأمرُهُ إيَّاه بالبُخل، ليُسيءَ ظنَّهُ بربِهِ، ويتركَ ما يُحبُّهُ منَ الإنفاق لوجهِهِ، فيستوجبُ منَ الحرمانِ.

وأمَّا اللهُ تعالىٰ فإنَّهُ يعدُ عبدَهُ مغفرةً لذنوبِهِ، وفضلاً منهُ بأن يُخلفَ عليهِ أكثرَ ممَّا أنفق أضعافَهُ، في الدُّنيا والآخرة.

فهذا وعدُ اللهِ وذاكَ وعدُ الشيطان، فلينظُر البخيلُ والمنفقُ أيَّ الوعدينِ هوَ أوثق، وإلىٰ أيّهما يطمئنُّ قلبُهُ وتسكُنُ نفسُهُ؟ واللهُ يُوفِّقُ من يشاء، ويخذُلُ من يشاءُ، وهو الواسعُ العليم. [طريق الهجرتين].

فاللهَ اللهَ عبادَ اللهِ، ثِقُوا باللهِ تَعالىٰ في الثَّوابِ والخلَف، ولا تُطيعُوا الشَّيطانَ الَّذي يَعِدُكُم الفقرَ والتَّلفَ.

◉ **الهجمة الخامسة عشرة: (مع النساء)**

النساءُ هنَّ حبائل الشَّيطان، ونصف جندِهِ، وسهمهُ الذي يرمي بهِ فلا يخطئ أبداً في غالب الأحوال، وفتنتهنَّ أشدّ شيءٍ علىٰ الرِّجال، قال ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»[1].

فَالنِّساء أعظَم حبائِل الشَّيطان وأوثَق مصائِدِه فإذا خَرجنَ نَصبهنّ شبكَةً يَصيدُ بهَا الرِّجال فيُغريهم ليوقعهم في الزِّنا.. فعَن جَابرٍ ﷺ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأى امْرَأةً، فَأتىٰ امْرَأتَهُ زَيْنَبَ وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا، فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ ثُمَّ خَرجَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ،

١- (البخاري/٥٠٩٦، مسلم/٢٧٤٠). (ما تركت بعدي) أي: ما أترك، وعبر بالماضي لتحقق الموت (فتنة) أي امتحاناً وبلية (أضر علىٰ الرجال..) لأن الطباع كثيراً تميل إليهن وتقع في الحرام لأجلهن وتسعىٰ للقتال والعداوة بسببهن، وأقل ذلك أن ترغبه في الدنيا، وأي فساد أضر من هذا؟

فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُم امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ»[١].

وذلكَ لَيسَ حَطّاً مِن شأنِ النِّساء فَمِنهُنَّ الصَّالحاتِ القَانِتَات، بَل هو تَنبيهٌ للرِّجال علىٰ مَوضع ضَعفٍ لهم، يَسْهُلُ عَلىٰ الشَّيطانِ الوصُول إليهم منهُ. وأشدّ ما يكون ذلكَ عندَ الخلوة بالمرأة الأجنبية، روى الترمذيّ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأةٍ إلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ».

وَعَن عُقْبَة بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُم وَالدُّخُولَ عَلَىٰ النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «الْحَمْوُ المَوْتُ»[٢].

فأرشدنا ﷺ لما فيه الخير لكمالِ شَفَقَتِهِ عَلىٰ أُمَّتِهِ إلىٰ الحذرِ مِنَ النَّظر إليهنَّ والقرب منهنَّ وكفّ الخاطِرِ عن الالتفاتِ إليهنَّ باطناً ما أمكنَ لكونهنَّ أعظم أسبابِ الهوى وأشدّ آفات الدُّنيا. وفي الحديث الصحيح، قال ﷺ: «إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُم فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتنَةِ بَنِي إِسْرَائيلَ كَانَت فِي النِّسَاءِ»[٣].

١- (مسلم/١٤٠٣). (تمعس منيئة لها) قال أهل اللغة: المعس الدّلك. والمنيئة، قال أهل اللغة: هي الجلد أول ما يوضع في الدباغ. وقال الكسائي: يسمىٰ منيئة ما دام في الدِّباغ. وقال أبو عبيدة: هو في أول الدباغ منيئة، ثم أفيق وجمعه أفق كأديم وأُدم. (إن المرأة تقبل في صورة شيطان) قال العلماء: معناه الإشارة إلىٰ الهوى والدعاء إلىٰ الفتنة بها. لما جعله الله تعالىٰ في نفوس الرجال من الميل إلىٰ النساء والالتذاذ بنظرهن وما يتعلق بهن. فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلىٰ الشرِّ بوسوسته وتزيينه له.

٢- (البخاري/٥٢٣٢، مسلم/٢١٧٢). (إياكم والدخول علىٰ النساء) احذروا من الدخول علىٰ النساء غير المحارم، ومنع الدخول يستلزم منع الخلوة من باب أولىٰ (أفرأيت الحمو) أخبرني عن دخول الحمو علىٰ المرأة، والمراد بالحمو أقارب الزوج من غير المحارم كالأخ والعم والخال وأبنائهم (الحمو الموت) لقاؤه الهلاك، لأن دخوله أخطر من دخول الأجنبي وأقرب إلىٰ وقوع الجريمة، لأن الناس يتساهلون بخلطة الرجل بزوجة أخيه والخلوة بها، فيدخل بدون نكير، فيكون الشر منه أكثر والفتنة به أمكن. والله تعالىٰ أعلم.

٣- (مسلم/٢٧٤٢). (مستخلفكم فيها) جعلكم خلفاً في الدنيا، فأنتم بمنزلة الوكلاء فيها، وقيل: يخلفُ بعضكم بعضاً (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) احذروا الافتتان بهما. واللهُ تعالىٰ أعلم.

وفي حديثٍ آخر عندَ الترمذي قالَ ﷺ: «الْمَرأةُ عَورَةٌ، فَإذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ». [حسن صحيح].

وقالَ سَعيدُ بنُ المسيب: ما آيسَ إبليسُ مِن أحدٍ إلاَّ وأتاهُ مِن قِبَلِ النِّساء.

وما أحسنَ قَوْل أبي الخطاب بن دحية قالَ: تَحَفَّظُوا عبادَ اللهِ مِنهُنَّ، وتجنَّبُوا عَنْهُنَّ، ولا تَثِقُوا بودهِنَّ، ولا بوثيقِ عَهْدِهِنَّ، ففي نُقصَان عَقْلِهِنَّ وودهنَّ مَا يُغْنِي عَن الإطناب فيهنَّ. واللهُ أعلمُ.

◉ **الهجمة السادسة عشرة: (عندَ الغلوّ وترك الاعتدال)**

إنَّ الخروجَ عَن الوَسَطِ ومجاوزة حَدِّ الاعتدالِ خُطو إبليسي، ومَسلَكٌ شيطانيّ. يقولُ بَعْضُ السَّلف: مَا أمرَ اللهُ تَعَالىٰ بأمرٍ إلاَّ وللشَّيطان فيه نزعتان: إمَّا إلىٰ تَفْريط أو تَقْصِير، وإمَّا إلىٰ مجاوزةٍ وغُلُوّ، ولا يُبالي إبليسُ بأيِّهما ظفرَ.

فإنَّ حبائلَ الشيطانِ بين هذين الوَاديين تُحْبَكُ وتُحَاكُ. غَلا قومٌ في الأنبياءِ وأتباعِهِم حتَّىٰ عَبَدُوهُم، وقَصَّر آخرونَ حتَّىٰ قَتَلُوهُم، وقَتَلُوا الَّذين يأمرونَ بالقسطِ مِنَ النَّاس، وطوائف غَلَوا في الشّيوخ وأهلِ الصَّلاح، وآخرونَ جَفوهُم وأعرضُوا عنهم.

وفي الحديثِ الصَّحيح عَن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ ثَلاثَة رَهْطٍ إلَىٰ بُيُوتِ أزْوَاجِ النَّبيِّ ﷺ يَسْألُونَ عَن عِبَادَةِ النبيِّ ﷺ فَلَما أخْبِرُوا كأنَّهُم تَقَالّوهَا وَقالُوا: أيْنَ نَحْنُ مِنَ النبيِّ ﷺ قَد غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ ومَا تَأخَّرَ. قَالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فأصَلِّي اللَّيْلَ أبداً، وَقالَ الآخَرُ: وَأنا أصُومُ الدَّهْرَ ولا أفْطِر، وَقالَ الآخَرُ: وَأنا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلا أتزوَّج أبَداً، فَجَاءَ رسولُ الله ﷺ إلَيْهم فَقَالَ: «أنْتُمُ الَّذين قُلْتُم كَذَا وكَذَا؟! أمَا وَاللهِ إنِّي لأخْشَاكُم لِلّهِ وَأتْقَاكُم لَهُ لكنِّي أصُومُ وَأفْطِرُ، وَأصَلِّي

وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَن رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلاثاً(٢).

و(الْمُتَنَطِّعُونَ): الْمُتعمِّقُونَ الْمُشَدِّدُونَ فِي غَيْرِ مَوْضعِ التَّشْدِيدِ.

وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَن يُشَادَّ الدِّين إلا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ». [رواهُ البُخاري].

وفي رِوَايَةٍ لَهُ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، الْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا».

قَولهُ: (الدِّينُ) هُوَ مَرْفُوعٌ عَلَىٰ مَا لَم يُسَمَّ فَاعِلُه. وَرُوِيَ مَنْصُوباً، وَرُوِيَ: «لَن يُشَادَّ الدِّينَ أحَدٌ».

وقولُهُ ﷺ: (إِلاَّ غَلَبَهُ) أيْ: غَلَبَهُ الدِّينُ وَعَجَزَ ذلِكَ الْمُشَادُّ عَن مُقَاوَمَةِ الدِّينِ لِكَثْرَةِ طُرُقِه. (وَالْغَدْوَةُ) سَيْرُ أَوَّلِ النَّهَارِ. (وَالرَّوْحَةُ) آخِرُ النَّهَارِ. (وَالدُّلْجَةُ) آخِرُ اللَّيْلِ. وَهذا اسْتِعَارَةٌ وَتَمْثِيلٌ، وَمَعْنَاهُ: اسْتَعِينُوا عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بالأَعْمَالِ فِي وَقْتِ نَشَاطِكُمْ، وَفَرَاغِ قُلُوبِكُم بِحَيْثُ تَسْتَلِذُّونَ الْعِبَادَةَ وَلا تَسْأَمُونَ، وَتَبْلُغُونَ مَقْصودكُم، كَمَا أَنَّ الْمُسَافِرَ الْحَاذِقَ يَسِيرُ فِي هذِهِ الأَوْقَاتِ

---

١ - (البخاري/٥٠٦٣، مسلم/١٤٠١). (تقالوها) عَدُّوها قليلةً (من ذنبه) أي: ذنبه ﷺ علىٰ حسب مقامه، وما يعتبر ذنباً في حقه ليس هو من جنس الذنوب حقيقة، ولو فعله غيره لا يسمىٰ ذنباً، كفعله خلاف الأولىٰ ونحو ذلك (أبداً) دائماً دون انقطاع (الدَّهر) أي: أواصل الصيام يوماً بعد يوم (لأخشاكم لله وأتقاكم لَهُ) أكثركم خوفاً منه وأشدكم تقوى (أرقد) أنام (رغب عن سنتي) مال عن طريقتي وأعرض عنها (فليس مني) أي: ليس بمسلم إن كان ميله عنها كرهاً لها أو عن عدم اعتقاد بها، وإن كان غير ذلك: فإنه مخالف لطريقتي السهلة السمحة، التي لا تشدد فيها ولا عنت. والله تعالىٰ أعلم.

٢ - (مسلم/٢٦٧٠). (المتنطعون) المبالغون في التعمق والاستقصاء.

وَيَسْتَرِيحُ هُوَ وَدَابَّتُهُ فِي غَيْرِهَا، فَيَصِلُ الْمَقْصُودَ بِغَيْرِ تَعَبٍ، وَاللهُ أَعْلَم.

وإذا نظرتَ في فُرُوعِ الأحكام، فإنَّك سترى أُناساً قصَّرُوا بواجباتِ الطهارةِ، وتجاوزَ آخرونَ إلىٰ الوسواسِ.

وفئامٌ مِن أناس جعَلُوا تحصيلَ العِلْم غايَتَهُم، وأهملُوا العَمَلَ.

وآخرونَ تركُوا فروضَ الأعيانِ المتعيِّنةِ فَلم يَتَعَلَّمُوها.

وآخرونَ تركُوا أعمالَ القلوبِ مِنَ الخشيةِ والانكسارِ والإخباتِ وأمثالِها فَقَد أهملَها بعضُ مَن استحوذَ عليهم الشَّيطان، ولم يَلْتَفِتُوا إليهَا، وظنُّوها مِن فضولِ العَمَل.

واستحوذَ الشيطانُ علىٰ آخرين في الجانبِ الآخر حتَّىٰ أهملوا أعمالَ الجوارح، وقَالُوا بسقُوط التكاليفِ عَن بعضِ العَارفين، قال تعالىٰ: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُم وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾ [النساء: من الآية ٣٨]. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُم لَيَصُدُّونَهُم عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٧].

◉ الهجمة السابعة عشرة: (طول الأمل)

إنَّها الأمانيّ وحصائدُ الغُرور... فذلكم هُو السِّلاح الشَّيطاني المضَّاء، قال تعالىٰ: ﴿يَعِدُهُم وَيُمَنِّيهِم وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ [النساء: ١٢٠]. يعدهم هذا الغرَّار بحسبِ طبائِعهم، ويجُرُّهُم إلىٰ حبائِلِه بحسبِ مُيُولِهم ومشتهياتهم.

فَالأملُ يكسلُ عَن العملِ، ويُورثُ التَّراخِي والتَّوانِي، ويُعقبُ التَّشاغُلَ والتَّقاعُسَ، ويُخْلِدُ إلىٰ الأرضِ ويَميلُ إلىٰ الهوَى، وهَذا أمرٌ قد شُوهِدَ بالعيانِ فَلا يحتاجُ إلىٰ بيانٍ ولا يُطالَبُ صَاحِبُهُ بِبُرهَان.

كما أنَّ قِصَرَ الأمَل يبعثُ علىٰ العَمَل، ويحيلُ علىٰ المبادَرَةِ، ويحثُّ عَلىٰ

المسابقةِ. ويُروى عَن أبي الدَّرداء ﷺ أنه قَامَ على دَرَج مَسجِد دِمَشْقَ فقَالَ: «يا أهلَ دِمَشْقَ، ألا تَسْمَعُونَ مِن أخ لكُم نَاصِح، إنَّ مَن كانَ قَبْلَكُم كَانُوا يَجْمَعُونَ كثيراً وَيَبْنُونَ مَشيداً ويأملونَ بعيداً، فأصبَحَ جَمْعُهُم بوراً وَبُنْيَانُهُم قبوراً وَأمَلُهُم غُرُوراً. هذه عادٌ قَد مَلأتِ البلادَ أهلاً ومالاً وخيلاً ورجالاً، فَمَن يَشْتَرِي مِنِّي اليومَ تَرِكَتَهُم بِدِرْهَمين! وأنشَدَ يقولُ:

يَا ذا المؤمِّلِ آمالاً وَإن بَعُدَت ... منهُ وَيَزْعُمُ أن يَحْظَى بأقصَاهَا

أنَّى تَفُوز بما تَرْجُوهُ وَيحكَ وَمَا ... أصبحْتَ في ثقةٍ مِن نيلِ أدنَاهَا

◉ الهجمة الثامنة عشرة: (ترك التسمية على الطعام وغيره)

اعلم أنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُ الطَّعَامَ الذي لا يُذْكَرَ اسمُ الله تَعالى عليه، ومن نسيَ أن يُسمِّي أوَّلَ طعامِهِ فَلْيَقُل: (بِسمِ اللهِ أوَّلَهُ وآخِرَهُ)..

عَن حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: كُنَّا إذا حَضَرْنَا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ طَعَاماً، لَم نَضَع أيدِيَنا حَتَّى يَبْدَأ رسولُ الله ﷺ فَيَضَعَ يَدَه، وَإنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَاماً، فَجَاءَت جَارِيَةٌ كأنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَت لِتَضَعَ يَدَهَا في الطَّعَامِ، فَأخَذَ رسولُ الله ﷺ بِيَدِهَا، ثم جَاءَ أعْرَابِيٌّ كَأنَّمَا يُدْفَعُ، فَأخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُ الطَّعَامَ أن لا يُذْكَرَ اسمُ الله تَعالى عليه، وإنَّهُ جَاءَ بهذهِ الجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا، فَأخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بهذا الأعْرابيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأخَذْتُ بِيَدِهِ، والَّذي نَفسي بِيَدِهِ إنَّ يَدَهُ في يَدِي مَعَ يَدَيْهِمَا»[1]. ثمَّ ذَكَرَ اسمَ الله وأكَلَ.

١ـ (مسلم/٢٠١٧). (لم نضع أيدينا) أي في الطعام (حتَّى يبدأ رسول الله ﷺ) فيه بيان هذا الأدب، وهو أنه يبدأ الكبير والفاضل في غسلِ اليدِ للطَّعام وفي الأكل (كأنما يدفع) بصيغة المجهول يعني لشدة سرعته كأنه مدفوع (فذهبت) أي أرادت الجارية وشرعت (لتضع يدها في الطعام) أي: قبلنا (الجارية) أي: بنت صغيرة (إن الشيطان ليستحل الطعام) أي: يتمكن من أكل ذلك الطعام. والمعنى: أنه يتمكن=

◉ وعن أُمَيَّةَ بن مَخْشِيٍّ ﷺ قَالَ: «كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِساً، وَرَجُلٌ يَأكُلُ، فَلَم يُسَمِّ اللهَ حَتَّىٰ لَم يَبْقَ مِن طَعَامِهِ إلاَّ لُقْمَةٌ، فلَمَّا رَفَعَهَا إلىٰ فِيهِ، قَالَ: بِسمِ اللهِ أوَّلَهُ وآخِرَهُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ثمَّ قَالَ: «مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللهِ اسْتَقَاءَ مَا في بَطْنِهِ». [رواه أبو داود، والنسائي].

◉ وعن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إذَا وَقَعَت لُقْمَةُ أحَدِكُمْ، فَلْيَأخُذْهَا فَلْيُمِط ما كَانَ بِهَا مِن أذَى ولْيَأكُلْهَا ولا يَدَعْها للشَّيْطَانِ، ولا يَمسَح يَدَهُ بالمِنْدِيلِ حَتَّىٰ يَلْعَقَ أصابِعَهُ، فإنَّهُ لا يَدْرِي في أيِّ طَعَامِهِ البَرَكَةُ»[1].

◉ الهجمة التاسعة عشرة: (عند الأكل والشرب بالشمال)

عَن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَأكُلُوا بِالشِّمَالِ، فَإنَّ الشَّيطَانَ يَأكُلُ ويَشْرَبُ بِشِمالِهِ»[2].

وَعَنِ ابْنِ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يَأكُلَنَّ أحَدُكُم بِشِمَالِهِ، وَلا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإنَّ الشيْطَانَ يَأكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا»[3].

◉ الهجمةُ العشرون: (عند العجلة)

اعلم أنَّ العجلةَ غالباً ما تُؤدي إلىٰ ارتكابِ أخطاءٍ ومَعَاصِي.. لذا جاءَ البيانُ

= من أكل الطعام إذا شرع فيه إنسان بغير ذِكْر الله تعالىٰ. وأمَّا إذا لم يشرع فيه أحدٌ فلا يتمكن وإن كان جماعة، فذكر اسمَ الله بعضُهُم دونَ بعض لم يتمكن منه، قاله النووي (إن يده في يدي مع يديهما) أي: إنَّ يَدَ الشيطان مَع يدِ الرَّجل والجاريةِ في يَدِي، واللهُ أعلم.

١- (مسلم/٢٠٣٣، ١٣٤). (فليمط) معناه يزيل ويمحي (أذى) المراد بالأذى هنا المستقذر من غبار وتراب وقذى ونحو ذلك. والله أعلم.

٢- (مسلم/٢٠١٩). (يأكل بشماله) فيه إشارة إلىٰ أنَّهُ ينبغي اجتناب الأفعال التي تشبه أفعال الشيطان، وأن للشيطان يدين، وأنه يأكلُ ويشرب، وهو محمولٌ علىٰ الحقيقة. والله أعلم.

٣- (البخاري/١٠٦). (لا يأكلن أحدكم بشماله) قالَ الشوكاني: فيه النهي عن الأكل والشرب بالشمال والنهي حقيقة في التحريم كما تقرَّر في الأصول ولا يكون لمجرد الكراهة فقط إلاَّ مجازاً مع قيام صارف.

النَّبويُّ محذراً منها.. فَعَن سَهل بنِ سَعدٍ السَّاعدي ﷺ قَالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «الأَنَاةُ مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ». [ضعيف: رواه الترمذي].

◉ الهجمة الحادية والعشرون: (عند الانفراد في السفر)

عن عمرِو بن شُعَيْبٍ، عن أبيه، عن جَـدِّهِ رَضِـيَ اللهُ عَنْهُ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، والرَّاكِبَانِ شَيطَانَانِ، وَالثَّلاثَةُ رَكبٌ»[1].

وعن أبي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّاسُ إذا نَزَلُوا مَنْزِلاً تَفرَّقُوا في الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ. فقَالَ ﷺ: «إنَّ تَفرُّقَكُم في هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إنَّمَا ذَلِكُم مِنَ الشَّيْطَانِ فَلَم يَنْزِلُوا بَعْدَ ذَلكَ مَنْزِلاً إلاَّ انْضَمَّ بَعْضَهُم إلىٰ بَعْضٍ». [رواه أبو داود].

وقال ﷺ: «إنَّ الشَّيْطانَ مَعَ الوَاحِدِ، وَهُوَ مِن الاثْنَيْنِ أبْعَدُ». [صحيح: أحمد].

◉ الهجمة الثانيةُ والعشرونَ: (عند الغناء واللهو والأجراس)

قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُم عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

قال القرطبيُّ: هذه إحدَى الآيات الثَّلاث الَّتي استَدَلَّ بهَا العلماءُ علىٰ كراهةِ الغِنَاءِ والمنع منهُ. والآيةُ الثانيةُ: قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وأنتُم سَامِدُونَ﴾ [النجم: ٦١]. قَالَ ابنُ عَبَّاس ﷺ: هو الغِنَاءُ بالحميريةِ، اسمدي لنا، أي: غَنِّي لَنَا. والآيةُ الثالثةُ: قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَاسْتَفْزِز مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِـكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] قال مجاهد: الغناءُ والمزاميرُ.

عَن عَائِشَـةَ ﷺ قَـالت: دَخَـلَ عَلَـيَّ رَسُـولُ اللهِ ﷺ وَعِنْـدِي جَارِيَتَـانِ تُغَنِّيَـانِ

---

١ - (أبوداود/٢٦٠٧). (الراكب شيطان) يعني أن الشيطان يطمع في الواحد كما يطمع فيه اللص والسبع، فإذا خرج وحده فقد تعرض للشيطان والسبع واللص، فكأنه شيطان. (والراكبان شيطانان) لأن كل منهما متعرض لذلك. والله أعلم.

بِغِنَاءِ بُعَاث، فَاضْطَجَعَ عَلَىٰ الفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ». فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا. [متفق عليه].

(الجارية): هي البنت الصغيرةُ، فَلَم يُنكِر عليهِ النَّبِيُّ ﷺ تسميةَ الغناءِ بمزمارِ الشَّيطانِ ولكنَّهُ أذنَ فيهِ لأنَّ ذلكَ اليوم يومُ عيدٍ. واللهُ تعالىٰ أعلم.

◉ وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ». [رواه مسلم].

◉ الهجمة الثالثةُ والعشرونَ: (عند النجوىٰ)

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ [المجادلة: ١٠].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانُوا ثَلاثَةً، فَلا يَتَنَاجَىٰ اثْنَانِ دُونَ الثَالِثِ»(١).

ورواه أبو داود وزَادَ: قَالَ أَبُو صَالِحٍ: قُلْتُ لابْنِ عُمَرَ: فَأَرْبَعَةً؟ قَالَ: لا يَضُرُّكَ.

ورواه مالك في (المُوَطَأ): عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ عِنْدَ دَارِ خَالِدِ بْنِ عُقْبَةَ الَّتِي فِي السُّوقِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يُنَاجِيَهُ، وَلَيْسَ مَعَ ابْنِ عُمَرَ أَحَدٌ غَيْرِي، فَدَعَا ابْنُ عُمَرَ رَجُلاً آخَرَ حَتَّىٰ كُنَّا أَرْبَعَةً، فَقَالَ لِي وَلِلرَّجُلِ الثَّالِثِ الَّذِي دَعَا: اسْتَأْخِرَا شَيْئاً، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لا يَتَنَاجَىٰ اثْنَانِ دُونَ وَاحِدٍ».

١- (البخاري/٦٢٨٨، مسلم/٢١٨٣، الموطأ ٢/٩٨٨). (فلا يتناجىٰ اثنان) أي: لا يتكلما بالسر (دون الثالث) أي مجاوزين عنه غير مشاركين لَهُ. لئلاّ يتوهم أن نجواهما لشرٍّ متعلّق به. واللهُ تعالىٰ أعلم.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ: «إذا كُنْتُم ثَلاثَةً، فَلا يَتَنَاجَىٰ اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ حَتَّىٰ تَخْتَلِطُوا بالنَّاسِ، مِن أجْلِ أنَّ ذلِكَ يُحْزِنُهُ»(١).

◉ الهجمة الرابعة والعشرونَ: (عند شهر السلاح في وجه المسلم)

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَن رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «لا يُشِر أَحَدُكُم إِلَىٰ أَخِيهِ بِالسِّلاحِ، فَإِنَّهُ لا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ في يَدِهِ، فَيَقَعَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»(٢).

وفي روايةٍ لِمُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «مَن أَشَارَ إِلَىٰ أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ المَلائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّىٰ يَنْزِعَ، وَإِن كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ».

◉ الهجمة الخامسة والعشرون: (عند قولك: لو..)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِص عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاستَعِن بِاللَّهِ وَلا تَعْجَزْ. وَإِن أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَو أَنِّي فَعَلْتُ كَذا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِن قُلْ: قَدَّرَ الله، ومَا شاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٣).

١- (البخاري/٦٢٩٠، مسلم/٢١٨٤). (تختلطوا بالناس) تصبحوا أكثر من ثلاثة.

٢- (البخاري/٧٠٧٢، مسلم/٢٦١٧). (يَنْزِعَ) أي: يَرْمِي، وبالمُعجَمَةِ أَيْضاً يَرْمِي وَيُفْسِدُ وَأَصْلُ النَّزْعِ: الطَّعْنُ وَالْفَسَادُ. (في حفرة من النار) كناية عن وقوعه في المعصية التي تفضي به إلىٰ دخول النار.

٣- (مسلم/٢٦٦٤). (المؤمن القوي خير) المراد بالقوة، هنا، عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة. فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً علىٰ العدو في الجهاد وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه. وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والصبر علىٰ الأذى في كل ذلك. واحتمال المشاق في ذات الله تعالىٰ، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها، ونحو ذلك (وفي كل خير) معناه في كل من القوي والضعيف خير، لاشتراكهما في الإيمان، مع ما يأتي به الضعيف من العبادات. (احرص علىٰ ما ينفعك) معناه احرص علىٰ طاعة الله تعالىٰ والرغبة فيما عنده، واطلب الإعانة من الله تعالىٰ علىٰ ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة (فإنَّ لو تفتح..) جمع النووي بينه وبين ما ثبت من استعماله ﷺ: «لو سلك الناس وادياً» «لو استقبلت=

◉ **الهجمة السادسة والعشرون: (في السوق)**

عَن سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه قَالَ: لا تكُونَنَّ إنِ اسْتَطَعْتَ أوَّلَ مَن يَدْخُلُ السُّوقَ، ولا آخِرَ مَن يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وبِهَا يَنْصُبُ رَايَتَهُ[1].

ورَوَاهُ البَرْقَانِيُّ في صحيحه عَن سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تكُن أوَّلَ مَن يَدْخُلُ السُّوقَ، ولا آخِرَ مَن يَخْرُجُ مِنْهَا، فِيهَا بَاضَ الشَّيْطَانُ وفَرَّخَ».

◉ **الهجمة السابعة والعشرون: (عند الدعاء على المسلم)**

عن أبي هريرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَد شَرِبَ خَمْراً قَالَ: «اضْرِبُوهُ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، والضَّارِبُ بِثَوْبِهِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: أخْزَاكَ اللهُ، قَالَ: «لا تَقُولُوا هكَذا لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ»[2].

◉ **الهجمة الثامنة والعشرون: (في الصدِّ عن طاعة الله)**

عَن سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إنَّ الشَّيْطَانَ

=من أمري ما استدبرت» بأن الظاهر أن النهي عن إطلاقها فيما لا فائدة فيه، وأما من قالها تأسفاً على ما فات من طاعة الله تعالى، أو ما هو متعذر عليه منها ونحوه، فلا بأس، وعليه يحمل ما وجد في الأحاديث. والله أعلم.

١ - (مسلم/٢٤٥١). (معركة الشيطان) قَالَ أهل اللغة: المعركة موضع القتال لمعاركة الأبطال بعضهم بعضاً فيها ومصارعتهم فشبه السوق وفعل الشيطان بأهلها ونيله منهم بالمعركة لكثرة مَا يقع فيها من أنواع الباطل كالغش والخداع والأيمان الخائنة والعقود الفاسدة والنجش والبيع على بيع أخيه والشراء على شرائه والسوم على سومه وبخس المكيال والميزان (بها ينصب رايته) إشارة إلى ثبوته هناك واجتماع أعوانه إليه للتحريش بين الناس وحملهم على هذه المفاسد المذكورة ونحوها فهي موضعه وموضع أعوانه، والسوق تؤنث وتذكر سميت بذلك لقيام الناس فيها على سوقهم.

٢ - (البخاري/٦٧٨١). (أخزاك) من الخزي، وهو الذل والهوان (لا تعينوا عليه الشيطان) بدعائكم عليه بالخزي فيتوهم أنه مستحق لذلك، فيغتنم الشيطان هذا ليوقع في نفسه الوساوس.

قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإسْلامِ، فَقَالَ لَهُ: أتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ، وَدِينَ آبَائِكَ، وآبَاءِ أبِيكَ؟» قالَ: «فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ، فَقَالَ: أتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أرْضَكَ وَسَمَاءَكَ؟ وَإِنَّمَا مَثَلُ المُهَاجِرِ كَمَثَلِ الفَرَسِ فِي الطِّوَلِ» قَالَ: «فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ» قَالَ: «ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الجِهَادِ، فَقَالَ لَهُ: هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ المَرْأَةُ، وَيُقَسَّمُ المَالُ» قَالَ: «فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَن فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَمَاتَ، كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أن يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أو قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أن يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَإِن غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أن يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أو وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أن يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ». [صحيح: رواه أحمد].

◉ الهجمة التاسعةُ والعشرون: (عند نسيان ذكر اللهِ)

قال تعالىٰ: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ألا إنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

وعَن أبي مُوسَىٰ الأشْعَرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الَّذي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُهُ، مَثَلُ الحيِّ وَالمَيِّتِ»[1].

◉ الهجمة الثلاثون: (عند الحسد)

عَن أبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَيَحْضُرُ بِهَا الشَّيْطَانُ وَحَسَدُ ابْنِ آدَمَ». [رواه أحمد].

---

١ - (البخاري/٦٤٠٧، مسلم/٧٧٩). (الحي والميت) من حيث النفع والنصرة والاعتداد به.

وَالحسدُ: هُو تمنِّي زوالِ النِّعمَةِ عن صاحِبها: سَواءٌ كَانَت نِعْمَةَ دِيـنٍ أو دُنيـا.. قَالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿أم يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلىٰ مَا آتاهُمُ الله مِن فَضْلِه﴾ [النساء: ٥٤].

وعَن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إيَّاكُم وَالحَسَدَ، فَإنَّ الحَسَدَ يَأكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأكُلُ النَّارُ الحَطَبَ» أو قَالَ: «العُشْبَ»[1].

فَالحسَدُ مَذمومٌ، وصاحِبُهُ مَغْمُومٌ، وهـو يـأكلُ الحسنَات كمَـا تـأكلُ النـارُ الحطبَ.. قَالَ الحسَنُ: مَا رأيتُ ظالماً أشبَه بمظلوم مِن حَاسِدٍ، نَفس دائمٌ، وحزنٌ لازم، وعبرة لا تَنْفَد.

وقالَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُود: لا تُعادُوا نِعَم اللهِ. قِيل لَهُ: ومَن يُعـادي نِعَـم الله؟ فقَالَ: الَّذين يحسـدُونَ النَّاسَ عَلىٰ ما آتاهُم اللهُ مِن فَضْلِـه، يَقُولُ اللهُ تَعَالىٰ في بعض الكتبِ: الحسودُ عَدُوٌّ نِعْمَتِي مُتَسَخِّطٌ لِقَضَائِي غير راضٍ بِقِسمَتِي.

ولمنصورِ الفَقيه:

ألا قُـل لِمَـن ظَـلَّ لي حَاسِـداً ... أتَـدْرِي عَلـىٰ مَـن أسَـأتَ الأدَب
أسَـأت عَلَـىٰ اللهِ في حُكْمِـه ... إذا أنـتَ لَـم تَـرضَ لِـي مَـا وَهَـب

ويُقَال: الحسدُ أوَّلُ ذَنْبٍ عُصِـيَ اللهُ بـهِ في السَّماء، وأوَّلُ ذَنْـبٍ عُصِـيَ بـهِ في الأرضِ، فأمَّا في السَّماء فَحَسد إبليس لآدَمَ، وأمَّا في الأرض فَحَسد قَابيل لهابيل.

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: مَا حَسَدْتُ أحَدًا عَلَىٰ شَيْءٍ مِن أمْرِ الدُّنْيَا لأنَّهُ إن كَانَ مِن أهْلِ الْجَنَّةِ فَكَيْفَ أحْسُدُهُ عَلَىٰ الدُّنْيَا وَهِيَ حَقِيرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإن كَانَ مِن أهْلِ

---

١ - (أبوداود/٤٩٠٣). (إياكم والحسد) أي احذروا الحسد في مال أو جاه دنيوي فإنه مذموم بخلاف الغبطة في الأمر الأخروي (فإن الحسد يأكل الحسنات) أي يفني ويذهب طاعات الحاسد (كما تأكل النار الحطب) لأن الحسد يفضي بصاحبه إلىٰ اغتياب المحسود ونحوه فيذهب حسناته في عرض ذلك المحسود فيزيد المحسود نعمة علىٰ نعمة والحاسد حسرة علىٰ حسرة.

النَّارِ فَكَيْفَ أَحْسُدُهُ عَلَىٰ أَمْرِ الدُّنْيَا وَهُوَ يَصِيرُ إِلَىٰ النَّارِ.

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: مَا أَكْثَرَ عَبْدٌ ذِكْرَ الْمَوْتِ إِلاَّ قَلَّ فَرَحُهُ وَقَلَّ حَسَدُهُ.

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه: كُلُّ النَّاسِ أَقْدِرُ عَلَىٰ رِضَاهُ إِلاَّ حَاسِدَ نِعْمَةٍ فَإِنَّهُ لا يُرْضِيهِ إِلاَّ زَوَالُهَا.

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَا رَأَيْت ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِن حَاسِدٍ، إِنَّهُ يَرَى النِّعْمَةَ عَلَيْك نِقْمَةً عَلَيْهِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ رحمه اللهُ: يَا ابْنَ آدَمَ لا تَحْسُد أَخَاك، فَإِن كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ لِكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ فَلا تَحْسُد مَن أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَإِن كَانَ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَلِمَ تَحْسُدُ مَن مَصِيرُهُ إِلَىٰ النَّارِ؟

وَقَالَ بَعْضُهُم: الْحَاسِدُ لا يَنَالُ مِن الْمَجَالِسِ إِلاَّ مَذَمَّةً وَذُلاًّ، وَلا يَنَالُ مِن الْمَلائِكَةِ إِلاَّ لَعْنَةً وَبُغْضًا، وَلا يَنَالُ مِن الْخَلْقِ إِلاَّ جَزَعًا وَغَمًّا، وَلا يَنَالُ عِنْدَ النَّزْعِ إِلاَّ شِدَّةً وَهَوْلاً، وَلا يَنَالُ عِنْدَ الْمَوْقِفِ إِلاَّ فَضِيحَةً وَهَوَانًا وَنَكَالاً.

◉ الهجمة الحادية والثلاثون: (عند ارتكاب المعاصي)

اعْلَم وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ لِطَاعَتِهِ، وَأَنَالَنَا مِن سَوَابِغِ رِضَاهُ وَمَهَابَتِهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ حَذَّرَ عِبَادَهُ مِن مَعْصِيَتِهِ وأَعْلَمَهُم أَنَّ الشيطانَ قَد تَوَعَّد وهدَّدَ أَن يُغوي بني آدم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُم فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُم أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٣٩]. فإذا أطاعَ الناسُ الشيطانَ وعَصوا اللهَ تَعَالَىٰ وارتكبُوا المعاصي أحلُّوا بأنفسهم عقابَ اللهِ تَعَالَىٰ ـ والعياذُ باللهِ ـ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أي: أغْضَبُونَا ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُم كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَو يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣] وَالآيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَن أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُم غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلا تَبْحَثُوا عَنْهَا».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَغَارُ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهِ أَن يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ».

وَقَالَ بِلالُ بْنُ سَعْدٍ: لا تَنْظُرُ إِلَىٰ صِغَرِ الْخَطِيئَةِ وَلَكِن انْظُر إِلَىٰ مَن عَصَيْتَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَرْكُ الْخَطِيئَةِ أَيْسَرُ مِن طَلَبِ التَّوْبَةِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن تَرْكِ الْمَعَاصِي.

وقالَ بعضُ السَّلفِ: الْمَعَاصِي بَرِيدُ الْكُفْرِ أي: رَسُولُهُ بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا إِذَا أَوْرَثَت الْقَلْبَ هَذَا السَّوَادَ وَعَمَّتْهُ لَم يَبْقَ يَقْبَلُ خَيْرًا قَطُّ، فَحِينَئِذٍ يَقْسُو وَيَخْرُجُ مِنْهُ كُلُّ رَحْمَةٍ وَرَأْفَةٍ وَخَوْفٍ فَيَرْتَكِبُ مَا أَرَادَ وَيَفْعَلُ مَا أَحَبَّ، وَيَتَّخِذُ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِن دُونِ اللَّهِ وَيُضِلُّهُ وَيُغْوِيهِ وَيَعِدُهُ وَيُمَنِّيهِ، وَلا يَرْضَىٰ مِنْهُ بِدُونِ الْكُفْرِ مَا وَجَدَ لَهُ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَرِيدًا ۝ لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِن عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ۝ وَلأُضِلَّنَّهُم وَلأُمَنِّيَنَّهُم وَلآمُرَنَّهُم فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُم فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ۝ يَعِدُهُم وَيُمَنِّيهِم وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ۝ أُولَئِكَ مَأْوَاهُم جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء: ١١٧ - ١٢١]

هـذا وإنَّ للمعـاصي آثـاراً قبيحـة، ومِـنَ هـذه الآثـارِ القبيحـةِ المذمومَـةِ المضـرَّةِ بالعَقْلِ وَالبَدَنِ في الدُّنيَا والآخرةِ مَا لا يُحصيهِ إلاَّ اللهُ تعالىٰ، مِنْهَا:

١ ـ حرمانُ العِلم، فإنَّ العِلمَ نورٌ يقذفُهُ اللهُ في القلبِ، والمعصيةُ تطفئُ ذلك النُّور.

٢ ـ حرمانُ الرِّزق، ففي مُسْنَدِ أحمد: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ العبدَ لَيُحْـرَم الرِّزْق بالذَّنْب يُصيبُهُ». وتَقْوى اللهِ مجلبةٌ للرِّزق، فَترك التَّقوى مجلبةٌ للفَقْرِ.

٣ ـ وحشةٌ يجدها العَاصي في قلبه بينَهُ وبين اللهِ حيثُ تُظْلِمُ نَفْسُهُ، وتَسْتَوْحِشُ روحُهُ، وقد شكَىٰ رجلٌ إلىٰ بعضِ العَارفين وحشـةً يجدهَـا في نفسـهِ فقـال لـه: إذا كانت قد أوحشتكَ ذُنوبُك فَدعْهَا إذا شئتَ وٱستأنِس.

٤ ـ وحشَـةٌ تحصـلُ بينَـهُ وبـين النَّـاس، ولا سيّما أهـل الخير منهُم، فإنَّه يجـدُ وحشـةً بَيْنَهُ وبَيْنَهُم، وكلَّمـا قَويت تلـكَ الوحشـةُ بَعُـدَ منهم ومِـن مُجَالَسَـتِهم، وحُرِمَ بركةَ الانتفاع بهم، وربما يَقْرب مِن حِزْبِ الشَّيطانِ بِقَدر مَا يَبْعُد مِن حزبِ الرَّحمـن، وتَقْـوَى هَـذهِ الوحشـةُ حتَّىٰ تَسْتَحكم فَتقَـع بينَـهُ وبـينَ امرأتِـهِ ووَلَـدِهِ وأقاربِهِ، وبينَهُ وبينَ نَفْسِهِ فَتَرَاهُ مُستوحِشاً مِن نَفْسِهِ، والعياذُ باللهِ تَعَالىٰ.

قالَ بَعْضُ السَّلف: إنِّي لأعصِي اللهَ فأرى أثرَ ذَلِكَ في خُلُق دَابَّتِي وامرأتي.

٥ ـ ومنها تعسير أموره فَلا يَتَوَجَّه لأمرٍ إلاَّ ويجده مُغْلَقاً دونَهُ أو مُتَعَسِّراً عليه.

٦ ـ ومنها ظلمةٌ يجدُها في قلبِه حقيقة يحسُّ بها كما يَحُسُّ بظلمةِ اللَّيـل البـهيم إذا ادْلَهَمَّ، فَتَصِيرُ ظلمةُ المعصِيَةِ لِقَلْبِهِ كالظُّلمَةِ الحسيَّةِ لبصره، فـإنَّ الطاعـةَ نُـورٌ، والمعصيةُ ظلمةٌ، وكلَّما قَويت الظلمةُ ازدادت حيرَتُهُ حتىٰ يَقَع في الضَّلالات.

قال عبدُ اللهِ بنُ عَبَّاس: إنَّ للحسنةِ ضياءً في الوجـهِ ونُـوراً في القلـب، وسِعَةً في الرِّزق، وقوَّةً في البدنِ، ومَحَبَّةً في قلوب الخَلْق، وإنَّ للسيئةِ سواداً في الوجه،

وظُلْمَةً في القبر والقلب ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق وبغضة في قلوب الخَلْقِ.

٧ ـ ومنها حرمانُ الطاعةِ، فَلو لَم يكُن للذَّنبِ عُقُوبة إلاَّ أنه يَصُدّ عن طاعةِ الخالق سُبحَانَهُ وتَعَالىٰ لكفَىٰ به شُؤماً.

٨ ـ ومنها أنَّ المعاصي تُقَصِّرُ العُمُرَ وَتَمْحَق بركَتَهُ فكمَا أنَّ البِرَّ والحسنات تزيدُ في العُمُر، فإنَّ المعاصِي والفُجُور تُنْقِصُهُ. وهذا شيءٌ مجرَّبٌ، لا شكَّ فيهِ ولا مرية.

وبالجملة إذا أعرضَ العبدُ عَن اللهِ واشتَغَلَ بالمعاصِي ضَاعَت عليهِ أيَّامُ حياتِهِ الحقيقية الَّتي يجدُ غبَّ إضاعَتِهَا يومَ القيامةِ يَومَ: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [سورة الفجر: ٢٤].

٩ ـ ومنها أنَّ المعاصِي تَزرعُ أمثَالَها، ويُولِّدُ بعضُها بعضاً، حتَّىٰ يَعِزّ علىٰ العبدِ مُفَارقتها والخُرُوج منها حتَّىٰ تصبح هيئات رَاسخة، وصِفَات لازِمَة، وملكات ثَابتَة، فلو تركَهَا لضَاقَت عليهِ نَفْسُهُ، وأعيت عليهِ مذاهبهُ حتىٰ يعاودها، حتىٰ أنَّ كثيراً مِنَ الفُسَّاق ليواقع المعصيةَ مِن غير لَذَّةٍ يجدهَا، ولا داعية إليهَا، إلاَّ ما يجد مِن ألم مفارقتِهَا كما صرَّح بذلكَ أحدُهُم فقالَ:

وكَأسٌ شُربَت عَلىٰ لَذَّةٍ وأخْرَى تَدَاويتُ مِنْهَا بِهَا

١٠ ـ ومنها ـ وهو أخوفها علىٰ العبد ـ أن تُضْعِفَ القلبَ عَن إراداتِهِ فَتَقْوَىٰ فيه إرادةُ المعصيةِ، وتَضْعُفُ إرادةُ التوبةِ شيئاً فشيئاً إلىٰ أن تَنْسَلِخَ مِن قلبِهِ، فَلَو ماتَ نِصْفُهُ لما تابَ إلىٰ اللهِ تَعَالىٰ، فيأتي بالاستغفارِ وتَوبة الكذابين باللِّسان فَقَط وقلبُهُ مَعْقُودٌ بالمعصيةِ، مُصِرٌّ عليهَا، عازمٌ عَلىٰ مُواقَعَتِهَا مَتَىٰ أمكنَهُ وهَذا مِن أعظم الأمراضِ وَأقربِهَا إلىٰ الهلاكِ.

ثمَّ إنَّ الإثمَ ظَاهِرٌ، وبَاطِنٌ فأعمَالُ القُلوبِ باطِنَةٌ ولَها مَعَاصي كالكِبْرِ

وَالحَسَدِ والرِّياءِ وَالنِّفاق، وأعمالُ الجوارح ظَاهِرَةٌ ولها مَعَاصِي كالقَتْلِ والسَّرقةِ وَالزِّنا وشُربِ الخمرِ وَالظُّلم والاستِطَالَةُ عَلىٰ النَّاسِ ومجاوَزَةِ الحدِّ في ذلك، فَالمهاجِرُ هُوَ مَن هَجَرَ المعاصِي كلّها ظاهِرهَا وبَاطِنهَا والتَجأ إلىٰ مَولاه فهدَاه لاتِّباع نَبِيِّهِ الأَوَّاه، فَسَارَ خَلْفَهُ مُتَّبِعاً خُطاه، فَنَالَ مِن ربِّه رِضَاه، نَسألُ اللهَ تعالىٰ ذَلِكَ لنَا ولذرِّيتنا ولجميع المسلمينَ آمينَ.

◉ الهجمة الثانية والثلاثون: (عند الزحف)

قالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُم يَوْمَ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَد عَفَا اللهُ عَنْهُم إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ إِلىٰ أَنَّ التَّوَلِّيَ يَوْمَ الزَّحْفِ وَهُوَ الْفِرَارُ مِن قِتَالِ الْكُفَّارِ حَرَامٌ، فَلا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ الَّذِي حَضَرَ صَفَّ الْقِتَالِ أن يَنْصَرِفَ إِذَا الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ وَتَدَانَىٰ الصَّفَّانِ، لِقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُم الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُم الأَدْبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِم يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أو مُتَحَيِّزًا إِلىٰ فِئَةٍ فَقَد بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥ - ١٦].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُم فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ﴾ نَهَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الآيَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ - فِي الذِّكْرِ هُنَا - عَنِ الْفِرَارِ مِن الكُفَّارِ، وَأَمَرَ فِي الآيَةِ الأَخِيرَةِ بِالثَّبَاتِ عِنْدَ قِتَالِهِمْ، فَالْتَقَىٰ الأَمْرُ وَالنَّهْيُ عَلَىٰ سَوَاءٍ، وَهَذَا تَأْكِيدٌ عَلىٰ الْوُقُوفِ لِلْعَدُوِّ وَالتَّجَلُّدِ لَهُ.

وَإِنَّمَا يَحْرُمُ الْفِرَارُ وَالتَّوَلِّي إِذَا لَم يَزِدِ الْكُفَّارُ عَلَىٰ مِثْلَي عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿.. فَإِن يَكُن مِنْكُم مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ..﴾

فَإِن زَادَ الْكُفَّارُ عَلَىٰ مِثْلَي الْمُسْلِمِينَ لَم يَحْرُمِ الْفِرَارُ، وَالصَّبْرُ أَحْسَنُ، فَقَد وَقَفَ جَيْشُ مُؤْتَةَ وَهُم ثَلاثَةُ آلافٍ فِي مُقَابَلَةِ مِئَتَي أَلْفٍ.

◉ الهجمة الثالثة والثلاثون: (في التحاكم لغير الله)

قال تعالىٰ: ﴿أَلَم تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُم آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَىٰ الطَّاغُوتِ وَقَد أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُم ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء: ٦٠].

وقولُه تعالىٰ: ﴿ويريدُ الشَّيطانُ أن يُضِلَّهُم ضلالاً بعيداً﴾ يَعني: أنَّ الشيطانَ يُريدُ أن يَصُدَّ هؤلاءِ المتحَاكمين إلىٰ الطاغوتِ عَن سبيلِ الحقِّ والهُدَى، فَيُضلّهم عنها ضلالاً بعيداً، يعني: فَيَجُور بهم عنهَا جوراً شديداً.

وقالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن لَم يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: من الآية ٤٤]. وقالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن لَم يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: من الآية٤٥]. وقالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن لَم يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: من الآية ٤٧].

◉ الهجمة الرابعة والثلاثون: (عندَ الرِّدَّة والكفر بالله)

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُم وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥].

وقالَ تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُر فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦].

وحدُّ الردَّةِ يشملُ الرَّجُلَ والمرأة علىٰ السَّواء دونَ فرقٍ بينهمَا، فإذا صدَرَ مِن الرَّجُلِ أو المرأة[1] ما يستوجب الرِّدَّة، وكانَ كلٌّ منهما بالغاً عاقلاً تَرَتَّبت عليهِ الأحكامُ التَّالية:

---

(١) ذهب الشافعي ومالك والأوزاعي، والليث وأحمد وإسحاق. وبعض أصحاب رسول الله ﷺ ومنهم أبو بكر وعلي، إلىٰ أن المرأة تقتل كالرجل ا. هـ. (المجموع ٢٠ / ٣٨٠).

أ - وجوب استتابتِهِ فوراً، إذ يُفترض أنهُ لم يرتدّ إلاّ لشبهةٍ اعترضتهُ، أو لغضبٍ أفقدَهُ الرُّشْدَ والضَّبطَ. فيُنبّه للحقِّ عن طريقِ الاستتابَةِ.

ب - تحذيرُهُ من عواقبِ الإصرارِ علىٰ ردَّتِهِ وأنَّه سوفَ يُقتل إن هُوَ أصرَّ علىٰ كُفْرِهِ، عِنَاداً كان أو اعتِقَاداً، أو استِهْزاءً.

ج - وجوبُ القتل[١] إن أصرَّ علىٰ ردَّتِهِ ولم يتب لقولهِ ﷺ: «مَن بدَّلَ دينَهُ فَاقتُلُوهُ»[٢] ولقولهِ ﷺ أيضاً: «لا يحلُّ دمُ امرئٍ مسلم يشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنِّي رسولُ اللهِ إلاَّ بإحدَى ثلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، والنَّفس بالنَّفسِ، والتَّاركُ لدينِهِ المفَارِق للجَمَاعَةِ»[٣].

● **الهجمة الخامسةُ والثلاثونَ: (عند نسيان ذكر اللهِ تعالىٰ)**

يعلمُ الشيطانُ أنَّ ذِكْرَ اللهِ تَعَالىٰ حياةٌ للقلوبِ، وغذاءٌ للألبابِ، لِذَا فإنَّهُ يحرصُ عَلىٰ إدخالِ العبدِ في زمرةِ الغَافلين السَّادرين، حتَّىٰ تموتَ قُلُوبُهُم وتُظلِم أفئدتُهُم. قال تَعَالىٰ: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُم ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة آية: ١٩].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّض لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

أي: مَن يُعْرِض ويتغافل عَن ذِكْرِ اللهِ تعالىٰ وأوامِرِهِ ونواهيه التي بيَّنها في كتابِهِ وعلىٰ لسانِ نبيِّه ﷺ ﴿نُقَيِّض﴾ أي: نُسَبِّب ﴿لَهُ شَيطاناً فَهُوَ لَهُ قَرين﴾ أي:

---

(١) فرق الحنفية بين المرأة والرجل فقالوا: يقتل الرجل وتسجن المرأة حتىٰ تسلم لحديث نافع عن ابن عمر: «أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبيﷺ مقتولة فأنكر ﷺ قتل النساء والصبية» [متفق عليه].

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٧) وأبو داود (٤٣٥١) والترمذي (١٤٥٨) والنسائي (٤٠٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٧٨) بلفظ مقارب. ومسلم (١٦٧٦) وأبو داود (٤٣٥٢) والثيب: المتزوج.

لا يُفَارِقُهُ. وقالَ تَعَالىٰ: ﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُد بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: من الآية ٦٨].

◉ الهجمة السادسة والثلاثون: (عند الحلف بغير اللهِ)

عَن سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ: أنَّ ابنَ عُمَرَ سَمِعَ رجلاً يَقُولُ: لا والكعبةِ، فَقَالَ ابنُ عُمَرَ: لا يُحْلَفُ بِغَيْرِ الله، فإني سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «مَن حَلَفَ بِغَيْرِ الله فقد كَفَرَ أو أشْرَكَ». [صحيح: رواه أحمد والترمذي].

قال الترمذي: وَفُسِّرَ هـذا الحديثُ عندَ بعضِ أهلِ الْعِلْم: أنَّ قولَه: «فقد كَفَرَ أو أشْرَكَ» علىٰ التَّغْلِيظِ، والْحُجَّةُ في ذلك حديثُ ابنِ عُمَرَ المتفق عليه: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ عُمَرَ يقولُ وأبي وأبي، فَقَالَ: «ألا إنَّ الله يَنْهَاكُم أن تَحْلِفُوا بآبائِكم». وحديثُ أبي هُريرَة عَن النبيِّ ﷺ أنه قَالَ: «مَن قَالَ في حَلِفِهِ: واللاَّت والعُزَّى فَلْيَقُل: لا إلهَ إلا الله». [متفق عليه].

وعَن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَن أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَذْكُرُ بَعْضَ الأمْرِ وَأَنَا حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَحَلَفْتُ بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ لِي أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: بِئْسَ مَا قُلْتَ ائْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبِرْه، فَإنّا لاَ نَرَاكَ إلاَّ قَد كَفَرْتَ فَأتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ لِي: «قُل لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَاتْفُل عَن يَسَارِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَلا تَعُد لَهُ». [رواه أحمد والنسائي].

فلا يجوزُ الحلف: بالنبيِّ ﷺ، ولا بالكعبةِ، ولا بالآباء، ولا بالتربةِ إلخ..

◉ الهجمة السابعة والثلاثون: (عند الموت)

وهي أخطرُهَا، فالشيطانُ يحاولُ جهده أن تخرجَ روحُ المسلمِ علىٰ غير الإيمان فَيُمَنِّيه تارةً ويُوسوسُ لهُ تارةً ويخوِّفهُ تارةً أخرى إلاَّ أنَّ رحمةَ اللهِ تعالىٰ تُدرِكُ

المؤمنَ في مثل هذه السَّاعةِ الحرجةِ، فَيُثبِّتُ اللهُ تعالىٰ المؤمنَ بالقولِ الثَّابتِ، كما قالَ تَعَالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. اللهمَّ ثبتنا ولا تفتنا، ولا تكلنا إلىٰ أنفسِنَا طرفةَ عينٍ ولا أقلَّ من ذلكَ يا أرحمَ الراحمينَ.

ولقد كانَ من دعاء النبيِّ ﷺ: «.. اللَّهمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ أن يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطانُ عِنْدَ المَوْتِ، وأعُوذُ بِكَ أن أمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِراً، وأعُوذُ بِكَ أن أمُوتَ لَديغاً» [رواه أحمد، وفيه ضعفٌ لاضطرابهِ].

وعند أبي نعيم في الحلية بسندٍ ضَعيف، عن ثوبان رضي الله عنه عَن النبيِّ ﷺ قَالَ: «احْضُرُوا مَوتَاكُم ولقِّنوهمْ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وبشِّرُوهُم بالجنَّةِ، فإنَّ الحَليمَ مِنَ الرِّجالِ والنساءِ يتَحَيَّرُ عندَ ذَلِكَ المصْرَعِ، وإنَّ الشيطانَ أقربُ ما يكونُ مِن ابنِ آدمَ عندَ ذَلِكَ المصرعِ، والذِي نَفْسِي بيدِهِ لَمُعَايَنَةُ مَلَكِ الموتِ، أشدُّ من ألفِ ضَرْبَةٍ بالسَّيفِ، والذي نَفْسِي بيدِهِ لا تَخْرُجُ نفسُ عبدٍ منَ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَتَألَّمَ كُلُّ عِرْقٍ منْهُ علىٰ حِيالهِ».

إذاً لا تنتهي المعركةُ في اليوم واللَّيلةِ إلىٰ هذا الحدِّ فقط، بل إنَّ المعركة تستمر إلىٰ اللحظة الأخيرة من حياةِ العبدِ، وهي تختلف بين عبدٍ وآخر، وكل بحسبِ إيمانِهِ فهذا الإمام أحمد بْنُ حَنْبَل يصفُ ولدُهُ حالَهُ عندَ النَّزع فيقول: لَمَّا احْتُضِرَ أبِي جَلَسْتُ عِنْدَهُ وَبِيَدِي الْخِرْقَةُ لأشَدَّ بِهَا لَحْيَيْهِ، فَجَعَلَ يَغْرَقُ ثُمَّ يُفِيقُ وَيَقُولُ: لا بَعْد..

فَقُلْت: يَا أَبَتِ مَا هَذَا الَّذِي قَد لَهِجْتَ بِهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ؟

فَقَالَ: يَا بُنَيَّ أوَمَا تَعْلَمُ؟

قُلْتُ: لا.

قَالَ: إبْلِيسُ قَائِمٌ بِحِذَائِي يَقُولُ يَا أحْمَدُ: فُتَّنِي، فَأقُولُ: لا بَعْدُ، حَتَّىٰ أمُوتَ.

فَالَّذِينَ صَحَّت عَقِيدَتُهُم، وَقَوِيَت عَزِيْمَتُهُم لَن يَسْتَطِيْع إبْلِيْسُ الوُصُولَ إليهم، وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لهُ عليهِم سُلْطَاناً. اللَّهمَّ اجعلنِي وذرِّيتي وإخوانِي ووالِدَيَّ منهم يا ربَّ العالمين. آمين..

◉ وخلاصَةُ القولِ: إنَّ إبليسَ خَانَهُ طَبْعُهُ وَجِبلَّتُهُ، فَامتَنَعَ عَن السُّجُودِ لآدَمَ، وَخَاصَمَ رَبَّهُ عَزَّ وجلَّ فِيْهِ، وادَّعَىٰ أنَّهُ خَيْر مِن آدَمَ، فإنَّهُ مَخْلُوقٌ مِن نَارٍ، وآدَمُ خُلِقَ مِن طِينٍ، وَالنَّارُ خَيْرٌ مِنَ الطِّينِ في زَعْمِهِ، وَقَد أخْطَأ في ذَلِكَ وخَالَفَ أمْرَ اللّهِ تَعَالَىٰ، وكَفَرَ بِذَلِكَ فَأبْعَدَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأرْغَمَ أنْفَهُ وَطَرَدَهُ عَن بَابِ رَحْمَتِهِ وَمَحَلِّ أُنْسِهِ وَحَضْرَةِ قُدسِهِ وجعلهُ من أصحَابِ السَّعير.

❖ ❖ ❖

بشرى

صحيحٌ أنَّ الشيطانَ قد سُلِّطَ علىٰ ذريَّةِ آدم بالوسوسةِ والتَّزيين، وصحيحٌ أنَّ كلَّ ابنِ آدم خطَّاء.. لكن اعلَم أنَّ اللهَ تعالىٰ قد فتحَ أبوابَ التوبةِ لِذُرِّيةِ آدم عليهِ السَّلام، ولم يُؤيسهم مِن رَحْمَتِهِ تعالىٰ، ولم يُقنِّطهم من عَفوهِ وَمغفرتِه، فَمن تابَ مِنْهُم تَابَ اللهُ عليهِ، ومَن استَغْفَرَ غفرَ اللهُ لَهُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أو ظَلَمُوا أنفُسَهُم ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِم وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَم يُصِرُّوا عَلىٰ مَا فَعَلُوا وَهُم يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقال تعالىٰ: ﴿قُل يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ أنفُسِهِم لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُم وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر آية: ٥٣-٥٤].

وفي الحديث الذي رواهُ أحمد في مسندِه، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لا أَبرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَت أَرْوَاحُهُم فِي أَجْسَادِهِمْ. فَقَالَ الرَّبُّ تعالىٰ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي لا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُم مَا اسْتَغْفَرُونِي». [حسن].

وعَن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقُول: «قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلىٰ مَا كَانَ مِنكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَو بَلَغَت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السماءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرتُ لَكَ وَلا أُبالي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِي بِقُرابِ الأرضِ خطايا، ثُمَّ لَقِيْتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً». [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وقال: حديثٌ حسنٌ].

(عَنَانُ السماءِ) قيل: هو ما عَنَّ لَكَ منها، أي: ظَهَرَ إذا رفعْتَ رَأْسَكَ، وقيلَ: هو السَّحَاب. (وقُرَاب الأرض) هو: مَا يُقارِبُ مِلأهَا، واللهُ أعلمُ.

الشَّيطان لا يتمثَّل بالنَّبيِّ ﷺ

اعلم أنَّ الشياطينَ يعجزونَ عن التَّمثُّل في صورةِ النبيِّ ﷺ في الرؤيا:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَن رآني في المَنَامِ فسيَرانِي في اليَقَظَةِ ـ أو كأنَّمَا رآني في اليَقَظَةِ ـ لا يَتمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بي »[1].

وعَن جَابرٍ، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « مَن رآني فِي النَّوْمِ فَقَد رآنِي، إنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أن يَتمَثَّلَ فِي صُورَتِي ». [رواه مسلم].

وعنه رضي الله عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَن رآنِي فِي النَّوْمِ فَقَد رآنِي، فإنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أن يَتشَبَّهَ بِي ». [رواه مسلم].

وفي رواية: قال ﷺ: « وَمَن رآنِي فِي المَنَامِ فَقَد رآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتمَثَّلُ فِي صُورَتِي ». [متفق عليه].

وفي رواية: قال ﷺ: « فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَخَيَّل بِي » [رواه البخاري].

وعَن عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَن رآنِي فِي المَنَامِ فَقَد رآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتمَثَّلُ بِي ». [صحيح: رواه الترمذي، وابنُ ماجه].

والظاهر من الأحاديث أنَّ الشيطانَ لا يتزيَّا بصورةِ الرَّسولِ ﷺ الحقيقيَّة، ولا يمنعهُ هذا منَ التمثُّل في غيرِ صورةِ الرَّسولِ ﷺ والزَّعم بأنَّهُ رسولُ اللهِ، وهذا ما فقههُ ابنُ سيرينَ ـ رحمهُ اللهُ تعالىٰ ـ فيما نقلهُ عنهُ البخاريُّ في صحيحه، واللهُ تعالىٰ أعلمُ وأحكمُ.

---

١ ـ (البخاري/٦٩٩٣، مسلم/٢٢٦٦). (فسيراني في اليقظة) قيل: المراد أهل عصره، أي: من رآه في المنام وفقه الله تعالىٰ للهجرة إليه والتشرف بلقائه ﷺ. أو: يرى تصديق تلك الرؤيا في الدار الآخرة، أو يراه فيها رؤية خاصة في القرب منه والشفاعة (لا يتمثل الشيطان بي) لا يحصل لَهُ مثال صورتي ولا يتشبه بي. واللهُ تعالىٰ أعلم.

الفصل الثامن

كيف تنجو من مكائد الشيطان ؟

أخي المسلم ـ أختي المسلمة ـ: هذا هو الشَّيطانُ.. وهذهِ عداوتُهُ الَّتي لن تَزُول حتىٰ يَرثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليهَا.. إنَّه منذ ذلكَ اليوم يخطِّط ويَعْمَل علىٰ إفسادِ ذرية آدَم عليهِ السَّلام.. يعمل علىٰ إخراج المسلِم مِن دِينِهِ.. وعلىٰ إبعادِ غَير المسلِم عن الإسلام.. يعمَل علىٰ نشرِ الفِسْقِ والفَواحِش والمجونِ في كلِّ مكَان..

وللأسف يظنُّ كثيرٌ مِنَ النَّاس أنَّهُ لا قُدرةَ له علىٰ مُواجهةِ الشَّيطان، وأنهُ إذا حَدَثَت المواجهةُ بينَهُ وبينَ الشيطانِ فإنَّ الغلبةَ ستكُونُ للشَّيطان، لِقوَّة سُلطانهِ وقُدرتهِ علىٰ الإغواءِ والتَّزيين.

والحقيقة أنَّ الشَّيطانَ ليسَ لهُ سلطانٌ علىٰ عبادِ الرَّحمن، فَمَتَىٰ استَمْسَكَ العبدُ بالكتابِ والسُّنَّةِ، واهتَدَى بهدي النَّبيِّ ﷺ واتَّقىٰ اللهَ مَا استطَاع، فإنَّ الشَّيطانَ لا يتمكَّن منهُ ولا يستطيع غِوايَتهُ، كما قَالَ تعَالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ [الإسراء: ٦٥].

فبالاستعَانَةِ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ، والاعتصام بحبلِهِ، والتَّمسك بهدي الكتابِ والسُّنَّة، والتَّقيد بالأوامرِ فعلاً والنَّواهي تركاً هو الَّذي يُنْجِي مِن مكائدِ الشَّيطان وحيَلِهِ، فَلا يَستَطيعُ الإنسانُ التَّخلص ممَّن يخالِطُ لحمَهُ وَدَمَهُ إلاَّ بِمَعُونَةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ وصدقِ العبوديةِ لَهُ تعالىٰ.

وإليكَ الآن أهمَّ ما وردَ من أسبابٍ في النَّجاةِ مِن كيدِهِ وحيلِهِ وشباكِهِ التي ينصبها لاصطيادِ ذريةِ آدم عليهِ السَّلام:

① الإيمان بالله عز وجل:

إن الإيمانَ الحقيقيَّ باللهِ عزَّ وَجَلّ هُو الَّذي يَعْصِم مِن كلِّ سوء، ويُنجي مِن كلِّ خوفٍ وبلاء، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَمَن آمَنَ وَأَصْلَحَ فلا خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلا هُم يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨] وقال تَعالىٰ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُم فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِم إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ [النساء: ١٧٥].
وفي إنجاءِ المؤمنينَ مِن كلِّ مكروهٍ يقولُ تَعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّن عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨] وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [هود آية: ٦٦].
وغيرها كثيرٌ من هذهِ الآيات..

فَأهل الإيمان والتَّقوى لا يضرُّهُم كيدُ الشَّيطان شيئاً، لأنَّهم يطيعونَ اللهَ ورسولَهُ ﷺ ويتَّخذونَ الشيطانَ عَدُوّاً عملاً بقولهِ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُم عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِن أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

② الإخلاص لله عزَّ وَجَلَّ:

فالشيطانُ قَد يأتِي إلىٰ الرَّجُل الطائع مِن بابِ النِّيةِ، فَيُحسِّن لهُ رؤيةَ الخلقِ لأعمالِهِ، ويُزَيِّن لَهُ العَمَلَ لِغيرِ اللهِ فيوقعهُ في الرِّياء الَّذي يُبْطِلُ العَمَل، وَيُوجِب العقوبةَ، ويُؤدِّي إلىٰ تَسَلُّط الشيطان عَلىٰ الإنسانِ وغلبتِهِ.

ولقد ذكَر ابنُ الجوزيّ في «تلبيس إبليس» عَن الحسنِ قَالَ: كانَت شجرةٌ تُعبدُ مِن دونِ اللهِ، فجاءَ إليها رجلٌ فقَالَ: لأقطَعَنَّ هذهِ الشجرةَ، فجاءَ لِيقطَعَها غضباً للهِ، فَلَقِيهُ إبليسُ في صُورةِ إنسانٍ فقالَ: مَا تُريد؟ قالَ: أريدُ أن أقطعَ هَذهِ

الشجرةَ الَّتي تُعبدُ مِن دونِ اللهِ. قَالَ: إذا أنتَ لم تَعبُدْها فمَا يَضُرُّكَ مَن عَبَدَهَا. قَالَ: لأقطعَنَّها. فقالَ لهُ الشَّيطان: هل لكَ فيمَا هُوَ خيرٌ لَكَ؟ لا تَقْطَعهَا ولكَ ديناران كُلَّ يوم إذا أصبحتَ عندَ وسادَتِك.

قالَ: فَمِن أين لي ذلكَ؟ قال: لا عَليك.

فرجع فأصبحَ فوجدَ دِينارين عندَ وسادَتِهِ، فَلَم يَذْهَب لقطعِهَا. ثمَّ أصبحَ بَعْد ذلكَ فلم يجد شيئاً. فقامَ غضباً لِيَقْطَعها، فَتمَثَّل له الشيطانُ في صورتِهِ، وقالَ: مَا تريدُ؟ قال: أريدُ أن أقطعَ هذهِ الشجرةَ الَّتي تُعبَدُ مِن دونِ اللهِ تَعَالىٰ. قَالَ: كَذَبْتَ ما لَكَ إلىٰ ذلكَ مِن سبيل. فَذَهَب ليقطعها فضرَبَ بهِ الأرضَ وخَنَقَهُ حتَّىٰ كادَ أن يَقْتُلَهُ ثمَّ قالَ: أتدري مَن أنا؟ أنا الشَّيطانُ، جئتَ أوَّلَ مَرَّةٍ غَضَباً للهِ فَلَم يكُن لي عليكَ من سَبيل، فَخَدَعْتُكَ بالدِّينارين فَتركتَها، فَلَمَّا جئت غَضَباً للدِّينارين سُلِّطتُ عَلَيكَ.

③ المتابعةُ للرَّسول ﷺ:

إنَّ مِن أعظمِ مَا يُنْجِي مِن مكائِد الشَّيطان اتِّباع هَدْي الكتابِ والسُّنَّةِ، لأنَّ الشيطانَ حَرِيصٌ عَلىٰ صرفِ النَّاس عنهُما، ولذلكَ فإنَّ البدعةَ أحبّ إلىٰ الشيطانِ مِنَ المعصيةِ، ولذلكَ قَالَ سُفيان الثَّوري: البدعةُ أحبُّ إلىٰ إبليسَ مِن المعصيةِ، لأنَّ المعصيةَ يُتاب منها، والبدعةُ لا يُتاب مِنها.

◉ وقالَ أيُّوب السَّختياني: ما ازدادَ صاحبُ بدعةٍ اجتهاداً إلاَّ ازدادَ مِنَ اللهِ عَزَّ وجل بُعداً.

◉ وقالَ فُضيل بنُ عياض: مَن أحبَّ صاحِبَ بدعةٍ أحبطَ اللهُ عَمَلَهُ، وأخرَجَ نورَ الإسلام مِن قلبهِ، ومَن أعانَ صاحِبَ بدعةٍ فَقَد أعانَ علىٰ هَدْم الإسلام.

٤ الإحسان في العبادة وبخاصة الصلاة:

لما كانت الصَّلاةُ مِن أعظَم أركانِ الإسلام كانَ الشيطانُ حريصاً علىٰ صدّ النَّاس عنها وتركِهَا أو التَّهاون بهَا، ولذلكَ ورَدَ في الكتابِ والسُّنة ما يَدُلُّ عَلىٰ الاعتناءِ بشأنِ الصَّلاة.

قال تعالىٰ: ﴿قَد أفْلَحَ المُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُم فِي صَلاتِهِم خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

ولما سَألت عائشةُ رضي الله عنها رسولَ اللهِ ﷺ عَن الالتفاتِ في الصَّلاة قَالَ: «إنّمَا هُوَ اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ الشّيْطانُ مِن صَلاَةِ الْعَبْدِ». [رواه البخاري].

وعن أبي سَعيد الخدريّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُم يُصَلّي فَلاَ يَدَع أحَداً يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلْيَدْرَأْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإن أَبَىٰ فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»[1] [متفق عليه].

---

(١) قوله: (فليقاتله) أي: فليدفعه بالقهر، ولا يجوز قتله، كذا قال بعض علمائنا، وقال ابن حجر: فإن أبىٰ إلاَّ بقتاله، فليقاتله، وإن أفضىٰ إلىٰ قتله إياه، ومن ثمَّ جاء في رواية: «فإن أبىٰ فليقتله» قال ابن مالك: فإن قتله عملاً بظاهر الحديث، ففي العمد القصاص، وفي الخطأ الدية. وفيه دليل علىٰ أن العمل القليل لا يُبطل الصلاةَ، وقال القاضي عياض: فإن دفعه بما يجوز فهلَكَ، فلا قودَ عليه باتفاقِ العلماء، وهل يجب الدِّية أو يكون هدراً، فيه مذهبان للعلماء، وهما قولان في مذهب مالك: نقله الطيبي كذا في «المرقاة» وقال الزرقاني: أطلق جماعة من الشافعية أن له قتاله حقيقة، واستبعده في «القبس» وقال: المراد بالمقاتلة: المدافعة، وقال الباجي: يحتمل أن يريد فليلعنه كما قال تعالىٰ: ﴿قُتِلَ الخرَّاصون﴾ ويحتمل أن يريد يؤاخذه علىٰ ذلك بعد تمام صلاته ويوبِّخه.

وقيل: هو المبالغةُ في المدافعةِ لا القتال الحقيقي المفسد للصَّلاة، وهذا هو قولُ عامَّة العلماءِ خلافاً لبعض الشافعية.

وقوله: (فإنما هو شيطان) أي: فعله فعل شيطان، أو المراد شيطان الإنس، وفي رواية الإسماعيلي: «فإن معه الشيطانُ».

واستنبط منه ابن أبي جمرة بأنَّ المراد بقوله: (فليقاتله) المدافعة لأنَّ مقاتلَةَ الشَّيطان إنما هي بالاستعاذةِ والتَّسمية ونحوها. واللهُ تعالىٰ أعلمُ.

⑤ كثرة السجود:

اعلم أنَّ العبدَ المسلِمَ حينَ يُكثِرُ مِنَ الصَّلاةِ والسُّجود للهِ عَزَّ وَجَلَّ، فإنَّما يكونُ من ثمراتِ سجودِهِ وطاعتِهِ للهِ تعالىٰ الإذلالُ للشَّيطان والإضعاف لهُ والتَّحسير والبكاء، فَعَن أبي هُريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قَرأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ، أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّار». [رواه مسلم].

⑥ سجود السهو

وفي سُجود السَّهو أيضاً إذلالٌ للشَّيطان، لأنهُ كانَ حريصاً علىٰ إفسادِ صَلاةِ المرءِ، فجاءَ سُجُودُ السَّهو جابراً للصَّلاة مكملاً لَهَا، فيحزنُ الشَّيطان لذلكَ أشَدَّ الحزنِ، فَعَن أبي سعيدٍ الخدريّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُم فِي صَلاَتِهِ فَلَم يَدْرِ كَم صَلَّىٰ؟ ثَلاَثاً أم أَرْبَعاً؟ فَلْيَطْرَحِ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلَىٰ مَا اسْتَيْقَنَ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أن يُسَلِّمَ، فَإِن كَانَ صَلَّىٰ خَمْساً، شَفَعْنَ لَهُ صَلاَتَهُ، وَإِن كَانَ صَلَّىٰ إِتْمَاماً لأَرْبَعٍ، كَانَتَا تَرْغِيماً لِلشَّيْطَانِ». [رواه مسلم].

⑦ المحافظة علىٰ الصلوات، وخاصَّةً صلاة الفجر:

أخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ الشيطانَ يأتي إلىٰ المرءِ حالَ نَومِهِ، ويُرغِّبُهُ في الاستمرارِ في النَّوم وعدم الاستيقاظِ، ويَعْقِدُ لذلكَ ثلاثَ عُقَدٍ شيطانيةٍ عندَ رأسهِ، فكُلَّما همَّ الإنسانُ بالقيام ثَبَّطَهُ الشيطانُ عَن ذلكَ حتَّىٰ يفوِّتَ عليهِ أجر قِيام اللَّيل وذِكْر اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. عَن أنسٍ ﷺ قالَ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَعْقِد الشَّيْطَانُ عَلىٰ قَافِيَةِ رَأسِ أحَدِكُم، إذا هُوَ نَامَ، ثَلاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلىٰ كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُد، فإنِ اسْتَيْقَظَ، فَذَكَرَ الله تَعَالىٰ انحَلَّت عُقْدَةٌ، فإن تَوضَّأ، انحَلَّت

عُقْدَةٌ، فَإن صَلَّىٰ، انحَلَّت عُقدُهُ، فَأصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإلاَّ أصْبَحَ خَبِيْثَ النَّفْسِ كَسْلانَ»[١].

⑧ اللجوء إلىٰ الله تَعالىٰ والاستعاذة من الشَّيطان:

قال تعالىٰ: ﴿إذ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال: ١١] فالله عزَّ وَجَلَّ هو الَّذي يُنْجي العبادَ مِن وَسَاوسِ الشَّيطان ومكائِدِهِ، فينبغِي علىٰ العبدِ أن يَهْرَع إلىٰ جنابِهِ سبحانَهُ ويسألهُ العونَ والنّصرةَ والتأييد، حتَّىٰ يكونَ قادراً علىٰ التَّصدي لهذا العدوِّ الخبيثِ.

والاستعاذةُ باللهِ مِن الشَّيطانِ هي الالتجاءُ إلىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ والاستجارة بجَنَابِهِ مِنَ الشيطانِ الرَّجيم، وقَد أمرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بهَا في كثيرٍ من آياتِ الكتابِ العزيزِ. ومِن ذلكَ قولُهُ تعَالَىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

قال القرطبيُّ: ﴿فَاستَعِذ باللهِ﴾ أي: اطلُب النجاةَ مِن ذلكَ باللهِ. فأمَرَ تعَالىٰ أن يَدْفَعَ العبدُ الوسوسةَ بالالتجاءِ إليهِ والاستعاذة بهِ..

ولله المثلُ الأعلَىٰ، فلا يُستعاذ مِن الكلابِ إلاَّ بربِّ الكِلاب.

وقَد حُكِيَ عَن بعضِ السَّلفِ أنهُ قَالَ لتلميذِهِ: ما تَصْنَعُ بالشيطانِ إذا سَوَّلَ

١- (البخاري/١١٤٢، مسلم/٧٧٦). (قَافِيَةُ الرَّأسِ): آخِرُه. (ثلاث عقد) جمع عقدة ولعله أريد بها مَا يكون سبباً لثقل في الرأس يثبط النائم عن القيام ويجلب إليه النوم والكسل (يضرب علىٰ كل عقدة) أي بيده إحكاماً لها (ليلاً طويلاً) أي: اعتقد ليلاً طويلاً، ورُوي بالرفع أي: عليك ليل طويل ويمكن أَنَّهُ مفعول ليضرب علىٰ تقدير النصب أي: يضرب هذه الكلمة ويلزمها ويخيلها إلىٰ النائم (فإن صلىٰ) ولو ركعتين، وتخصيصه بالثَّلاث ليمنع كلّ عقدة من واحد من الأمور الثلاث أعني: الذِّكر والوضوء، والصَّلاة. والله تعالىٰ أعلم.

لكَ الخطايا؟ قالَ: أجاهِدُهُ. قَالَ: فإن عادَ؟ قالَ: أجاهِدُهُ. قالَ: فإن عـادَ؟ قـالَ: أجاهِدُهُ. قَالَ: هذا يطولُ، أرأيتَ لو مَرَرْتَ بِغَنَم فَنَبحَكَ كَلْبُهَا ومَنَعَكَ مِنَ العُبُورِ ما تَصْنَع؟ قَالَ: أكابِدُهُ وأردُّهُ جَهْدِي. قـالَ: هَـذا يطـولُ عليكَ، ولكِـن استَغِث بصاحبِ الغَنَم يكفُّهُ عَنْكَ.

أمَّا عَن مَواضع الاستعاذةِ، فَقَد بيَّنَ النبيُّ ﷺ كثيراً مِنَ المواضع الَّتي يتعَـوَّذ فيه مِنَ الشيطانِ ومن ذلكَ:

أ ـ في الصَّلاة:

عَن عُثْمَانَ بْنِ أبي الْعَاصِ ﷺ أَنَّهُ أتَى النَّبِيَّ ﷺ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ الشَّيْطَانَ قَد حَالَ بَيْنِي وبَيْنَ صَلاتِي وقِراءتي يُلَبِّسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ: خِنْزَبٌ، فَإذَا أحْسَسْتَهُ فَتعَوَّذ بِاللهِ مِنْهُ واتْفُل عَن يَسَارِكَ ثَلاثاً». قَالَ: ففَعَلْتُ ذلِكَ فأذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي. [رواه مسلم].

وعَن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ ﷺ: أَنَّهُ رَأَى رسولَ الله ﷺ يُصَلِّي صَلاةً. فقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالْحَمدُ للهِ كَثِيراً، والْحَمـدُ للهِ كَثِيراً، والْحَمدُ لله كَثِيراً، وسُبْحَان اللهِ بُكْرَةً وأَصِيـلاً ثَلاثاً. أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مِن نَفْخِهِ ونَفْثِهِ وهَمْزِهِ. قَالَ: نَفْثُهُ: الشِّعْرُ، ونَفْخُهُ: الْكِبْرُ، وهَمْزُهُ: الْمُوْتَةُ». [رواهُ أبو داود، وفيه ضعف].

ب ـ عند قراءة القرآن:

لقولِه تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ فَاسْتَعِذ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. أي: إذا أخذتَ في قراءتِه فَاستَعِذ باللهِ مِن أن يَعْرِضَ لكَ الشَّيطانُ فَيَصدَّكَ عَن تَدَبُّرِهِ والعَمَلِ بما فيهِ، وليسَ يُرِيدُ استَعِذ بعدَ القِراءةِ، بَل هُو

كقولِكَ: إذا أكَلْتَ فقُل: بسمِ اللهِ، أي: إذا أردتَ أن تأكُلَ. والمعنىٰ: أي: إذا أردتَ أن تَقْرَأ فاستعذ باللهِ تعالىٰ، فأوقَعَ الماضِي مَوقعَ المستَقْبَل. واللهُ أعلمُ.

ج ـ عندَ دخول الخلاء:

لحديث أنس ﷺ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يقولُ عِنْدَ دُخُولِ الخلاءِ: «اللَّهُمَّ إني أعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبثِ وَالخَبَائثِ». [متفق عليه].

و(الخبث) ذُكْرَانُ الشَّياطين. و(الخبائث): إناثُهُم.

وفي روايةٍ عندَ ابنِ السّني، عَن ابنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا دَخَلَ الخَلاءَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إني أعُوذُ بِكَ مِنَ الرِّجس النَّجِسِ الخَبِيثِ المُخْبِثِ: الشَّيْطانِ الرَّجِيم». [قال الحافظ: هذا حديث حسن غريب، وذكر له شواهد يعتضد بها].

د ـ عند الغضب:

الغضبُ: شعبةٌ من الجنونِ، وجَمْرَةٌ تَتَوَقَّد في القَلْبِ، إذا كانَ لغيرِ اللهِ..

عَن سُلَيْمانَ بْنِ صُرَد ﷺ قَالَ: كُنْتُ جَالِساً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلان يَسْتَبَّان، وَأحَدُهُمَا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَت أوْدَاجُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنِّي لأعْلَمُ كَلمَةً لَو قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَو قَالَ: أعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ذَهَبَ مِنْهُ مَا يَجِدُ». فَقَالُوا لَهُ: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَعوَّذ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[1].

---

١ ـ (البخاري/٣٨٨٢، مسلم/٢٦١٠) (يستبان) يشتم كل واحد منهما الآخر (أوداجه) جمع ودج، وهو عرق يكون علىٰ جانب العنق، وانتفاخها كناية عن شدة الغضب ودليلٌ عليه (ما يجد) أي: ما فيه من الغضب، وفي رِوَايَة الشيخين زيادة قال الرَّجُلُ (هل بي جنون) أي: حَتَّىٰ أتعوذ؟ قال النووي رحمه الله تعالىٰ: وأما قول هذا الرجل الَّذي اشتد غضبه: هل ترى بي من جنون؟ فهو كلام من لم يفقه في دين الله تعالىٰ، ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة، وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالجنون، ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان ولهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله، ويتكلم بالباطل ويفعل المذموم، وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح المترتبة علىٰ الغضب. ثم قال النووي: ويحتمل: أن هذا القائل كان من المنافقين أو من جفاة الأعراب، والله أعلم.

هـ ـ في الصباح والمساء:

لَقَد عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أبَا بكرٍ أن يَقُولَ إذا أصْبَحَ وإذا أمْسَىٰ، فيما رواه الترمذيُّ: أنَّ أبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! عَلِّمْنِي مَا أقُولُ إذَا أصْبَحْتُ وإذَا أمْسَيْتُ، فقَالَ ﷺ: «يا أبَا بَكْرٍ! قُل: اللَّهمَّ فَاطِرَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ لا إلَهَ إلاَّ أنْتَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ نَفْسِي، ومِن شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأن أقْتَرِفَ عَلَىٰ نَفْسِي سُوءاً، أو أجُرَّهُ إلىٰ مُسْلِمٍ». [صحيح].

وعَن عبدِ اللهِ بنِ خبيب ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا في لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ الله ﷺ يُصَلِّي لَنَا، قَالَ: فأدْرَكْتُهُ فقَالَ: «قُلْ» فَلَم أقُل شَيْئاً، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَلَم أقُل شَيْئاً، قَالَ: «قُلْ» قُلْتُ: مَا أقُولُ؟! قَالَ: «قُلْ: ﴿هُوَ اللهُ أحَدٌ﴾ وَ﴿المُعَوِّذَتَيْنِ﴾ حِينَ تُمْسِي وتُصْبِحُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِن كُلِّ شَيْءٍ».
[حسن: رواه الترمذيُّ وغيرُه].

وعن أبَان بنِ عُثْمانَ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمانَ ـ يَعني ابنَ عفَّانَ ـ ﷺ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «مَن قَالَ بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَم تُصِبْهُ فَجْأةُ بَلاءٍ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَمَن قالَها حِينَ يُصْبِحُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ لَم تُصِبْهُ فَجْأةُ بَلاءٍ حتَّىٰ يُمْسِيَ.

قَالَ الرَّاوي: فأصَابَ أبَانَ بنَ عُثْمانَ الْفَالِجُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنظُرُ إلَيْهِ، فقَالَ لَهُ: ما لَكَ تَنْظُرُ إلَيَّ فَوَ اللهِ ما كَذَبْتُ عَلَىٰ عُثْمانَ ولا كَذَبَ عُثْمانُ عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ ولَكِنَّ اليومَ الَّذِي أصَابَنِي فيه ما أصَابَنِي غَضِبْتُ فَنَسِيتُ أَن أَقُولَهَا». [صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، وابنُ ماجه].

و ـ عند نزول المنزل:

عَن خَولةَ بنتِ حَكيمٍ ﵂ قالَت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَن نَزلَ مَنزِلاً ثُمَّ قالَ: أعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ، لَم يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِن مَنزِلِه ذلِكَ»(١).

وعَنِ ابْنِ عمرَ ﵄ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ إذا سَافَرَ فَأقْبَلَ اللَّيْلُ قَالَ: «يَا أرْضُ رَبِّي وَرَبُّكِ اللهُ، أعُوذُ بِاللهِ مِن شَرِّكِ وَشَرِّ مَا فِيكِ، وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكِ، وَشَرِّ مَا يَدبُّ عَلَيْكِ، أعُوذُ باللهِ مِن شَرِّ أسَدٍ وَأسْوَدٍ، وَمِنَ الحَيَّةِ وَالعَقرَبِ، وَمِن سَاكِنِ البلَدِ، وَمِن وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ». [رَوَاهُ أبو داود].

(وَالأسْوَدُ): الشَّخص، قَالَ الخَطَّابِيُّ: (وسَاكِن البَلدِ): هُمُ الجِنُّ الَّذِينَ هُم سُكَّانُ الأرْضِ. قَالَ: وَالبَلَدُ مِنَ الأرْضِ: مَا كَانَ مَأوَى الحَيوانِ، وإن لَم يَكُن فِيهِ بِنَاءٌ وَمَنَازِل. قَالَ: وَيحتَمِلُ أنَّ المرَادَ (بِالوَالِدِ): إبليسُ (وَما وَلَدَ): الشَّيَاطِينُ.

وهذا يَشمَل النُّزُول في الأماكِنِ المهجورةِ والوديان والاستراحاتِ الَّتي تكونُ علىٰ جوانبِ الطُّرُق السَّريعة والبراري وغير ذلكَ، وينبَغِي أن يُدرَّب الأطفالُ علىٰ حِفْظِ هذا الذِّكْرِ، ويُذَكَّرُوا بهِ كُلَّما نَزَلُوا مثلَ هذهِ المنازِلَ.

ز ـ عند سماع نهيق الحمار ونباح الكلاب:

عَن أبِي هُرَيْرَةَ، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إذَا سَمِعْتُم صِيَاحَ الدِّيكَةِ، فَاسْأَلُوا اللهَ مِن فَضْلِهِ، فَإنَّهَا رَأت مَلَكاً، وَإذَا سَمِعْتُم نَهِيقَ الْحِمَارِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإنَّهَا رَأت شَيْطَاناً».

---

١ ـ (مسلم/٢٧٠٨). (أعوذ بكلمات الله التامات) أي: الجامعات الكاملات، وهي الآيات القرآنية المشتملة علىٰ المعجزات، وهي التَّامَّة، الكافيات للبليَّات والآفاتِ.

وعَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُم نُبَاحَ الكِلابِ، ونُهَاقَ الحَمِيرِ مِن اللَّيْلِ، فَتعَوَّذُوا بِاللهِ، فَإِنَّهَا تَرَى مَا لا تَرَوْنَ، وَأَقِلُّوا الخُرُوجَ إِذَا هَدَأَت الرِّجْلُ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يَبُثُّ فِي لَيْلِهِ مِن خَلْقِهِ مَا شَاءَ، وَأَجِيفُوا الأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَفْتَحُ بَابًا أُجِيفَ وَذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَوْكِئُوا الأَسْقِيَةَ، وَغَطُّوا الجِرَارَ، وَأَكْفِئُوا الآنِيَةَ»(١).

[حسن: رواه أحمد].

حـ- عند التشكيك في العقيدة:

عَن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يأتِي الشَّيطَانُ أحَدَكُم فَيَقُولُ: مَن خَلَقَ كَذَا، مَن خَلَقَ كَذَا، حتَّىٰ يَقُولَ: مَن خَلَقَ رَبَّكَ؟ فإذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذ بالله وَلْيَنْتَهِ» وفي رواية في الصَّحيح أيضاً قَالَ ﷺ: «لا يَزَالُ النَّاسُ يَتَساءلُونَ حتَّىٰ يُقالَ هَذَا: خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فَمَن خَلَقَ اللهَ؟ فَمَن وَجَدَ مِن ذلكَ شَيْئاً فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ باللهِ وَرُسُلِهِ». [متفق عليه].

وفي روايةٍ: قال ﷺ: «يُوشِكُ النَّاسُ يَتَسَاءلُونَ، حَتَّىٰ يَقُولَ قَائِلُهُم: هَذَا اللهُ خَلَقَ الخَلْقَ فَمَن خَلَقَ اللهَ؟ فإذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: ﴿اللهُ أَحَدٌ ۝ اللهُ الصَّمَدُ ۝ لَم يَلِد وَلَم يُولَد ۝ وَلَم يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ ثُمَّ لِيَتْفِل عَن يَسَارِهِ ثَلاثاً وَلْيَسْتَعِذ مِنَ الشَّيْطَانِ». [حسن: رواه أبو داود].

وفي روايةٍ عند أحمد، عَن مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: تَمَنَّيْتُ أن أَكُونَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَاذَا يُنْجِينا مِمَّا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي أَنْفُسِنَا؟

١- قوله: (بالليل) أي: في بعض أجزاءِ اللَّيل. (فإنّهن يرين مـالا ترون) أي: من الآفاتِ والنَّوازل النازله من السَّماء. (أقلوا الخروج) أي: من البيوت (بعد هدأة الرِّجل) قال الخطابي: أي: بعد انقطاع الأرجل عن المشي في الطريق ليلاً وأصل الهدء السكون (يبثهن) أي: ينشرهن ويفرقـهن (في تلك الساعة) أي: ساعة هدأة الأرجل.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: قَد سَأَلْتُهُ عَن ذَلِكَ، فَقَالَ: «يُنْجِيكُم مِن ذَلِكَ أن تَقُولُوا مَا أَمَرْتُ عَمِّي أن يَقُلْهُ». [صحيح لغيره: رواه أحمد].

ط ـ عند الجماع:

● عَن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَو أَنَّ أَحَدَكُم إِذَا أَرَادَ أن يَأْتِيَ أَهْلَهُ فَقَالَ بِاسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَإِنَّهُ إِن يُقَدَّر بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَم يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا». [متفق عليه].

قال المناوي في «الفيض»: قوله: (بسم الله اللّهم) أي: يا الله (جنبنا الشَّيطان) أي: أبعده عنَّا (وجَنِّب الشَّيطان ما رزقتنا) من الأولادِ أو أعمَّ، والحمل عليه أتمّ لئلا يذهب الوهمُ في أنَّ الإنس منهم لا يُسن له الإتيان بهِ، إذ العلةُ ليست حدوث الولد فَحَسبُ، بل هو إبعادُ الشَّيطان حتىٰ لا يشاركه في جِماعِهِ، فَقَد وردَ أنَّه يلتَفّ علىٰ إحليلِهِ إذا لم يُسَمّ. واللهُ تعالىٰ أعلم.

ي ـ عند النوم:

عن عائشةَ ﷺ: «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كَانَ إذا أخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ في يَدَيْهِ، وَقَرَأَ بالْمُعَوِّذَاتِ وَمَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ»(1). [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

وفي رواية لهما: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إذَا أوَى إلىٰ فراشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فيهما فَقرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُل هُوَ الله أَحَدٌ﴾ و﴿قُل أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ و﴿قُل أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا مَا اسْتَطاعَ مِن جَسَدِهِ، يَبْدَأ بِهِمَا عَلىٰ رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقبَلَ مِن جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

---

١ - (البخاري/٦٣١٩، مسلم/٢١٩٢). (بالمعوذات) بسورتي الفلق والناس. وقيل: يضم إليهما سورة الإخلاص.

ك ـ عند الرؤيا السَّيئة:

عن أبي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الرُّؤيَا الصَّالِحَةُ ـ وفي رِوَايَةٍ: الرُّؤيَا الحَسَنَةُ ـ مِنَ اللهِ، والحُلمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَن رَأى شَيئاً يَكرَهُهُ فَلينْفُث عَن شِمَالِهِ ثَلاثاً، وليَتَعَوَّذ مِنَ الشَّيطَانِ فإنَّها لا تَضُرُّهُ». [متفق عليه].

وفي رواية: «وَلْيَتَحَوَّل عَن جَنْبِهِ الَّذي كَانَ عَلَيْهِ». [رواه مسلم].

وفي رواية: وَإِن رَأى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتفل عَن يَسَارِهِ ثَلاثاً، وَلْيَتَعَوَّذ بِاللّهِ مِن شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا، وَلاَ يُحَدِّث بِهَا أحَداً فَإنَّهَا لَن تَضُرَّهُ». [رواه مسلم].

⑨ ذكر الله عزَّ وجلَّ:

اعلم أنَّ ذِكْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن أعظم الأسلحةِ الَّتي يَعْتَصِمُ بِهَا العبدُ مِن الشيطانِ، فاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يقولُ: ﴿فَاذْكُرُونِي أذْكُرْكُم﴾ [البقرة: ١٥٢] ويا سعادة مَن يذكرُهُ الرَّبُّ تبارَكَ وتعَالىٰ، إنَّه يذكرُهُ بالنّصرةِ والتأييدِ والحِفْظِ والرِّعايةِ والمعيَّةِ والكفايةِ مِن كلِّ مَا يسوءُ ويحزنُ.

وفي حديثِ الحارثِ الأشعريِّ ﷺ قال: قالَ ﷺ: «إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أمَرَ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلام بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أن يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأن يَأْمُرَ بَنِي إسْرَائِيلَ أن يَعْمَلُوا بِهِنَّ..» إلىٰ أن قال: «وآمُرُكُم بِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرًا، وَإنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ العَدُوُّ سِرَاعًا فِي أثَرِهِ، فَأتَىٰ حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإنَّ العَبْدَ أحْصَنُ مَا يَكُونُ مِن الشَّيْطَانِ إذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».
[صحيح: رواه أحمد].

وهذا الحديثُ يَدُلُّ علىٰ قُوَّةِ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وتسبُّبِهِ في حِفْظِ العَبْدِ مِن كيدِ الشيطانِ ومكرِهِ. ولذلكَ أرشَدَ النبيُّ ﷺ إلىٰ استعمالِ الذِّكْرِ في كلِّ أمرٍ مِنَ الأمورِ

كما تقدَّم حتَّىٰ عنـدَ دُخُولِ الخلاءِ والخروج منه، وعنـدَ جِمَاع الزَّوجة، وعند لبسِ الثِّياب، وعند ركوبِ الدَّابة، وعندَ دُخُولِ المنزلِ والخروج منهُ، ومـا كَثرت الأمراضِ النَّفسية والوساوس والصَّرع والمسِّ والجنـون إلاَّ مِنَ التَّفريط في جانبِ الذِّكْرِ والغَفْلَةِ الشَّديدةِ عَن هذا السِّلاح القَويّ.

(١٠) تقوىٰ الله عزَّ وجل:

فالتَّقوى مِن أعظَم الأسبابِ الَّتي تدفع شَرَّ الشَّياطين وأعوانهم مِنَ الإنسِ والجنِّ، وقَد بيَّنَ اللهُ تَبارَكَ وتَعَالىٰ أنَّ النَّجاةَ في استعمالِ التَّقوى، قـالَ سبحَانَهُ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُم كَيْدُهُم شَيْئاً﴾ [آل عمران: ١٢٠].

ولقد بيَّن سبحانَهُ وتعالىٰ أنَّهُ مَع المتَّقين فَقَالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. ومَن كانَ اللهُ مَعَهُ لم يَسْتَطع أحدٌ مِنَ الجنِّ والأنسِ أن يُصِيبَهُ بمكروهٍ إلاَّ مَا قَدَّرَهُ اللهُ لَهُ.

وفي الحديثِ الذي رواهُ الترمذيُّ، عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبيِّ ﷺ يوماً فقَالَ: «يَا غُلامُ إنِّي أعَلِّمُـكَ كَلِمَاتٍ: احفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذَا سَأَلْتَ فَاسْألِ اللهَ، وَإذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِن باللهِ، وَاعْلَمْ: أنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَت عَلَىٰ أن يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَم ينْفَعُوكَ إلاَّ بشَيْءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإنِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أن يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَم يَضُرُّوكَ إلاَّ بشَيْءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[1].

---

١ - (الترمذي/٢٥١٨). (احفظ الله) أي: في أمره ونهيه (يحفظك) أي: يحفظك في الدنيا من الآفات والمكروهات، وفي العقبىٰ من أنواع العقاب والدركات (احفظ الله تجده تجاهك) قال الطيبي: أي: راع حق الله وتحرّ رضاه تجده تجاهك أي: مقابلك وحذائك، أي: احفظ حقَّ الله تعالىٰ حتَّىٰ يحفظك اللهُ مِن مكاره الدنيا والآخرة (إذا سألت) أي: أردت السؤال (فاسأل الله) أي: وحده لأنَّ غيره غير قادر علىٰ الإعطاء والمنع ودفع الضرر وجلب النفع (وإذا استعنت) أي: أردت الاستعانة في الطاعة وغيرها من=

فأهل التَّقوى هُم أهلُ النَّجاة مِن شياطينِ الإنسِ والجنِّ، وهُم أهلُ الفوْزِ والفَلاح والسَّعادةِ في الدُّنيا والآخرةِ. قَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَاصْبِر إِنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

(١١) قراءة القرآن:

اعلم أنَّ قِراءة القرآنِ مِن أعظم أنواع الذِّكْر، وهِي أيضاً مِن أعظَم أسبابِ حِفْظِ العبدِ مِنَ الشَّيطانِ. قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ القُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً ۝ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِم وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القُرآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم نُفُوراً﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦] ولأنَّ القرآنَ يَدْعُو إِلىٰ الهُدَى والإيمان، فإنَّ الشيطانَ كانَ يصرفُ أتباعَهُ عَن سماع آياتِه والإعراض عنها. قالَ تَعَالىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا القُرآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُم تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] ولذلكَ فإنَّ القرآنَ لا يَزِيدُ هؤلاءِ إلاَّ عناداً واستكباراً. قالَ تَعَالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً﴾ [الإسراء: ٨٢].

وتقدَّم أنَّ النبيَّ ﷺ أخبرَ قائلاً: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُم مَقَابِرَ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِن الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ».

وقَالَ ﷺ: «مَن قَرَأَ الآيَتَيْنِ مِن آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ» [متفق عليه].

ومعناه: أي: كفَتَاهُ المَكْروهَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وقِيلَ: كفَتَاهُ مِن قِيَامِ اللَّيْلِ.

وقَالَ ﷺ: «إنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أن يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بِأَلْفَي عَامٍ أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلا يُقْرآنِ فِي دَارٍ ثَلاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا

=أمور الدنيا والآخرة (فاستعن بالله) فإنه المستعان وعليه التكلان (رفعت الأقلام وجفت الصحف) أي: كتب في اللوح المحفوظ ما كتب من التقديرات ولا يكتب بعد الفراغ منه شيء آخر، فعبر عن سبق القضاء والقدر برفع القلم وجفاف الصحيفة تشبيهاً بفراغ الكاتب في الشاهد من كتابته. والله تعالىٰ أعلم.

شَيْطَانٌ». [رواه الترمذي، وهو صحيح].

◉ أمَّا فَضْل آيةِ الكُرسيِّ عندَ النَّوم، فهو الحفظ من كلِّ الشيطان حتىٰ الصباح.. فَعَن أبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: وكَّلَني رسولُ الله ﷺ بحِفْظِ زكَاةِ رَمَضَانَ، فَأتَاني آتٍ فَجعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأرْفَعَنَّكَ إلىٰ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: إنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَليَّ عِيَالٌ، وَبِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأصْبَحْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟».

قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً وَعِيالاً، فَرَحِمْتُه، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ.

فَقَالَ: «أمَا إنهُ قَد كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ» فَعَرَفْتُ أنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ: فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَقُلْتُ: لأرْفَعَنَّكَ إلىٰ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: دَعْنِي فَإنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لا أعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «يَا أبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً وَعِيَالاً، فَرَحِمْتُه، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: «إنَّهُ قَد كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ» فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ. فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لأرْفَعَنَّكَ إلىٰ رَسُولِ الله ﷺ وَهذا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ، أنَّكَ تَزْعُمُ أنَّكَ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ! فَقَالَ: دَعْنِي فَإنِّي أعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَ: إذا أوَيْتَ إلىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، فَإنَّهُ لَن يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا فَعَلَ أسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟»

قُلْت: يا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ أنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَه قَالَ: «مَا هِيَ؟» قُلْتُ: قَالَ لِي إذا أوَيْتَ إلىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِن أوَّلِها

حَتَّىٰ تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿اللهُ لا إلـه إلاَّ هُوَ الحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وَقَالَ لي: لا يَزَالُ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلَن يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أمَا إِنَّهُ قَد صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَن تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قلت: لا، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ». [رواه البخاري].

(١٢) الوضوء والجلوس عندَ الغَضب:

لَمَّا كانَ الشيطانُ مخلُوقاً مِن نَارٍ كانَ للوضوءِ تأثيرٌ في طردِ الشَّيطان وإطفاءِ نَارِ كيدِهِ وإذهابِ سَوْرَةِ الغَضَبِ عَن العبدِ، فعن أبي وَائِلٍ الْقَاصّ، قالَ: دخَلْنَا عَلَىٰ عُرْوَةَ بن مُحَمَّدِ بن السَّعْدِيِّ فَكَلَّمَهُ رَجُلٌ فأَغْضَبَهُ فقَامَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَجَعَ وَقَد تَوَضَّأَ فقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عن جَدِّي عَطِيَّة قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بالماءِ، فإذَا غَضِبَ أَحَدُكُم فَلْيَتَوَضَّأْ». [ضعيف: رواه أبو داود].

عَن أَبِي الأَسْوَدِ عَن أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: كَانَ يَسْقِي عَلَىٰ حَوْضٍ لَهُ، فَجَاء قَوْمٌ فَقَالَ: أَيُّكُم يُورِدُ عَلَىٰ أَبِي ذَرٍّ وَيَحْتَسِبُ شَعَرَاتٍ مِن رَأْسِهِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، فَجَاء الرَّجُلُ فَأَوْرَدَ عَلَيْهِ الحَوْضَ فَدَقَّهُ، وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ قَائِمًا فَجَلَسَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، لِمَ جَلَسْتَ، ثُمَّ اضْطَجَعْتَ؟ قَالَ: فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَنَا: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُم وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِن ذَهَبَ عَنْهُ الغَضَبُ وَإِلاَّ فَلْيَضْطَجِعْ». [رواه أحمد].

(١٣) التوبة والاستغفارُ:

مِن فَضْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ علىٰ عبادِهِ أن فَتَحَ لَهُم بابَ التَّوبةِ، ولَـم يُقَنِّطهم مِن رحمتِهِ، ولم يتركهُم فريسةً للشَّيطان بسببِ ذُنُوبِهِم ومَعَاصِيهِم، فَهُو سبحانَهُ

يَقْبَلُ تَوبَةَ التَّائبين ودُمُوعَ العصاةِ والمذنبين، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥] والشيطانُ يُريد إضلالَ العَبْدِ وفِتْنَتَهُ بالشَّهوات كمَا قَالَ سُبحانَهُ وتعالىٰ: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أن يَتُوبَ عَلَيْكُم وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ [النساء آية: ٢٧].

ولما كانَ الإنسانُ عُرضَةً للوقوع في الذُّنوب والمخالفَات بسببِ كَيْدِ الشَّيطانِ ووسوتِهِ فَتَحَ اللهُ بَابَ التَّوبة والأنابةِ ليَتَطَهَّرَ المذنبُ مِن ذُنُوبِهِ، وليكونَ ذلكَ إذلالاً للشَّيطان وترغيماً لَهُ، قالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُم طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وقَد تقدَّم حَديثُ أبي سَعيدٍ رضي الله عنه عَن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَت أَرْوَاحُهُم فِي أَجْسَادِهِمْ. فقَالَ الرَّبُّ تعالىٰ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي لا أَزَالُ أَغفِرُ لَهُم مَا اسْتَغْفَرُونِي». [حسن: أحمد].

وحديث أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقُول: «قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلىٰ مَا كَانَ مِنكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَو بَلَغَت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السماءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غفَرتُ لَكَ وَلا أبالي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِي بِقُرابِ الأرضِ خطايا، ثُمَّ لَقِيْتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً». [رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ. وقال: حديثٌ حسنٌ].

(عَنَانُ السماءِ) قيل: هو ما عَنَّ لَكَ منها، أي: ظَهَرَ إذَا رفعْتَ رَأسَكَ، وقيلَ: هو السَّحَاب. (وقُرَاب الأرض) هو: مَا يُقارِبُ مِلأَهَا، واللهُ أعلمُ.

(١٤) تطهير البيوت وحفظها:

يجبُ علىٰ المسلم أن يُطَهِّرَ بَيْتَهُ مِن آلاتِ اللَّهو والصُّورِ المحرَّمةِ والتَّماثيل

والتَّصاليب والكِلاب وغير ذلكَ ممَّا وردَ فيهِ النهيُّ، ويدخُل في ذلكَ تَطهير البيتِ مِنَ الغِناءِ، فقَد قالَ مجاهِد في قولِهِ تَعالىٰ: ﴿واسْتَفزِز مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] قالَ: صوتُ الشَّيطان: الغناء.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في (صحيحه) قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَيَكُونَنَّ مِن أمَّتِي أقْوَامٌ يَستَحِلُّونَ الحِر وَالحَرِيرَ وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أقوَامٌ إِلىٰ جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِم بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأتِيهِم - يَعْنِي الفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولوا: ارْجِع إِلَيْنَا غَداً فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ».

◉ ومِن ذلكَ أيضاً: تَطهير البيتِ مِنَ الأجراسِ الموسيقيةِ أو الَّتي تُشْبِهُ نواقيسَ النَّصارى، لحديثِ أبي هريرةَ ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «الجرسُ مَزَامِيرُ الشَّيطانِ» [رواه مسلم].

◉ وقَالَ ﷺ: «لاَ تَصْحَبُ المَلائِكَةُ رُفقَةً فِيهَا كَلْبٌ أو جَرَسٌ». [رواه مسلم].

◉ ومِن تَطهير البيوتِ وحِفظهَا مَا أرشدَ إليهِ النَّبي ﷺ فَقَالَ: «أقِلُّوا الخُرُوجَ إِذَا هَدَأت الرِّجْلُ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبُثُّ فِي لَيْلِهِ مِن خَلْقِهِ مَا شَاءَ، وَأَجِيفُوا الأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَفْتَحُ بَابًا أُجِيفَ وَذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَوْكِئُوا الأَسْقِيَةَ، وَغَطُّوا الجِرَارَ، وَأَكْفِئُوا الآنِيَةَ»(١). [حسن: رواه أحمد].

◉ ومِن حِفْظِ البيوتِ أيضاً: صَلاةُ النَّوافِلِ فيهَا، وكثرَة تِلاوةِ القُرآن فيهَا،

١- قوله: (بالليل) أي: في بعض أجزاءِ اللَّيل. (فإنَّهن يرين مـالا ترون) أي: من الآفاتِ والنَّوازل النازله من السَّماء. (أقلوا الخروج) أي: من البيوت (بعد هدأة الرِّجل) قال الخطابي: أي: بعد انقطاع الأرجل عن المشي في الطريق ليلاً وأصل الهدء السكون (يبثهن) أي: ينشرهن ويفرقهن (في تلك الساعة) أي: ساعة هدأة الأرجل.

فإنَّ الشيطانَ يَنْفِرُ مِنَ البيتِ الَّذي يُقْرأ فيهِ القُرآن، كمَا قَالَ ﷺ: «إنَّ لكلِّ شيءٍ سَنَاماً، وإنَّ سَنَامَ القُرْآنِ، سُوْرَةُ البقرةِ، من قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ ليلاً لم يدخلهُ شَّيطانٌ ثلاثَ لَيالٍ، ومن قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ نَهاراً، لم يدخلهُ شيطانٌ ثَلاثَةَ أيامٍ». [رواه ابنُ حبان في صحيحه، وأبو يعلىٰ في مسنده].

(١٥) تحصين الأهل والأولاد:

عَن عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بن العاص رضي الله عنهما عَن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إذَا تَزوَّجَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً أَوِ اشْتَرَى خَادِماً فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ ما جَبَلْتَها عَلَيْهِ، وأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّهَا وَمِن شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيراً فَلْيَأْخُذ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُل مِثْلَ ذلِكَ». [حسن: رواه أبو داود].

◉ وعَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ وَيَقُولُ: إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِن كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِن كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ». [رواه البخاري].

◉ ومِن تحصِينِ الأولادِ مِنَ الشَّيطان استحباب التَّأذين في أذنِ المولودِ يَومَ ولادَتِهِ لحديثِ أبي رَافع رضي الله عنه قَالَ: «رأيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ أذَّنَ في أُذُنِ الحَسنِ بن عليٍّ حينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمةُ بالصَّلاةِ». [رواه الترمذي].

قالَ ابنُ القَيِّم: (وسرُّ التأذينِ - واللهُ أعلَمُ - أن يكونَ أوّل مَا يَقْرَع سَمْعَ الإنسانِ كَلِمَاتُهُ المتضمِّنة لكبرياءِ الرَّبِّ وعظمَتِهِ.. مَع مَا في ذلكَ مِن فائدةٍ أُخْرى وهي هُرُوبُ الشَّيطانِ مِن كلماتِ الأذان، وهو كانَ يَرصُدُ حَتَّىٰ يُولَد فيُقارنه للمحنةِ الَّتي قدَّرهَا اللهُ وشاءهَا، فَيَسْمَع شيطانُهُ مَا يُضعفُهُ ويغيظُهُ أوّل أوقاتِ تَعَلُّقه بِهِ.

وفيهِ معنىٰ آخَر: وهُو أن تكونَ دَعْوَتُهُ إلىٰ اللهِ وإلىٰ دِينِ الإسلام وإلىٰ عِبَادَتِهِ سابقةً علىٰ دعوةِ الشَّيطان.

◉ ومن تَحْصِين الأبناءِ ضِدَّ الشَّيطان عَدَم تَركِ الصِّبيان في الطُّرقاتِ والشَّوارع إذا دخلَ اللَّيل، فإنَّ الشَّياطينَ تَنْتَشِرُ في هذا الوقتِ. فَعن جابِر ﷺ عَن النَّبِي ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ - أو أمْسَيْتُم - فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإنَّ الشَّيْطَانَ يَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وأغْلِقُوا الأَبْوَابَ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَفْتَحُ بَاباً مُغْلَقاً، وأوْكُوا قِرَبَكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، وَلَو أن تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيئاً، وأطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ». [متفق عليه].

وفي روايةٍ لمسلم: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تُرْسِلُوا فَوَاشِيَكُم وَصِبْيَانَكُم إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّىٰ تَذهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ، فَإنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْبَعِثُ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّىٰ تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ».

قولُهُ: (لا تُرْسِلُوا فواشيكُم وصِبيَانكُم..) قالَ أهلُ اللُّغةِ: الفَواشي كلّ مُنتشرٍ مِنَ المالِ كالإبل والغَنَم وسائِرِ البَهَائِم وغيرِهَا. وهِي جمعُ فاشية، لأنَّها تَفْشُو، أي: تَنْتَشِرُ في الأرضِ.

(فحمةُ العشَاءِ) أي: ظلمَتُها وسوادُهَا. ويُقالُ للظلمةِ التي بينَ صَلاتي المغرب والعشاء: الفحمةُ. وللَّتي بينَ العشاءِ والفَجْرِ: العَسْعَسَةُ.

(١٦) غضُّ البصر:

فالشيطانُ قَد يَستَخْدِم بَصَرَ الإنسانِ في النَّظر إلىٰ مَا لا يحلُّ لَهُ مِنَ النِّساء الفاتِنَاتِ، فيكون ذلكَ ذَريعةً إلىٰ ارتكَابِ مَا هُوَ أعظَم، فَعَلىٰ اللَّبيب أن يُغْلِقَ

هذا البَاب، وأن يحفَظَ بَصَرَهُ عَن مُتَابَعَةِ النِّساء في الطُّرقاتِ والأسواق. فَعَن عليٍّ ﷺ قَالَ: أَرْدَفَ النبيُّ ﷺ الفَضْلَ، وَسَارَ حَتَّىٰ أتَىٰ الجَمْرَةَ فَرمَاهَا، ثُمَّ أتَىٰ المَنْحَرَ، فَقَالَ: «هَذَا المَنْحَرُ، وَمِنًى كُلُّهَا مَنْحَرٌ». قَالَ: وَاسْتَفْتَتْهُ جَارِيَةٌ شَابَّةٌ مِن خَثْعَمَ، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ قَد أَفْنَدَ، وَقَد أدرَكَتْهُ فَرِيضَةُ اللهِ فِي الحَجِّ، فَهَل يُجْزِئُ عَنْهُ أن أُؤَدِّيَ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَأَدِّي عَن أبِيكِ». قَالَ: وَقَد لَوَى عُنُقَ الفَضْلِ، فَقَالَ لَهُ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ لَوَيْتَ عُنُقَ ابْنِ عَمِّكَ؟ قَالَ: «رَأَيْتُ شَابًّا وَشَابَّةً فَلَم آمَنِ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمَا». [رواه أحمد].

◉ وإنَّ مِن أسبابِ غَضِّ البَصَر أن يَعْتَزِلَ الإنسانُ مَا استطَاع الأماكِنَ الَّتي يكون فيهَا اختلاطٌ بينَ الرِّجالِ والنِّساء، كالأسواقِ مثلاً، وقَد قَالَ سَلمَانُ الفارسيّ ﷺ: «لا تكُونَنَّ إنِ اسْتَطَعْتَ أوَّلَ مَن يَدْخُلُ السُّوقَ، ولا آخِرَ مَن يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصُبُ رَايتَهُ» [رواه مسلم].

واعلم أنَّ لُغَة العيونِ تُعَدُّ مِن أبلغ اللُّغَاتِ، وقَد تُغْني كثيراً عَنِ اللِّسان، بَل إنَّ العيونَ لها كلامٌ تنطقُ بهِ هُو أقوى مِنَ اللِّسان فهي تَتَجَاوَزُ حدودَ اللُّغات واللَّهجاتِ بِلُغَةٍ صامِتَةٍ لها مَفْعُولُ السِّحرِ في كثيرٍ مِنَ الأحيانِ.

نعم إنَّ العيونَ تتكَلَّمُ، وإنَّ نظرةً واحدةً يَخْتَلِفُ حالُها وتعبيرُها، فهذِهِ نظرةُ إعجابٍ، وهَذِهِ نَظْرَةُ سخريةٍ، وهذه نظرةُ غضبٍ، وغير ذلك مِمَّا يَفْهَمُهُ النَّاسُ بعضُهُم مِن بعض مِن حَديثِ العيونِ دُونَ حاجةٍ إلىٰ إفصَاح اللِّسانِ.

وإنَّك لَتَعْرِفُ مِنَ الشَّخصِ أنّه غارقٌ في الخيالِ مِن خلالِ عَينيهِ، وتَعْرِفُ خَوْفَهُ مِن عَينَيهِ، وتَعْرِفُ حُبَّهُ مِن عَينَيهِ، والحياءُ أيضاً يُعرفُ في العينينِ، وكذلكَ الفرحُ والسُّرُورُ في العينينِ، والخيانَةُ تُعْرفُ أيضاً في العينينِ قَالَ تَعَالىٰ: ﴿يَعْلَمُ

خَائِنَةَ الأعينِ ومَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩] وتتميَّز لغةُ العيونِ بأنَّها سَريعةُ الوصُولِ مِن الْمُرْسِلِ إلىٰ الْمُسْتَقْبِلِ، قَوِّية الأثَرِ، وهي مَعَ ذلكَ قَصيرة الوَقْتِ إذ قد لا تَسْتَغْرق ثَواني مَعْدُودة، ومَع ذلكَ تَنفُذُ إلىٰ القَلْبِ فَهي سهمٌ لا يُخطِئُ أبداً ورسالةٌ أبلَغُ في التَّأثيرِ منَ السِّحرِ، ولأَجْلِ ذلكَ فقد وضَعَ الإسلامُ الضَّوابطَ للنَّظر إذ أنَّ إطلاقَ المرءِ لبَصَرِه دونَ حُدُودٍ أو ضَوابِطَ يُؤدِّي به إلىٰ القَلَقِ والحسرَةِ والنَّدامَةِ.

ولَقَد أمرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الرِّجالَ وَالنِّساءَ بِغَضِّ البصرِ قالَ تَعالىٰ: ﴿قُل لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِن أَبْصَارِهِم وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُم ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُم إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُل لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِن أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْها..﴾ [النور:٣١].

فكمَا يجبُ علىٰ الرَّجُل أن يَغُضَّ مِن بَصَرِه عَمَّا حرَّمَ اللهُ، فكَذلكَ المرأةُ أيضاً عليها أن تَحْفَظَ نَظَرَها وتَغُضَّ مِن بصَرِها عَن الرِّجَالِ الأجانِبِ، وقَد بَيَّنَ الإسلامُ حُدُودَ نَظَرِ الفجأةِ، فَالنَّظرَةُ الأولىٰ لَكَ والأخرَى عليكَ. قال النبيُّ ﷺ: «يَا عَلِيُّ، لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإنَّ لَكَ الأُولَىٰ، ولَيسَت لَكَ الآخِرَةُ». [حديثٌ حسنٌ، رواه أبو داود].

يقولُ القرطبيُّ في تفسيرِه: البَصَرُ هُوَ البابُ الأكبرُ إلىٰ القَلْبِ، وأعْمَرُ طرقِ الحواسِّ إليهِ، وبِحَسَبِ ذلكَ كثُرَ السُّقُوطُ مِن جِهَتِهِ.

فَوَجَبَ التَّحذيرُ منهُ، وغَضُّهُ وَاجِبٌ عَن جميعِ المحرَّماتِ، وكلِّ مَا يخشَىٰ الفِتْنَةَ مِن أجْلِه، وقَد قَالَ ﷺ: «إيَّاكُم وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَنَا مِن مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيها، قَالَ: «فَأَمَّا إِذَا أَبيتُم إلاَّ المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ

البَصَرِ، وكَفُّ الأذَى، ورَدُّ السَّلامِ، وَالأمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ».
[أخرجه البخاري ومسلم].

وروى الأوزاعي قالَ: حَدَّثني هارونُ بنُ رئاب أنَّ غـزْوانَ وأبا مُوسىٰ الأشعري كانَا في بعضِ مَغَازيهم، فكَشَفَت جارية فَنظَرَ إليها غزْوان، فَرفَع يَدَهُ فَلطَمَ عينَهُ حتَّىٰ نفَرت، فقَالَ: إنَّكِ لَلَحَّاظَةٌ إلىٰ مَا يَضُرُّكِ ولا يَنْفعُكِ، فَلَقِيَ أبا مُوسَىٰ فَسأَلَهُ فقَالَ: ظَلَمْتَ عينَكَ، فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وتُب، فَإنَّ لَها أوَّلَ نَظْرَةٍ وعَلَيها مَا كانَ بَعْدَ ذلك.

قالَ الأوزاعيُّ: وكانَ غَزْوانُ مَلكَ نَفْسهِ فَلَم يَضْحَك حتَّىٰ مَاتَ رضي الله عنه.

وفي صحيح مُسلم عَن جَرير بنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عَن نَظْرَةِ الفجاءةِ، فَأمَرني أن أصْرِفَ بَصَري.

وهذا يُقَوِّي قَولَ مَن يقولُ: إنَّ ﴿من﴾ للتَّبعيضِ، لأنَّ النَّظرَةَ الأولىٰ لا تُمْلَك فَلا تَدْخُل تَحْتَ خِطَابِ التكليفِ، إذ وقُوعُها لا يَتأتىٰ أن يكونَ مَقْصُوداً في الغالبِ، فَلا تكون مكْتَسَبَةً فَلا يكونُ مكَلَّفاً بِها، فَوجَبَ التَّبعيضَ لِذَلِكَ، ولَم يَقُل ذَلِكَ في الفَرْج، لأنَّها تُمْلَكُ.

ولَقَد كَرِهَ الشَّعبيُّ أن يُديمَ الرَّجُلُ النَّظَرَ إلىٰ ابنَتِهِ أو أمِّهِ أو أختِهِ، وزَمَانُهُ خَيرٌ مِن زَمَانِنَا هَذا وحَرَامٌ علىٰ الرَّجُل أن يَنْظُرَ إلىٰ ذات مَحْرَم نظَرَ شَهْوَةٍ يُرَدِّدُها. ا. هـ ومَع انتِشَارِ النِّقَابِ الذي يكشفُ عَن العينينِ في أوسَاطِ بعضِ النِّساءِ ممَّا عَمَّت بهِ البلوى وأصبَحَ مِن أكبر دَواعِي الفِتَنِ لأنَّه يُتيحُ إطلاقَ النَّظَرِ مِنْها وإليها، ومِمَّا يَدْعُو إلىٰ العَجَبِ أنهُ إذا كانَ الرِّجالُ لا يَسْمَحُونَ لِنِسَائِهِم بالحديثِ مَع الرِّجالِ الأجانبِ فكَيفَ يَسْمَحُونَ مِن خِلالِ العيونِ؟

وصدقَ الشاعر حينَ قال:

نَظْـرةٌ، فابتِسَامَـةٌ، فـسلامٌ   فكـلامٌ، فَموعِـدٌ، فَلـقَاءُ

١٧ ترك الخلوة بالمرأة الأجنبية:

إذا كانَ النَّظرُ إلىٰ المرأةِ الأجنبيةِ يُحْضِرُ الشيطانَ فإنَّ الخلوةَ بهَا أشدّ في استدعاءِ الشَّيطانِ، ولذلكَ نَهَىٰ النبيُّ ﷺ عَن الخلوةِ بالمرأةِ الأجنبيةِ، فقالَ ﷺ: «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأةٍ إلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ». [رواه الترمذي].

وَعَن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إيَّاكُم وَالدُّخُولَ عَلَىٰ النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ: أفرَأيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «الْحَمْوُ المَوْتُ».

و(الحمو) هو: قريبُ الزَّوج، كأخيهِ وابن عمِّه..

وعَن جابرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلا يَخْلُوَنَّ بِامْرَأةٍ لَيْسَ مَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ مِنْهَا، فَإنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ». [حسن: أحمد].

◉ وعَن عُبيدة الرَّحمن بنِ زياد قالَ: بينَمَا مُوسَىٰ جالسٌ إذا أقبلَ إبليسُ فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: مَا الذي إذا صَنَعَهُ الإنسانُ استَحْوذتَ عليهِ؟ فقَالَ: إذا أعجبتهُ نَفْسهُ، واستكثَرَ عَمَلَهُ، ونَسِي ذُنُوبَهُ. وأحذِّركَ ثلاثاً: لا تخلُ بامرأةٍ لا تحلّ لكَ، فإنَّه ما خَلا رَجُلٌ بامرأةٍ لا تحلّ إلاَّ كُنْتُ صَاحِبَهُ دُونَ أصحَابِي حتَّىٰ أفتنَهُ بِهَا.

١٨ الزَّواج:

اعلم أنَّ الزواجَ مِن أهمِّ الأسبابِ الَّتي تُذْهِب وَسَاوسَ الشَّيطان، وتَعْصِم الإنسانَ مِنَ الوقوع في الشَّهواتِ المحرَّمةِ، ولذلكَ حَثَّ النبيُّ ﷺ الشبابَ عَلَىٰ الزَّواجِ فَقَالَ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإنَّهُ أغَضُّ

لِلْبَصَرِ، وأحْصَنُ لِلْفَرجِ، وَمَن لَم يَسْتَطِع فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإنَّهُ لَهُ وجَاءٌ». [متفق عليه]

وعَن جَابِرٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأى امْرَأةً، فَأتَىٰ امْرَأتَهُ زَيْنَبَ وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا، فقَضَىٰ حَاجَتَهُ ثُمَّ خَرَجَ إلَىٰ أصْحَابِهِ فقَالَ: «إنَّ الْمَرْأةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإذَا أبْصَرَ أحَدُكُمُ امْرَأةً فَلْيَأتِ أهْلَهُ، فَإنَّ ذلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ»[1].

قالَ ابنُ الجوزيِّ: وقَد نبَّهَ هذا الحديثُ عَلىٰ أمرينِ:

(أحدهما): التَّسلي عَن المطلوبِ بجنسِهِ.

(الثاني): الإعلام بأنَّ سَبَبَ الإعجاب قُوَّة الشَّهوةِ، فأمَرَ بتنقيصِهَا.

(١٩) تعمد مخالفة الشيطان:

اعلم أنَّ مخَالَفَةَ الشيطانِ هي إظهارٌ للعداوةِ الَّتي أمرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بإعلانِهَا في قولِهِ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. ولذلكَ أرشَدَ النبيُّ ﷺ إلىٰ بَعْضِ الأمورِ والآدابِ الَّتي فيهَا مخالفة الشَّيطان ومِن ذلكَ:

أ ـ الأكلُ باليمين:

وَعَنِ ابْنِ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لا يَأكُلَنَّ أحَدُكُم بِشِمَالِهِ، وَلا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإنَّ الشيْطَانَ يَأكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا».

---

١ ـ (مسلم/١٤٠٣). (تمعس منيئة لها) قال أهل اللغة: المعس الدّلك. والمنيئة، قال أهل اللغة: هي الجلد أول ما يوضع في الدباغ. وقال الكسائي: يسمىٰ منيئة ما دام في الدّباغ. وقال أبو عبيدة: هو في أول الدباغ منيئة، ثم أفيق وجمعه أفق كأديم وأدم. (إن المرأة تقبل في صورة شيطان) قال العلماء: معناه الإشارة إلىٰ الهوى والدعاء إلىٰ الفتنة بها. لما جعله الله تعالىٰ في نفوس الرجال من الميل إلىٰ النساء والالتذاذ بنظرهن وما يتعلق بهن. فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلىٰ الشرّ بوسوسته وتزيينه له.

ب ـ استحباب القيلولة:

وذلكَ لحديثِ أنسٍ ﷺ عَن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «قِيلُوا، فَإِنَّ الشَّيَاطِيْنَ لا تَقِيْلُ».
[رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في «الطب» واختلف في درجتهِ].

جـ ـ ترك التبذير:

لقَد نَهَىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَن التَّبذير، ووَصَفَ المبذِّرين بأَنَّهُم إخـوان الشَّياطين. قالَ تَعالىٰ: ﴿وآتِ ذَا القُربَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّر تَبْذِيراً ۝ إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ [الإسراء ٢٦ـ ٢٧].

وقَالَ النبيُّ ﷺ مُحَذِّراً مِـنَ الإسـرافِ وَالتَّبذيـرِ «فِـرَاشٌ لِلرَّجُـلِ، وَفِـرَاشٌ لامْرَأتِهِ، وَالثَّالِثُ لِلضَّيْفِ، وَالرَّابعُ لِلشَّيْطَانِ». [رواه مسلم].

د ـ التأني في الأمر:

لما كانَت العَجلَةُ مِنَ الشَّيطان رَغَّب النبيُّ ﷺ في التَّأني والتَّمـهُّل، فَقَـالَ ﷺ: «التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، والعَجَلَةُ منَ الشَّيْطَانِ». [حسن: رواه البيهقيُّ].

وفي روايةٍ قالَ ﷺ: «التَبَيُّنُ مِنَ اللهِ، وَالعَجلَةُ منَ الشَّيطَانِ، فَتَبَيَّنُوا». [ابن أبي الدُّنْيا في «ذم الغضب»].

هـ ـ رد التثاؤب:

اعلـم أنَّ الشَّيطانَ يحبُّ أن يُكْثِرَ الإنسانُ مِن التَّثاؤب، لأنـهُ علامـةٌ علـىٰ الكسلِ والفُتُـور، ولذلـكَ أمرَ النبيُّ ﷺ بِدَفع التَّثاؤب وكظمِهِ فعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فإذا عَطَسَ أحدُكُم وَحَمِدَ اللهَ تَعالىٰ كَانَ حَقًّا علىٰ كُلِّ مُسْلِم سَمِعَهُ أن يقولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ الله، وَأَمَّا التَّثَاؤُبَ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فإذا تَثَاءبَ أحَدُكُم فَلْيَرُدَّهُ مَا

اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُم إذا تَثَاءبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»(١).

ي ـ تجنب بعض الألفاظ والعبارات والأسماء التي يحبُّها الشيطان منها:

◉ قول: «لو»

عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤمِنُ الْقَوِيُ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِص عَلىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاستَعِن بِاللَّهِ وَلا تَعْجَزْ. وَإِن أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَو أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِن قُلْ: قَدَّرَ اللهُ، ومَا شاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٢).

---

١ - (البخاري/٦٢٢٣). (التثاؤب) تنفس ينفتح منه الفمُ من الامتلاء وكدورة الحواس. وقال ابنُ حجر في «الفتح»: في كونه يَضحكُ منه، لأنهُ صَيَّره ملعبة له بتشويهِ خلقه في تلكَ الحالة.

وأما قوله في روايةِ مُسلم: «فإنَّ الشيطانَ يَدخل» فيحتمل أن يُراد به الدخول حقيقةً، وهو وإن كان يجري من الإنسانِ مجرى الدَّم لكنه لا يتمكن منه ما دام ذكَرَ اللهَ تَعَالىٰ، والمتثائب في تلكَ الحالة غير ذاكرٍ فيتمكن الشَّيطان من الدُّخول فيه حقيقة. ويحتمل أن يكون أطلقَ الدخولَ وأراد التَّمكن منه، لأنَّ مِن شأن من دَخَلَ في شيءٍ أن يكون متمكناً منه.

وأمَّا الأمر بوضع اليدِ علىٰ الفَم فيتناول ما إذا انفتَح بالتَّاؤب فيغطَّىٰ بالكفِّ ونحوه، وأمَّا إذا كان منطبقاً حفظاً له عن الانفتاح بسبب ذلكَ. وفي معنىٰ وضع اليدِ علىٰ الفم وضع الثوب ونحوه مما يحصل ذلك المقصود، وإنما تتعين اليد إذا لم يرتد التثاؤب بدونها، ولا فرق في هذا الأمر بين المصلِّي وغيره، بل يتأكّد في حال الصَّلاة، ويستثنىٰ ذلك من النَّهي عن وضع المصلِّي يَدَهُ علىٰ فمهِ.

ومما يؤمر به المتثائب إذا كان في الصَّلاة أن يمسك عَن القراءة حتىٰ يذهب عنه لئلاً يتغير نظم قراءته، وأسند ابن أبي شيبة نحو ذلك عَن مجاهد وعكرمة والتَّابعين المشهورين، ومن الخصائص النَّبوية ما أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري في (التاريخ) من مرسل يزيد بن الأصم قال: «ما تثاءب النبيُّ ﷺ قطّ». وفي (الشفا لابن سبع): أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ لا يَتَمَطَّىٰ، لأنه من الشيطان. واللهُ أعلم.

٢ - (مسلم/٢٦٦٤). (المؤمن القوي خير) المراد بالقوة هنا: عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة. فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً علىٰ العدو في الجهاد وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه. وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والصبر علىٰ الأذى في كل ذلك. واحتمال المشاق في ذات الله تعالىٰ، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها، ونحو ذلك (وفي كل خير) معناه في كل من القوي والضعيف خير، لاشتراكهما في الإيمان، مع ما يأتي به=

◉ قول: «تَعِسَ الشَّيطان»

عَن رَجُلٍ، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبيِّ ﷺ فَعَثَرَت دَابَّتُهُ فقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: «لا تَقُل تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فإنَّكَ إذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حتَّىٰ يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ وَيَقُول: بِقُوَّتِي صَرَعتُهُ، وَلكِن قُلْ: بِسْمِ الله، فإنَّكَ إذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حتَّىٰ يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابَةِ». [صحيح: رواه أحمد، وأبو داود].

◉ اسم الأجدع

عَن مَسْرُوقٍ، قَالَ: لَقِيتُ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ فَقَالَ: مَن أَنْتَ؟ قُلْتُ: مَسْرُوقُ بن الأَجْدَعِ، فَقَالَ عُمَرُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «الأَجْدَعُ شَيْطَانٌ». [رواه أبو داود، وابنُ ماجه].

(٢٠) لزوم الجماعة:

عن أبي الدرداءِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «مَا مِن ثَلاثَة في قَرْيَةٍ وَلا بَدْوٍ لا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاةُ إلاَّ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكُم بِالجَمَاعَةِ، فَإنَّمَا يَأكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنمِ القَاصِيَةَ»[1].

=الضعيف من العبادات. (احرص علىٰ ما ينفعك) معناه احرص علىٰ طاعة الله تعالىٰ والرغبة فيما عنده، واطلب الإعانة من الله تعالىٰ علىٰ ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة (فإنَّ لو تفتح..) جمع النووي بينه وبين ما ثبت من استعماله ﷺ: «لو سلك الناس وادياً» «لو استقبلت من أمري ما استدبرت» بأن الظاهر أن النهي عن إطلاقها فيما لا فائدة فيه، وأما من قالها تأسفاً علىٰ ما فات من طاعة الله تعالىٰ، أو ما هو متعذر عليه منها ونحوه، فلا بأس، وعليه يحمل ما وجد في الأحاديث. والله أعلم.

١ - (أبوداود/٥٤٧). (القاصية) أي: البعيدة عن صواحباتها وهو حال من الذئب والعامل معنىٰ التشبيه. وهو تمثيل مثل حالة مفارقة الجماعة واعتزاله عنهم ثُمَّ تسلط الشيطان عليه بحالة شاة شاذة عن الغنم ثُمَّ افتراس الذئب إياها بسبب انقطاعها. والله تعالىٰ أعلم.

وعَن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ أنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الإنْسَانِ كَذِئْبِ الغَنَمِ يَأْخُذُ الشَّاةَ القَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ، فَإِيَّاكُم وَالشِّعَابَ، وَعَلَيْكُم بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ». [حسن لغيره: رواه أحمد، والطبراني].

وعَن أبي هريرةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَهُمُّ بِالوَاحِدِ، ويَهمُّ بِالاثْنَيْنِ، فَإِذَا كَانُوا ثَلاثَةً لَم يَهُمَّ بِهِمْ». [رواه البزار، وفيه ضعف].

(٢١) وختاماً: الدُّعاء:

اعلم أنَّ الدُّعاءَ بجانِبِ الاستعاذَةِ مِن أنفَعِ الأدويةِ في دَحْرِ الشَّيطان ونحرِهِ، وقَد كانَ النبيُّ ﷺ كثيراً ما يَدْعُو بالنَّجاةِ مِن شرِّ الشياطين. فَعَن أبِي الأزهَر الأنماريّ ﷺ قالَ: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إذَا أخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ قالَ: «بِسْمِ اللهِ وَضَعْتُ جَنْبِي، اللَّهُمَّ اغفِر لِي ذَنْبِي وَاخْسَأ شَيْطَانِي وَفُكَّ رِهَانِي وَاجْعَلْنِي في النَّدِيِّ الأعْلَىٰ». [صحيح: رواه أبو داود].

❖ ❖ ❖

حوارٌ مع الشَّيطان

(للشَّيخ عائض القرني):

﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

مَا بَالُ أَشْـيَبَ يَسْـتَهْوِيهِ شَـيْطَانُ ... هَـب الشَّبيبَةَ تُبْـدِي عُـذْرَ صَاحِبِـهَا

قال عبدُ اللهِ بنُ آدم: حاورتُ الشيطانَ الرجيمَ، في الليلِ البهيم، فَلَمَّا سمعتُ أذانَ الفجرِ أردتُ الذهابَ إلىٰ المسجدِ، فَقَالَ لي: عليك ليلٌ طويلٌ فَارْقُد.

قُلتُ: أخافُ أن تَفوتني الفريضةُ.

قال: الأوقات طويلة عريضة.

قلت: أخشىٰ ذهاب صلاةِ الجماعةِ.

قال: لا تُشَدِّد علىٰ نفسِك في الطَّاعةِ.

فما قمتُ حتَّىٰ طلعت الشَّمس. فقالَ لي في همس: لا تأسف علىٰ ما فَاتَ، فاليوم كُلُّه أوقات. وجلست لآتي بالأذكارِ، ففتحَ لي دفتَرَ الأفكارِ.

فقلتُ: أشْغَلْتَنِي عَن الدُّعَاءِ.

قالَ: دَعْهُ إلىٰ المساءِ.

وعزمتُ علىٰ المتابِ. فَقَالَ: تمتع بالشَّباب.

قلت: أخشَىٰ الموتَ.

قالَ: عُمُرُكَ لا يَفُوت.

وجئتُ لأحفظَ المثاني (سورٌ من القرآن الكريم).

قال: رَوِّح نفسَكَ بالأغاني.

قلتُ: هي حرامٌ.

قال: لبعض العلماءِ كلامٌ.

قلتُ: أحاديثُ التحريم عندي في صحيفة.

قالَ: كُلُّهَا ضعيفة.

ومَرَّت حسناءُ فَغَضَضْتُ البَصَرَ، فقَالَ لي: ماذا في النَّظر؟

قلتُ: فيه خطر.

قالَ: تفكَّر في الجمالِ، فالتفكُّر حلال.

وذهبتُ إلىٰ البيتِ العتيقِ، فوقَف لي في الطريقِ، فقالَ: مَا سببُ هذه السَّفرة؟

قلت: لآخذ عُمْرَة.

فقال: ركبتَ الأخطارَ، بسبب هذا الاعتِمَار، وأبوابُ الخير كثيرة، والحسناتُ غزيرَة.

قلتُ: لا بدَّ من إصلاح الأحوال.

قالَ: الجنَّةُ لا تُدْخَلُ بالأعمالِ.

فَلَمَّا ذهبتُ لألقي نصيحَة، قالَ: لا تَجُرّ إلىٰ نفسِكَ فضيحة.

قلت: هذا نفعٌ للعبادِ.

فقالَ: أخشَىٰ عليكَ مِن الشُّهرةِ وهي رأسُ الفساد.

قلت: فما رأيكُ في بعض الأشخاص؟

قال: أُجِيبُكَ عَن العَام والخاصّ.

قلتُ: أحمَدُ بنُ حنبل؟

قالَ: قَتَلَني بقولهِ: عليكم بالسُّنَّةِ، والقرآنِ المنزَّل.

قلت: فابنُ تيمية؟

قال: ضَرَبَاتُهُ علىٰ رأسي باليومِيَّة.

قُلتُ: فالبخاري؟

قَال: أحرَق بكتابِهِ دَاري.

قُلتُ: فالحجاجُ؟

قَالَ: ليتَ في النَّاس ألفَ حَجَّاج، فلنا بسيرتهِ ابتِهَاج، ونهجُهُ لنا عِلاج.

قُلتُ: فَفِرْعَون ؟

قالَ: لَهُ مِنَّا كُلّ نَصْرٍ وعَون.

قُلتُ: فصلاحُ الدِّين، بَطَلُ حِطِّين ؟

قَالَ: دَعْهُ فَقَد مرَّغَنا بِالطِّين.

قُلتُ: فَأبو جَهْل ؟ قَالَ: نحنُ لَهُ إخوةٌ وأهْلٌ.

قُلتُ: فَأبو لَهَب ؟

قالَ: نحن مَعَهُ أينمَا ذَهَب.

قُلتُ: فَلِيْنِينَ ؟

قَالَ: رَبَطْنَاهُ في النَّار مَع استَالين.

قُلتُ: فالمجلاتُ الخليعةُ ؟

قَالَ: هي لنا شريعة.

قُلت: فالدُّشُوشُ ؟

قَالَ: نَجْعَلُ النَّاسَ بِها كَالوحُوش.

قُلتُ: فالمقاهي ؟

قَالَ: نُرَحِّبُ فيها بكلِّ لاهي.

قُلتُ: مَا هو ذِكْرُكُم ؟

قَالَ: الأغاني.

قُلتُ: وَعَمَلكُم ؟

قَالَ: الأمَانيّ.

قلتُ: وما رأيكم في الأسواقِ ؟

قَال: عَلَمُنَا بها خفَّاق، وفيهَا يجتمعُ الرِّفاق.

قُلتُ: كيفَ تُضِلّ النَّاس ؟

قالَ: بالشَّهواتِ والشُّبهات والملهياتِ والأمنياتِ والأغنياتِ.

قُلتُ: وكيفَ تُضِلّ الحكَّامَ ؟

قالَ: بالتَّعطُّشِ للدِّماءِ، وإهانةِ العُلماء، وردّ نصح الحكماء، وتصديق السُّفَهَاء.

قلتُ: فكيفَ تُضِلُّ النِّساءَ ؟

قال: بالتَّبرج والسُّفور، وتَركِ المأمور، وارتكابِ المحظور.

قُلتُ: فكيفَ تُضِلُّ العلماءَ ؟

قالَ: بحبِّ الظُّهُور، والعُجْبِ والغُرُور، وحسَد يملأ الصدور.

قلتُ: فكيف تضلّ العامّة ؟

قال: بالغيبةِ والنَّميمة، والأحاديث السَّقيمة، وما ليس له قيمة.

قلت: فكيف تضلّ التجّار ؟

قال: بالرِّبا في المعاملات، ومنع الصدقاتِ، والإسراف في النَّفقات.

قلتُ: فكيف تضلُّ الشباب ؟

قال: بالغزلِ والهيام، والعِشْقِ والغَرَام، والاستخفاف بالأحكام، وفعل الحرام.

قلت: فما رأيك في إسرائيل ؟

قال: إيَّاكَ والغِيبة، فإنها مصيبةٌ، وإسرائيلُ دولةٌ حبيبةٌ، ومِنَ القلبِ قريبةٌ.

قلت: فالجاحظ؟

قال: الرَّجُل بينَ بينَ، أمرُهُ لا يستبين، كما في البيانِ والتَّبيين.

قلت: فأبو نوَّاس؟

قال: علىٰ العينِ وعلىٰ الرَّأس، لنا من شِعْره اقتِبَاس.

قلت: فأهلُ الحداثةِ؟

قال: أخذُوا عِلْمَهُم منَّا بالوراثةِ.

قلت: فالعلمانيـةُ؟

قال: إيمانُنَا عِلْمَانِيّ، وهُم أهلُ الدَّجلِ والأمانيّ، ومَن سمّاهم فقد سَمَّاني. ومن آذاهُم فقد آذانِي.

قلت: فما تقولُ في واشنطُن؟

قال: خَطِيبي فيها يَرطن (أي يتكلّم) وجيشي بها يقطُنُ، وهي لي مَوطِن.

قُلت: فما رأيكَ في الدُّعاة؟

قال: عَذَّبُوني وأتعَبُوني وبهدلوني وشَيَّبوني، يهدمون ما بنيتُ، ويقرؤونَ إذا غنَّيتُ، ويستعيذونَ إذا أتيتُ.

قلت: فما تقولُ في الصُّحُف؟

قال: نُضيِّعُ بها أوقاتَ الخلْقِ، ونُذْهِبُ بها أعمارَ أهلِ التّرف، ونأخذُ بها الأموالَ مَع الأسفِ.

قلتُ: فما تَقُول في هيئة الإذاعة البريطانية؟

قالَ: نُدْخِلُ بها السمّ في الدَّسم، ونقاتِلُ بها بين العربَ والعجمَ، ونُثْنِي بها علىٰ المظلوم ومَن ظَلَم.

قلتُ: فماذا فَعَلْتَ بالغُراب ؟

قالَ: سَلَّطته على أخيهِ فقتلَهُ ودفنه في التراب، حتى غاب.

قلتُ: فما فعلتَ بقارون ؟

قال: قلت له: احفظ الكنوزَ، يا ابن العجوزَ، لتفوزَ، فأنت أحدُ الرُّموز.

قلت: فماذا قلتَ لفرعون ؟

قالَ: قلت له: يا عظيمَ القصرِ، قل: أليسَ لي مُلْك مصر، فسوفَ يأتيك النَّصر.

قلتُ: فماذا قلتَ لشاربِ الخمرِ ؟

قال: قلت له: اشرب بنتَ الكروم، فإنها تذهب الهُمُوم، وتزيلُ الغمومُ، وباب التوبة معلوم.

قلتُ: فماذا يَقْتُلُكَ ؟

قال: آيةُ الكرسيّ، منها تضيقُ نفسي، ويطولُ حبسي، وفي كلِّ بلاء أُمْسِي.

قلت: فمن أحبُّ النَّاس إليكَ ؟

قال: المغنُّون، والشُّعراء الغاوونَ، وأهلُ المعاصِي والمجون، وكلّ خَبيث مفتون.

قُلت: فمن أبغضُ النَّاس إليكَ ؟

قال: أهلُ المساجدِ، وكلُّ راكع وساجِد، وزَاهِد عَابِد، وكلّ مجاهد.

قلتُ: أعوذُ باللهِ منك، فاختَفى وغابَ، كأنما ساخَ في التُّراب، وهذا جَزَاءُ الكذاب.

❖ ❖ ❖

الفصل التاسع

أسباب اقتران الشيطان بالإنسان

اعلم أنَّ الشيطانَ يقترنُ بالإنسانِ لأسبابٍ كثيرةٍ فَمنها :

(١) الانتقام:

يقترنُ الشيطانُ بالإنسانِ حتَّىٰ ينتقم منهُ لأنهُ يَظُنُّ أنَّ الإنسيَّ آذاه مُتَعَمِّداً، وتقولُ العوام عنه : إنسانٌ بهِ ضَرَرٌ أو مضرورٌ، والمقصود بذلكَ أنَّ الإنسيَّ آذَى الجنيَّ بشكلٍ مِنَ الأشكالِ التَّالية أو نحوهَا :

- بصبِّ الماءِ الحار في الحماماتِ دُون أن يُسمِّ اللهَ.
- البول في الشُّقوق وعلىٰ بيوتِ الحشَراتِ[١].
- إيذاء الحيوانات مِثل الكلابِ والقِطَط[٢].
- قَتْل الحياتِ والثعابين في المنازِل مِن غير تحريج عَلَيها[٣].
- الصُّراخ والبكاء والغنَاء وقراءة القُرآن في دوراتِ المياهِ.
- القَفْزُ أو السُّقُوط من مكانٍ عالٍ بدونِ أن يُسَمِّي اللهَ فيكون سُقُوطُهُ علىٰ مكانٍ فيه جِنٌّ نائمٌ أو غافلٌ.

١- عَن قَتَادَةَ، عَن عَبْدِ الله بن سَرْجِسَ: «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ أنْ يُبَالَ في الجُحْرِ». قَالَ: قالُوا لِقَتَادَةَ: مَا يُكْرَهُ مِنَ الْبَوْلِ في الجُحْرِ؟ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: إنَّهَا مَسَاكِنُ الجِنِّ. [رواه أبو داود، والنسائي].

٢- انظر: الصفحة (٣٠) قدرة تشكُّل الجنِّ.

٣- عَن أبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ﷺ يَرْفَعُهُ: «أنَّ بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ قد أسْلَمُوا فَمَن رَأى شَيْئًا مِن هَذِهِ الْعَوَامِرِ فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلاثًا، فَإن بَدَا لَهُ بَعْدُ فَلْيَقْتُلْهُ، فَإنَّهُ شَيْطَانٌ». [رواه مسلم، وأبو داود].

- يرمِي حَجَراً في بئرٍ أو في فَلاةٍ بدونِ أن يُسَمِّي اللهَ فَيُصيب بهِ الجنَّ.
- قراءة كُتُب السِّحر وتحضير الجنِّ.
- رَشّ المبيدات الحشَرِيَّة علىٰ الحشراتِ بغير تَسميةٍ.

(٢) انتقام غير مباشر:

إذا لم يَسْتَطع الشَّيطان أن يَنْتَقِم مِن شخصٍ مُعَيَّن بسببِ محافظةِ ذلكَ الإنسانِ علىٰ الأذكارِ والأورادِ اليومية، أو لأيِّ سببٍ مِنَ الأسبابِ، فإنَّ الشيطانَ يَتسَلَّط مِن بعدِ إذنِ اللهِ تَعَالىٰ علىٰ أعزِّ أو أقربِ النَّاس إلىٰ ذلكَ الإنسانِ، كأن يَقْتَرِن بالزَّوجةِ أو الولدِ انتقاماً مِنَ الزَّوج.

(٣) ظُلم الجنِّ للإنس:

وذلكَ غالباً ما يكونُ بسببِ غَفْلَةِ الإنسانِ عَن ذِكْرِ اللهِ، يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّض لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِين﴾ [الزخرف: ٣٦].

(٤) العِشق:

كثيراً مِن حالاتِ التَّلبس سَبَبُها العِشْقُ والإعجابُ، وليسَ بالضَّرورة أن يكونَ المعشوق مِن الإنسِ جَميلاً.

(٥) السِّحر:

يقترنُ خَادِمُ السِّحر بالمسحورِ مِن أجلِ أذيَّة المسحورِ إذا صنعَ لهُ السِّحر.

(٦) العين:

ينفذُ الشَّيطانُ في جسدِ المعيونِ مَع نَفْسِ العَائِن[1].

---

١ - عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قالَ: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَيَحْضُرُ بِهَا الشَّيْطَانُ وَحَسَدُ ابْنِ آدَمَ» [أحمد].

◉ يقول شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: وصرع الجنِّ هو لأسباب ثلاثة:

(١) تارةً يكون الجنيّ يحبُّ المصروعَ فيصرعه ليتَمَتَّع به، وهـذا الصَّرع يكـون أرفق من غيره وأسهَل.

(٢) وتارةً يكونُ الإنسيُّ آذاهم إذا بالَ عليهِم أو صَبَّ عليهم ماءً حارّاً.

(٣) أو يكون قَتَلَ بَعْضَهُم أو غير ذلكَ مِن أنـواع الأذَى، هـذا أشدّ الصَّرع، وكثيراً ما يقتلونَ المصرُوعَ.

❖ ❖ ❖

الفصل العاشر

أعراضُ اقتران الشيطان بالإنسان

يقولُ اللهُ سُبحانَهُ وتَعَالىٰ: ﴿وَاذْكُر عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝ ارْكُض بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُم رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾. [ص: ٤١ـ ٤٣].

اعلم أنَّ أعراضَ اقترانِ الشَّيطانِ وآثار مَسِّه للإنسانِ تَتَفَاوَت مِن شخصٍ لآخَر فتكون أحياناً الأعراضُ واضحةً جَلِيَّةً لا غَبَشَ عليهَا ومعلومة أنَّها مِن فِعْل الشَّيطانِ، ولكنَّها في أحيانٍ كثيرة تكونُ الأعراضُ خفيَّةً لِدَرجةِ أنَّ المريضَ نَفْسَهُ لا يكادُ يَشْعُر بهَا فَضْلاً عَن أهلهِ وأقاربِهِ، وقَد يُعَاني المريضُ مِن أعراضِ المسِّ ولكن لا يَعْلَم.

(١) أعراض اقتران الشيطان بالإنسان في اليقظة:

الإنسانُ المقترنُ بهِ شيطانٌ هو في الحقيقةِ إنسانٌ مزدوجُ الشَّخصية، يُلاحظُ عليهِ تَصرُّفات مُتَنَاقِضَة، فحيناً تَراهُ يَتصرَّف بطباعِهِ الإنسانيةِ العاديةِ، فَتَرَى منه سلوكيات الرَّجُل العَاقل، وعندمَا تَتَوارى شَخصيَّتُهُ الإنسانيةُ وتَظْهَر عليه الشخصيةُ الشيطانيةُ تَتَغَيَّر طباعُهُ وأفعالُهُ وأقوالُهُ وتَصرُّفاتُهُ، ولكن تَتَوَقَّف درجةُ ظهورِ أعراضِ المسِّ علىٰ الإنسانِ في اليقظةِ علىٰ قوةِ إيمانِهِ وحُسْنِ تَوكُّلِهِ علىٰ الله، وعلىٰ سببِ التَّلبس، وعلىٰ طبيعةِ الشيطانِ ومكانِهِ في الجسدِ، فَلَو كانَ الإنسانُ قَويّ الإيمانِ، صَادِقَ التوكُّل علىٰ اللهِ فإنَّ الشيطانَ يكونُ ضعيفاً عاجزاً لا يستطيعُ أن يَتصرَّف في عقلٍ وقلبِ هذا المؤمنِ بِسهولةٍ، وفي هذهِ الحالةِ تكونُ

الأعراضُ غير واضحة، وقَد يكونُ الإنسانُ مصاباً بمسٍّ مِنَ الجنِّ ولكن الجنيّ لا يؤذيهِ، أو أنهُ مُسيطرٌ علىٰ عقلهِ بحيثُ أنهُ يُوهمُهُ أنَّ ما يصيبُهُ مِن نُفُورٍ وضِيق أو غيرها مِنَ المتاعِب النَّفسية والبدنيةِ ما هي إلاَّ عوارض تحصلُ لكلِّ إنسانٍ، حتىٰ أنَّ بعضَ الحالاتِ تُصْرَع وتَتَقَيَّأ السِّحر وبعدَ الرُّقية لا يَعْلَم المصابُ ما بهِ ولماذا يُصرعُ رَغْم أنهُ يَعِي كثيراً مما يحصُلُ لَهُ وَقْتَ الرُّقيةِ، ومِن الملاحظ أنَّ الجنيَّ غالباً يخفي شَخصيَّتَهُ ولا يَتْرُك أيَّ أثرٍ في نَفْسِ الممسوسِ، أو مَن يحيطُ بهِ حتَّىٰ لا يُفْتَضَح أمرُهُ فَيُطْرَد. ومِن أعراضِ المسِّ في اليَقَظَةِ:

- **الضِّيق في الصَّدر.**
- **الشرودُ الذِّهني وكثرةُ النِّسيان.**
- **كراهيةٌ للعَمَلِ، وللزَّوجة، وللمجتَمَع، وللدِّراسة.**
- **خفقانٌ مُفاجِئ وشديد في القَلْبِ.**
- **ينتابُ المريض أحياناً تَنْميل أو رَعشة أو حركة لا إراديَّة.**
- **يسمعُ أصواتاً معروفةً، أو أصواتاً غريبةً لا يَسْمَعُها مَن بجوارِهِ.**
- **يشمّ رَوَائح غَريبة وفي الغَالِب تكون كريهةً لا يَشَمُّها مَن بجوارِهِ.**
- **أحياناً يشعُرُ مَن بهِ مَسٌّ بحرارةٍ أو بُرُودةٍ شَديدةٍ في جسدهِ خُصُوصاً الأطراف.**
- **يبكِي في بعضِ الأوقاتِ دُونَ سببٍ خصوصاً قُبيلَ أو بَعْدَ المغرب.**
- **يتميز عَرَقُ بَعْض من بِهِم مسّ برائحةٍ غَير طيِّبة وقد تكونُ رائحةً كبريتيةً عفنةً.**
- **التَّفكير بالانتحار.**
- **التَّفكير بالنِّساء، وارتكاب الرَّذائل والكبائر، وكثرة الاستمنَاءِ.**
- **عَصبية المزاج وسُرعة الغَضَبِ:**

فالعصبيةُ وسُرعةُ الغضبِ مِن أبرز سِمَات مَن بهِ مَسٌّ، فعَن أبي وَائِلٍ الْقَاصُّ

قَالَ: دَخَلْنَا عَلَىٰ عُرْوَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّعْدِيِّ فَكَلَّمَهُ رَجُلٌ فَأَغْضَبَهُ فَقَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَجَعَ وَقَد تَوَضَّأَ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَن جَدِّي عَطِيَّةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْغَضَبَ مِن الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِن النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُم فَلْيَتَوَضَّأ». [ضعيف: رواه أبو داود].

◉ **الصُّداع:**

الصداعُ أيضاً مِن أبرزِ أعراضِ المسِّ الشَّيطاني، ولكن الصُّداع لَهُ أسبابٌ عُضويَّة وأُخرى نَفْسِيَّة، فالصُّداع يحدثُ نتيجةَ مَرضٍ في العينِ أو الأنفِ أو الأذن ويكونُ بسببِ الإمساكِ في البطنِ، ويحدثُ إثر السَّهر والأرقِ والتَّفكير المضني، أو كَثرة المشاكل الدُّنيوية، وهذا النَّوعُ مِن الصُّداع له علاجٌ عِنْدَ الأطبَّاء، ولكن يوجد صداعٌ آخر يَعْجزُ الأطباءُ عَن علاجِهِ بَل لا تُثْمِرُ مَعَهُ جميعُ أنواع الحبوبِ المسكِّنة للصُّداع، هذا النَّوع مِنَ الصُّداع يكونُ في الغالبِ سببُهُ الشيطانُ ومِن أعراضِهِ:

أ- يكونُ الصُّداع مُتَنَقِّلاً في الرأسِ.

ب- لا يدومُ بَل يَشْعُر بِهِ الإنسانُ مَرَّةً، ويَنْفَكُّ عنهُ مرَّةً أُخْرَى.

ج- إذا ضَرَبَ مكانَ الصُّداع في الغالبِ يَزُولُ، أو يَنْتَقِلِ مِن مكانهِ ثُمَّ يَعُود.

د- إذا غُسِلَ الرأسُ بماءٍ قُرِئَ عليهِ القُرآن فإنَّهُ يخفّ أو يَزُول بإذنِ اللهِ وقَد يَعُود.

◉ **قذارةُ الثَّوب والبدنِ والمكان:**

إذا كانَ قرينُ الإنسانِ شيطاناً كافراً نجساً مِن شياطينِ الحمَّامات و المزابِل فإنَّهُ يؤثِّر علىٰ المصَابِ بأن يجعلهُ لا يَهتَمّ بمظهرِهِ ولا بِهِنْدَامِهِ، ولا بالمكانِ الَّذي يجلسُ

فيهِ، ويجعلهُ يُطيلُ أظافرَهُ وشعرَهُ ويظهرهُ بملابِس رثَّةٍ قَذِرَة، وكثيراً ما يَتردَّد المصروعُ علىٰ دوراتِ المياهِ، وغالباً ما يمكثُ في دوراتِ المياهِ والحمَّاماتِ فترات طويلة، وبالرَّغم مِن ذلك لا يَسْتَحِم الواحدُ منهم إلاَّ بعدَ عِدَّة أسَابيع أو عِدَّة شهور وبالإجبارِ والإكراهِ، وغالباً ما يتكلَّم المصروعُ بدوراتِ المياهِ بصوت مسموع في محاورةٍ بَيْنَهُ وبينَ شخصية لا يَراهَا المحيطونَ بِه، فَقَد يَسُبّ ويَلْعَن ويفحشُ في القولِ، أو يردِّد سباباً وشتَائِم وُجِّهت إليهِ حَقّاً.

◉ حبُّ الوحدةِ والانعزال:

الإنسانُ المقترنُ بهِ شيطانٌ في الغالبِ يكونُ منطوياً علىٰ نَفْسِهِ ومنعزلاً عَن المجتمع خُصُوصاً في بعضِ حالاتِ السِّحر، فهو يحبُّ الوحدةَ ويَتضَايق جدّاً مِن الإزعاج وَصُرَاخ الأطفالِ، ويكره معايشَةَ ومخالطةَ الآخرينَ، فَيَنْبَغِي علىٰ مَن يعلم أن بِهِ مَسّاً أن يُجاهِدَ نَفْسَهُ في البعدِ عِنْدَ الوحدةِ والانعزال، وأن يحاوِل الاندماجَ مَع أفرادِ أُسْرَتِه وعبادِ اللهِ الصَّالحين.

◉ الوسواس القَهري:

الوسوسةُ تكونُ تارةً مِن النَّفس، وتكونُ تَارةً مِنَ الشَّيطان، يقولُ اللهُ سبحانَهُ وَتَعَالىٰ في سُورة (قٓ): ﴿وَلَقَد خَلَقْنَا الإنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِن حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ويقولُ تَعَالىٰ في سورةِ (طه): ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشّيْطَانُ قَالَ يَا آدمُ هَل أدُلّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاّ يَبْلَىٰ﴾ ويقولُ سُبحانَهُ: ﴿قُل أعُوذُ بِربِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إلَـهِ النَّاسِ ۞ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۞ الَّذي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۞ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاس﴾ فالنَّفسُ لها وَسْوَسَةٌ، والإنسُ لَهُم وَسْوَسَةٌ، والجنُّ لَهُم وَسْوَسَةٌ، والوَسْوَسَةُ

تكونُ مِن الدَّاخل ومِن خَارج الجسَدِ، ولكنَّ الشَّيطانَ إذا ما اقترَنَ بالإنسانِ تكونُ وَسْوَسَتُهُ أقوى تأثيراً فَيجعَل المصروعَ في شُرودٍ ذِهنِيّ مُستَمِر، فهو لا يَسْتَطيع التَّركيز ولا التَّفكير ولا الخشُوع في الصَّلاة مِن شِدَّةِ الوسوسةِ، وقَد يجعَل الشيطانُ المصروعَ يشكّ ويَرتاب في تَصرُّفاتِه وأقوالِه وأفعالِه، وفي أقوالِ وأفعالِ وتَصرُّفَات الآخرينَ، وذلكَ مِن خلالِ مَا تُوسوسُ لَهُ الشَّياطينُ في صَدْرِه، حتَّىٰ تجعلهُ يُصَدِّق تِلْكَ الوسوسَةَ وذلكَ الإيحاءِ، ويعتَقِد بصحَّتِه فيكون خاضعاً لِتَصَرُّف الشيطانَ عَن طريقِ الوَسْوَسَةِ.

- والوسواسُ القَهريُّ الشَّيطاني: هو ما تمليهُ الشَّياطينُ مِن الوسوسةِ في صُدورِ الإنسِ مِن أجلِ أن تَقْهَر الإنسانَ بتلكَ الوَسَاوِس وتجعله يَتَفَجَّر غيظاً وقهراً، لأنَّ الشياطينَ تجعلهُ يُؤمن بأنها واقعٌ ولَيْسَت مجرَّد وسوسة، وهذا النَّوع مِنَ الوسوسَةِ في غايةِ الخطُورَةِ إذا ما ٱبتُلِيَ بهَا الإنسانُ، خصوصاً في حالاتِ سِحْرِ التَّفريق.

والوسوسةُ مِنَ الشَّيطان تكونُ علىٰ أشكال:

- منها ما يُقْذَفُ في رَوْع الإنسانِ مِنَ الهواجِس والأقوالِ والأفكارِ والشكُوكِ، وهذهِ تكُونُ بِصَوتٍ غَير مَسْمُوع لا مِنَ المصروع ولا مِنَ المحيطينَ بِهِ..

- ومنها: ما يَتَحَدَّث بِه الشيطانُ في بطنِ أو صدرِ أو أذنِ الإنسانِ بصوتٍ مَسْمُوع للمَصْروع نفسِهِ، وليسَ للمحيطينَ بِهِ، فتجِد بعضَ مَن بِهِ مَسٌّ يهذِي بكلام وَيُتَمْتِم ويَتَحَدَّث ويحاور نَفْسَهُ، وهُو في الحقيقةِ يَتحَدَّث ويحاور الشَّيطانَ الَّذي يُوسوس لَهُ..

- ومنها: أن يَرَى الإنسانُ الشَّيطانَ خَارجَ الجسدِ وَيُحَاورُهُ ويَتَحَدَّث إليهِ

ولكن مَن بجوارِ المصروع يَسْمَعُونَ الحوارَ مِن جانبٍ واحدٍ فَقَط.

ويذكرُ بَعْضُ مَن بهِ مَسٌّ بأنهُ تحصُلُ لهم بعضُ الأحلام والوَسْوَسَةِ الَّتي تقذف في رَوْعِهِم، والَّتي مِن خِلالِها يَتَعرَّفُونَ علىٰ كثيرٍ مِن الأمورِ الَّتي غالباً مَا تَتَحقَّق في واقع حياتِهِم، وهذا كُلّه مِنَ الشَّياطين حتىٰ تجعَل المصروعَ يَثِقَ في هذهِ الأحلام والوساوس ومِن ثمَّ تَخْلط مَعَهَا ما تُريد مِنَ الكَذِبِ والافتراءِ، عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَن الكُهَّان؟ فقَالَ لَهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنَّهُم يُحَدِّثُونَ أَحْيَاناً بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقّاً. فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تلكَ الكَلِمَةُ مِن الحَقِّ يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ من مِئَةِ كَذْبَةٍ». [رواه البخاري].

◉ **التَّخبُّط في الأقوالِ والأفعَال:**

وهو فِعْلُ الشَّيءِ علىٰ غَيْرِ هُدًى وعلىٰ غيرِ اتِّزانٍ، فإذا كانَ التَّخبط في الأقوالِ فَنجِد المصرُوعَ يَهذي بكلام غير مُتَرابِط المعنىٰ وغير صَحِيح ويتكلَّم بسرعةٍ وبصوتٍ عَالٍ، ولا يُعْطِي محدِّثَهُ فُرصةً للتَّفاهُم ولا المناقَشَة، يتكلَّم بسافِلِ وساقِطِ الحديثِ، يَسُبّ ويَشْتُم ويَلْعَن ويَتَّهم مِن غيرِ دليلٍ ولا بُرهانٍ، يَنْتَقِل مِن فكرةٍ إلىٰ فكرةٍ، ومن مَوضُوع إلىٰ موضوع مِن غير أن يُتِمَّ الكلامَ، وتجدهُ لا يَثِق بكلامِهِ ولا في أفعالِهِ ولا في كلام وأفعالِ الغَيرِ لَهُ، بَل يُفسِّرهَا ويفهمُهَا علىٰ عكسِ المرادِ منهَا، فَقَد تَقُولُ لَهُ قولاً أو تَفْعَل لهُ فِعْلاً مِن أجلِ أن تَتَقرَّب وتَتَودَّد إليهِ، إلاَّ أنَّ الشيطانَ يُوسوسُ لهُ ويستَخِفّ بفِكْرِهِ وعَقْلِهِ فَيجْعلهُ يَفْهَم قولَكَ وفِعْلَكَ علىٰ غيرِ مُرادِهِ.

- وإذا كانَ التَّخبُّط في الأفعالِ فَنجِد المصرُوعَ قَلَّما يُنْهِي عملاً، وقَلَّما يُتْقِن

حرفةً أو صنعةً، فهو دَائِم التَّنقّل مِن كُلِّيةٍ إلىٰ كُلِّيةٍ، ومِن دِرَاسَةٍ إلىٰ دراسةٍ، ومن مكانٍ إلىٰ مكانٍ، فالتَّقلُّب دَيْدَنُهُ، والاضطرابُ طَبْعُهُ، وأسلُوبُهُ في العَمَل فيه الهمَجيَّة، والإهمال يكونُ غالبٌ علىٰ طبعِهِ.

- أمَّا التَّخبُّط في الأحوالِ فَلا يَسْتَقِرّ علىٰ حالةٍ واحدةٍ، أو في مكانٍ واحدٍ فَيَنْتَقِل مِن مكانٍ إلىٰ مكانٍ، ومن أعلىٰ إلىٰ أسفَل، ومنَ الخارج إلىٰ الدَّاخل، لا يَسْتَقِرّ في مكانٍ أو علىٰ حالٍ واحدةٍ، فإذا جَلَسَ يُغَيِّر أوضاعَهُ بكثرةٍ وبسرعةٍ، وقَد تَظهر عليهِ سمات التَّعالي والتكبُّر والغَطْرَسَةِ، وحتَّىٰ في نومهِ تَجِدُهُ كثيرَ الحركَةِ دَائِم الاضطرابِ.

- وكذلكَ التَّخبط في النظراتِ، فَتَجِد نظراتُ المصرُوع شَاردةً ذاهلةً حائرةً، وقد يطرق ببصرِهِ، فَلا يكادُ ينظرُ إلىٰ محدِّثِهِ كسيرَ البَصَرِ، وقَد يَفْعَلُ العكسَ يشخصُ ببصرِهِ، لأنَّ البصرَ يَتْبَع الفِكْرَ، وفكرُ المصروعِ في شُرودٍ وذهولٍ وبصرُهُ كَذَلِكَ.

◉ **الخمول والكسل:**

إذا اقترنَ الشَّيطانُ بالإنسانِ صارَ الإنسانُ تفكيرُهُ غَير دقيقٍ وغير حصيفٍ وغير صحيح، ونظراتُهُ وحساباتُهُ لواقع حالِهِ ومُستَقْبَل أيَّامِهِ، نظرات وحسابات الإنسانِ البائِس الكئيبِ الحزين، لذلكَ لا يجِد في نَفْسِهِ الخفَّةَ والنَّشاط والحيويةَ لأنهُ إنسانٌ يَعيشُ بلا أملٍ ولا طُمُوح، وقَد يَتَسَبَّب الشيطانُ بالخمولِ الَّذي يصيبُ الإنسانَ فَلا يستطيع الحركةَ بخفَّةٍ ونشاطٍ، ويشعُر بحملٍ ثقيلٍ علىٰ كاهِلِهِ أو خَدرٍ في أعصابِهِ، وتجده كثيرَ النَّوم قَلِيْلَ الحركَةِ.

[انظر كتاب اقتران روح الشيطان بروح الإنسان بتصرف].

② أعراضُ اقتران الشيطان بالإنسان في المنام:

قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

اعلم أنَّ أهمَّ أعراضِ اقترانِ الشَّيطان بالإنسانِ في المنام، هِي:

◉ (الأرق): فلا يستطيعُ النَّومَ إلاَّ بَعْدَ مدَّةٍ طويلةٍ مِنَ الاسترخاءِ.

◉ (القَلَق): يشعرُ كأنَّ أحداً يُوقظهُ بينَ الحينِ والآخرِ، فَيستيقظ ويظلّ هكَذا.

◉ (السَّهر): وعَدَم القُدرةِ عَلىٰ النَّوم لمدَّةٍ طويلةٍ قَد تَصِل إلىٰ عِدَّةِ أيَّام.

◉ (اِرتعاد الجسم): فيحسّ برعشةٍ في الجسدِ، وحركاتٍ غَير طبيعيَّة.

◉ (الكوابيسُ والأحلامُ المفزعةُ): يَتَمَثَّل الشيطانُ للإنسانِ في منامِـهِ في صُوَرِ زَواحِف، أو حيوانـات مُفترسـة معادية للإنسـانِ، كـأن يَتَمَثَّل الشيطانُ في صور حياتٍ، وثَعَابين، وكِلاب، وقِطَط، وحَمِـير، وبغـال، وعقـارب، وعنـاكِب وسَحَالي، وأبقار، وجمال، وقُرُود، ونُمُور، وأسود، وأفيال، وأشباح مخيفة، فكثيراً ما يَتَمَثَّل الشيطانُ في صُورِ هذهِ الحيواناتِ لترويع الإنسانِ وتخويفِهِ فَيَسْتَيْقِظ الإنسانُ والضِّيقُ يملأُ صَدْرَهُ، والخوفُ والفزعُ يداومُهُ، بَل يُخَيِّـل الشيطانُ إلىٰ الإنسانِ هَذهِ الحيوانات في اليَقَظَةِ ليستَمِرَّ في خَوْفِه.

- و(مِن أعراضِ المسِّ في المنام): أن يَرَى أشخاصاً لابسينَ الملابسَ السَّوداء، أو يَرى أشـخاصاً طـولاً جِـدّاً أو قِصَـاراً جِـدّاً، أو يَـرَى الأشـخاصَ يَتَمَـدَّدُونَ وينكَمِشُونَ في حركاتٍ مُخيفةٍ، وقَد يَرى الرَّائي هذهِ الأشخاصَ عُيُونها مُستطيلة وليست مُستديرةً، ويراها حمراءَ أو يشعّ منها الاحمرارُ، ويَرى هذهِ الأعينَ تَنْظُرُ

إليهِ في غيظٍ وحبٍّ للانتقام منهُ، وقد يَتوعَّدونَهُ بقتلِه، أو قتْل عَزيز عليهِ، أو يَتمَثَّل له الشيطانُ في صورةِ أقرع بِلا رُمُوش ولا حَوَاجِب ضَخْم مخيف جداً، وقد تجبرُهُ الشَّياطينُ علىٰ المشي أثناءَ النَّوم والإنسان مغيّب لا يَدْري، فيصبح ليرى نفسَهُ نائماً في غيرِ مكانِه، أو يشعُر بالغطاءِ يُسْحَب عنهُ، أو يرى ويحسّ بمن يجامعهُ ويَسْتيقِظ وآثارُ الجماع في ملابِسِهِ، ومتاعب الجماع في بَدَنِه.

- وقد يَرى الإنسانُ في الحلُمِ أنَّه يسقُط مِن أماكنَ مُرتَفِعَة، وقد يَرى نَفْسَهُ يطيرُ في الهواءِ، أو يَرَى نَفْسَهُ في المقابِرِ، أو في المزابِل، أو في مَعَاطِنِ الإبلِ، أو في البيوتِ الخربَةِ، أو المناطق الموحشةِ المخيفةِ المرعبةِ.

- القرض إلىٰ الأسنان: أي: يَقْرِض علىٰ أضراسِهِ وأسنانِهِ حتَّىٰ تكاد أن تكون كالطَّواحين مِن شِدَّةِ الضّرس، وقد يتكلَّم وهو نائمٌ بكلام مَفْهُوم أو غير مفهوم، ويصاب بكثرةِ الحركاتِ الكثيرةِ المتتالية في قوَّة وغيظٍ، وقد يبكِي أو يضحَك وهو نائمٌ، ويتوعَّد ويحاور غيرَهُ وهُو نائمٌ.

- يَرَى بعضُ المصروعينَ في المنام وأحياناً في اليقظةِ جانّاً علىٰ صورةِ إنسانٍ له قرونٌ، ولعَلَّ هذا النَّوع من الجنِّ مِن صنف العفاريتِ.

وعموماً يُستَفَادُ مِن الأحلام في تحليلِ وتَشْخِيص الحالةِ مِن ناحيةِ سَبَبِ المسِّ إن كانَ انتقاماً، أو عشقاً، أو حالة سِحْر، أو عيناً، ومعرفة نوع الجنِّ وديانته.

والفرقُ بين أحلام المسحُور وأحلام مَن بهِ صَرَع مِنَ الجنِّ: أنَّ أحلامَ المصروع تَتوَقَّف علىٰ سببِ المسِّ، فَلَو كانَ المسُّ بسببِ العِشْقِ مثلاً، تجِد المصروعَ غالباً يرى في منامِهِ امرأةً تُقبِّلُهُ أو تُعاشِرُهُ، أو تستعرض أمامَهُ وتُداعبُهُ، أو تهديه وردةً أو هديَّةً أُخرى، وقد يَرَى نَفْسَهُ في زَواج.. إلخ.

وإن كانَ المسُّ بسببِ الاعتداءِ، فَتجِد المصروعَ يَرَى حيوانات تطاردُهُ، ويَرَى أنهُ يَسقُط مِن مكانٍ مرتفع وكوابيس مُزعجة جدّاً حتَّىٰ أنه يَتمَنَّىٰ أن لا يَنام أبداً.

ولو كانَ المسُّ بسببِ السِّحر فتجِد المسحورَ يَرَى أحلاماً توافِقُ أوامِر السِّحر، وبَعْض مَن بِهِم مَسٌّ تَسْتَخِفُّ الشياطينُ في عُقُولِهِم فتجعلهم يرونَ أحلاماً شِبْهَ يوميَّة، منهَا ما يحزِنُ، ومنها مَا يشغل قَلْبَ الإنسانِ بَعْدَ أن يَسْتيقِظ ويجعله يبحثُ عَن مَن يجيدُ تأويلَ الأحلام، حتَّىٰ أنَّ بَعْضَ المصروعينَ مَن يمتَلِك مُعْظَم كُتُب تَفْسِير الأحلام، وفي كلِّ ليلةٍ يحصُلُ له حُلمٌ. فَليلة يحلُمُ بأنه يَطيرُ، وفي أُخرَى يحلُمُ أنه يَسْبَحُ في البَحْرِ، وفي ليلةٍ يرى كلاباً تُطَارِدُهُ، وفي أخرى يَسْقُطُ مِن مكانٍ مُرتفع.. إلخ.

- ويذكُرُ صَاحِبُ كتاب «حوار مع الجن»: أنـهُ يُسْتَفَادُ مِنَ الأحلام في تَشْخيصِ ومتابعةِ حالَةِ المصَابِ.. فمثلاً: مَن يَرى دائماً أنهُ يطيرُ في الهواءِ، فإنَّ ذلكَ مؤشِّرٌ علىٰ أنه ممسُوسٌ مِن جنٍّ طَيَّار، لأنَّ هذهِ الصِّفة مِن صفاتِ الجنِّ الطَّيار، يقولُ: (الجنُّ ثلاثةُ أصنافٍ: فَصِنْفٌ يطيرُ في الهواءِ، وصِنْفٌ حيَّاتٌ وكلابٌ، وصِنْفٌ يحلونَ ويَظعنُونَ).

- أمَّا إذا كانَ مَن بهِ مسٌّ كثيراً ما يَرَى الثَّعابين أو الكلاب أو الحيوانات المفترسة، فإنَّ ذلكَ يَدُلُّنا علىٰ أنَّ المسَّ ناتجٌ عَن كراهيةٍ وعداءٍ مِنَ الجنِّ.. أمَّا إذا كانَ الكلبُ أو الثعبانُ يَلْعَب مَع الإنسانِ، فَيدُلّ ذلكَ علىٰ أنَّ سببَ المسِّ هُو العِشْقُ.

- ويُستفادُ مِن أحلام المريضِ حيثُ يَظْهَرُ الجنُّ للمصابِ في المنام بصورةٍ مخيفةٍ عندَ بدايةِ العِلاج بالقرآنِ.. ويَتطوَّر الأمرُ إلىٰ ظهورِ الجنِّ في شكلِ حَيَوانٍ مُرهَق مُتْعَب إلىٰ أن يَتِمَّ الشفاء فَتَخْتَفِي هذهِ الأحلامُ المفزعةُ ا. هـ. واللهُ أعلمُ.

وَيُستأنسُ بالأحلام أيضاً: في التَّشخيص ومعرفةِ نَوع الجنِّ ذكَراً أو أنثىٰ وعَدَد الجنِّ في الجسدِ، وكذلكَ يمكِنُ معرفة ديانَةِ الجنِّ الصَّارع، حيثُ يَرَى البعضُ الشيطانَ في منامِهِ وفي رقبتِهِ الصَّليب، أو علىٰ رأسهِ قُبَّعَةُ اليهودِ، وربما يراهُم علىٰ أشكالِ الحيَّات في مقدمةِ رُؤُوسِهم نفس ذَوائِب شَعْرِ اليهودِ من البشر..إلخ. بَل ويُستفاد مِن الأحلام في مَعْرِفَةِ مكانِ السِّحْرِ وطالب السِّحر والعَائِن.

أخرج البخاريُّ عَن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَم يَبْقَ مِنَ النُّبوَّةِ إلاَّ الْمُبَشِّرَاتُ» قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»[1].

وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن السِّتَارَةِ، وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّهُ لَم يَبْقَ مِن مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إلاَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أو تُرَى لَهُ». [رواه مسلم].

وعَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ﴿لَهُم البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤] قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يُبَشَّرُهَا الْمُؤْمِنُ، هِيَ جُزْءٌ مِن تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِن النُّبُوَّةِ، فَمَن رَأى ذَلِكَ فَلْيُخْبِر بِهَا، وَمَن رَأى سِوَى ذَلِكَ، فَإنَّمَا هُوَ مِن الشَّيْطَانِ لِيُحْزِنَهُ، فَلْيَنْفُث عَن يَسَارِهِ ثَلاثًا، وَلْيَسْكُتْ، ولا يُخْبِر بِهَا أحَدًا». [صحيح: رواه أحمد].

◉ ملاحظة: لا يَعْنِي أنَّ كُلَّ مَن يَرَى أنهُ يطيرُ، أو يَسْقُط مِن أعلَىٰ، أو يَرَى أشباحاً أو حيوانَات تُطَارِدُهُ في المنام أنهُ مَمْسُوسٌ، ولكن نَجْمَع بينَ أعراضِ اليقظةِ وبينَ أعراضِ النَّوم وأعراضِ المرَضِ مَع الأعراضِ الَّتي تَحْصُل وَقْتَ القراءةِ، وعندهَا يكونُ التَّشخيصُ الظَّنِّيُّ، واللهُ تعالىٰ أعلَمُ.

---

١ - قوله: (المبشرات) جمع مبشرة وهي البشرى. وقد ورد في قوله تعالىٰ: ﴿لهمُ البُشْرَى في الحَيَاةِ الدُّنيا﴾ هي الرؤيا الصالحة.

الفصل الحادي عشر

شياطين الإنس

عَن أبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: أتيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي المسْجِدِ فَجَلَسْتُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ صَلَّيْتَ؟» قُلْتُ: لا. قَالَ: «قُمْ فَصَلِّ» قَالَ: فَقُمْتُ فَصَلَّيْتُ ثُمَّ جَلَسْتُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، تَعَوَّذْ بِاللهِ مِن شَرِّ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِلإِنْسِ شَيَاطِينُ؟! قَالَ: «نَعَمْ». [رواه أحمد، والبزار].

اعلم أخي المسلم أنَّ الشيطانَ مِن هذا النَّوع أشدُّ مِن شَيطَنَةِ إبليس، لأنَّ إبليس قالَ: ﴿لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلاَّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة ص].

وقالَ: ﴿..لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الإسراء]. فهو لا يريد التسلط علىٰ الجميعِ، بينمَا شيطانُنَا هذا لم يَقْتَصِر علىٰ الإغواءِ كإبليس، ولكنَّه تَسَلَّطَ بجميع أنواع الفِتْنَةِ والإرهاقِ، يُريدُ إغواءَ الجميع وإضْلالهم واحتنَاكهم، حيثُ لا يَدَع أحداً ينطقُ إلاَّ بما يُوافقُهُ، ولا يَسْعىٰ إلاَّ بما يَهواه.

واللهُ تَعَالىٰ قالَ في كتَابِهِ: ﴿..فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل].

ولم يَقُل: استَعِذ مِن إبليس، لكثرةِ أجناسِ الشَّياطين وأنواعِهم الَّذين يصدُّون عَن سبيلِ الله. فمَا أكثرَ أعداءِ الرُّسُل مِن شَيَاطين الإنسِ، الَّذين ظَهَرُوا في كلِّ عَصْرٍ وبلدٍ وفي كلِّ فَتْرَةٍ، وهُم أشدُّ ضَرَراً مِن شياطينِ الجنِّ.

واعلَم أنَّ أساليبَ شَياطين الإنسِ في إغواءِ النَّاس كثيرة وكثيرةٌ جداً، فشياطينُ الإنسِ أشدّ مِن شياطينِ الجنِّ، يقولُ أهلُ العِلْم:

◉ كلّ مَن تعاونَ مَع إبليس، وكانَ مِن جُنودِهِ في الإغواءِ، وتحبيذ المنكرِ

والفحشاءِ فهو شيطانٌ، وكلّ مَن كانَت له مشاركَات وجهودٌ في صَدِّ النَّاسِ عَن سبيلِ اللهِ، فَهُو شيطانٌ.

◉ كلّ مَن دَعَىٰ إلىٰ طرقِ الباطِل بأيِّ أسلُوب، وتحتَ أيّ شِعَار، أو مَذْهَب، فهو شيطانٌ.

◉ والمثَبِّط والمعوِّق للنَّاس عَن الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عَن المنكَرِ.. شيطانٌ.

◉ والمحبِّب الرَّذيلةَ للنَّاس بأيِّ مُصْطَلَح، وتحتَ أيّ مُسمَّىٰ.. شَيطانٌ رجيمٌ.

◉ والَّذي يَعْمَل لإزالةِ الحياءِ مِن المجتَمَع.. شيطانٌ رجيم..

◉ والصَّحفيُّ والإعلاميُّ الَّذي يَنْشُر ما يخالِف الملَّةَ الإبراهيميةَ، والشَّريعة المحمَّديةَ.. شَيطانٌ رجيمٌ.

◉ والكاتبُ الَّذي ينشرُ مَا يُفْسِدُ الأخلاقَ، ويُذهِب بالمروءةِ والحياء، شيطانٌ.

◉ والَّذي يُغْري النَّاس بقولِهِ، أو فِعْلِهِ علىٰ تَقْلِيدِ أعداءِ اللهِ وَرُسلِهِ في أزيائِهِم، وأخلاقِهِم، وأعيادِهِم، ومَراسيمهم.. شيطان رجيمٌ..

لأنهُ يقولُ بلسانِ حالِهِ، أو بصريحِ مَقَالِهِ، أو بسوءِ خِصَالِهِ لمن قَلّدهم مِن الكفرةِ: ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ [سورة النساء: ٥١].

◉ ومِن أعظَمِهِم شَيْطَنةً، ومِن أشَدِّهم خُبثاً علىٰ الإطلاق مَن يَعْمَل علىٰ إزاحةِ النَّاس عَن مِلَّةِ إبراهيمَ، وعَن شريعةِ محمَّدٍ عليهما الصَّلاة وأتمّ التَّسليم.

إنَّك لتجِد الشَّيطان الإنسيَّ مرهقاً متعباً، يلهثُ كمَا يَلْهَثُ الكلبُ، لِنَشْرِ دعايَتِهِ، وتَرويج فكرَتِهِ، ويُنْفِق الأموالَ الطائلَةَ للصَّدِّ عَن سبيلِ اللهِ: ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٦].

فهؤلاء هم ورثَةُ إبليس مِن شياطينِ الإنس، الَّذين سلكُوا طريقَتَهُ في تَغْريرِ بني آدم، وإغوائِهم علىٰ الشرِّ وتحبيبِ الرَّذيلةِ، وهَجْرِ الفَضيلَةِ، وتحبيبِ خيانَةِ اللهِ، ونَبْذِ كتَابه ودينه..

وها نحنُ نَرَى هؤلاء الشَّياطين في هذا الزَّمان يسمُّونَ الفسادَ إصلاحاً، ويسمُّونَ المؤامرات والفِتَن ونَقْضِ العُهُود تحرّراً، ويُسَمُّون خيانةَ اللهِ، ونبذ مِلَّة إبراهيم تقدّميَّة، ويسمُّونَ ارتكابَ الفَوَاحِش مَدَنيَّة، ويُسَمُّونَ الدِّياثة حضَارَة وتَطَوُّراً، وعندَهُم نبذ كتاب اللهِ رقيّاً ومُسايرة للزَّمن، وهكذا مما تلوكُهُ ألسنَتُهُم العفنةُ في وسائِل الإعلام المختَلِفَةِ، وتُسَطِّرُهُ أيديهم النَّجسة في الكتبِ العَصْريَّة، والنَّشرات الدَّورية، والصُّحُف التي تَفَاقَمَ شَرُّهَا. وإلىٰ اللهِ وحدَهُ المشتكىٰ..

ولَقَد تَفَاقَم شرُّ هؤلاء الشَّياطين، وكثُر جنودُهُم وأولياؤهُم وعمَّت فِتْنَتُهُم، وكثُرَ ضَرَرُهُم، لقَد سَيْطَرَ الشَّياطين علىٰ أغلبِ المرافِق، وتاجَرُوا بالعُقُول، وتمويهِ الفِكْر، وبَلْبَلَةِ الخواطِر، وقَلْبِ الحقَائِق، وتَنْويع البَاطل، وتوزيعه بشتَّىٰ الزَّخارف والألوان.

فكُن أيُّها المسلم علىٰ حَذَرٍ ويَقَظَةٍ مَّما يُقذَفُ إليكَ سِرّاً وجَهْراً، وظاهِراً وباطنًا، واجعَل كتابَ اللهِ وَسُنَّة رَسُولِه ﷺ هما الميزان الَّذي تزن بهِ كُلَّ شيء، وكلَّ أحدٍ.. فإذا أعجبَكَ كلامُ أحدٍ أو تَبَجُّحُهُ بِدَعْوى الإصلاح، فَلا تجعل لهُ في قلبكِ مجالاً حتىٰ تَنْظُر في سِيرتِهِ وأعمَالِهِ، وتُقَارِن ما يَقُول بما يَفْعَل..

فإذا كانت أعمالُهُ علىٰ وفقِ كتَابِ اللهِ، وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ ورأيتهُ حَامِلاً رسالَةَ اللهِ آخذاً بكتابِهِ، عامِلاً لنصرةِ دِيْنِهِ، مُدَافِعاً عَن قضايَا المسلمين في كلِّ قُطْرٍ، فذلكَ مِن عبادِ اللهِ الصالحينَ.

وإنْ رَأيتَ أنَّ أحوالَهُ وأعمالَهُ كحالِ المنافقينَ الَّتي كشَفَهَا اللهُ في القُرآن، وأن ما يَدَّعيهِ مجرَّد مَزَاعِم يُتَاجِرُ فيها بعقولِ النَّاس، ويَلْعَب بِعَوَاطِفِهم، وأنَّ أعمالَهُ ومبادئه مُستَمَدَّة مِن الشَّرق، أو الغربِ، فذلكَ شَيْطانٌ، مِن جُنْدِ إبليسَ، ودعاةِ الضَّلال مهما كبرت مكانَتُهُ، أو كثرت كُتُبُهُ ومقَالاتُهُ، أو كثُرَ أتباعُهُ والمجنّدون لمبادئِهِ، فإنَّ اللهَ تَعَالىٰ يَقُولُ: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ..﴾ [سورة الأنعام: ١١٦].

نعم لَقَد تَفَاقَم شَرُّ الشَّياطين في هذا الزَّمان، إلىٰ حَدٍّ أَنَّهم أراحُوا الأبالِسَةَ مِن الجنِّ في كَثير مِنَ الأمورِ، وأراحُوا شياطينَ الاستعمارِ في كثيرٍ مِنَ المهام، فصارت فِتْنَتَهُم أشَدّ مِنَ القَتْل، وذلكَ لأنهم احتَسُوا مِن قيح الاستِعْمَار ودَمِهِ وصَدِيْدِهِ، فأخذُوا يمجونهُ علىٰ القُلُوبِ الطَّاهِرَةِ، وتجرؤوا علىٰ ما لم يتجرّأ عليه المستَعْمِر قولاً، وعملاً، وتنفيذاً، وفِتْنَةً.. ومن هؤلاء الشاعر نزار القبانيّ، الذي سنضربُ المثلَ بشعرِهِ الذي شاعَ وانتشرَ بينَ أوساطِ المسلمينَ بشكلٍ لا نظيرَ لهُ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيم..

وإلىٰ اللهِ وحده نجأرُ بالدُّعاءِ أن يحولَ بينَ هؤلاءِ الشياطين، وبينَ أبناءِ أمَّتنا من المؤمنين والمسلمين.. وهو القادرُ المقتدرُ.. الذي لا يُغلبُ ولا يُقهر..

❖ ❖ ❖

الشيطان نزار

أحزَنَني سؤالُ امرأةٍ أحسبُها مِن دولِ الخليجِ مِن زيِّها ولهجَتِها حينَ رَفَعَت خِمَارَها عَن وجهِها وسَألت بائعَ الكتُب في دار ابنِ كثير بدمشق عَن ديوانِ الشَّاعر نِزار القباني.. أحزَنَني ذلكَ جداً، قلتُ في نفسي: ماذَا تُريدينَ مِن نِزار وهَل رَحَلْتِ إلىٰ بلادِنا بحثاً عن نِزار؟.. تَركتِ بلادَ الحرَم والطُّهْر ومَهبطَ الوَحي والأمن لِتَسْألي في بلادي عَن نزار؟؟ أُخيَّتي هل تَدرينَ مَن هوَ نِزَار؟!

إنَّه نِزَار[1] وما أدراك ما نِزار..

نزارُ التكبُّر علىٰ الخالق القهَّار..

نزارُ الاستهزاءِ بكلِّ فَضيلَةٍ وعِفَّةٍ..

نِزارُ بُؤرة كُلِّ فَسَادٍ وعفُونَةٍ..

نزارُ الكُفْرِ والرِّدَّةِ..

نزارُ الزَّندَقَةِ والإلحاد.

نزارُ وَجه الحداثة[2] الكالح، ومستنقع الوثنيةِ الآسِن.

---

(١) هو نزار توفيق قباني من أشد الشعراء حرباً علىٰ الله تعالىٰ في هذا القرن وأفجرهم، ولد في مدينة دمشق بسوريا في الحادي والعشرين من شهر مارس من عام ١٩٢٣م، وهلك في فجر يوم الخميس الثلاثين من شهر إبريل من عام ١٩٩٨م في أحد مستشفيات لندن، وينتمي إلىٰ أسرة متوسطة حيث كان والده تاجر حلوى بدمشق.

(٢) الحداثة هي تصور إلحادي جديد للكون والإنسان والحياة، ومذهب فكري أدبيّ علماني يسعىٰ لهدم كل موروث، والقضاء علىٰ كل قديم، والتَّمرد علىٰ الأخلاق والقيم والمعتقدات، وبني علىٰ أفكار وعقائد غربية مثل: (الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية) واستفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل: (السريالية والرمزية).

ومن أبرز شخصياتهم: (شارل بودلير) وهو أديب فرنسي نادى بالفوضىٰ الجنسية، ويلقبه بعض الحداثيين بـ (نبي الشِّعر)!!

وقد كانت مراحل حياة هذا المجرم منذ طفولته نموذجاً للضَّياع والشذوذ ثم بعد نيل الشَّهادة=

إنَّهُ نزار قباني يا مَعَاشِر الفُضلاء، الذي أمضىٰ (٧٥) عاماً مِن حياتِه بين الكأسِ والنَّهد والحلَمَاتِ، فهو الَّذي كانَ يُلَقَّب عند مُحِبِّيه بشاعِر (النَّهدين والحلَمَات) وليته وقفَ عندَ النُّهُود والحلَمَات لكانَ أمرُهُ إلىٰ اللهِ إن شاءَ غَفَرَ لَهُ ابتداءً وإن شاءَ عَذَّبَهُ، إن كانَ مسلماً عاصياً، وهذا مِن أصول أهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ.

ولكنَّ نِزار تجاوزَ الحدَّ وركِبَ الصَّعب، ولم يهدأ لهُ بالٌ ويَغْمَض لهُ جفنٌ إلاَّ بالاستهزاءِ مِن صاحِبِ الفَضْلِ والكَرَم والجودِ، رَبِّ الأربابِ وَمَلِكِ الملوكِ القَاهِرِ المعبود.

إنَّ نزارَ قبانيّ ما مِن ديوانٍ لَهُ إلاَّ وقَد ذكَرَ فيهِ اسمَ اللهِ عِدَّةَ مَرَّات علىٰ وَجْهِ

=الثانوية عاش عيشة فسوق وانحلال، وأصيب بالمرض الجنسي (الزهري) وعاش في شبابه عيشة تبذل وعلاقات شاذة مع مومسات باريس، وانشغل في آخر حياته بالمخدرات والشراب، وقيل: إنه كان يعيش مصاباً بمرض انفصام الشخصية.

ومنهم (غوستاف فلوبير، ومالا راميه، والروسي مايكوفسكي، ويوسف الخال).

ومنهم: (أدونيس) واسمه الحقيقي: علي أحمد سعيد، وهو سوري، ويُعدّ المروِّج الأول لمذهب الحداثة في البلاد العربيةِ، وقد هَاجم التاريخ الإسلاميّ والدِّين والأخلاق. والمرتَّد الماجِن (نزار قباني).

والملحد (عبد العزيز المقالح) وهو كاتب وشاعر يمني ذو فكر يَسَاري.

و(عبد الله العروي) مغربي، و(محمد الجابري) مغربي، والشاعر العراقي الماركسي (عبد الوهاب البياتي) والشاعر الفلسطيني (محمود درويش) عضو الحزب الشيوعي الإسرائيلي سابقاً، والشاعر المصري (صلاح عبد الصبور) و(فدوى طوقان) و(أمل دنقل).

ومن معتقدات وأفكار الحداثيين رفض مصادرِ الدِّين، الكتاب والسُّنة والإجماع إمَّا صراحةً أو ضمناً، ورفض الشَّريعة علىٰ أنها موجهة للحياةِ البشريةِ، والدَّعوة إلىٰ نقدِ النُّصوص الشَّرعية، وتحطيم الأطر التقليدية، وتبَنِّي رغبات الإنسانِ الفوضوية والغريزية، واللّغة عند القوم قوَّة ضخمة من قِوى الفِكْر المتخلّف التراكمي السلطوي، لذا يجب أن تموت، ولغة الحداثة هي اللغة البديل.

ومن خصائص الحداثة محاربة الدِّين بالفِكْرِ والنَّشاط، والحيرة والشَّكّ، والقلقِ والاضطراب، وتمجيدِ الرَّذيلة والفساد والإلحاد، والهروب مِنَ الواقع إلىٰ الشَّهوات والمخدرات والخمور.

وباختصار هِي خلاصة سُمُوم الفِكْر البشري كلّه، مِنَ الفكر الماركسيّ، إلىٰ العِلمانية الرَّافضة للدِّين، إلىٰ الشُّعوبية، إلىٰ هَدْم عمود الشّعر، إلىٰ شجب تاريخ أهلِ السُّنَّةِ كاملاً، إلىٰ إحياءِ الوثنيات والأساطير. وإلىٰ اللهِ المشتكىٰ..

السُّخريةِ والتَّنقص والاحتِقَار، فلماذا هَذا التَّمرّد يا نِزار علىٰ ربِّكِ وخَالِقك؟!
ولماذا كلّ هَذا في حقِّ اللهِ تَعَالىٰ؟!

ولنَستَعرِض معاشِرَ الفُضلاء والعُقـلاء بَعْضَ دواوين ذلكَ المخذُول، لنَرَى مبلَغ ما افتَراهُ هَذا الأفَّاك، ومَدَى ما قَامَ بِهِ مِن التَّنقص والسُّخريةِ مِنَ اللهِ ورُسلِهِ.

وليُكثر القـارئ الكريمُ ومَن يخافُ مِن سطوةِ الجبَّار وانتقامِه مِـن التَّـهليل والتَّسبيح والتَّقديس والتَّمجيد لِرَبِّ هذا الكَونِ وخالِقِهِ علىٰ ما سَيَقرأه مِن أقوال هذا الأفَّاك الأثيم..

◉ (١) فَمِن صُور استِهزاءِ نِزار قبَّاني باللهِ: ادعاؤهُ بأنَّ اللهَ تَعَالىٰ قَد ماتَ وأن الأصنامَ والأنصابَ قَد عادَت، فيقول:

«مِن أين يأتِي الشِّعر يا قُرطاجة.. واللهُ مَاتَ وعَادَت الأنصابُ»..
[الأعمال الشعرية الكاملة (٣/٦٣٧)].

◉ (٢) كما يُعلِن ويُقِرّ بِضَيَاع إيمانِهِ، فَيَقُول:

«ماذا تَشْعُرينَ الآنَ؟ هَل ضَيّعتِ إيمانكِ مِثْلِي، بجميع الآلِهَـةِ» [المصدر السابق (٢/٣٣٨)]

◉ (٣) كما يَعْتَرِف نزارُ قباني بأنَّ بلادَهُ قَد قَتَلَت اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُول:

«بِلادي تَرفُض الـحُبّا.. بلادِي تَقتُل الرَّبّ الَّذي أهدَى لها الخصبَا..
وحـوَّل صَخْرَهَـا ذهباً.. وغطَّىٰ أرضَـها عُشباً.. بِلادِي لم يزرهَـا الـربُّ منـذُ اغتالَت الرَّبَّا..» [يوميات امرأة لا مبالية/ صفحة ٦٢٠].

◉ (٤) وهنا يَعْتَرِفُ نزارُ قبانِّي بأنهُ قَـد رأى اللهَ في عمَّـان مذبوحـاً علىٰ أيـدِي رجالِ الباديةِ فيَقُول في مجموعةِ (لا) في (دفَاتِر فلسطينية) صفحة/١١٩:

« حينَ رأيتُ اللهَ.. في عمَّان مَذْبُوحاً.. عَلىٰ أيدي رجالِ الباديةِ.. غَطَّيت وَجْهِي بِيَدَيّ.. وصِحْتُ: يا تَاريخ ! هَذِي كربلاء الثَّانية.. ».

◉ (٥) أمَّا هنا فَيَذكرُ نِزار قبَّاني بأنَّ اللهَ تَعَالىٰ قَد ماتَ مَشْنُوقاً علىٰ بابِ المدينَةِ، وأنَّ الصلوات لا قيمةَ لَهَا، بَل الإيمانُ والكُفْرُ لا قيمةَ لَهُما فيقول في مجموعة (لا) أيضاً في (خطاب شخصي إلىٰ شهرِ حُزيران) صفحة/١٢٤ :

« أطلِق علىٰ الماضِي الرَّصَاص.. كُن المسدَّس والجريمة.. مِن بعدِ مَوتِ اللهِ، مشنوقاً، علىٰ بابِ المدينَةِ.. لم تَبْق للصَّلواتِ قِيمَة.. لم يَبْق للإيمانِ أو للكُفْرِ قيمة.. ».

◉ (٦) أمَّا عَن استهزائِهِ بالدِّين ومدحِهِ للكُفْرِ والإلحادِ فَيَقُول :

« يا طَعْم الثَّلج وَطَعْم النَّار.. ونكهة كُفْري وَيَقين » [الأعمال الشعرية الكاملة (٣٩/٢)].

◉ (٧) كما أنَّ نزار قبَّاني قد سَئِمَ وملَّ مِن رقابَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حينَ يَقُول :

« أُريدُ البَحْثَ عَن وطنٍ.. جَديدٍ غَير مسكُون.. ورَبّ لا يُطارِدُني.. وأرضٍ لا تُعَادِيني » [(يوميات امرأة لا مبالية) صفحة ٥٩٧].

◉ (٨) ويعترفُ نزار قبَّاني بأنهُ مِن رُبع قَرْنٍ وهو يمارِس الركُوعَ والسُّجود والقِيَام والقُعُودِ وأنَّ الصلوات الخَمْس لا يَقْطَعُها !! وخطبة الجمعة لا تَفُوته، إلاَّ أنه اكتَشَفَ بعدَ ذلكَ أنَّهُ كانَ يَعيش في حظيرةٍ مِن الأغنام، يُعلف ويَنَام ويَبُول كالأغنام، فيقول في ديوانه (الممثلون) صفحة/ ٣٦-٣٩ :

« الصلواتُ الخمسُ لا أقطَعُها.. يا سادَتي الكِرام.. وخطبةُ الجمعةِ لا تَفُوتُني..

يا سَادَتي الكِرَام.. غَير ثَدي زَوْجَتِي لا أعرفُ الحرامَ..

أمارِسُ الركُوع والسُّجود.. أمارسُ القِيَامَ والقُعُودُ.. أمارسُ التَّشخيص خَلْفَ حضرةِ الإمام..

وهكذا يا سَادَتي الكِرام، قَضيتُ عِشرينَ سَنَةً.. أعيشُ في حظيرةِ الأغنام..

أُعلَفُ كالأغنام .. أنامُ كالأغنام.. أبولُ كالأغنَام..».

◉ (٩) وكما يَصِف نزارُ قباني (الشَّعب) بصفات لا تَليقُ إلاَّ باللهِ تَعَالىٰ فيقُول في ديوانِهِ (لا غَالب إلاَّ الحبّ) صفحة/١٨ :

أقولُ: لا غالبَ إلاَّ الشَّعب.. للمَرَّة المليون.. لا غَالِبَ إلاَّ الشَّعب..

فهو الَّذي يُقَدِّرُ الأقدارَ.. وهو العَليمُ، الواحِدُ، القَهَّار..

◉ (١٠) كما أنَّ للشَّيطان نِزَار قَصيدة بعنوان (التنصُّت علىٰ اللهِ) ينسب فيهَا الولَدَ للهِ ويرميهِ بالجهلِ، تَعَالىٰ اللهُ عَن ذلكَ عُلُوّاً كبيراً فيقولُ في صفحة/١٧٠ :

« ذهبَ الشَّاعِرُ يوماً إلىٰ اللهِ.. ليشكُو لَهُ ما يُعانِيه مِن أجهزة القَمْع..

نظرَ اللهُ تَحْتَ كُرسِّيهِ السَّماويّ، وقالَ لَهُ: يا وَلَدِي هَل أقفَلْتَ البابَ جَيِّداً؟».

◉ (١١) ومِن صُوَرِ استهزائِهِ باللهِ وبحكمَتِهِ في خَلْقِ مخلوقاتِهِ علىٰ ما يُريدُهُ سبحانَهُ قَولُهُ في ديوانِهِ (أشهد أنَّ لا امرأةَ إلاَّ أنتِ) !![1] تحت قصيدة بعنوان (وماذا سيخسرُ ربِّي؟)! صفحة/٨٢ :

« ومَاذا سَيَخْسَرُ رَبِّي؟ وقَد رَسَمَ الشَّمسَ تُفَّاحةً..

وأجرى المياهَ وأرسَىٰ الجبالا.. إذا هو غير تكويننَا..

فأصبَحَ عِشْقِي أشدّ اعتِدَالاً.. وأصبحت أنتِ أقلَّ جمالاً»..

(١) وأنا أقول: أشهدُ أن لا إلـهَ إلاَّ أنت ربٌّ تَفَرَّدَ بكلِّ صفاتِ الكمال ونُعُوتِ الجمَال والجلال وكمالِ الحكمة والرَّحمةِ والإحسانِ والبرّ: ﴿فَتَعَالىٰ اللهُ الملِكُ الحقُّ لا إلهَ إلاَّ هُوَ رَبُّ العرشِ الكَريم﴾. [المؤمنون: ١١٦].

◉ (١٢) ويتمادَى نزار قبّاني في سُخريتهِ واحتقاره حتَّىٰ وصل إلىٰ ذلك اليوم الَّذي قال عنهُ الجبارُ تعَالىٰ: ﴿يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُم إنَّ زَلزَلَةَ السَّاعَةِ شَيءٌ عَظِيم ۝ يَومَ ترَونَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرضِعَةٍ عمَّا أرضَعَت وتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَملٍ حَمْلَها وتَرى النَّاسَ سُكَارى ومَا هُم بِسُكَارى ولكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيد﴾ [الحج: ١-٢]

إنَّهُ يومُ القيامةِ الَّذي يسخَرُ منهُ نزار قبّاني، إذ يُشبِّهه بنهدي عَشيقتِهِ فيقول في ديوانِّه (الحبّ) صفحة/٤٧:

«كيفَ مَا بينَ ليلةٍ وضُحَاهَا.. صَار نَهْدَاك.. مثل يَوم القِيَامَة ؟».

◉ (١٣) وهنا يُصرِّحُ الملحدُ نِزار قباني بأنهُ قَد قَرأ آياتٍ مِنَ القرآنِ مكتوبة بأحرفٍ كُوفيَّةٍ عَن الجهادِ في سَبيلِ اللهِ، وعَن الرَّسولِ ﷺ وعَن الشَّريعة الحنيفةِ، لكنَّهُ لا يُبَارِك في دَاخِلِ سَريرَتهِ إلاَّ الجهاد علىٰ نحورِ البَغَايَا، وأثداءِ العَاهِرَاتِ، وبينَ المعاصِم الطَّريَّةِ، فيقول في دِيوانِهِ (لا) صفحة/٥٧:

«أقرأُ آياتٍ من القرآنِ فَوقَ رَأسِهِ.. مكتوبةً بأحرف كوفيَّة..
عَن الجهادِ في سبيلِ اللهِ، والرَّسُول، والشَّريعةِ الحنيفة..
أقولُ في سَريرتي: تَبَارَكَ الجهادُ في النُّحُورِ، والأثداءِ، والمعاصِم الطَّريَّةِ»..

◉ (١٤) كما أنَّ نزار قبّاني لم يسلم مِن استهزائِهِ حتَّىٰ أصحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وهُم خير خَلْقِ اللهِ أجمعينَ بَعْدَ الأنبياءِ والمرسَلِينَ فها هُو يصفُ الصَّحابيَّ الجليلَ أبا سُفيان صَخْرَ بنَ حَرْبٍ ﷺ بأنهُ مِن الطغاةِ بَل يجمع بينَهُ وبينَ فرعونَ هذهِ الأمة أبي جَهْل عليهِ لعائنُ اللهِ، فيقولُ في ديوانه (لا) صفحة/٧٦:

«تعال يا غُودو.. وخَلِّصنا مِن الطُّغاةِ والطُّغيان..
ومِن أبي جهل، ومِن ظُلْم أبي سُفيان»..

● (١٥) يصف نزارٌ نفسهُ بالإلحادِ فيقُولُ أيضاً :

« ماذا أُعطيكِ ؟ أجيْبِي ، قَلَقِي.. إلحادي.. غثياني..

ماذا أُعطيكِ سِوى قَدَر يَرْقُصُ في كفِّ الشَّيطانِ..» [المصدر السابق (١/٤٠٦)].

● (١٦) ومِن أقوالِهِ الَّتي صَرَّح فيهَا بأنهُ قَد كَفَرَ باللهِ العَلِيِّ العَظيم قوله :

« فاعذُرُونِي أيُّها السَّادةُ إن كُنتُ كَفَرتُ» [المصدر السابق (٣/٢٧٧)].

● (١٧) وهنا يَذكُر نزار قبَّاني بأنَّ اللهَ جَلَّ وعَلا يَغْسِل يَدَيهِ من بعضِ خَلْقِهِ تعالىٰ اللهُ عَن ذلكَ عُلُوّاً كبيراً فيقولُ في أعمالِهِ السِّياسيَّة الكاملة صفحة/٤٦ :

« ليس في الحيِّ كلِّه قُرشيٌّ.. غَسَلَ اللهُ من قُريش يديهِ..» ..

● (١٨) وهنا يَسألُ المارق نزار قبّاني نَفْسَهُ علىٰ وَجْهِ السُّخرية والاستِهْزاءِ مُتَشكّكاً في ربِّهِ وخالِقِهِ وصاحِبِ الفَضْلِ عليهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالىٰ ، وهَل قَد أصبَحَ عَزَّ وَجَلَّ زَعيماً لمجموعةٍ مِنَ اللُّصوص والسُّراق ، كما يقولُ في أعمالِهِ السِّياسيَّة الكاملةِ صفحة/٩٨ :

« قُلتُ لِنَفْسِي وأنا.. أواجهُ البنادِقَ الرُّوسيَّةَ المخرطشَةَ..

واعَجَبِي.. واعَجَبي.. هَل أصبَحَ اللهُ زَعيم المافيا؟ » ..

● (١٩) كما يَدَّعي نزار قبَّاني أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُغَنِّي ، تَعَالىٰ اللهُ عَن ذلكَ عُلُوّاً كبيراً ، فيقولُ في أعمَالِهِ السِّياسيَّةِ الكامِلَةِ صفحة/١٣٥ :

«آهٍ.. يا آه.. هل صارَ غناءُ الحاكِم قُدسيّاً.. كغناءِ اللهِ؟ » .

● (٢٠) وهنا يثبتُ نِزار قباني أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ له رائحةٌ ، تَعَالىٰ اللهُ وَتَنَزَّه عَن ذلكَ ، فيقول في أعمَالِهِ السِّياسية الكاملةِ صفحة/٤٥٥ :

«الاقترابُ مِن (ناديا تويني)[1] صعبٌ..

كالاقتراب مِن حمامةٍ مَرسُومَةٍ علىٰ سقفِ كَنِيْسَةٍ..

كالاقترابِ مِن ميعادِ غَرَام..

كالاقترابِ مِن حُوريَّة البَحْر..

كالاقترابِ مِن ليلةِ القَدْرِ..

كالاقترابِ مِن رائِحَةِ اللهِ..»

● (٢١) كما أنَّ نزار قبَّاني يُصَرِّح بلا خَجَل ولا خَوف مِنَ اللهِ تَعَالىٰ بأنَّ هناكَ مِن الكائنات والمخلوقات مَن قدَّمت استقَالَتَها الجماعِيَّةَ إلىٰ الله!! وذلكَ بَعْدَ مَوتِ الشَّاعرةِ اللبنانيةِ (ناديا تويني) فيقول في أعمالِهِ السِّياسيةِ الكامِلَةِ صفحة/٤٦٢:

«ولأنَّ نَاديا تُويني كانَت جزءاً مِن سِفْرِ العَصَافير..

وسِفْر المراكِب .. ورائحةِ النَّعناع..

وبكاءِ الأمطار علىٰ قَراميد بيروتِ القَدِيمةِ..

فلقد قدَّمت كُلُّ هذهِ الكائِنَات استِقَالَتَها الجماعيَّةَ إلىٰ اللهِ..

لأنَّها بَعد ـ نادِيَا تُويني ـ تَشْعُر أنَّها عاطلة عَن العَمَل».

● (٢٢) ومِن صُورِ زَنْدَقَتِهِ وجرأتِهِ علىٰ دِيْنِ اللهِ تَعَالىٰ: جَعْلَهُ الزِّنا عبادةً، وتَشبيههُ إيَّاه بصلاةِ المؤمنِ لِربِّهِ وَخَالِقِهِ كمَا يَنْقُلُ ذلكَ منيرُ العكش في كتابه (أسئلة الشِّعر) في مقابلةٍ أجراهَا مَع نزار قبَّاني صفحة/١٩٦ حيثُ يَقُول:

«كلُّ كَلِمَةٍ شِعْرِيَّةٍ تَتَحَوَّل في النِّهايةِ إلىٰ طقسٍ مِن طُقُوسِ العِبَادَةِ والكَشْفِ

---

(١) شاعرة لبنانية نصرانية.

والتَّجلي.. كلُّ شيءٍ يَتحوَّل إلىٰ ديانَةٍ..

حتَّىٰ الجنس يَصِيرُ ديناً..

والسَّريرُ يَصِيرُ مديحاً، وغُرفَةُ اعتِرَاف..

والغريبُ أنَّني أنظرُ دائماً إلىٰ شِعري الجنسيّ بعينيّ كاهِن، وأفترشُ شَعْرَ حَبيبَتِي كما يَفْتَرِشُ المؤمنُ سجَّادَةَ صلاةٍ، أشعُرُ كُلَّمَا سَافرت في جسدِ حَبيبتي أنِّي أشفّ وأتَطَهَّرُ وأدخُلُ مملكةَ الخيرِ والحقِّ والضَّوء..

وماذا يكونُ الشّعرُ الصُّوفي سوى محاولة لإعطاءِ اللهِ مدلولاً جنسياً ؟».

◉ (٢٣) ومِن صُور استهزائِهِ وسُخريتهِ بالجبَّار جلَّ وَعَلا: وَصْفَهُ بأنَّ لَهُ حُجرةً قمريَّةً يدخُلُ فيهَا، فيقول:

«يكونُ اللهُ سَعيداً في حجرَتِهِ القَمَريَّة».

[مجموعة الأعمال الشعرية (١٨٨/٢)]

◉ (٢٤) ويَتمَادَى نزار قبَّاني بوصفِ ربِّه وخالِقِهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالىٰ بكلِّ صفات النَّقصِ والاستهزاءِ والعَيْب واصفاً إيَّاه بأنهُ سُبْحَانَهُ: خالَفَ كُتُبَهُ السَّماويةَ، وأنهُ انحازَ إليهِ بصورةٍ مكشوفَةٍ ـ عياذاً باللهِ تَعَالىٰ ـ وزعمه أنَّ للهِ بيتاً يذهبُ إليهِ ـ تَقَدَّسَ رَبُّنَا وتَنَزَّهَ ـ وأنهُ صديقٌ للهِ، فَيَقُولُ:

«حينَ وَزَّعَ اللهُ النِّساءَ علىٰ الرِّجالِ وأعطاني إيَّاكِ..

شَعَرتُ أنهُ انحازَ بصورةٍ مكشوفةٍ إليَّ..

وخالَفَ كلَّ الكُتُبِ السَّماويَّةِ الَّتي ألَّفَهَا..

فَأعطَاني النَّبيذَ وأعطَاهُم الحِنْطَةَ..

ألبَسَنِي الحريرَ وألبَسَهُم القُطْنَ..

أهدى إليَّ الوردَةَ وأهدَاهُم الغُصْنَ..

حينَ عرَّفَني اللهُ عليكِ ذَهَبَ إلىٰ بَيْتِه..

فكَّرتُ أن أكتبَ لهُ رسالةً.. علىٰ ورقٍ أزرَق..

وأضعُـهَا في مغلَّـفٍ أزرَق.. وأغسِـلهَا بـالدَّمع الأزرَق أبدأهـا بعبـارةٍ: يَـا صَدِيْقِي ، كنتُ أريدُ أن أشكُرَهُ..

لأنهُ اختاركِ لي..

فاللهُ كمَا قَالُوا لي لا يَسْتَلِم إلاَّ رَسَائِل الحبِّ..

ولا يجاوب إلاَّ عَلَيْها..

حين استَلَمْتُ مكافأتي ، ورَجَعْتُ أحملكِ علىٰ راحَةِ يَدِي ، كزهرةِ مَانُوليا..

بُستُ يَدَ اللهِ ، وبُستُ القَمَرَ والكواكِبَ واحداً واحداً» [المصدر السابق (٢/٤٠٢)]

◉ (٢٥) ويغرقُ نـزار قبَّاني في أوحـالِ الـرِّدَّةِ ، ومُسْـتَنْقَع الإلحـادِ ، فَينسُـب للواحدِ القهَّار الزَّوجَةَ والعشيقةَ تَعَالىٰ ربُّنا وتَقَدَّس ، ويزعُم أنَّ الملائِكَةَ تَتحَـرَّر في السَّماءِ فَتُمَارسُ الزِّنا (الحبّ) كما يَقُول :

«لأنَّني أُحِبُّكِ ، يحدثُ شيءٌ غيرُ عَـاديّ ، في تَقَـاليد السَّماءِ ، يصبحُ الملائكةُ أحراراً في ممارسَةِ الحبِّ ، ويَتَزَوَّجُ اللهُ حَبِيبَتَهُ» [المصدر السابق (٢/٤٤٢)].

◉ (٢٦) ومِن نماذج كُفْرِهِ العَفِن تشبيهه الخَالِقَ بالـمخلوقِ فَيَقُول :

«إلهٌ في مَعَابِدِنَا نصلِّيه ونَبْتَهِل.. يُغازلنَا وحين يجوعُ يأكُلُنا..

إلهٌ لا نُقَاومُهُ يُعَذِّبُنا ونَحتَمِل.. إلهٌ ما لَـهُ عُمـر إلـهٌ اسمُـهُ الرَّجُـل» [المصدر نفسه (١/٦٣١)]

◉ (٢٧) كما أنَّ نزار قبَّـاني بلـغَ مِـن الكبرياءِ والاستعلاءِ مَا بَلَغَـهُ فرعـونُ في

عصرهِ حتَّىٰ وصَفَ نَفْسَهُ بأنهُ إلهُ الشّعرِ يَتصرَّف كيفَ يَشاء، يَقُولُ:

«إنَّني علىٰ الورقِ أمتَلِكُ حرية.. وأتَصَرَّفُ كإله.. وهذا الإلهُ نَفْسُهُ هو الَّذي يخرجُ بَعْدَ ذلكَ إلىٰ النَّاس ليقرأ ما كَتَبَ، ويَتَلَذَّذ باصطِدَام حُرُوفِهِ بِهِم..

إنَّ الكُتُبَ المقدَّسَةَ جميعاً ليست سِوى تَعبير عَن هذهِ الرَّغبة الإلهية في التَّواصلِ.. وإلاَّ حكَمَ اللهُ علىٰ نَفْسِهِ بالعُزْلَةِ» [(أسئلة الشعر) صفحة: ١٧٨]

● (٢٨) وكذلكَ جعَل نزار قبَّاني اللهَ مُحتاجاً إلىٰ خَلْقِهِ ـ تعَالىٰ اللهُ عَن ذلكَ عُلُوّاً كبيراً ـ فقَالَ:

«اللهُ يُفَتِّش في خارِطَةِ الجَنَّةِ عَن لُبنَان» [المصدر السابق (٢/٣٢٣)].

● (٢٩) كمَا يَصِفُ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ بالجهل وعَدَم المعرفَةِ بخلقٍ مِن مخلوقَاتِهِ وهُو الإنسانُ وقلبُهُ، فيقُول:

«.. القلبُ الإنسانيُّ قمقمٌ رَمَاهُ اللهُ علىٰ شَاطِئِ هذهِ الأرضِ، وأعتَقِدُ أنَّ اللهَ نَفْسَهُ لا يَعْرِفُ محتَوى هَذا القُمْقُم، ولا جِنْسِيَّة العَفَاريتِ الَّتي سَتَنْطَلِقُ مِنْهُ، والشّعر واحدٌ مِن هذهِ العفَاريت» [(أسئلة الشعر) صفحة ١٩٥].

● (٣٠) ويَعْتَرفُ نزار قبَّاني للملإ أجمعِين أنَّهُ قَد بَاعَ اللهَ مِن أجلِ عاهِرَةٍ فاجِرَةٍ فيقول:

«علىٰ أقدام مُومسةٍ هنا دَفَنْت ثاراتِك.. ضَيَّعتُ القُدْسَ.. بعتُ اللهَ.. بعتُ رمادَ أمواتِك» [«علىٰ لسان لعوب» (١/٤٤٨)]

● (٣١) ويَغُوصُ نِزار قبَّاني في أعماقِ الوثنيةِ والكُفْرِ فيجعَل للهِ تَعَالىٰ عُمُراً، إذ يُشَبِّهُ عُمُرَ حُزْنِهِ علىٰ عَشيقَتِهِ بِعمرِ اللهِ تَعالىٰ، فَيَقُول:

«عُمرُ حُزْني، مثل عُمْرِ اللهِ، أو عُمْر البُحُور». [المصدر السابق (١/٧٥٧)].

● (٣٢) ويمعِنُ نِزار قبَّاني في الازدِرَاءِ والاحتِقَارِ والاستهزاءِ مِـن صـاحِبِ العَظَمَـةِ والكِبرياءِ سُبحانه وتَعَالىٰ فيصفهُ بالبكَاءِ، والعَصَبِيَّة، والإضراب عَـن الطَّعَام، فيقول:

« فَلا تُسَافِري مرَّةً أخـرَى.. لأنَّ اللهَ مُنْذُ رَحلْتِ دَخَلَ في نوبـةِ بكـاءٍ عَصَبيَّةٍ.. وأضرَبَ عَن الطَّعام » [المصدر السابق (٢/٥٦٢)].

● (٣٣) وهنا يَزْدَادُ نِزار قبَّاني استهزاءً واحتقاراً للهِ تَعَالىٰ، فيقُول:

« سَاعَتُنا واقفةٌ.. لا اللهُ يأتِينَا ولا مُـوَزِّعُ البريدِ.. مِن سَنَةِ العِشْرين حتَّىٰ سنة السَّبعين ». [المصدر السابق (٢/٦٤٨)].

● (٣٤) ولم يهدأ نِزار قبَّـاني حتَّىٰ تَفنَّن بإلقـاءِ الشَّتائِم علىٰ الـرَّبِّ سُبحَانَهُ وتَعَالىٰ، فَوَصَفَهُ في هذهِ الـمَرَّةِ بالنِّسيان لكلامِهِ، فَقَالَ:

« ولماذا نكتُبُ الشِّعْرَ وقَد نَسِيَ اللهُ الكَلامَ العَرَبيَّ » [المصدر نفسه (٢/٦٤٨)].

● (٣٥) ويقولُ في الأعمَال السِّياسية (٣/١٠٥)

« حينَ يَصيرُ الدَّمعُ في مدينة.. أكـبر مِن مساحةِ الأجفـانِ.. يَسْقُطُ كُـلُّ شيءٍ.. الشَّمسُ والنُّجوم والجبالُ والوديانُ.. والليلُ والنَّهارُ والشطآنُ.. واللهُ والإنسانُ.

حينَ تصيرُ خوذةٌ كالرَّبِّ في السَّماءِ.. تصنعُ بالعبادِ مَا تَشَاءُ.. تَمْعَسُهُم تَهْرِسُهُم تميتُهُم تبْعَثُهُم.. تَصْنَعُ بالعبادِ مَا تشَاء ».

● (٣٦) أمَّا هذهِ المـرَّة فَيَصِـلُ نـزارُ قبَّاني إلىٰ مرحلـةٍ مِنَ الاستعلاءِ لم يَصِـل إليها أحدٌ مِنَ العالمينَ، فيصفُ نَفْسَهُ بالربوبيةِ والرِّسـالةِ لـعشيقَتِهِ ـ عيـاذاً بـالله مِن كلِّ مرتدٍ جبَّار ـ فيَقُول:

« لا تَخجَلِي مِنِّي فـهذي فُرْصَتِي.. لأكـونَ ربّاً أو أكـونَ رَسُـولاً » [المصدر نفسه

(٧٦١/٢)].

● (٣٧) كما يَسْعَىٰ نِزَار قبَّاني إلىٰ تَدْنيسِ أسماءِ اللهِ تَعَالىٰ وصفَاتِهِ ويُلصقها بأشياء حَقِيْرَةٍ، وذلك ليهوِّن مِن شأنِها وقَدرهَا في قلوبِ عبادِهِ، فيقُول:

«ونَهْدُكِ هذا المليءُ المضيءُ، الجريءُ، العزيزُ، القَديرُ..» [المصدر السابق (٨٢٠/٢)].

● (٣٨) وفي دِيوانِهِ (قَالَت لي السَّمراء) يَسأل اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَن كيفيَّةِ خَلْقِ فَم حَبيبَتِهِ ومَعْشُوقَتِهِ بطريقةٍ كُلّها استهزاءٌ وسخريةٌ، فيقول في صفحة/١٠٧:

«مِن أينَ يَا ربِّي عَصَرْتَ الجنىٰ؟.. وكيفَ فكَّرتَ بهذا الفمِ.. وكيفَ بَالَغْتَ بتدويرِهِ.. وكيفَ وَزَّعتَ نقاطَ الدَّمِ؟.. كم سنةً ضَيَّعت في نحتِهِ؟..

قُل لي: ألم تَتْعَب..؟ ألم تَسأم؟».

● (٣٩) وكذلك يشجع نزار قباني كلَّ شيء ليستكبِر علىٰ اللهِ تَعَالىٰ، بَل ويُشَجِّع كلّ شَيءٍ علىٰ أن يَرْفضَ السُّجُودَ بينَ يَديّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيقُول في صفحة/٤٥:

«وشَجَّعتُ نَهْدَيكِ.. فاستكبَرا علىٰ اللهِ.. حتَّىٰ فَلَم يَسْجُدا».

● (٤٠) ويعتَرِفُ نِزار قبَّاني في دواوينِهِ السَّوداء ـ بعدَ وَصْفِ النَّهدِ علىٰ صَدْرِ عشيقتِهِ ـ بأنهُ يَعْبُد الأصنامَ مَع عِلْمِهِ بإثم ذَلِكَ، فيقولُ في صفحة/١٢٤:

«علىٰ القَميص المُنْعَمِ صنمَانِ عاجيانِ.. قَد ماجا بِبَحْرٍ مُضرمٍ صنمَانِ..

إنِّي أعبدُ الأصنَامَ رَغْمَ تَأثُّمي..».

● (٤١) وهنا يُعلن أيضاً أنهُ يَحتَرِفُ عبادةَ النِّساء، فيقول في المصدَرِ السَّابق صفحة/ ١٥٣:

(أنا لا أحتَرِفُ قَتْلَ الجميلاتِ.. وإنما أحتَرِفُ عبادَتَهُنَّ».

● (٤٢) ويُصَرِّحُ نزار قبَّاني بسخفِ الأحكام الشَّرعيةِ، بغمزهِ ولمزهِ لها بِقَوْلِهِ في قصيدته (الخرافة)!! في ديوانِ (قصائد متوحشة) صفحة/٢٩ :

« حينَ كنَّا في الكتَاتيبِ صغاراً.. حَقَنُونَا بسخيفِ القَول ليلاً ونهاراً..

درَّسُونَا.. ركبَةُ المرأةِ عَوْرَةٌ.. ضحكةُ المرأةِ عَورَة..».

● (٤٣) كما يَرْفُضُ الشيطانُ نِزَار أن يَتَلَقَّىٰ الأوامرَ مِن ربِّهِ ومَولاه جَلَّ في علاه بِقَولِهِ :

« لا تَسْتَبِدِّي برأيكِ فَوْقَ فِرَاشِ الهوى.. لأنِّي مِنَ اللهِ.. لا أتلَقَّىٰ الأوامِرَ».
[قصيدته (سيبقىٰ الحب سيدتي) صفحة ١٤٠].

● (٤٤) ومرَّةً أُخرى يبدأُ الشيطانُ نِزَار بالاستهزاءِ مِنَ اللهِ تَعَالىٰ وأنبيائِهِ الكِرام، فيقول :

« وَطَنٌ بدونِ نَوافِذ.. هَرَبَت شوارعُهُ.. مآذنُهُ.. كنائِسُهُ.. وَفَرَّ اللهُ مَذْعُوراً..

وَفَرَّ جميعُ الأنبياءِ» [قصيدته (هل تسمعين صهيل أحزاني) صفحة ١٨٨].

● (٤٥) وكذا يُقرُّ نزار قبَّاني أَنَّهُ اتَّخَذَ إلـهه هَواه فَيَقُول :

« هُو الهوى.. هُو الهوَى.. الملكُ القُدُّوسُ.. والآخِرُ القَادِرُ» [قصيدته السابقة صفحة/٦٣]

قُلتُ : وصَدَقَ اللهُ القَائِلُ في محكَم كتَابِهِ : ﴿أفرأيتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَواهُ وأضَلَّهُ اللهُ علىٰ عِلمٍ وختَمَ علىٰ سَمْعِهِ وقَلبِه وَجَعَلَ علىٰ بَصَرِه غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعدِ الله أفَلا تَذكَرون﴾ [الجاثية : ٢٣].

● (٤٦) ويَتمَرَّد نزار قبَّاني علىٰ خالِقِهِ وربِّهِ سُبحانَهُ وَتعَالىٰ فَيَرْفُض منهُ الإحسانَ بقولِهِ :

«أنا أرفضُ الإحسانَ مِن يَدِي خَالِقِي» [المصدر السابق ص ٩٤].

أقولُ: فمن أينَ يا نزار نَفسُك وطعَامُكَ وشَرَابُكَ وصِحَّتُك وعَقْلُكَ وشكلُكَ وما أنتَ مغموسٌ فيه مِنَ النِّعم؟ أليسَ هذا مِن إحسانِ الكَرِيم الجوادِ الَّذي يُعطي العطايا بِغير حسابٍ؟ ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَه﴾.

◉ (٤٧) ويقولُ أيضاً:

«أرجوكِ بالأوثانِ يَا سَيِّدتي إن كُنْتِ تؤمنينَ في عبادةِ الأوثانِ». [المصدر السابق ص ١٠١].

◉ (٤٨) وختاماً يَصل نزار قبَّاني إلىٰ أقبح صُورِ الاستهزاءِ والسُّخريةِ مِن الجليلِ العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ فيصفهُ مُتَشَكِّكاً بأنَّ اللهَ تَعَالىٰ قَد يَسْتَقيل مِن سمائِهِ، فيقولُ في [أعماله السياسية الكاملة صفحة/٥٥٤]:

«هَل ممكنٌ؟ هل ممكنٌ؟ أن يستقيلَ اللهُ مِن سَمَائِهِ.. وأن تموتَ الشَّمسُ.. والنُّجومُ.. والبحارُ.. والغاباتُ.. والرَّسُولُ والملائكة»..

أقولُ: كيف يستقيلُ اللهُ يَا نِزَار مِن سَمَائِهِ ﴿وهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾.

كيفَ يستقيلُ اللهُ يَا نِزَار مِن سَمَائِهِ و﴿هو الَّذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضياءً والقَمْرَ نوراً وقَدَّرَهُ مَنَازِلَ..﴾.

◉ ولنستمع أخيراً إلىٰ ما قاله نزار قبَّاني قبل الموتِ، وفي مرضِهِ الأخير، كما نَقَلَت ذلك جريدةُ الثَّورة بدمشق بتاريخ ١٩٩٨/٥/٣م يقول: «السكنىٰ في الجنة.. والسكنَىٰ في دِمَشق.. شيءٌ واحدٌ.. الأولىٰ تجرِي من تحتِهَا الأنهارُ.. والثانيةُ تجري من تحتِهَا القصائِدُ والأشعار».

وبعدُ فهذا هُو نزار قبَّاني يا مَعَاشِرَ الفُضَلاء والشُّرفاء، وهذا هُو شِعْرُهُ الَّذي

خرجَ مِن بين شَفتيهِ وخطّه بيمينِه، تلك اليمينُ التي ستَقِفُ بينَ يَدي ربِّها، وقوفَ ذُلٍّ وانكسارٍ وإجلالٍ لصاحبِ الجلال والعظمةِ، القائِل في محكم تنزيلِهِ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِم أَلْسِنَتُهُم وَأَيْدِيهِم وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

والقائِل تَعَالىٰ: ﴿اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِم وتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِم وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

فَلا إلهَ إلاَّ اللهُ، مَا أعظمَهَا مِن كلماتٍ لو نَزَلَت عَلىٰ الجبالِ الرَّواسي لَتَصَدَّعت، أو علىٰ الصُّخُور الصَّمَّاءِ لَتَشَقَّقَت مِن خشيةِ الوَاحِدِ الدَّيان.

وبعد الفراغ من بعضِ أقوالِ نِزار قبَّاني التي مُلِئَت بالألفاظِ الصَّريحة في شَتْمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ والاستهزاءِ بِهِ، والتَّنقيص له ولأنبيائِهِ الكِرام صَلَواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِم، نقولُ إلىٰ مَن عَشِقَهُ وعَشِقَ شِعْرَهُ هذا هُو شعرُ نِزار أتحبّ أن تقرأ أمثال هذا الهراء؟ أتحبّ أن يحشُرَكَ اللهُ في زُمرتِهِ ومع رُفقتِهِ؟؟.

فاتَّقِ اللهَ في نَفْسِكِ واجعل حبَّكَ للهِ تعالىٰ ولرسولِهِ ﷺ ولكتابهِ وللمؤمنينَ.. عافانا اللهُ وإيَّاك من الزَّللِ بالقولِ والعملِ..

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني عشر

الأمراضُ الباطنية والنفسية والروحانية[1]

(١) السحر

(أ) السّحر: في اللُّغةِ الأخْذَةُ، وكلّ ما لَطُفَ وَدَقَّ فَهُو سحرٌ. وفي الاصطلاح: علمٌ يُستَفَادُ بهِ حُصُولُ مَلَكَةٍ نَفسانيّةٍ يَقْتَدِرُ بهَا علىٰ أفعالٍ غريبةٍ.

(ب) أمَّا الكهانة:

فَهِي تَعَاطي الخَبَر عَن الكائِنَاتِ في المستَقْبَلِ وادِّعَاءِ مَعرفةِ الأسرارِ.

(ج) أمَّا الشَّعوذة:

فَهي خِفَّةٌ في اليدِ كالسّحرِ.

(د) أمَّا الرّمل:

فهو معرفةُ أشكالٍ مِنَ الخطوطِ، والنُّقط بقواعِدَ مَعلومَةٍ، تُخْرِجُ حروفاً تُجْمَع ويُستخرج جملة دالّةً بادِّعاء أصحابه علىٰ عواقبِ الأمورِ.

(هـ) أمَّا العرافةُ:

فهي ادِّعاء معرفةِ الأمورِ بمقدّماتٍ يستدلّ بها عَلىٰ مَواقِعهَا في كلام مَن يَسأله أو حَاله، أو فعله، وكلّها حرام: تعلّمها، وفعلُها، وأخذُ الأجرةِ عليهَا، بالنَّصِّ

---

١ - الأمراض الروحانية: هي الأمراض التي تصيب الإنسان بفعل إنسان آخر يستعينُ بالجن والسِّحر والمشعوذين، والسحرة، والأمراض الروحانية كثيرة ومتنوعة، منها ما لا يوجدُ لها تشخيصٌ في الطِّب البشري أو الطب النَّفسي كما أن أعراضها كثيرة، فالكلّ معرضٍ لأذى هذه الأمراض لا فرقَ بين إنسان تقيٍّ و إنسان غير تقي، أو إنسان مؤمن وآخر كافر. والله عزَّ وجلَّ أسأل أن يحمينا وإخواننا وذرارينا وأهلنا والمؤمنين منها، فهو الضار والنافع، والمعزُّ والمذل، والمحيي والمميت، لا رادّ لقدرته فهو القادر العظيم.

في حلوانِ الكَاهِن . قال ﷺ: «لَيسَ مِنَّا مَن تَطَيَّرَ، أو تُطُيِّرَ لَهُ، أو تَكَهَّنَ، أو تُكُهِّنَ لَهُ، أو سَحَرَ، أو سُحِرَ لَهُ، وَمَن أتَىٰ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَد كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ». [رواه البزار بإسناد جيد]. والباقِي، بمعنَاه لأنَّ العربَ تُسَمِّي كلّ من يَتَعَاطىٰ علماً دقيقاً كاهناً.

وقال الذَّهبي: لأنَّ السَّاحِرَ لا بدَّ أن يكفُرَ، فقد قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: من الآية١٠٢] وما للشيطانِ الملعونِ غَرَضٌ في تَعليمِهِ الإنسانَ السِّحرَ إلاَّ لِيُشرِكَ به. قَالَ اللهُ تَعَالىٰ مُخبراً عن هَاروت ومَاروت: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِن أحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُر فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِن أحَدٍ إلاَّ بِإذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُم وَلا يَنْفَعُهُم وَلَقَد عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي: من نَصيب.

فَتَرى خلقاً كثيراً مِن الضُّلاَّل يَدْخُلُونَ في السِّحرِ ويظنُّونَهُ حَراماً فَقَط، ومَا يَشْعُرُونَ أنَّهُ الكفرُ، فَيَدْخُلُونَ في تَعليم السيمياء[1] وعملِها، وهي محضُ السِّحر، وفي عقدِ الرَّجُل عَن زَوجته وهُو سِحرٌ، وفي محبَّةِ الرَّجُلِ للمرأةِ وَبغضِهَا لَهُ، وأشباه ذلكَ بكلماتٍ مجهولةٍ أكثرها شركٌ وضلالٌ. [من كتاب الكبائر للذهبي]

◉ وفي الحديثِ الَّذي رواه أبو داود، وابن ماجه، عَن زَيْنَبَ امْرَأةِ عَبْدِ الله، عَن عَبْدِ الله، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمائمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ».

قَالَت: قُلْتُ: لِمَ تَقُولُ هذا؟ وَاللهِ لَقَد كَانَت عَيْنِي تَقْذِفُ فَكُنْتُ أخْتَلِفُ إلىٰ

١ – علم السيمياء: علم يطلق علىٰ غير الحقيقي من السِّحر، وهو الأشهر، وحاصله: إحداث مثالات خيالية لاوجود لها في الحسِّ، وتكون صوراً في جوهر الهواء. ولفظة سيمياء: عبرانية معبرة.

فُلانٍ الْيَهُودِيِّ يَرْقِينِي فإذَا رَقَانِي سَكَنَتْ.

فَقَالَ عَبْدُ الله: إِنَّمَا ذَلِكَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ كَانَ يَنْخسُهَا بيَدِهِ، فإذَا رَقَاهَا كَفَّ عَنْهَا، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكِ أن تَقُولِي كَما كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إلاَّ شِفَاؤُكَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَماً».

التمائمُ وحكمُ تَعليقها

(التمائمُ): جَمْعُ تميمةٍ، وهي خرزاتٌ أو خروز يُعلِّقها الجهَّالُ علىٰ أنفسِهِم وأولادِهم، ودوابِّهم، يَزعُمُونَ أنَّها تَـرُدُّ العينَ، وهـذا مِن فِعْلِ الجاهليَّة، ومَن اعتَقَدَ ذَلكَ فَقَد أشرَكَ.

وقالَ السَّيدُ الشَّيخُ أبو الطيب صِدِّيق بن حَسَن القنوجي في كتابِهِ «الدِّينُ الخالِصُ»: اختَلَفَ العلماءُ مِنَ الصَّحَابَةِ والتَّابعينَ فَمن بَعدَهُم في جَواز تعليقِ التمائِم التي مِنَ القُرآن، وأسماءِ اللهِ تَعَالىٰ وصِفَاتِهِ، فَقَالَت طَائِفَةٌ: يَجُوزُ ذَلِكَ، وهُوَ قَول عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو ظاهِرُ ما رُوي عَن عائِشَةَ، وبهِ قَالَ أبو جَعْفَر الباقِر، وأحمَد في روايةٍ، وحَمَلُوا الحديث: (يَعني حَديث ابنِ مَسعود) علىٰ التَّمائِم التي فيهَا شِركٌ. وقَالَت طائِفَةٌ: لا يَجُوزُ ذَلِكَ وبِهِ قَالَ ابنُ مَسعُود وابنُ عبَّاس وهُو ظاهر قول حُذيفة وعُقبة بن عامر وابن حكيم، وبهِ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابعينَ مِنهم أصحَابُ ابن مسعود، وأحمَد في روايـةٍ اختارَهَا كثيرٌ مِن أصحابِهِ. وجزَمَ بهِ المتأخرونَ واحتجُّوا بهذَا الحديثِ ومَا في مَعنَاه.

ورَجَّحَ قومٌ أنَّ تَركَ التَّعليقِ أفضَلُ في كلِّ حَالٍ بالنِّسبةِ إلىٰ التَّعليق الَّذي جوَّزَهُ بعضُ أهلِ العِلْم بناءً علىٰ أن يكونَ بما ثَبَتَ لا بما لم يَثْبُت، لأنَّ التَّقوى لها مَراتِب وكذا في الإخلاصِ، وفوقَ كُلِّ رُتبَةٍ في الدِّين رتبةٌ أُخْرَى والمحصِّلونَ لها

أقلّ، والمتَّقِي مَن يَتْرك مَا ليسَ بهِ بَأس خوفاً مما فيهِ بَأس. [كذا في تحفة الأحوذي].

◉ قلت: والرَّاجحُ عِنْدي هو جوَاز تَعليقهَا للصَّغير، لحديثِ أبي داودَ، عَن عَمْرو بن شُعَيْبٍ، عَن أبِيهِ، عَن جَدِّهِ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يُعَلِّمُهُم مِنَ الفَزَعِ كَلِمَاتٍ: «أعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِن غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِن هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأن يَحْضُرُون» وكَانَ عَبْدُ الله بن عَمْرٍو يُعَلِّمُهُنَّ مَن عَقَلَ مِن بَنِيهِ، وَمَن لَم يَعْقِل كَتَبَهُ فَعَلَّقَهُ لَهُ». واللهُ تعالىٰ أعلمُ وأحكم.

التِّولةُ

أمَّا (التِّولةُ): فهي نوعٌ من السِّحر، وهو تحبُّبُ المرأة إلىٰ زَوجها، وجُعِلَ ذلكَ من الشِّركِ، لاعتقادِ الجُهَّالِ أنَّ ذلكَ يؤثِّر بخلافِ ما قَدَّرَ اللهُ تعالىٰ[1].

◉ قالَ ابن حَجَر في «الفتح»:

وأمَّا الرُّقيةُ بالقرآنِ أو بالأسماءِ أو بالصِّفاتِ فَجَائِزٌ، وقالَ ابنُ التِّين: الرُّقىٰ بذلكَ هُو الطبُّ الرّوحانيّ، إذا كانَ علىٰ لسانِ الأبرارِ حَصَلَ الشفاءُ بإذنِ اللهِ تَعَالىٰ، فَلَمَّا عَزَّ هذا النَّوعُ فَزعَ النَّاسُ إلىٰ الطبِّ الجسمانيّ وتِلكَ الرُّقىٰ المنهيّ عنهَا الَّتي يَسْتَعْمِلُهَا المعزم مّن يَزعُم تَسخِيرَ الجنِّ، تأتِي مُركَّبةً مِن حَقٍّ وبَاطِلٍ، يَجْمَعُ إلىٰ ذِكْرِ أسماءِ اللهِ وصِفَاتِهِ مَا يَشُوبُهُ مِن ذِكْرِ الشَّيَاطِينِ وَالاستِعَانَةِ بِهِم وَالتَّعوذ مِن مَرَدَتِهِم، فَلِذَلِكَ نَهَىٰ عَن الرُّقَىٰ بما جَهل معناه ليكونَ بَرِيئاً مِن شوبِ الشِّركِ. واللهُ تعالىٰ أعلم.

---

١ - قلتُ: لكن إن دعا الرجلُ أو المرأةُ اللهَ تعالىٰ أن يؤلِّفَ بين قلبيهما فلا بأس، أو قرأ بعض الآيات القرآنية كي يؤلِّف اللهُ بينهما فلا بأس أيضاً، وليسَ ذلكَ شركاً، إن اقتصرَ فقط علىٰ الدعاءِ ببعضِ الآياتِ القرآنية، وبعض الأدعيةِ النبويَّة، أمَّا إذا كانَ مخلوطاً أي: فيه قرآنٌ، واستعانةٌ بالجنِّ، وطلاسم، فهذا هو المحرم شرعاً، ولا يجوزُ تعاطيهِ أبداً، والله تعالىٰ أعلم.

النّشرة

النشرةُ هي: إبطالُ سِحْرِ المسحور وهي نَوعان:

(النوعُ الأوَّل): علاج السِّحر بِسِحْرٍ مثلِهِ: ويلزمُ لذلكَ أن يكونَ السَّاحرُ والمعالجُ دَرَجَةً واحدةً في القربِ مِنَ الشَّيطان، إذ يتقربُ كلٌّ منهما بما يجبُ، فيبطل الثَّاني عَمَلَ الأوَّلَ عَن المسحورِ، ويُسَمَّىٰ هذا النَّوعُ بعلاج الدَّاءِ بالدَّاء أي: ساحرٍ يُبْطِل عمَلَ ساحرٍ مِثْله.

(النوعُ الثَّاني): العلاجُ بالرُّقيةِ والتَّعوذاتِ والدُّعاءِ والتَّضرع إلىٰ اللهِ تَعَالىٰ بخالصِ الرَّجاءِ، ثقةً بهِ أنهُ وَحْدَهُ الشَّافي الَّذي يملكُ كَشْفَ الضرِّ كما هُوَ الحالُ في أيُّوبَ عليهِ السَّلام. قال تَعَالىٰ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

ومما جاءَ في صِفَةِ النّشرةِ بالرُّقيةِ: ما رواهُ ابن أبي حاتم قالَ: «بَلَغَنِي أنَّ هؤلاء الآيات شفاء مِن السِّحر بإذنِ اللهِ تَعَالىٰ، تُقْرأ علىٰ إناءٍ فيهِ ماءٌ ثُمَّ يُصَبُّ علىٰ رأسِ المسحورِ». وانظر هذهِ الآيات عند ذِكْرِ العِلاج مِنَ السِّحر.. ولا بأسَ أن يُدَقَّ (٧ ورقاتٍ) من السِّدر الأخضرِ وتُلْقَىٰ في الإناءِ.. ثمَّ يُقرأُ فيه آيات الشِّفاء بتدبُّرٍ وثقةٍ باللهِ تَعَالىٰ..

◉ تنبيه: بَعْدَ أن تُقْرَأ الآياتُ عَلىٰ الإناءِ وفيهِ الماءُ، يُشْرَب بعضاً مِنَ الماءِ ويَغْتَسِل بالباقِي.

أسباب السحر

قال العلماءُ: لا يقعُ السِّحرُ إلاَّ لأربعةِ أسبابٍ هِي:

① الحسد:

ومثالُهُ مَا جَرى مَع رسولنَا محمَّدٍ ﷺ فإنَّ لبيدَ بنَ الأعصَم اليهوديّ حَسَدَهُ فَسَحَرَهُ، فجعلَ يَقْرأ تمائم عَلَّمَهَا إيَّاه الجنّ يَقْرأ وينفُث هُو وبناتُهُ في العُقَدِ، هو يُتَمْتِم ما تَلَتْهُ الشياطينُ، وبناتُهُ يَنْفُثْنَ في العُقَدِ، وبالفِعْل وَقَعَ الرَّسُولُ ﷺ تحتَ طائلةِ سِحْرِهِ مما هو ثابتٌ بالكتابِ والسُّنَّة، أمَّا الكتاب فإنَّ الحقَّ تعَالىٰ أنزلَ المعوذتين: ﴿قُل أعوذُ بِربِّ الفَلَقِ﴾ و ﴿قُل أعوذُ بِربِّ النَّاسِ﴾ لهذا السَّبب.

وفي السُّنَّةِ المطهّرة ما رواه البُخاريُّ ومُسْلِم مِن حديثِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَت: «سُحِرَ النبيُّ ﷺ حتَّىٰ أنَّه لَيُخيَّلُ إليهِ أنهُ يَفْعَلُ الشيءَ ومَا فَعَلَهُ..» الحديث.

وسحر الرَّسُولِ ﷺ لا يحطُّ مِن شأنهِ ولا يَنْفِي عِصْمَتَهُ، وإنما وقَعَ بهِ لبيانِ كونهِ حقيقةً، وليعلم الأُمَّةَ الوقايةَ منه، والدَّواء له إذا انتَشَرَ.

② تثبيت السُّلطةِ، وملكِ الحاكم الظالم:

تعتبرُ السلطةُ مَذْهَبٌ أساسيٌّ في حركةِ إبليس، والمقصود بهِ الحاكم الفاجر الذي يكونُ أداةً بيدِ الشيطان، يُمرِّرُ الشيطانُ من خلالِهِ كلّ ما يريدُ ويهوى، لأنَّ الحاكمَ هو القلبُ النابضُ للأمَّةِ، فإذا فَسَدَ فَسَدَ الجسدُ كُلُّه.

والشيطانُ يختارُ الذروةَ دائماً ليحَقِّقَ لنفسهِ علُواً في الأرضِ وفساداً، وانظُر إلىٰ قَول الحقِّ عَزَّ شَأنهُ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

وكذلكَ السُّلطةُ الفاجرةُ أحرقت في يومٍ من الأيامِ أصحابَ الأخدود، قال تعالىٰ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ④ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ⑦ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ

الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج : ٤-٨] فهذا الذي يبحثُ عنهُ الشيطانُ ويُركِّزُ عليهِ.

فيوسوسُ للحكَّامِ بسفكِ الدِّماءِ، والتَّحاكم للطواغيتِ، ونشرِ الفسَادِ والرَّذيلة، إلخ.. والويلُ ثمَّ الويلُ لمن يتولاهُ مِن دونِ اللهِ.. قالَ تعَالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء: ٦٠].

ومِن هنا يمكِن التَّقريرُ بأنَّ كُلَّ سُلطةٍ جاهليةٍ ما هِي إلاَّ امتدادٌ لسلطَةِ إبليس الَّذي صَنَعَ لِنَفْسهِ عَرْشاً فوقَ الماءِ لتنتَهِي إليهِ كُلّ السُّلُطاتُ الجاهليةُ القائمةُ علىٰ وجهِ الأرضِ، وهذا التَّقريرُ حقيقةٌ أساسيةٌ تنظيميةٌ في العلاقةِ بَينَ عَرْشِ إبليسَ وبينَ كُلِّ سُلْطَةٍ تَنْشَأ عَن جَهْلٍ.

(٣-٤) تحقيق غرض ماديّ، ومعنويّ:

وهذان أمران مشاهدانِ ومحسوسان وملموسان لا يُنكرُهُما إلاَّ مكابِرٌ، ولقَد ذكَرَ اللهُ تعالىٰ بياناً شافياً في ذلكَ، فقالَ تَعَالىٰ عَن سحرةِ فرعونَ - قبلَ أن يُسلموا -: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء].

وبذلكَ تَحَقَّق للسَّحَرَةِ الهَدفان معاً: (الماديّ) وهو الَّذي طَلَبُوهُ مِن فِرْعَون ومن أجلِهِ كانَ سِحرُهُم. و(الثاني): نالوهُ مِنَّةً مِن الحاكِم كمكافئةٍ علَىٰ الفِعْلِ في حالِ فَوزِهِم، وكانَ ظَنُّهُم أنَّهُم يلقونَ ساحراً مِثْلَهُم، ولكنَّهُم خابَ ظَنُّهُم وضاعَ أملُهُم وانقلَبَت الموازينُ حينَمَا وجدُوا أنَّ القوةَ الَّتي يقابلونَهَا ليسَت مِن سِحْرِ البَشَرِ وإنما قُدْرَةُ وعظمةُ رَبِّ البشرِ، فكانَت النتيجةُ: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠].

أنواعُ السحر[١]

اعلم أنَّ للسحرِ أنواعاً ذكرهَا العلماءُ منهَا:

(١) سحر المزيج

وهو ما يجمع الشَّرَّ في صورةِ الخيرِ والعكس، كسحرِ المحبَّةِ وسلو العِشْق، وحلّ المربوط، فهو كذلك، وأيضاً حلّ عقدةِ البائِر «المعطّل عَن الزَّواج» ويُعرف هذا الأخير بالوقف.

وكذلك تسخير الجانّ في تَسهيل قضاءِ الحاجاتِ، كأن يُسْحَرَ شابٌّ للزَّواج من فتاةٍ هو لا يَرْغَبُها أصلاً، والعكس زواج فتاةٍ مِن شابٍّ هي لا تُريدُهُ، دونَ النَّظرِ إلىٰ التكافُؤ، أو الشُّروط التي يجبُ توافرها في كلٍّ منهمَا، كالرَّغبة والتَّوافق الرُّوحي والنَّفسي، والإرادة والجمَال والصِّحة، والحالة الاجتماعية لأسرتيهِمَا التي بمعرفتها يمكِنُ بناء حياةٍ زوجيةٍ سعيدةٍ، وبانعدامِها يكونُ العكسُ، والساحرُ بذلك يَتَدَخَّل تَدخُّلاً سافراً في المنهج الإلهي بشؤونِ الخلقِ، فهو بِسحرِهِ يُعَطِّل الأسبابَ، فيوقع بالسِّحرِ ما لا يجب، بتغييرِهِ للحقائقِ وتزييف الوَاقع، والبيوتِ الَّتي تُبنىٰ بهذه الطريقةِ ربما تبدأُ النهايةُ عندَهم قبلَ البدايـةِ، إذ تكون علىٰ حافَّةِ الهاويةِ وفي مهبِّ الرِّيح، ومصيرُها غالباً إلىٰ الفَشَل، وقد تُشَرِّد أبناء أبرياء، فمن فعلَ ذلكَ فهو آثمٌ مبينٌ، إذ نسجَ بسحرِهِ بيتاً مِن الأوهام يشبهُ بيتَ العنكبوتِ في ضعفهِ وعدم مواراةِ مَن بداخِلِهِ، ولأتفهِ الأسبابِ يكونُ الهدمُ والضياعُ، ويستيقظُ المسحورُ مِنَ الزَّوجين علىٰ حُلُم مُزْعِج بعدَ ما تظهر له الحقيقةُ، لذا فإنَّ الساحرَ مَلعُونٌ مشركٌ، لأنَّهُ أصلُ هذهِ البلايا الَّتي تُدَمِّر ولا تُعَمِّر، والسِّحرُ

١- من كتاب «إعجاز القرآن في علاج السحر والحسد ومسِّ الشيطان» بتصرف.

تَعطيلٌ لمنهج الخالِق سبحانَهُ وتَعَالىٰ في خَلْقِهِ، وهو من الذُّنوب العظيمة جداً، لما فيه من مضرَّةٍ للخَلْق، وعدوان علىٰ حُرمات الخالِق عزَّ شأنهُ ولبشاعته، نجد أنه يتصدرُ المرتبةَ الثانيةَ بَعْدَ الشِّركِ باللهِ جَلَّ وعَلا، في نهي الرَّسولِ الأعظم ﷺ لأمَّتِهِ باجتنابِ السَّبع الموبقات بقولِهِ: «اجتَنِبوا السَّبعَ الموبقات، الشِّرك باللهِ، والسِّحر..» الحديث..

ولا يغيبُ عنَّا أنَّ السِّحرَ مِن أبشع أنواع الضَّرر، إذ بتأثيرِهِ تختلطُ الأمورُ، وتلتبسُ الأسبابُ، فلا يستطيع المسحورُ التَّمييزَ بينَ الأشياءِ، ولا رؤيتها علىٰ حقيقتِها إلاَّ بعدَ فواتِ الأوانِ.

(٢) سحرُ التَّفريق وعلاجه

عرفنا أنَّ السحرَ لا يقع إلاَّ بسبب الحسدِ أو الحِقد، بأن يذهب الحاسدُ إلىٰ السَّاحِرِ ويطلب منهُ عَمَلَ سِحر بالتَّفريق لمن يريدُهُ الحاسدُ، سواء زَوج وزوجته، أو أب وولده، أو أم وولدها، أو أخ وأخيه، أيّاً كانَ الطَّلب، فيطلبُ السَّاحرُ منهُ اسمَ الزَّوج واسمَ أمِّهِ، واسمَ الزَّوجة وأُمّها، ثمَّ يطلب منهُ أثراً منهما (ثوب، أو شَعر، أو أظافِر) فإن لم يَتَوَفَّر شيءٌ من الآثارِ، عَمِلَ علىٰ الماءِ وأمرَهُ أن يسكبَهُ في طريقِ المرادِ سحره أو علىٰ عتبَةِ بابِهِ، فإذا تخطَّاه أُصيبَ بالسِّحْرِ، وهناك أنواع مِن السِّحر تُوضع في الطعَام أو الشَّراب.

◉ **العلاج:**

(أولاً): الالتجاءُ إلىٰ اللهِ تَعالىٰ بصدقِ القَصْدِ وثقة بهِ أنهُ لا يَقَع في ملكِ اللهِ إلاَّ ما شاءَ اللهُ، وأنَّ البلوى لا تَقَع إلاَّ بإذنِهِ، ولا يكشفُها إلاَّ هو مصداقاً لقولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

(ثانياً): اليقظةُ بينَ الزوجينِ.. أو الأخوين.. لما سَيَحْدُث فجأةً مِن تغيُّرٍ في الأحوالِ، مِن الحبِّ إلىٰ البُغضِ، إلىٰ ضيقِ نَفَس وكراهيةٍ للمكانِ، وكذا التَّربص ببعضِهما لأتفهِ الأسبابِ، وعدم مغفرةِ أحدِهما للآخرِ الزَّلاتِ مهما كانت صَغيرةً، هذا وغيره مما يَقعُ بالسِّحرِ..

وعلاجهُ: الصَّبرُ والثَّبات والعفوُ عَن الزَّللِ أو التَّغاضِي عَن العقابِ بعضِ الوقتِ حتَّىٰ تنكشِفَ الغُمَّةُ، لأنَّ السِّحرَ قَلْبٌ للحقائق فيؤثِّر تأثيراً مباشراً في المسحورينَ، فقد يَرَى كلٌّ منهمَا الآخرُ، في منظرٍ كريهٍ مُغايرٍ لحقيقَتِه، كأن تَرَى الزوجةُ زَوْجَهَا في هيئةِ قِرْدٍ أو حمارٍ، أو وحشٍ مُفترسٍ، تُريدُ أن تَفرَّ منهُ بأيِّ وسيلةٍ، والعكس بالنِّسبةِ للزَّوج، عند هذه الحالةُ، الزَم الذكرَ:

◉ اقرأ آيةَ ﴿الكُرسيّ﴾ (٤١ مرَّةً).

◉ استَعِذ باللهِ مِنَ الشَّيطان الرَّجيم، مِن همزهِ ونفخهِ ونَفْثِه: (٧٠ مرَّةً).

◉ اقرأ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون]. (١١ مرَّة).

◉ فاتحة الكتابِ والمعوذتين (٢١ مرَّة).

◉ اقرأ: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

واقرأ معَها قولَهُ عزَّ شأنُهُ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥٤]. (٧ مرات).

وإليكَ الآن بيان الآياتِ الواردة في علاج سِحْرِ التَّفرقَةِ وغيرِه:

الآياتِ الواردة في علاج السِّحر

تَضَع يدكَ علىٰ رأسِ المسحورِ، وتقرأ في أُذنيهِ بترتيل: أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم، مِن هَمْزِهِ ونَفخِهِ ونَفْثِهِ (٣ مرَّات):

١ - ﴿بسم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ اهْدِنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾.

٢ـ بسم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم:

﴿الم ① ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة].

٣ـ أعوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ

مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٤ـ أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم:

﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة].

٥ـ أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم:

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٦ـ أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة].

٧ ـ أعوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم:

﴿شَهِدَ اللهُ أنهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَـةُ وَأُولُـو الْعِلْـمِ قَائِمًـا بِالْقِسْـطِ لا إلـهَ إلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُـرْ بآيَـاتِ اللهِ فَـإِنَّ اللهَ سَـرِيعُ الحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٨-١٩].

٨ ـ أعوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم:

﴿ادْعُوا رَبَّكُـمْ تَضَرُّعًـا وَخُفْيَـةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلا تُفْسِدُوا فِـي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِـنِينَ﴾ [الأعراف].

٩ـ أعوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُـوا صَـاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَـالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَـىٰ وَهَـارُونَ﴾ [الأعراف]. (٧ مرات).

ويكرر قولهُ تَعَالىٰ: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ (٣٠ مرَّة).

١٠ـ أعوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم:

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّـحْرُ إِنَّ اللَّـهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّـهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس].

(٧ مرات) أمَّا قولُهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ يكرر (٧٠ مرَّةً).

١١- أعوذُ باللهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيم:

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]. (٧ مرات).

١٢- أعوذُ باللهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيم:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون].

١٣- أعوذُ باللهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيم:

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصّافات].

١٤- أعوذُ باللهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيم:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾

وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحقاف].

وتكرر قوله تعالىٰ: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ (٧ مرات).

١٥ـ أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن].

١٦ـ أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم:

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر].

١٧ـ أعوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَىٰ الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَىٰ اللهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ اللهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ

مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ [الجنّ].

١٨ـ أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم: بِسم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم

﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

١٩ـ أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم: بِسم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

٢٠ـ أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم: بِسم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

◉ بعد قراءةِ هذهِ الرُّقية في أذنِ المريض بِصَوتٍ مُرتَفع : سَيَظهَرُ لكَ في المريضِ حالة مِن ثلاثٍ :

(الحالةُ الأولىٰ) : إمَّا أن يُصرَعَ المريضُ، ويَنْطِقَ الجنيُّ المكلف بالسِّحرِ علىٰ لسانِهِ، فعليكَ أن تَتَعَامَلَ مَع هـذا الجنيّ حَسَب نوعِهِ وديانَتِهِ، بعدَ أن تَتَحَصَّن بالاسم الأعظم الَّذي لا يَضُرُّ مَعَهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماء : ﴿اللهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ الحيُّ القيومُ..﴾ آية الكرسي (٧) مرات.

﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

تَسأل الجنيَّ: ما اسمُك؟ مَا دينُك؟ مِن أيِّ البلادِ قَدِمتَ ؟ وماذا تُريدُ مِن المريض؟.

فإذا كانَ غَير مُسلِم: ادعُهُ إلى الإسلام، وإن كانَ مُسلماً، أفهِمْهُ أنَّ ما يَفعلهُ مِن خدمةٍ للسَّاحِرِ يَتَنَافَىٰ مَع الإسلام، ولا ينبغِي أن يَفْعَلَهُ.

◉ ثمَّ سَلْهُ: هَل هو وحدَهُ المكلَّف بهذا السِّحر أم مَعَهُ غيرهُ ؟ فإن كانَ مَعَهُ غيره، مُرْهُ أن يُحْضِرَهُ لَكَ، ثمَّ تَفَاهَم مَع الآخرِ مثل الأول، فإن أخبرَكَ الجنيُّ بمكانِ السِّحر، وتمَّ استخراجُهُ يُذابُ في ماءٍ ويُسكَب بعيداً عَن طريقِ النَّاس.

(الحالةُ الثانية): قَد يَشعُر المريضُ أثناءَ الرُّقية بِدَوخةٍ أو رَعْشَةٍ، أو ينتَفِض أو صداع شَديد، ولم يُصرع في هذه الحالةِ، تكرِّر الرقيةَ علىٰ المريض ثلاثَ مرَّات، فإن صُرِعَ فالتَّعَامُل معهُ مثل الحالةِ الأولىٰ.

وإن تَمَرَّد الجنيُّ ولم يخرُج، فاستَعْمِل معهُ اللِّين، وإلاَّ فالضَّرب كما فَعَل أستاذُ ابن القيِّم، وأعدِ القِراءةَ، واستعمل معهُ شتَّىٰ صُنوف التَّعذيب..

واعلم أنَّ علامةَ تمرُّد الجنّ، أن يُصْرَع المريضُ، أو رعشَة، أو دوخة، فإن لم يظهر أيّ أعراضٍ بعدَ القراءةِ نرجو أن يكونَ السحر قَد بَطَلَ، وخرجَ الجنيُّ من المريض، والحمدُ لله..

وإن كانَ العكسُ، سَجِّل آيةَ ﴿الكرسيّ﴾ (٧٠ مرة) علىٰ شريطٍ مكرَّرة مُدَّة ساعة، وليستَمع المريضُ إليهَا ثَلاثَ مَرَّات في اليوم، ولمدَّة شَهرٍ.

وأمُرْ (المريضَ) أن يعودَ إليكَ، فإن عَادَ فَٱقرأ عليهِ الرُّقيةَ كاملةً، فإذا كانَ

شفي فالحمدُ للهِ، وإلاَّ سَجِّل لَهُ سورة ﴿الصَّافات﴾ و﴿يس﴾ و﴿الدُّخان﴾ و﴿الجنّ﴾ علىٰ شَريط يَسْتَمع له ثلاثَ مَرَّات في اليوم ولمدَّةِ ﴿٣ أسابيع﴾ فيشفىٰ بإذنِ اللهِ.

فإن لم يَتِمّ الشِّفاء سَجِّل له سورة ﴿الصَّافات﴾ كاملةً مرَّةً واحدةً، وآية ﴿الكرسيّ﴾ (٧٠ مرَّة) علىٰ شَريط يستَمع إليه (٣ مرَّات) يومياً.

ثمَّ أمُر المريضَ بالمحافظةِ علىٰ الصَّلاة في جماعةٍ، وبعدَ صلاةِ الفَجْرِ يَقُول (١٠٠ مرَّة) «لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ يُحْيي ويُمِيت وهو عَلىٰ كلِّ شَيء قَدِير» لمدَّة شهر.

(الحالةُ الثالثةُ): أن لا يَشْعُر المريضُ بشيءٍ أثناءَ الرُّقيةِ، فسألهُ عَن الأعراضِ ثانيةً، فإن لم تجد أعراضَ السِّحر متوفرةً، فهذا ليسَ بمسحورٍ، وإن كانَت الأعراضُ سحريَّة وكرّرت الرُّقية ولم يشعر بشيءٍ سَجِّل له سُورة ﴿يس﴾ و﴿الدُّخان﴾ و﴿الجنّ﴾ علىٰ شريطٍ يَسْتَمع إليه ثلاثَ مرَّات في اليوم، مع الإكثار من الاستغفار (٣٠٠ مرَّة) وقَول (لا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ) (٣٠٠ مرَّة). ولمدَّة شَهْر.

مع مراعاة الآتي:

١- الوضُوء قبلَ النَّوم. ٢- قراءة آية الكُرسيّ.

٣- التَّسمية قَبْلَ كُلّ شَيء: ﴿بسم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم﴾.

والخلاصة: إنَّ السحرَ حَصَاد ثمرةِ جُهْدِ السَّاحِر وخادمه الجنيّ الشَّيطان الَّذي يخدمه، وذِكْرُ اللهِ عزَّ شأنهُ، يَقْصمهُ ويُبطلُهُ. وقراءةُ القرآنِ هِي الحصنُ والوقايةُ منهُ ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

(٣) سحر المحبَّة وعلاجُهُ

سِحْرُ المحبَّةِ: هو أن يقومَ أحدُ الزَّوجين بسحرِ الآخرِ لأسبابٍ نذكرُ منهَا:

عدم التكافُؤ في مقوِّمات الحياةِ، الصِّحة، الجمَال، أو بعض السِّمَات الشَّخصية: الغِنىٰ الفقْر، فَقَد تكونُ الزَّوجةُ ذات حَسَبٍ ومالٍ وَجَمَال فَلا يستَطيعُ السيطرةَ عليها بِغَيْر السِّحر، وقَد يكونُ العكسُ بالنِّسبة للزَّوج، فَتَقُوم هي بِسِحْرِهِ فَلا يَرَى غيرَهَا في الدُّنيا، وقَد يَقَع سحرُ المحبَّةِ في غيرِ الأزواج لأَنَّه يرتكزُ علىٰ زيادةِ الشَّغفِ في المسحُور بالرَّغبة الشديدةِ في الطرفِ الآخرِ، بما يُسَبِّب له ما يُعْرف بالتِّولة، فمسحُورُ المحبةِ يكونُ في حالةِ تِولة، أي: عَدَم القُدْرَة علىٰ رؤيةِ الأشياءِ علىٰ حقيقَتِهَا وتمييزها، حتىٰ إنَّ المسحورَ لا يكادُ يُفارِق ساحِرَهُ بَل فِراقهُ له عذابٌ، بَل أقسَىٰ أنواع العَذَابِ.

◉ العلاجُ والوقاية:

تقرأ عَلىٰ المريض الرُّقيةَ السَّابقةَ في سِحْرِ التَّفريق آنفاً، غيرَ أنَّك تحذِف منها الآية: (١٠٢ البقرة) ﴿واتَّبعوا مَا تَتْلُوا الشَّياطينُ.. الآية﴾ وتُضيف بدلاً منهَا الآيات مِن سُورة التَّغابن، وهي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ تقرأ (٧ مرَّات).

وآية: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]. وآية: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]. تُقرأ هَاتَان

الآيتان : (٤١ مرَّة). مسبوقةً بالاستعاذةِ باللهِ مِنَ الشَّيطان الرَّجيم.

◉ واعلَم أنَّ عَلامات المسحور بالمحبَّة، بعدَ قِراءة هذه الآيات أن يَشْعُرَ بِتَخْدير في الأطرافِ، أو صداع في الرَّأس أو ضِيْق في الصَّدر (اختناق) فيقُولُ: أنا مخنُوق، أو آلام شَديدة في المعدةِ، فإن شكَىٰ مِن ألم في المعدةِ أو حَدَثَ لَهُ رَغْبَةٌ في التَّقيُّؤ فاْقرأ له هَذِهِ الآيات عَلىٰ ماءٍ ومُرْهُ أن يَشْرَبَهُ أمامَكَ، فإن تَقيَّئَ شيئاً أصفَر أو أحمَرَ أو أسود، فقَد بَطَلَ السِّحرُ بإذن اللهِ والحمدُ للهِ، وإلاَّ فاْقرأ ثانيةً علىٰ الماءِ ومُرْهُ أن يَشْرَبَ منهُ ثلاثةَ أيَّام.

الآيات هي: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الأعراف].

والآية: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

وآية الكُرسيّ: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

◉ تُقرأ هذهِ الآيات علىٰ الماءِ في الإناءِ (٧ مرَّات) ويُشرب منهُ ثلاثة أيَّام علىٰ

الرِّيق، مَع مراعاةِ إخفاءِ هَذا عَلىٰ الَّذي قامَ بالسِّحرِ، مِن أحدِ الزَّوجين، حتَّىٰ لا يجدِّدهُ.

وللوقايةِ مِن هذا النَّوعِ مِنَ السِّحر، بَل مِن أيِّ مَرَض في الجوفِ، اكتُب آيات الشِّفاء في إناءٍ طَاهِرٍ بالزَّعفران، وتُذَاب بماءٍ مَع بَعْضِ عَسَل النَّحْل وتُشْرَب ثلاثة أيَّام عَلىٰ الرِّيق وهي:

﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: من الآية ٥٧].

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: من الآية ١٤].

﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: من الآية ٦٩].

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: من الآية ٨٢].

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: من الآية ٤٤].

(٤) سحر التخييل وعلاجُهُ

سحرُ التَّخييل: هو أن تَرَى الثابتَ مُتَحَرِّكاً، والمتحَرِّك ثابتاً، والكبيرَ صغيراً، والعكس، والمريضُ صحيحاً، وعكسهُ والقَبيح حسَنَاً.

وخلاصتُهُ: أن المسحورَ بهِ يَرَى الأشياءَ عَلىٰ غير حَقيقَتِهَا، وعلىٰ سَبيل المثال: ما رآهُ النَّاس مِن سَحَرَةِ الزَّمان، الحجر طفلاً، والعصَا ثُعباناً، فكُلُّ زمان له سَحَرةٌ، لكنَّهم يختلفونَ في منهجيّةِ السِّحر التنفيذيةِ، فيقُوم الساحرُ بإحضارِ شيء يَعرفُهُ النَّاسُ، ثمَّ يتلُو عزيمَتَهُ وطلاسِمَهُ الشَّيطانيةِ، فَيرَى الناسُ الشيءَ علىٰ غير حَقيقَتِهِ.

يَتِمُّ علاج سِحْر التَّخييل بكل ما يَطرُد الشَّياطين:

١- الأذان. ٢- الاستعاذة. ٣- قراءة آية الكرسي. ٤- قراءة القرآن.
٥- الذِّكْر والتَّسبيح. ٦- التَّسمية. ٧- التَّسلح بالوضوء.
وتَبَارَكَ المنزل عَلىٰ رَسُولِهِ ﷺ: ﴿ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

(٥) سِحرُ الجنونِ وعلاجُهُ

سِحْرُ الجنونِ، يَنْشَأ بسببِ الحِقْدِ، فيقُوم السَّاحرُ بتكليفِ خَادِمٍ مِنَ الجنِّ بتغييبِ عَقْلِ المسحُورِ، بما يُشبِه الزَّوال، ممثلاً في ضَعْفِ التَّركيز، والتَّردُّد، وتَغيير الاتجاه، وعَدَم القُدرة علىٰ اتِّخاذِ القَرَارِ وَحَسْم الأمورِ، والشَّك في كلِّ الأشياء، والخوف مِمَّن حَوْلَهُ، بحيثُ يبدأ يَتصَوَّر الأحبابَ أعداءً لهُ، وقَد يكونُ بِصُورٍ غير هذهِ، كالجري وتمزيق الملابِس والتَّردي، وغيره مِنَ الأمور المنافِيَة للعقلِ، وهناك من كفرةِ السَّحرة مَن يكتُب علىٰ طَيْر وكُلَّما طارَ في الهواءِ طارَ المسحُورُ بحذاه في الأرضِ وبِنَفْسِ السُّرعةِ، وآخر يكتُب علىٰ رأسِ ثُعبانٍ، أو رَأس سمكَةٍ، فَلا يهدأ المسحُور إلاَّ بنوم المكتوبِ له عَليه من هـذهِ الأشياء، والحقيقةُ إن فِعْلَ مِثل هذا هُو الكفرُ بعينِـهِ، بَل أعلىٰ مَرَاتِب الكُفر، في قُلُوبٍ نُزِعَت منهَا الرَّحمَةُ، وحُرِمَت رضوانَ اللهِ، واستَوْجَبَت غَضَبَ الجَبَّار، لها الوَيْلُ كلّ الوَيل، إذا نادَى المليكُ وقامَ العَبيدُ، ونادَى الجَبَّارُ، وضُرِبَ الصِّراطُ علىٰ النَّار، ونُصِبَ الميزانُ ونادى الدَّيانُ، أينَ الملوكُ والجبابرةُ الَّذين كانُوا يأكلونَ رِزْقِي ويَعْبُدُونَ غَيْرِي، أينَ فِرْعَونَ وهَامَان ﴿لمن الملكُ اليومَ﴾ فَلا يجيبُهُ أحدٌ، فَيُجيبُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ: ﴿للهِ الواحِدِ القهَّار﴾.

نَسوقُ هذهِ العِبارات لِيَعْتَبِرَ بِهَا ويَتَذكّر كُل مَن لـه قَلْبٌ أو ألقَىٰ السَّمْعَ وهُو شهيدٌ.

العِلاج والوقاية:

١ - يكتبُ للمَسْحُور بالجنونِ آياتُ الشِّفاء في إناءٍ طَاهِرٍ بالزَّعفران وتمحَىٰ بماءٍ ويُشْرَب منهُ ثَلاث مَرَّات.. والآياتُ هِي :

١ - ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف : ٢٤].

٢ - ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ [الأعراف : من الآية ٢٠٥].

٣ - ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾. [ص].

٤ - ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الرعد : من الآية ١٩].

٥ - ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء : من الآية ٨٤].

٦ - ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ [المزمل : ١٩].

٧ - ﴿ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود : من الآية ١١٤].

◉ **تنبيه:**

هذه الآياتُ شفاءٌ للعَقْـل عندَ الغيبةِ، والغَفْلَةِ والنِّسيان، تكتَب بزَعْفَران، وتُمْحَىٰ بماءٍ، ويقرأ علىٰ الإناءِ آيةَ «الكُرسيِّ»، و«المعوذتين» (٧ مرَّات) يَشْرَبُ مِنْهَا المريضُ ويَغْتَسِل ثلاثةَ أيَّام، يُؤذَّنُ خلالَهَا في أُذُنِ المريضِ مَرَّةً كُلَّ يوم. ويُرْقَىٰ بآيةِ «الكرسِيِّ» وسورةِ «الإخلاصِ»، و«المعوذتين». (ثلاثَ مَرَّات).

وتكتَبُ له آياتُ الحِفْظِ ويحملُها، وهي :

١ - ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود : من الآية ٥٧].

٢ - ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف : من الآية ٦٤].

٣ - ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء : من الآية ٨٢].

٤- ﴿وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت : من الآية ١٢].

٥- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار : ١٠].

٦- ﴿بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج].

٧- ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق : ٤].

◉ ويُسَجَّل للمريضِ علىٰ الشَّريطِ، خمس آياتٍ مِن أوَّل سُورةِ البقرةِ، وثلاث مِن آخرِها، وآية «الكرسيّ» وآية: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة : ١٦٣]. وعشر آياتٍ مِن أوَّل «الصَّافات» وسورة «الجن» و«الزّلزلة» و«المعوذتين» ويَستمع إليهِ ثَلاثَ مَرَّات في اليَوم.

ويمكنُ أن تَقْرأ علىٰ إناءٍ بهِ يَشْرَبُ المريضُ منهُ ويَغْتَسِل، فَيَبْرأ بإذنِ اللهِ تَعالىٰ.

ويُنْصَح المريضُ، بالمداومَةِ علىٰ الذِّكْرِ فإنَّهُ أدْعَىٰ للشِّفاء، وهو براء كلّ سُقْم وداءٍ، وتَبارَكَ المنَزِّل: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [آل عمران].

(٦) سِحرُ المرض وعِلاجُهُ

سحرُ المرضِ، ويَنْدَرجُ تحتهُ أنواعٌ مِنْهَا:

١- المرضُ، ويكونُ بالتَّسليط بالألم عَلىٰ عُضْوٍ مِن الأعضاءِ، كالصُّداع، أو نَشْرِ العِظَام.

٢- نَوبات الصَّرع (التَّشنجات العَصَبِيَّة).

٣- شَلَل عُضوٍ مِنَ الأعضاءِ.

٤- شَلَلٌ كُلِّي.

٥- تَعْطيل أحدِ الحواسِّ عَن وظيفَتِه.

٦- الخمولُ.

٧- إرسالُ الهواتِف.

٨- سِحرُ النَّزيفِ.

٩- سِحْرُ الوسَاوس.

◉ أولاً: الرُّقية والعِلاج لِسِحْر المرَضِ:

(أ) سورةُ «الفاتحةِ» وآية «الكُرسِيّ» و«المعوذتين» وآيةُ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]. تُقرأ علىٰ المريضِ (٧ مرَّات).

(ب) يكتَبُ لهُ آياتُ الشِّفاء الستّ في إناءٍ وتُمْحَىٰ بماءٍ وَيَشْرَبُهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

والآياتُ هِي:

١- ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

٢- ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

٣- ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

٤- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

٥- ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

٦- ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

ثانياً: علاج الصُّداع:

تُقرأ علىٰ رأسِ المريضِ آية «الكُرسيّ» و«الإخلاص» و«المعوذتين» وآية: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١٣]. (٧ مرَّات).

و يمكِنُ قِراءتها علىٰ زَيْت نَعْنَاع (٧ مرَّات) ويُدْلَك بهَا الرأسُ والأعصابُ في عنقِهِ ووَجْهِه.

◉ أمَّا الصَّرع والتَّشنجات، فَقَد تَقدَّم عِلاجُهَا.

● وأمَّا الشَّلل وتَعْطيل بعضِ الحواسّ، والخمول كُل هذا، تُسَجَّل لَهُ على شريطٍ: «فاتحة الكتاب» (٧ مرَّات). وآية «الكُرسيّ» (٧ مَرَّات) و«المعوذات» (٧ مرَّات). وسورة «الجنّ» (مَرَّةً واحدةً). وسورة «الدّخان» ويَسْتَمع إليه (٣ مرَّاتٍ) في اليوم مَع ملازمتِهِ الذِّكْرَ والاستِغْفَار، وقَول: «لا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ» (١٠٠ مَرَّة). و«حَسْبي اللهُ ونِعْمَ الوكيل» (١٠٠ مَرَّة). و«لا إلـهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ، يحيي ويُميت وهُوَ على كلِّ شَيءٍ قَدير» (١٠٠ مرَّة). أي: يقولُها عَقِب صلاةِ الفَجْرِ، والمغربِ.

وَيقول: «استَغفِرُ اللهَ العَظيمَ» (١٠٠ مَرَّة).

و «لا حَولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ» (١٠٠ مَرَّة).

و«حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوكيل» (١٠٠ مرَّة) عَقِبَ الصَّلَوات الباقية.

و إنْ زَادَ في العددِ زادَ اللهُ تَعالى لهُ في العونِ وَالمدَدِ، وتَبَارَكَ المنزل عَلى عبدهِ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم﴾. [البقرة: من الآية١٥٢].

وفي علاج سِحر المرض بوجهٍ عام:

«فاتحة الكتاب»، و«المعوذتين».

«بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِن شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أو عَيْنٍ حاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ» [رواه مسلم]. وهذه رقيةُ جبريلَ للنبيِّ ﷺ. (٧ مرَّات).

«اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ البأسَ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لا شِفاءَ إلاَّ شِفاؤُكَ شِفاءً لا يُغادِرُ سَقَماً» [متفق عليه] (٧ مرَّات).

ويستمر على هذه الرقية (٢١) يوماً.

و يمكن أن تُقرأ هذهِ الرُّقية على زَيتٍ طَيِّب (زيتون) ويُدلَكُ بِهِ جَسَدُ المريضِ وكَذَلِكَ زَيت الحَبَّةِ السَّوداء.

(٧) سحرُ النَّزيف وعلاجُهُ

سحرُ النَّزيف: هـو أن يَنزِل علىٰ المرأةِ دَمٌ في غيرِ أيَّام الحيضِ، بتأثير فِعْل الخادِم الجنيِّ، إذ يأمرُهُ الساحِرُ ويكلّف بالدُّخول في جسَدِ المرأةِ، ويجري في عروقِها، ومعَهُ يجري دَمُها، ومِن الثابتِ أنَّ الشيطانَ يجري مِن ابنِ آدم مجرَى الدَّم، قالَ ﷺ: «إنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ». [رواه مسلم].

وعن عائشةَ رضي الله عنها قالَت: قلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَبِي حُبَيْشٍ تَخْشَىٰ أَنْ لا يَكُونَ لَهَا حَظٌّ فِي الإِسْلامِ، وَأَنْ تَكُونَ مِن أَهْلِ النَّارِ، تَمْكُثُ مَا شَاء اللهُ مِن يَوْمٍ تُسْتَحَاضُ، فَلا تُصَلِّي للهِ عَزَّ وَجَلَّ صَلاةً، فَقَالَ ﷺ: «مُرِي فَاطِمَةَ بِنْتَ أَبِي حُبَيْشٍ، فَلْتُمْسِكْ كُلَّ شَهْرٍ عَدَدَ أَيَّامِ أَقْرَائِهَا، ثُمَّ تَغْتَسِلُ، وَتَحْتَشِي، وَتَسْتَثْفِرُ، وَتنظَّفُ، ثُمَّ تَطَهَّرُ عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ، وَتُصَلِّي، فَإِنَّمَا ذَلِكَ رَكْضَةٌ مِن الشَّيْطَانِ، أو عِرْقٌ انْقَطَعَ، أو دَاءٌ عَرَضَ لَهَا». [صحيح لغيره، رواه أحمد].

وفي رواية أبي داود: «إنَّمَا هذِهِ رَكْضَةٌ مِنْ رَكْضَاتِ الشَّيْطَانِ، فَتَحَيَّضِي سِتَّةَ أَيَّامٍ أَوْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، ثُمَّ اغْتَسِلِي..». الحديث.

فَيَصِلُ الجنيُّ بتسليطِ السَّاحِرِ إلىٰ عُروقِ رَحِم المرأةِ، فيركضهُ ركضةً فيسيل دَمُهَا، ويختلفُ في كيفيتهِ ومقداره فَقَد يكون غزيراً أو قطرات، بحسب التَّسليط المطلوب.

◉ علاج سحر النزيف:

يُقرأ علىٰ المسحُورةِ: الرقية السَّابقة في علاج سِحْرِ التَّفريق (٣ مرَّات).

فَتَشْرب المرأةُ مَغْلِيّ الحمّص مَع الصّمغ العربيِّ مَع السَّمن البلديّ، (١ جرام) صِمغ لكوبِ حِمّص يُسحَق ويُغلىٰ مَعَهُ، ويحضر في الكوبِ ملعقة سَمْن كبيرة ويُشرب مَرَّةً صباحاً ومساءً. واللهُ هو الشَّافي.

(٨) سحرُ تَعطيل الزَّواج وعلاجُهُ

سحرُ التَّعطيل : هُو أن يطْلبَ إلىٰ الساحرِ أن يَعْقِدَ بنتَ فُلان أو ابنَ فُلان عَن الزَّواج ، ويَنْشأ هذا عن الحقدِ والكيدِ مِن عَديمي الإيمانِ ، أصحابِ القُلوب الخاويةِ الغَافِلَةِ اللاَّهية عَن ذِكْرِ اللهِ عَزَّ شَأنهُ ، ويطلبُ السَّاحِرُ مِنَ الحاقدِ اسمَ البنتِ وأمِّها ، أو الولدِ وَأمِّهِ ، ويقوم بِعَمَلِ السِّحرِ ، ويُكَلِّفُ خادِمٌ جِنيٌّ بالتَّنفيذِ ، فيَقُوم الجنيُّ بالدُّخولِ في المرأةِ فَيَجعلها تَتضَايَق مِنَ الزَّواج وتَرْفُض كلَّ زَوْج يتقدَّمُ لَهَا ، وكذلكَ الرَّجُل ، بَينَما يَزْرَع الجنيُّ فيهما عَلىٰ السواءِ الخوفَ الشَّديد ، والأوهامَ ، بسوءِ التَّوقعات وأن الفَشَل حَليفَ كُلّ خَطْوَةٍ يخطونَها ، فضلاً عمَّا يراهُ الخاطبُ مِن سوءِ مَنْظَرٍ وقُبح في الخِلْقَةِ ، وصَدّ كُلَّما أقبَلَ تَراجَعَ وعادَ إلىٰ حيثُ أتىٰ. ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ.

◉ **العلاج والوقاية:**

١ - يُقرأ علىٰ المسحُور الرُّقية السَّابقة في سِحْرِ التَّفريق (٣ مَرَّات) ويُسَجلّ آية «الكُرسِيّ» و(١٠ آيات) مِن أوَّل سورةِ «الصَّافات» وسورةِ «الجنّ» و«المعوذتين» علىٰ شريطٍ يَسْتَمع إليهِ المريض (٣ مرَّات) في اليوم.

٢ - تُكتَب آياتُ الحفظِ السّبع المذكورة في عِلاج سِحْرِ الجنونِ ، وتُحْمَل مَع المريضِ.

٣ - يُقرأ علىٰ الماءِ الآية : (١٠٢) من سُورة البقرةِ ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ..﴾ الآيـة.. ومَعَها ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ : من الآية ٥٤]. ويشرَب المريضُ ، وَيَغْتَسِل منهُ.

وتباركَ المنزل علىٰ نبيِّه ﷺ : ﴿وَزَوَّجنَاهُم بحورٍ عِيْن﴾ [الدخان : ٥٤].

علاج المربوط

جاءَ في كتابِ وَهَب بن منبه: أنَّ المربوطَ يأخذُ سَبْعَ وَرَقَاتٍ مِن سدرٍ أخضَر «ورق النّبق» تُدَقُّ جيداً، ثمَّ تُضْرَبُ بالماءِ، وبعدَ خَلْطِ السِّدرِ بالماءِ يَقْرأ على الإناءِ (آيةَ الكرسيِّ) و(القوافِل) أي: آخِر سورةَ البقرةِ، وهي: ﴿للهِ مَا في السَّماواتِ وَمَا في الأرضِ وإن تُبْدُوا مَا في أنفُسِكُم أو تخفُوهُ يحاسبكُم بهِ اللهُ..﴾

ويُرَاعىٰ أن تكونَ كمِّيةُ الماءِ كافيةً للشُّربِ والاغتسالِ، يَشْرَب منهُ ويَغْتَسِل ثلاثَ مَرَّاتٍ.

ولحل المربوط أيضاً:

◉ تكتبُ سورةُ البقرةِ في إناءٍ طاهرٍ في الزَّعفران:

وتمحىٰ بماءٍ: يغتَسِل بهِ المعقودُ «المربوطُ» علىٰ أن يَسْبِقَ هذا الغُسل اغتسالٌ بماءٍ عاديّ طهراً للجسدِ مِنَ الأذى والأدرانِ، ثمَّ بعدَهُ يَغْتَسِل بسورةِ البقرةِ، فيَبْرأ بإذنِ اللهِ تَعَالىٰ.

هويةُ السَّاحر

لا شكَّ أنَّ السحرَ هو حصَادُ ثمرةِ علاقةٍ خبيثةٍ بينَ إنسانٍ وشيطانٍ، يكونُ نتاجُها السِّحرُ.

ولكن لا تنشأ هذهِ العلاقةُ بينَ شيطانِ الجنِّ وحليفه شيطان الإنس (السَّاحِر) إلاَّ بعدَ أن يدفع الساحر ثمناً باهظاً، لأنَّ شيطانَ الجنِّ لا يُعاونُهُ ولا يقومُ بخدمتِهِ فيما يطلب إلاَّ بعدَ أن يطلبَ إليهِ القيام بأعمال منافية للشَّرع، بل هي للكفر والشِّركِ أقرب منها للإيمانِ. فيطلبُ منهُ علىٰ سبيل المثال:

(١) العهدُ والميثاق: وهو التحالفُ مع الشيطانِ علىٰ أن لا يخونَ أحدُهما الآخرَ، فيفشي سِرَّهُ أو يعصي أمرَهُ.

(٢) يتقرَّبُ الساحرُ للشَّيطان: كأن يصومَ لهُ تقرُّباً من أجلِ مرضاتِهِ.

(٣) يذبح تقرُّباً للشَّيطانِ: بشرط أن يَذكُرَ اسمَ الشيطانِ علىٰ ما يُذبَح، فلا يَذكُر اسمَ اللهِ تعالىٰ.

(٤) يكتبُ الساحرُ آياتٍ من القرآنِ بالنَّجاسةِ، أو يكتُب الفاتحةَ بالمقلوبِ، أو كتابة آياتٍ من كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ بدمِ الحيضِ، أو بدَمِ طيورٍ يُحدّدها الجنُّ وتُذبحُ دونَ أن يُذكَرَ اسمُ اللهِ عليها، بل يُذكَرُ اسم الشَّيطان.

(٥) يكونُ الساحرُ دائماً نجسَ البدنِ والثيابِ فلا يطهُر.

(٦) يقومُ الساحرُ بتمزيقِ المصحفِ ووضعِهِ في نعلِهِ ويدخلُ بهِ المرحاض.

(٧) يقومُ الساحرُ بلبسِ الثيابِ النَّجسةِ وبالمقلوب.

(٨) يقومُ الساحرُ بالاستنجاءِ باللبنِ مع وطءِ المصحفِ بالنِّعالِ.

(٩) يأمرُ الشيطانُ السَّاحرَ بالزنا، وبكتابةِ آياتٍ مقلوبةٍ بماءِ النَّجاسةِ، أو تمائم وطلاسم يُمليها الجنُّ علىٰ السَّاحِرِ فيكتُبُها بمنيِّ الزِّنا.

(١٠) تحديدُ مكانٍ خالٍ يتمُّ فيه اللِّقاءُ بينهما بمواصفاتٍ خاصَّة.

وغيرها من الأفعالِ التي تُخرجُ السَّاحرَ من ملَّةِ الإسلامِ والعياذُ باللهِ، وينالُ الكفرَ بفعلِها، فَمَن يَنْتَمِي لهذهِ الدائرةِ مِنَ الإنسِ هو ساحرٌ مِنَ الدَّرجةِ الأولَىٰ. فهو ساحرُ العملِ والعقيدةِ، وهو مشركٌ باللهِ ومُضِرٌّ بالنَّاس، أمَّا باقي السَّحرةِ فهم علىٰ النَّحو التَّالي:

◉ سَحَرةُ الدَّرجة الثانيةِ: وهم الذينَ يَرتَبِطُونَ بهذهِ الدَّائـرةِ الشـيطانيةِ بطريـقٍ غيرِ مُبَاشَرة، وهُم سحرةُ العَمَل بدونِ العَقيدةِ، أي: الَّذين يُعَظِّمونَ الأسماءَ الشيطانيةِ والطلاسِمَ ويَعرفُونَهَا مِن خِلالِ الكُتُب والمكائِد، ويعملونَ بِهَا، ويطلقُ عليهم اسمُ: المشعوذون.

◉ أمَّا ساحِرُ الدَّرجةِ الثَّالِثَةِ: فَهُوَ المَنجِّمُ، أو الفلكِيّ، أو العرَّاف..

فـ(المنجِّم): هو الَّذي يُنبئ بعلم الغَيبِ، وهو الَّذي يَتَوَقَّع الغيبَ عَن طريـقِ الكواكِبِ السَّيارةِ والنُّجُوم وتأثيرها علىٰ الإنسانِ، وهُو من يبينُ الأبـراجَ الفلكيَّةَ مِن اعرف بُرْجَك إلىٰ آخرهِ.

و(الفلكي): هو الَّذي يَعْمَل علىٰ طريقـةِ السِّحر الرَّقميّ والحساب، وهـو ينبئ بالغَيبِ أيضاً.

و(العرَّاف): هو مَن يَضربِ الرَّمْلَ وَيقرَأ الكفَّ ويقرأ الفِنْجَان.

◉ أما ساحِرُ الدرجةِ الرابعةِ: فهو صاحبُ ألعابِ السِّيم وصَاحِب ما يُسَمَّىٰ القوة الخارقة، كموظفي السِّرك، وآكِلي الجمرِ، ومخيطي الوجوه، وقَاهِرِي العفاريت إلخ..

ويَدَّعي كل هؤلاء السَّحرةِ بأنَّ هَذهِ الأمـورَ عِلْمٌ، وأنا أقولُ لَهُم: نَعَم إنَّهُ عِلمٌ ولكنَّهُ عِلْمٌ شيطانِيّ، بإشرافِ أصحابِ الدائرةِ الشَّيطانيَّةِ، وبمددٍ مِن إبليسَ وأعوانِهِ ـ لعنَهُم اللهُ ـ فَمَن يَعْـرف هَذهِ الحقيقةِ فَهُو مُشْرِكٌ، ومَن لا يَعْرِف هذهِ الحقيقة فَهُو مُغَفَّل غويّ.

ونُفسِّر كيفَ يمدّ هؤلاءِ السحرة مِن الدائرةِ الشيطانيةِ بطريقةٍ غير مباشرة، فإنَّهم يَبْعَثُونَ لهم شياطينَ الجنِّ مِن الدائرةِ نَفْسِهَا ليحدِّثُوهم عَن طريقِ الوسواسِ بالصُّدور، فَتَصِلهُ هذه المعلومات فَيَعْمَل بِهَا، ويكون تَفْسِيرُهُ لهذهِ الأمور أنَّ

عنده قوَّة الحدسِ أو عندَهُ الحاسَّة السَّادسة.

فأقول لهؤلاء المغفلينَ: إن كانَ الخالقُ خَلَقَ للإنسانِ حواسّاً خمساً فَمِن أين أتت الحاسَّةُ السادسةُ ومَن أوجَدَهَا، عليكم بالتَّفكير جيِّداً، فستعلمونَ مَن أوجدَهَا، ومصلحةُ الدائرةِ الشَّيطانيةِ في مَدِّ هؤلاء السَّحرةِ كثيرة، منها ليكونُوا منتمين لهذهِ الدَّائرةِ بالعَمَلِ وبالهدَفِ وهو الفسادُ في الأرضِ، وإغواء أكبر عَدَدٍ ممكنٍ مِن عبادِ اللهِ، فأقولُ للَّذي يعمل لصَالح هذهِ الدائرةِ مِن حيثُ لا يَعْلَم: أن يُعيْدَ حساباتهِ وَيَتْرُك هذه الأعمالَ وَيَتَمَسَّك بكتابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، لأنَّ مَن تمسَّكَ بهمَا لا يَضِلُّ الطريقَ الصَّحيح أبداً.

[من كتاب: إعجازُ القرآن في علاج السحر والحسد ومسِّ الشيطان، بتصرف، وموقع للشيخ مولاي الحسين مكاوي].

❖ ❖ ❖

قصة

في التفريق بين الزوجين

كانتِ المرأةُ تكرهُ زَوْجَهَا جداً، وتتضايَق مِن بيتِهِ وتَراهُ بمنظرٍ مُرعبٍ كأنَّهُ وحشٌ مُفترِس.. فَذَهبَ زوجُها بها إلى أحدِ المعالجين بالقرآنِ، وبَعْدَ القراءةِ نَطَقَ الجنيُّ الذي تلبَّسَها وقَالَ: إنَّهُ جاءَ عَن طريقِ السِّحر ومُهمَّتُهُ التَّفريق بينهمَا.

ضَرَبَهُ المعالج ولكنَّهُ لم يخرُج.. وتَردَّد الزَّوجُ علىٰ المعالج بزوجَتِهِ شهراً فَلَم يخرُج الجنيُّ وأخيراً طلَب الجنيُّ مِن الزَّوج أن يُطلِّق زَوْجَتَهُ ولو طَلْقَة واحِدَة وبعدَها يخرُجُ منها..

وللأسف لبَّىٰ الزوجُ الطَّلبَ فَطَلَّقَها ثمَّ راجعَها فشُفِيَت أسبوعاً ثمَّ عاودَها الجنيُّ.. فجاءَ بهَا الزَّوجُ إليَّ.. فَقَرأتُ عليهَا ودارَ الحوارُ التَّالي:

◉ ما اسمُكَ؟

- قال: ذكوان.

◉ ما ديانتُكَ؟

- قال: نصراني.

◉ لماذا دَخَلتَ فيهَا؟

- قال: للتَّفريق بينَهَا وبينَ زَوجِها.

◉ فقلتُ: سأعرِضُ عليكَ أمراً إنْ قَبِلْتَهُ وإلاَّ فَلَكَ الخيارُ؟

- قالَ: لا تُتْعِب نَفْسَكَ، لن أخرُج منهَا، لَقَد ذهبَ بهَا زوجُها إلىٰ الشيخ الفلانيِّ.. والشيخ الفُلانيِّ.. ولم أخرُج.. لا تُحَاول فَلَن أخرُجَ..

◉ قُلتُ: أنا لم أطلُب منكَ الخروجَ.

- قَالَ: فماذا تُريد؟

◉ قلتُ: أنا أعرضُ عليكَ الإسلامَ، فإن قَبِلْتَهُ وإلاَّ فَلا إكراهَ في الدِّين.

ثمَّ عرضتُ عليهِ الإسلام وبيَّنتُ له مَزَايَاهُ ومثالِب النَّصرانية.. وبعدَ مُنَاقَشَةٍ طويلةٍ قَالَ: أسلَمْتُ.. أسلَمْتُ..

◉ قلتُ: أحقيقةً أم تخادِعُنا؟

- قالَ: أنتَ لا تَستَطيع أن تجبرَني ولكنَّنِي أسلَمْتُ مِن قَلْبِي، ولكنَّني أرى أمامِي الآنَ مجموعةً مِن الجنِّ النَّصارى يُهَدّدوني وأخافُ أن يَقْتُلُونِي..

◉ قلتُ: هذا أمرٌ سَهْل، لو تُبَيِّن لنا أنَّكَ أسلَمْتَ مِن قَلْبِكَ أعطينَاكَ سِلاحاً قويّاً لا يستطيعونَ مَعَهُ الاقترابَ مِنْكَ..

- قَالَ: أعطنيه الآنَ.

◉ قُلتُ: لا، حتَّىٰ تَتِمّ الجلسةُ.

- قالَ: ماذا تُريد بعد؟

◉ قلتُ: إن كُنْتَ أسلَمْتَ حقّاً فمن تمام تَوبَتِكَ تركُ الظُّلم وتخرُج مِنَ المرأةِ.

- قالَ: نَعَم أسلَمْتُ، ولكن كيفَ أتخَلَّص مِنَ السَّاحِر؟

◉ قُلتُ: هَذا سَهْل، إن وَافقتَنا أعطينَاكَ مَا تَتَخَلَّص بهِ مِنَ السَّاحر.

- قَالَ: نَعَم.

◉ قُلت: أينَ مكان السِّحر؟

- قالَ: في الحوش (فناء بيتِ المرأة) ولا أستطيع تحديدَ المكانِ بالضَّبط لأنَّ هناكَ جنياً موكلاً بِهِ، وكُلَّما عُرِفَ مكانَهُ نَقَلَهُ إلىٰ مكانٍ آخَر دَاخِل الحوشِ.

◉ قُلْتُ: مِن كَم سنةٍ تَعْمَل مَع السَّاحر؟

- قال: عَشرَ سنينَ، وقد دَخَلْتُ في ثلاثِ نِسوة قبلَ هَذِهِ (وقَصَّ علينا قِصَصَهنَّ) فلمَّا تبيَّنت صِدْقَهُ قُلتُ: خُذْ سلاحَكَ الَّذي وَعَدْنَاك: ﴿آية الكُرسيّ﴾ كُلَّما اقترَبَ منكَ جِنيٌّ اقرأهَا فيفِرّ عنكَ بَعْدَ الصَّوت.. هَل تحفظُها ؟

- قالَ: نَعَم بسببِ كثرَةِ تكرارِ المرأةِ لَهَا.. ولكن كيفَ أتخلَّص مِنَ السَّاحر؟

◉ قُلت: الآن تَخْرُج وتَتَّجه إلىٰ مكَّةَ وتَعيش هناكَ وَسَطَ الجنِّ المؤمنين.

- قَالَ: ولكن هَل سيقبَلُني اللهُ بَعْدَ كلِّ هذهِ المعاصِي؟ لقد عَذَّبت هذهِ المرأةَ كثيراً وعَذَّبت النِّساءَ اللاَّتي دَخَلْتُ فيهنَّ قَبْلَهَا.

◉ قُلتُ: نعَم، يَقُول اللهُ تَعالىٰ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. [الزمر: ٥٣].

فبكَىٰ ثمَّ قالَ: إذا خَرَجتُ مِنَ المرأةِ فَاطلُبُوا منهَا أن تُسَامِحَني علىٰ تَعذيبي لها.

ثمَّ عاهَدَ اللهَ وَخَرَجَ..

ثمَّ قَرأتُ بَعْضَ الآياتِ عَلىٰ ماءٍ وَأعطَيْتُ الرَّجُلَ وامرأتَهُ ليَرُشَّهُ مكانَ السِّحرِ في الحوش..

وما هي إلاَّ فترةٌ من الزَّمن حتىٰ أرسَلَ لي الرَّجُل قَائلاً: إنَّ زَوْجَتَهُ بخيرٍ والحمدُ للهِ.

[الصارم البتار في التحدي للسحرة الأشرار/ وحيد بالي شريط ١].

❖ ❖ ❖

قصة أخرى في السحر

يقولُ الشيخ وحيد بالي: جاءتني مَريضةٌ عَرفتُ بَعد الرُّقيةِ لها أنَّها مَسحورَةٌ سِحراً شديداً، فَقَد كانَ يُخيَّل لها أشباحٌ في المنام واليَقَظَةِ..

أعطيتُهَا أشرطةً لبعضِ الآياتِ وطَلَبْتُ منها أن تُدَاوم علىٰ السَّماع عَليهَا وسيبطلُ السِّحرُ في مكانِهِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ.

فقالَ لي أهلُها: هَل مِن طريقةٍ لمعرفةِ مكَانِ السِّحر؟

قُلتُ: نَعَم.

قالُوا: مَا هِي؟

قُلْتُ: الدُّعاء والتَّضرُّع إلىٰ اللهِ في الثُّلثِ الأخيرِ مِنَ اللَّيل وفي السُّجود..

وفعلاً قَامَت المريضةُ بالدُّعاءِ والسُّجودِ والتَّضرع كما قَالُوا لي.. وما هي إلاَّ فترةٌ وجيزة حتىٰ رأت في المَنَام مَن أخَذَ بِيَدِهَا وذَهَبَ بهَا إلىٰ مكانٍ في البَيْتِ ودَلَّها عَلىٰ مكانِ السِّحر المدفُون..

وفي الصَّباح أخبَرَت المريضَةُ أهلَهَا فذَهَبُوا إلىٰ نَفْسِ المكانِ فَوَجُدوا السِّحرَ فأخرَجُوهُ وأبطلُوهُ.. وشُفِيَت الفتاةُ والحمدُ لله.

[الصارم البتار/ الإصابة بالعين/ وحيد بالي شريط ٦]

❖ ❖ ❖

قصة الخادمة والسحر

بحقٍّ إنَّها قصةٌ غريبةٌ وعجيبةٌ رَدّدتـها الألسُنُ ونشرتهَا جريدةُ عكَاظ بتاريخ ١٩٩٨/١١/٢٣م العدد ١١٧٨٧.

والقصَّةُ كما رواهَا الزَّوجُ ليستَ ضرباً من الخيالِ، ولكنَّها قصَّـةٌ واقعيَّةٌ بالفعل، كشفَتهَا المصادفَةُ البحتةُ أثناء الرُّقيةِ الشَّرعية علىٰ الزَّوجَةِ بعدمَا فَشِلَت كلُّ محاولاتِ الأطباءِ في إخراج الجنين الَّذي (تكوَّر) في بطنِ الأمِّ المسحورةِ، ومَا إن قرأ الشَّيخُ علىٰ الزَّوجة الحامِل والتي كانَت بجوارِهَا خادِمَتُها الساحرةُ حتَّىٰ انكشفتِ الحقيقةُ وظهرَ الأمرُ..

يقولُ الزَّوجُ: منذُ ثَلاثِ سَنَوات استَقْدَمتُ خادمةً آسيويةً.. وفجأةً طَلَبَت تأشيرةَ عَودَةٍ لبلدِها لظروفٍ خاصَّةٍ بها علىٰ أن تعودَ إلينا بعدَها.. فَوافَقْتُ.. ثمَّ عادَت إلينا بعدَ فترةٍ وجيزةٍ بالفعل، ويا ليتَهَا لَم تَرجع، فَقَد تَغَيَّرت أحوالُها وطريقَةُ مُعَامَلَتِها عمَّا قَبْلُ، فَقَد كانَت قبلَ سفرِها مطيعةً للجميع، وتحافظُ علىٰ أداءِ الصَّلوات في وقتِها. واليوم قد تَبَدَّلت وأصبَحَت هي التي تُمْلي علينَا شروطَهَا وأصبحنا لا نَرُدُّ لها طلباً، وشاءَ اللهُ أن تحمِلَ زَوْجَتِي، ولما حانَ وَقْتُ الولادةِ ذَهبت إلىٰ المشفىٰ وهناك كانَت المفاجأةُ، ظَلَّت زَوجَتِي تَتَألَّم.. وظَهَرَت تباشيرُ وعلاماتِ الولادةِ ولكنَّها لم تَلِد.. ولم يستطع الأطباءُ أن يُجروا لها عمليَّةً قيصريَّةً لارتفاع السّكر في دمها..

ومَضَىٰ أسبُوع ولم تَلِد زَوجتي، وكُلَّما ذهبنَا إلىٰ مستشفىٰ أو مُستوصف. كانت تَتَعَذَّرُ مَعَهُ عَمَليَّةُ الولادةُ. واحترت وقتَها ماذا أفعَل بزوجَتِي الَّتي هي بينَ الحياةِ والموتِ وَوَليدي المنتَظِر لم يخرُج بَعْدُ.

وفي صباح يومٍ من الأيَّام صلَّيتُ الفجرَ، واستغفرتُ اللهَ وقد أهمَّني ما أنا فيه، فألهمني اللهُ تعالىٰ أن أهرعَ للشَّيخ.. وفعلاً ذهبتُ إليهِ وطَلَبتُ منهُ القراءةَ علىٰ زَوْجَتِي، واستَغْرَب الشيخُ مجيئي في هذا الوقتِ، فَقَد اعتادَ القراءةَ بَعْدَ صلاةِ العَصْرِ، ولكن أمامَ حالَتِي وبعدَ أن استمَعَ لظروفِ زَوجَتِي الَّتي فاتَ علىٰ موعِدِ ولادَتِهَا شهرٌ وستَّةُ أيَّام، تَفَهَّم الموقِفَ وأمرني بإحضارها مباشرةً..

وحضرتُ أنا وزوجتي والخادمةُ تمسكُ بها.. وبدأ الشيخُ قراءَتَهُ بصوت مُرتَفع، وما إن انتَهَىٰ مِن قراءةِ الآياتِ الأخيرةِ مِن سورةِ البقرةِ حتَّىٰ فُوجئنا بالخادِمَةِ تَقِفُ مُضطربةً وهي تَهْذِي بعباراتٍ غيرِ مَفهُومَة، واسترسَلَ الشَّيخُ يَقْرأُ آيات فَكِّ السِّحر مِن سُورة الصَّافات، وسُورَةِ الرَّحمن، والخادِمَةُ تزدادُ اضطراباً وصَاحَت بأعلىٰ صَوتِها: لا.. لا.

وعندَمَا انتهَىٰ الشَّيخُ مِنَ القِراءةِ علىٰ زَوْجَتِي سألني، مَن هذهِ المرأةُ؟

فقلتُ لهُ: إنَّها الخادمةُ التي تَعْمَلُ عندنَا.. فاتَّجَهَ الشيخُ صوبَهَا ليقرأ عَليهَا القرآنَ ويُهَدِّئَ مِن رَوعِهَا، وما إن بدأ بالقراءةِ حتىٰ أخَذَت أطرافُها تَرْتَعِش بقوَّةٍ وتَضْرِب الأرضِ بِقَدَمِها اليُسْرَى، ثمَّ كَشَفَت عَن وَجْهِهَا وأطَلَّت مِن عَينيهَا شَرَاراتٌ ناريةٌ لم أعهدها فيها.. وأخَذَت تُهَدِّدنَا بأنها سَتَحرقنَا وتَقْتُلنا.. وقَالَت بصوتٍ عَال: أنا الَّتي سَحَرتُها حتَّىٰ آخذَ منكُم ما أُريد وسأفعَلُ..

عندَهَا لم أتمالَك نَفْسِي وَوَقفتُ مَذْعُوراً أطالِبُها بإخراج السِّحْر، فيمَا استَمَرَّ الشيخُ في القراءةِ عليها.. فما كانَ منها إلاَّ أن أخرجَت لُفَافتين مُقسَّمتين إلىٰ مربَّعات ومُستطيلات علىٰ شكلِ حِزَام رَفيع لونُهُ أصفَر وأسوَد، فأُلجِمْتُ من الدَّهشَةِ وتعثَّرَ لِسَانِي فلم أستطع أن أنطقَ بكلمة.. واستَمَرَّ الشيخُ يَقْرأ..

وبفَضْلٍ مِنَ اللهِ تعالىٰ استطاعَ أن يُبطلَ سِحْرَهَا.. وأمرني أن أنقلَ زوجتي مباشرةً إلىٰ أقربِ مشفىٰ لأنها ستلِدُ بإذن اللهِ تعالىٰ..

وفعلاً تَمَّت الولادةُ طبيعيةً وفي دَقَائق مَعدودةٍ.. ورزَقَنِي اللهُ مولوداً جميلاً.. وقُمْتُ بعدها بترحيلِ الخادِمَةِ إلىٰ بلادِهَا.. ورَحَلَت مَعَهَا دَوافِعُها الشِّريرة، وإنْ كنتُ نادماً علىٰ تَرحِيْلِهَا حيثُ كانَ مِن المفروض تَسليمها للجهاتِ المختَصَّةِ لِتَنَالَ جزاءها العادِل وتكونَ بعدَها عبرةً لكلِّ مُعْتَبِر.

أمَّا لُفافَتُها المرَبَّعة والمستطيلة فَقَد تركتُها عندَ الشَّيخ لإتلافِهَا وإبطَالِهَا بِكِتَابِ اللهِ تعالىٰ، حيثُ كانت تحوي أوراقاً مطويّةً تَفُوحُ منهَا رائحةٌ كريهة جداً، بالإضافَةِ لأوراق أُخرى مكتوبة بِلُغَةِ الخادِمَةِ ومُدَعَّمة بجداول وطَلاسِم غير مفهومة. عافانا اللهُ وإيَّاكم من كلِّ سوءٍ آمين..

❖ ❖ ❖

(٢) المس والصرع

تعريف الصَّرع والمسِّ:

الصَّرع لغةً: الطرحُ بالأرضِ، والصَّرع عِلَّةٌ معروفةٌ، والصريعُ: المجنونُ، نقولُ غُصنٌ صريعٌ: أي: ساقِطٌ إلىٰ الأرضِ، وصُرِعَ الشَّجر: إذا قُطِعَ وطُرِحَ.

والصَّرع: هو عبارةٌ عَن اختلالٍ يُصيبُ الإنسانَ في عقلهِ بحيثُ لا يَعِي المصابُ مَا يَقُول، فَلا يَستطيعُ أن يربطَ بينَ مَا قالَهُ وما سَيَقُولُهُ صَاحِبُهُ بِفقدانِ الذاكرةِ نتيجةَ اختلالٍ في أعصابِ المخِّ، ويُصَاحِبُ هذا الاختلالَ العَقْلِيّ اختلالٌ في حركاتِ المصروعِ فيتخَبَّط في حركاتِهِ وتَصرُّفاتِهِ، فَلا يَسْتَطيع أن يَتحكَّم في سيرِه، وقَد يَفقِد القُدْرَةَ علىٰ تَقْدِيرِ الخطواتِ المتَّزنةِ لِقَدَميه، أو حِسَاب المسافةِ الصَّحيحة لها. [وقاية الإنس من الجن والشيطان].

أما المس فيقال: مَسِسْتُهُ بالكسر أمسّهُ مسّاً: لمستُهُ، وماسَّ الشيءُ الشيءَ مماسةً ومساساً: لقيهُ بذاتِهِ، والمسُّ: الجنونُ، ورجلٌ ممسوسٌ بِهِ مَسٌّ مِنَ الجنِّ.

وعرَّفَهُ الدكتور عبدُ اللهِ محمَّد الطيَّار بقولِهِ: «أذيَّةُ الجنِّ للإنسِ مِن خارج جَسَدِهِ أو مِن داخِلِهِ أو منهمَا معاً وهوَ أعمُّ مِنَ الصَّرع».

وعلىٰ ضوءِ هذهِ التَّعريفات يمكِنُ القولُ: إنَّ المسَّ أعمُّ مِنَ الصَّرع: فَالمسُّ يصابُ فيهِ الإنسانُ بالجنونِ، أو الصَّرع، أو تَشنُّج عضوٍ مِن الأعضاءِ، أو تَعطُّل حاسَّةٍ مِنَ الحواسِّ الخمسةِ أو كثرةِ الوَسَاوِسِ القَهْرِيَّةِ، والخوف الشَّديد والقَلَق والغَضَب أو غيرها مِن أعراضِ المسِّ. أمَّا (الصَّرع): فهو إغماءُ الإنسانِ بحيثُ يَفْقِدُ ذاكِرَتَهُ، وأسبابُ هذا المسِّ أو الصَّرع غزوُ رُوح شِرِّير للإنسانِ، فيخرجه عن طبيعَتِهِ العاديَّةِ ويُسَبِّب لهُ أمراضاً عصبيَّةً ونَفْسِيَّةً وحتَّىٰ عُضويَّةً.

دخول الجن في بدن المصروع

إنَّ ظاهرةَ الصَّرع أو المسِّ أثارَت جدلاً كبيراً بينَ العلماءِ، فهناكَ مَن يُثبِت الدُّخولَ في بدنِ الإنسانِ، وهُم جُمْهُورُ العلماءِ، وهناكَ مَن يُنكِرُ هذهِ الظاهرةَ وهُم قِلَّةٌ قليلةٌ.

يقولُ ابنُ تيميَّةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: دُخُولُ الجنيِّ في بَدَنِ الإنسانِ ثابتٌ باتِّفاقِ أئمَّةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، وليسَ في أئمَّةِ المسلمينَ مَن يُنكِرُ دُخُولَ الجنِّ في بدنِ المصروعِ وغيرِهِ، ومَن أنكرَ ذلكَ وادَّعىٰ أنَّ الشرعَ يُكَذِّبُ ذلكَ فقد كذبَ علىٰ الشَّرعِ وليسَ في الأدلةِ الشَّرعيةِ ما يَنْفِي ذلكَ.

وقَد استَدَلَّ المثبتونَ لحقيقةِ الصَّرعِ بأدلَّةٍ نقليةٍ وعَقليَّةٍ وواقعيةٍ حِسِّيَّةٍ.

أ-الأدلة النَّقليةُ: لم تَرِد في القرآنِ الكريمِ آيةٌ كريمةٌ أوضحَت في دلالَتِها علىٰ إثباتِ الصَّرعِ إلاَّ قوله تَعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقَد اتَّفقَت كَلِمَةُ العلماءِ في تَفْسيرِ مَعْنىٰ المسِّ في الآيةِ عَلىٰ أنَّهُ الصَّرعُ الَّذي سَبَبُهُ الجنُّ، وفيما يلي أقوالُهُم:

يقولُ ابنُ كثيرٍ: أي: لا يقومونَ مِن قُبُورِهِم يومَ القيامةِ إلاَّ كَمَا يَقُومُ المصروعُ حالَ صَرعِهِ، وتخبُّط الشياطين لَهُ، وذلكَ أنَّهُ يَقُومُ قياماً منكراً. [تفسير القرآن العظيم/ ج: ١ ص: ٣٥٥].

أمَّا الإمامُ القُرطبي فيقول: وفي هذهِ الآيةِ دليلٌ علىٰ فسادِ إنكارِ الصَّرعِ مِن جهةِ الجنِّ، وزعم أنهُ مِن فعلِ الطبائع، وأنَّ الشيطانَ لا يَسلُك في الإنسانِ، ولا يكون منهُ مَسٌّ [الجامع لأحكام القرآن/ ج: ٣ ص: ٣٥٥].

ويقول الإمامُ الطبريُّ: لا يقومونَ في الآخرةِ مِن قُبورِهِم إلاَّ كمَا يقـومُ الَّـذي يتخبَّطُهُ الشَّيطانُ مِنَ المسِّ، يعني بذلك: يتخبطهُ الشيطانُ في الدُّنيا فيصرعهُ مِن المسِّ، يعني: الجنون. [جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ م: ٣ ج: ٣ ص: ١٠١].

وقـال الألوسـي: لا يقومـونَ إلاَّ قيامـاً كقيـام المتَخبِّـط المصـرُوع في الدُّنيـا والتَّخبط: تفعل بمعنىٰ فِعل وأصلُهُ ضَربٌ مُتوالٍ علىٰ أنحاءٍ مختلفةٍ.

وقوله تعالىٰ: ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ أي: الجنون، يُقالُ: مُسَّ الرَّجُلُ فَهُو ممسُـوسٌ: إذا جنَّ وأصلُهُ اللَّمسُ باليدِ، وسُمِيَّ بهِ لأنَّ الشيطانَ قَـد يمسّ الرَّجُـلَ وأخلاطُهُ مُستَعِدَّةٌ للفسادِ فَتَفْسُد ويحدث الجنون. [روح المعاني/ ج: ٣ ص: ٤٩].

وذكرَ أبـو الحسَن الأشـعريّ في مقـالاتِ أهـلِ السُّنَّةِ والجماعـةِ انطلاقاً مِن الآيـة السَّابقة أنه: يجوزُ للجنِّ أن يَدْخُلُوا في النَّاس، لأنَّ الجنَّ أجسامٌ رقيقةٌ فَلَيْسَ بمستنكَرٌ أن يَدْخُلُوا في جوفِ الإنسانِ في خروقِهِ كَمَا يَدْخُل الماءُ والطعـامُ في بَطْنِ الإنسـانِ، وهو أكثف مِن أجسام الجنِّ. [مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين/ ج: ٢ ص: ١٠٨].

◉ الأدلةُ مِن السُّنَّةِ النَّبوية:

لَقَد جاءت السُّنَّةُ النبويةُ زاخرةً بالأحاديثِ الَّتي تُثبتُ حقيقةَ الصَّرع، منهَا:

عَن يَعْلَىٰ بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: لَقَـد رَأَيْـتُ مِـن رَسُـولِ اللهِ ﷺ ثَلاثًـا، مَـا رَآهَـا أَحَـدٌ قَبْلِـي، ولا يَرَاهَـا أَحَـدٌ بَعْـدِي، لَقَـد خَرَجْـتُ مَعَـهُ فِـي سَـفَرٍ حَتَّىٰ إِذَا كُنَّـا بِبَعْـضِ الطَّرِيقِ مَرَرْنَا بِامْرَأَةٍ جَالِسَةٍ، مَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا صَبِـيٌّ، أَصَابَـهُ بَـلاءٌ، وَأَصَابَنَـا مِنْـهُ بَـلاءٌ، يُؤْخَـذُ فِـي اليَـوْمِ، مَـا أَدْرِي كَـم مَـرَّةً، قَـالَ: «نَاوِلِينِيهِ» فَرَفَعَتْهُ إِلَيْهِ، فَجَعَلَتْهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاسِطَةِ الرَّحْلِ، ثُمَّ فَغَرَ فَاهُ، فَنَفَثَ فِيـهِ ثَلاثًا، وَقَالَ: «بِسْمِ اللهِ، أَنَا عَبْدُ اللهِ، اخْسَـأ عَـدُوَّ اللهِ» ثُـمَّ نَاوَلَـهَا إِيَّاهُ، فَقَالَ:

«القيْنَا فِي الرَّجْعَةِ فِي هَذَا المَكَانِ، فَأَخْبِرِينَا مَا فعَلَ» قَالَ: فَذَهَبْنَا وَرَجَعْنَا، فَوَجَدْنَاهَا فِي ذَلِكَ المَكَانِ، معَهَا شِيَاهٌ ثَلاثٌ، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ صَبِيُّكِ؟» فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا حَسَسْنَا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّىٰ السَّاعَةِ، فَاجْتَرِرِ هَٰذِهِ الغَنَمَ.

قَالَ: «انْزِلْ فَخُذْ مِنْهَا وَاحِدَةً، وَرُدَّ البَقِيَّةَ». [رواه أحمد، وقال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين والطبراني بنحوه وأحدُ إسنادي أحمد رجالُهُ رجالُ الصَّحيح].

◉ وعن أُمِّ أَبَانَ بنتِ وَازِعٍ، عَنْ أَبِيهَا، أَنَّ جَدَّهَا الزَّارِعَ، انْطَلَقَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَانْطَلَقَ مَعَهُ بِابْنٍ لَهُ مَجْنُونٍ أَوِ ابْنِ أُخْتٍ لَهُ، قَالَ جَدِّي: فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مَعِي ابْنًا لِي أَوِ ابْنَ أُخْتٍ لِي مَجْنُونٌ أَتَيْتُكَ بِهِ تَدْعُو اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ، فَقَالَ ﷺ: «ائْتِنِي بِهِ» فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي الرِّكَابِ، فَأَطْلَقْتُ عَنْهُ وَأَلْقَيْتُ عَنْهُ ثِيَابَ السَّفَرِ وَأَلْبَسْتُهُ ثَوْبَيْنِ حَسَنَيْنِ، وَأَخَذْتُ بِيَدِهِ حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ بِهِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «ادْنُهُ مِنِّي، اجْعَلْ ظَهْرَهُ مِمَّا يَلِينِي» قَالَ: فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ مِنْ أَعْلاهُ وَأَسْفَلِهِ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ ظَهْرَهُ حَتَّىٰ رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ» فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ نَظَرَ الصَّحِيحِ لَيْسَ بِنَظَرِهِ الأَوَّلِ، ثُمَّ أَقْعَدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَدَعَا لَهُ بِمَاءٍ، فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَدَعَا لَهُ، فَلَمْ يَكُنْ فِي الْوَفْدِ أَحَدٌ بَعْدَ دَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَفْضُلُ عَلَيْهِ». [رواه الطبراني في الكبير].

◉ وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَلا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ. فَقُلْتُ: بَلَىٰ.

قَالَ: هٰذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ تَعَالَىٰ لِي فَقَالَ ﷺ: «إِن شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ

اللهَ تَعَالىٰ أن يُعَافِيَكِ» فَقَالَتْ: أصْبِرُ، فَقَالَت: إِنِّي أتكَشَّفُ، فَادعُ اللهَ أن لا أتكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا(١).

قال الحافظُ ابنُ حجر في (الفتح): وعندَ البزَّار مِن وجهٍ آخر عَن ابنِ عَبَّاس في نحو هَذِهِ القِصَّةِ أنَّها قَالَت: «إنِّي أخافُ الخبيثَ أن يُجَرِّدني، فَدَعَا لَهَا فكَانَت إذا خَشِيَت أن يَأتيهَا تَأتي أستارَ الكعبةِ فَتَتَعَلَّق بِهَا». وقد أخرجَ عبدُ الرَّزاق عَن ابنِ جُرَيج هذا الحديث مطولاً، وأخرجَهُ ابنُ عبدِ البرِّ في «الاستيعاب» مِن طريقِ حجَّاج بنِ محمَّد، عَن ابنِ جُرَيج، عَن الحسنِ بنِ مُسلم أنهُ سَمعَ طاوساً يَقُولُ: «كان النبيُّ ﷺ يُؤتَىٰ بالمجانين فَيَضْرِب صَدْرَ أحَدِهِم فيبرأ، فَأُتِيَ بِمَجْنُونَةٍ يُقَالُ لها: أمّ زُفَر، فَضَرَبَ صَدْرَهَا فَلَم تبرأ»..

◉ وعَن أَبِي لَيْلَىٰ، قَالَ: كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إذ جَاءهُ أعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: إنَّ لِي أخاً وَجِعاً، قَالَ: «مَا وَجَعُ أخِيكَ؟» قَالَ: بِهِ لَمَمٌ، قَالَ: «اذْهَب فَأتِنِي بِهِ» قَالَ: فَذَهَبَ فَجَاءَ بِهِ، فَأجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَسَمِعْتُهُ عَوَّذَهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَأرْبَعِ آيَاتٍ مِن أوَّلِ الْبَقَرَةِ، وآيَتَيْنِ مِن وَسَطِهَا: ﴿وَإِلَـٰهُكُم إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] وآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَثَلاثِ آيَاتٍ مِن خَاتِمَتِهَا، وآيَةٍ مِن آلِ عِمْرَانَ أحْسِبُهُ قَالَ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] وآيَةٍ مِنَ الأعْرَافِ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ﴾ [الأعراف: ٥٤] الآيَةَ، وآيَةٍ مِنَ (الْمُؤْمِنونَ): ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧] وآيَةٍ مِنَ الْجِنِّ: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَداً﴾ [الجن: ٣]. وَعَشْرِ آيَاتٍ مِن أوَّلِ الصَّافَّاتِ، وَثَلاثِ آيَاتٍ مِن

١- (البخاري/٥٦٥٢، مسلم/٢٥٧٦) (أصرع) يصيبني الصرع، وهو علَّةٌ في الجهاز العصبي تصحبها غيبوبة في العضلات، وقد يكون هذا بسبب احتباس الريح في منافذ الدماغ، وقد يكون بسبب إيذاء الكفرة من الجنِّ (أتكشف) أي: فأخشىٰ أن تظهر عورتي وأنا لا أشعر (صبرت) أي: علىٰ هذا الابتلاء (ولك الجنَّة) أي: درجة عالية فيها بمقابل صبرك. والله تعالىٰ أعلم.

آخرِ الْحَشْرِ: و﴿قُل هُوَ اللَّهُ أحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] والْمُعَوِّذَتَيْنِ، فَقَامَ الأَعْرَابِيُّ قَد بَرَأ، لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ»[1].

ب ـ الأدلة العقلية:

لقد أنبأنا الوحيُ الصَّادق بسلوكِ الجنِّ في جِسْمِ الإنسانِ، وقَد حاوَلَ البعضُ تأويلَ هذهِ النُّصوص وإخراجَهَا عَن معناهَا الصَّحيح إلىٰ تعريجاتٍ فَاسِدَةٍ، لكن هؤلاء اصطدَمُوا بالواقع المشَاهَد وبالأدلَّةِ العَقْلِيَّة الَّتي تُثْبِت دُخُولَ الجنيِّ في جِسْمِ الإنسانِ، فإذا كانَ الجنُّ أجسامًا لطيفةً لم يَمْتَنع عقلاً ولا نَقْلاً سُلُوكُهم في أبدانِ بني آدَم، فإنَّ اللَّطيف يَسْلُكُ في الكثيفِ كالهواءِ مثلاً فإنَّهُ يَدْخُلُ في أبدَانِنَا وكالنَّار تَسْلُك في الجمر، وكالكهرباء تَسْلُك في الأسلاكِ بَل وكالماءِ في الأتربةِ والرِّمالِ والثِّياب مع أنه ليسَ في اللطافة كالهواءِ والكهرباءِ. [ردود علىٰ أباطيل/ الشيخ محمد الحامد ٢/١٣٥].

يقولُ القاضي عبدُ الجبَّار: إذا صَحَّ مَا دللنَا عليهِ مِن رقَّةِ أجسامِهم وأنَّها كالهواءِ، لم يمتنع دُخُولها في أبدانِنَا كمَا يدخل الرِّيحُ والنَّفسُ المتردِّدُ الَّذي هو الروحُ في أبدانِنا مِن التَّخرق والتَّخلخل، ولا يؤدي ذلكَ إلىٰ اجتماع الجواهِر في حَيِّزٍ واحدٍ لأنَّها لا تجتمع إلاَّ عَلىٰ طريقِ المجاورةِ، لا علىٰ سَبيلِ الحالِ، وإنَّما تدخلُ أجسامَنَا كمَا يَدْخُل الرَّقيقُ في الظروف [أحكام الجان/ الشبلي ص: ١٤٤].

ت ـ الأدلة الواقعية الحسية:

إنَّ الأدلةَ الواقعيةَ المعتمدة عَلىٰ الحسِّ والمشاهدةِ تُعْتَبَر دامغةً، يقفُ أمامَها المنكِرُ لِدُخُولِ الجنِّ في بدنِ المصروع مُصَاباً بالدَّهشَةِ والذُّهول، ويعجز عن إيجادِ

---

(١) «لمم» اللمم: طَرَف من الجنون يلُم بالإنسان، أي: يقرب مِنْهُ ويعتريه.

تفسيرٍ وجوابٍ لَها ومنهَا :

(١) عندمَا يُصرعُ الإنسانُ تَتغَيَّر نَبراتُ صَوتِهِ ، فإذا كانَ المصروعُ امرأةً يكـونُ صوتُها قبلَ أن تُصرع رقيقاً عادياً ، وبَعْدَ الصَّـرع يُصبح خشناً حاداً كأنَّهُ صَوتُ رَجُل إذا كانَ الجنُّ الصارعُ رجلاً ، أو صوت صَبِيّ إذا كـانَ الجنيُّ صبيّاً صغيراً ، والعكسُ إذا كانَ المصروعُ رجلاً ، فقَبْلَ أن يَسْقُط صريعاً يكونُ صوتُهُ جهورياً خشناً ، وعندمَا يخرّ صَريعاً يُصبْح صَوتُهُ صوتَ امرأةٍ رقيقاً.. رَغْم أنَّ الحنجُرَةَ والحبالَ الصَّوتية هي هيَ لم تَتغَيَّر!

وقد يُخبِر المصروعُ بمعلوماتٍ خَارج حُدُودِهِ المعرفيَّةِ يَستَحِيل عليهِ معرفَتُها مما يُثير الكثيرَ مِن الغرابةِ. وهذا مشاهدٌ لا يُنكرُهُ إلاَّ جاهلٌ مُكابرٌ.

(٢) قَد يُضرَب هذا المصرُوع مئات الضَّربات بالعصَا الغَليظة لَو ضُربَهَا جَمَلٌ لماتَ مِن حينِهِ ، وعندَمَا يفيق مِن غَيبوبَتِهِ لا يحس بأيِّ أثرٍ للضَّرب ، والواقع أن ذلكَ الضَّرب قَد وَقعَ علىٰ الجنيِّ الصَّارع الَّذي كان يَتخَبَّطهُ ، وهنا يقولُ ابنُ تيمية رحمهُ اللهُ : قالَ عَبْدُ اللهِ بن الإمام أحمد : قُلت لأبي : إنَّ أقواماً يقولـونَ : إنَّ الجنيَّ لا يَدْخُل في بدنِ المصروع. فقَالَ : يَا بُنَيَّ يكذبونَ هُو ذا يتكَلَّم علىٰ لِسَانِهِ.

وهَذا الَّذي قَالَهُ أمرٌ مَشهورٌ ، فإنه يَصْرَع الرَّجلَ فَيتكَلَّم بلسانٍ لا يَعرفُ مَعْنَاه ويضرب علىٰ بدنِهِ ضرباً عظيماً لو ضُربَ به جَمَلٌ لأثَّرَ بهِ أثراً عظيماً ، والمصروع مَع هذا لا يحسّ بالضَّربِ ولا بالكلام الَّذي يقولُهُ وقَد يجرّ المصروع غيرَ المصروع ويجرّ البساط الذي يجلسُ عليهِ ، ويَنْتَقِل مِن مكانٍ إلىٰ مكانٍ ، ويجري غيرُ ذلك مِنَ الأمورِ مَن شاهَدَهَا أفادتُهُ عِلْماً ضَرورياً بأنَّ النَّاطِقَ علىٰ لسانِ الإنسِ والمحرِّك لهذِهِ الأجسام جنسٌ آخرُ غَير الإنس. [مجموعة فتاوى ابن تيمية/ م : ٢٤ ص : ٢٧٧-٢٧٦].

(٣) حركاتُ المصروع تكُونُ عنيفةً جداً، فقَد يمزِّق ثيابَهُ ويمسكهُ ستَّةٌ مِن الأشداءِ الأقوياءِ، لكنَّهُ يطيحُ بِهم، وقَد يُوثق بالسَّلاسِلِ أحياناً حتىٰ يقدرُ عليهِ.

(٤) قد يكونُ الإنسانُ أميّاً لا يَقْرأ ولا يكتُب، ولكن عندمَا يُصْرَع رُبَّما يتكَلَّم بلغةٍ أجنَبِيَّةٍ عويصةٍ: كالإنجليزيةِ، أو الصِّينية، وبطلاقةٍ، وعندما يَفيقُ لا يَفْقَه شيئاً مما كانَ يَقُول!؟ أو قَد يكتُب ـ أثناءَ غيبوبَتِهِ ـ بخطٍّ جميل، وعندَما يَفيق ويُطلب منهُ الكتابةَ يقولُ: إنَّهُ أصلاً لا يكتُب ولا يَقْرأ، أو قَد يكون يكتب بخطٍّ مُعَيَّن وصُورة مُعَيَّنة، وعندما يَتَخَبَّطهُ الجنيُّ بالصَّرع يكتُب بخطٍّ آخَر غيرَ الَّذي كان يكتبُ بهِ، والحقّ أنَّ الَّذي يكتُب والَّذي يتكَلَّم بصورةٍ مختلفةٍ عَن ذلك الإنسانِ هُو الجنيُّ.

(٥) القصصُ الكثيرةُ المنقولةُ بينَ النَّاس والمشاهدَة رأي العينِ، حيثُ نَسْمَع كلَّ مَرَّةٍ أنَّ فُلانة مُصابَةٌ بالصَّرع، وفلانٌ مجنُونٌ، وذلكَ يتكَلَّم الجنُّ علىٰ لسانِهِ.. إلخ.

◉ أوردَ القَاضي أبو يعلىٰ في «طبقاتِ الحنابلة» عَن عليٍّ بن أحمَد بنِ عَلي العسكريّ قَالَ: حَدَّثني أبي عَن جَدِّي قالَ: كنتُ في مسجدِ أحمدِ بنِ حنبل فأنفذَ إليهِ المتوكِّل صاحباً يُعْلِمُهُ أنَّ لَهُ جاريةً بهَا صَرَعٌ وسأله أن يَدْعُو لَهَا بالعافيةِ.

فأخرجَ لَهُ أحمدُ نعلَ خَشَبٍ مِن حوضٍ للوضوءِ وقَالَ لَهُ: امضِ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ واجلس عندَ رأسِ هذهِ الجاريةِ وقُل لَهُ ـ يعني للجنِّ ـ يقولُ لكَ أحمدُ: أيُّها أحبُّ إليكَ أن تَخْرُج مِن هذهِ الجاريةِ، أو تُصْفَعَ بهذَا النَّعلِ سَبعينَ؟

فمضَىٰ إليهِ وقالَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ الماردُ ـ علىٰ لسانِ الجاريةِ ـ: السَّمعُ والطاعةُ، لو أمرَنا أحمدُ أن لا نُقيمَ بالعراقِ مَا أقمنَا، إنَّهُ أطاعَ اللهَ، ومَن أطاع اللهَ أطاعَهُ كلُّ شيءٍ، وخرجَ مِن الجاريةِ وهَدَأت ورُزِقَت أولاداً، فَلَمَّا ماتَ

أحمدُ ـ رحمهُ الله ـ عاودَهَا الماردُ، فأنفذَ المتوكِّلُ إلىٰ صاحبِهِ أبي بكرٍ المروزيِّ فَعَرَّفَهُ الحالَ، فأخذَ المروزيُّ النعلَ ومَضَىٰ إلىٰ الجاريةِ، فكَلَّمهُ الماردُ علىٰ لِسَانِهَا وقالَ: لا أخرُجُ ولا أطيعُكَ ولا أقبلُ مِنْكَ، أحمدُ بنُ حَنْبَل أطاعَ اللهَ فأمَرَنَا بطاعَتِهِ. [لقط المرجان في أحكام الجان/ للسيوطي ص: ١٣٥-١٣٤].

أسبابُ المسِّ

للصرع أسبابٌ عديدةٌ لا يمكِنُ استقصاؤهَا كُلِّها، لكن يمكِن الإشارةُ إلىٰ أهمِّهَا وأبرزِهَا، وقد لَخَّصَ ابنُ تيميَّةَ أهمَّها بقوله: (وصرعهم للإنسانِ قد يكون عَن شهوةٍ، وهو كما يتَّفق للإنس مع الإنس، وقد يَتَنَاكح الإنسُ والجنُّ ويولد بينهمَا، وهذا كثيرٌ معروفٌ، وقد ذكَرَ العلماءُ ذلكَ وتكلَّمُوا عليهِ، وكَرِهَ أكثرُ العلماءِ مُناكَحَةَ الجنِّ، وقَد يكون ـ وهو كثيرٌ ـ عَن بغضٍ ومُجازاةٍ، مثل أن يُؤذيهم بعضُ الإنسِ، أو يَظُنُّوا أنهم تَعَمَّدُوا أذاهُم، إمَّا ببولٍ علىٰ بَعْضِهِم، وإمَّا بصبِّ ماءٍ حارٍّ، وإمَّا بِقَتْلِ بَعْضِهِم، وإن كانَ الإنسيُّ لا يعرفُ ذلكَ، وفي الجنِّ جَهْلٌ وظلمٌ، فيعاقبونَهُ بأكثرَ ممَّا يَسْتَحقّه، وقد يكون عَن عبثٍ مِنْهُم وشرٍّ بمثل سفهاءِ النَّاس. [البيان المبين في أخبار الجن والشياطين/ ص: ٦٦-٦٥].

وقد تقدَّم هذا البحث في الصفحة (١٤٣) تحت عنوان: أسباب اقتران الشيطان بالإنسان، وفي الصفحةِ (١٤٦) تحت عنوان: أعراض اقتران الشيطان بالإنسان.

فعندمَا يَدْخُل الجنُّ في بدنِ الإنسيِّ يتوجَّهُ مباشرةً إلىٰ المخِّ، وعن طريقِ المخِّ يستطيع أن يُؤثِّر علىٰ أيِّ عُضْوٍ مِن أعضاءِ الإنسانِ مِن مركزِهِ في المخِّ، وقد أثبَتَت البحوثُ الطِّبيةُ أنَّ مَرضَىٰ الصَّرع لَدَيْهِم ذبذبات أثيرية غَريبة مستقرة في المخِّ.

[انظر: وقاية الإنس من الجن والشياطين/ وحيد عبد السلام بالي ص: ٧٣].

يقولُ أحـدُ الأطباءِ: (يظهرُ أنَّ لـلأرواح الماسَّـةِ ثـلاث نقـطِ اصطـدام رئيسيةٍ هي: ١- قاعدة المخ. ٢- منطقة الضَّفيرة الشامية. ٣- المركز المهيمن علىٰ أعصابِ التَّناسُل). [انظر: الطبيب المسلم وأخلاقيات المهنة/ ص: ٢١٥].

أعراضُ المسِّ

للمسِّ أعراضٌ كثيرةٌ وقَد تقدَّم هذا البحثُ في الصَّفحةِ (١٤٦) عند قَولِنا عَن أعراضِ اقترانِ الشَّيطانِ بالإنسانِ. ولا بـأسَ بإعادتِها هنـا بقلـمِ شيخٍ آخَر، وهـو الشَّيخ أسـامة العَوضي، وقـد قسَّمَها تقسـيماً علميـاً، وهـي: أعـراضٌ ظـاهرة وأعراضٌ باطنيةٌ.

(١) العلامات الظاهرة:

◉ الصُّدودُ عَن ذِكْرِ اللهِ تعالىٰ، كأن لا يستطيع المريضُ الصَّلاة أو كانَ يُصَلِّـي ثمَّ تركَ الصَّلاةَ، أو أنـهُ لا يُحِـبُّ سمـاعَ القرآنِ، أو لا يحبُّ أن يَسْمَعَهُ في بعضِ الأوقاتِ دُونَ بَعْض، أو يحبّ سماعَهُ لفترةٍ قصيرةٍ جداً.

◉ التَّخبط في الأقوالِ والأفعالِ: فالتَّخبط في الكلام كأن يحدِّث عَـن مَوضُـوع يبدأ الكلامُ فيهِ ثمَّ يَدخلُ في موضوعٍ آخَرَ لا صِلَةَ له بـالحديثِ الأوَّل، ثـمَّ يَدْخُل في موضـوعٍ ثـالِث، أو يريـدُ الحديثَ ثـمَّ يسـكُت ثـمَّ يُريـدُ الكـلامَ ثـمَّ يسـكُت وهكذا، والتَّخبط في الأفعالِ بأن لا يَثْبُت علىٰ حالٍ، فهو قَلـقٌ دائمـاً فَتَارَةً يقـفُ دونَ سببٍ، أو يجلِس أو يمشي في الحجرةِ ذهاباً وإياباً.

◉ دائم النَّوم بحيثُ لا يحبّ أن يقومَ مِن النَّوم حتَّىٰ لطلبِ طعامٍ ولا شَراب.

◉ لا يحبُّ النظافَةَ ولا الوضوءَ ولا الاستحمامَ، ويكره الماء ويجلِسُ في الظلمةِ.

◉ أو رُبَّما يحبّ الاستِحْمَام كثيراً، فَما كاد يَستَحِمّ حتَّىٰ يعودَ ليستَحِمَّ ولو كانَ في البردِ القَارس، لكثرةِ هوسِهِ ووسوستِهِ.

◉ يحبُّ المظهرَ المقزِّزَ فيطيلُ الشَّعر والأظافِرَ.

◉ كَثير البكاءِ بِلا سببٍ، أو الضَّحك بلا سَبَب.

◉ كَثير الأكلِ والشرب، وربما أكلَ أو سألَ الأكلَ من بائعٍ أو جارٍ أو غريب.

◉ كثير الذُّهول والشُّرود والنِّسيان.

◉ الإحساس بالخوفِ أو الشَّكِّ حتىٰ في أقوالِ النَّاس إليهِ.

◉ يحاول في بعضِ الأحيان الانتحارَ نتيجةَ اليأسِ والإحباطِ.

◉ الإسراف في اللَّهو والمسكراتِ والمحرَّمات، وإن كانَ عزباً يُمارسُ العادةَ السِّرِّيةَ بكثرةٍ كثيرةٍ.

◉ تَصلُّب بعضُ أعضاءِ الجسم أو الجسم كُلِّه.

◉ الشكوى الدَّائمة مِن ألم في الجِسْم مثل: الصُّداع الدَّائم، وألم الظهر والمفاصل، وضِيق الصَّدر.

◉ الخوض في صِفَاتِ اللهِ مَع التَّشكيكِ فيها وفي وجودِ اللهِ تَعَالىٰ. وكثرةُ الأسئلةِ التي توحي للمسؤول بأنَّ السائلَ مريضٌ.

(٢) العلامات الباطنية:

وتنقسمُ إلىٰ قِسمين:

(أ) علاماتٌ باطنيةٌ في اليقظةِ:

◉ مثل ألم الظَّهر والركبتين، ووجود كَدَماتٍ زرقاء أو حَمْرَاء أو صَفْرَاء في

البدنِ خاصَّة في الذِّراعين والفَخِذَين.

◉ الإحساس بأنَّ هُنَاك أحـداً يَتبعُـهُ ولكنَّه لا يَـرَاهُ، وقَـد يَشْعُر بوجـودِ نَفْس بجوارِهِ وهو علىٰ فراشِهِ حينَ يَستَعِدّ للنَّوم.

◉ الإحساس بأنَّ أحداً يحتَضِنهُ مِن خَلْفِهِ، أو مِن أمامِهِ وهُو نائمٌ.

◉ الإحساس بأنَّ أحداً يجذبُ مِن فوقِهِ الغِطاءَ دونَ أن يَرَى أحداً.

◉ سَمَاع أصواتٍ تُحَدِّثُهُ ولا يَرَى شخصاً.

◉ رؤيةُ بَعْضِ الأشباحِ أحياناً بأشكالٍ مختلفةٍ.

(ب) علامات تظهر عند النوم أو أثناءه:

◉ أن يَرَى المريضُ مَن يريدُ قَتْلَهُ في النَّوم أو الاعتداء عليهِ.

◉ القلقُ والأرقُ والخوفُ.

◉ الأحلامُ المزعجةُ في النَّوم.

◉ أن يَرَى حيواناً متخفياً يريدُ أن يَعضّهُ أو يُهَاجمهُ.

◉ رؤية البِحَار والسَّمكِ والمقَابِر.

◉ رؤيةُ الكنائِس والقَسَاوسَةِ والرُّهبان.

◉ رؤيةُ الرَّاهبات والمعابِدِ.

◉ رؤيةُ المساجِدِ والمقَامَات.

◉ اصطكاك الأسنان أثناء النوم.

◉ الفزعُ والبكاءُ والكلامُ أثناءَ النَّوم.

◉ المشي أثناءَ النَّوم دونَ شُعور.

- أن يقومَ مِن النَّوم متعباً كأنَّه يحملُ الأثقالَ أثناءَ النَّوم.
- رؤيةُ المريض نَفْسَهُ أنَّهُ سيَقَع في بئرٍ، أو مِن فوقِ شاهِق.

[المنهج القرآني في علاج السحر والمس الشيطاني/ ص: ٥٠ - ٤٨ بتصرف وزيادة].

أنواعُ المس

أنواعُ المسِّ أربعةٌ، لكلٍّ منها صفاتٌ خَاصَّةٌ:

① المسُّ الكليُّ:

وهو أن يَمَسَّ الجنيُّ جَسَدَ الإنسانِ مَسّاً كاملاً ويُسَيطِر عليهِ سَيطرةً تامَّةً بحيثُ لا يَدْري الإنسيُّ مَا يَفْعَل، وهذا النَّوعُ مِنَ الصَّرع قَريبُ الشَّبَهِ جداً بالصَّرع العُضويِّ، بحيثُ يختلطُ الأمرُ علىٰ كثيرٍ مِنَ المعالجينَ، ولا يفرِّقُ بَيْنَهُما إلاَّ ذُو خبرة بِالعلاج، لأنَّ التَّشنُّجات العَصبية الَّتي تحدثُ للمصروع تكونُ شديدةً ويؤخذُ المريضُ أغلَبَ أوقاتِهِ ويَتَصَرَّف كأنهُ ليس بإنسانٍ، ويفعل أشياءَ لَيْسَت مِن عادَتِهِ.

② المسُّ الجزئي:

وهذا النَّوعُ مِن المسِّ يحدثُ في أحدِ أعضاءِ الجسدِ كاليَدِ، أو القَدَم فَيَحُسّ الإنسانُ أنَّهُ في حالة تُشبهُ حالةَ الشَّللِ، أو يحدثُ المسُّ في اللِّسانِ فيستحيل عليهِ النُّطق، وكأنهُ أخرَس، وأيضاً في العينِ فتكون العَيْنُ مَفْتُوحةً ولكن لا يَرَى الإنسانُ فيها فَيظُنّ أنهُ أُصيبَ بالعَمَىٰ..

③ المسُّ الدَّائم:

وهذا النَّوعُ مِنَ المسِّ يكونُ بِدُخُولِ الجنِّ جِسْمَ الإنسانِ بصفةٍ دَائِمَةٍ، وهَذا النَّوعُ يُشْبِهُ المسَّ الكُلِّي، ولكِنَّ الإنسانَ الممسوسَ في هذا النَّوع لا يَذْهَب عنهُ

الصرعُ، فَيَنْتَقِل مِن عُضْوٍ إلىٰ عُضْوٍ، فيشعُر الإنسانُ مثلاً بألم في رأسِهِ، ثـمَّ ينتقـلُ هذا الألمُ إلىٰ ذراعِهِ، ثمَّ إلىٰ عُضْـوٍ مِـن أعضائِـه بصفـةٍ دائمـةٍ، أمَّا في المسِّ الكُلِّـي فَيحدُث أن يُصْرَعَ الإنسانُ في جِسْمِهِ كُلِّهِ فترةً ثُمَّ يَذْهَبُ عنهُ ويعودُ سليماً وهكذَا.

④ المسُّ الطَّائف:

وهو نوعٌ مِن المسِّ الشَّيطاني يأتِي للإنسانِ في المَنَام ـ وهُو يُسَمَّىٰ بالكوابيس ـ ويحدثُ هذا النَّوعُ غالباً عندَ تَرْكِ التَّمَسُّكِ بالسُّنَّةِ النَّبويةِ وخاصَّةً آداب النَّـوم مثـل تركِ الوضُوءِ قَبْلَ النَّوم، وعدم النَّوم علىٰ الشِّقِّ الأيمنِ، وعَدَم قِرَاءةِ آيةِ الكُرْسِيِّ قَبْلَ النَّوم، أو الأدعية المأثورة عَن رسولِ اللهِ ﷺ.

[كيفية إخراج الجان من جسم الإنسان/ الشيخ سعيد جار علي بدوي ص: ٦٠-٦١].

❖ ❖ ❖

علاجُ الصرع «المس» والوقاية منه

(١) العلاجُ المحرَّم

(أ) الاستشفاء بطريقةِ الزَّار:

وهي تلكَ الحفلات الَّتي يُقيمُهَا أهلُ الحالِ، أو أهلُ الحضرةِ، أو السَّحَرَةُ الَّذين يُسَمُّون أنفسهم ظلماً وزوراً بالشُّيوخِ، وَالَّذين يَدَّعُونَ أنَّ لَهُم حكماً عَلىٰ الجنِّ واختصاصاً في إشفاءِ بَعْضِ الأمراضِ، وتكون في هذهِ الحفلةِ كُلُّ ألوانِ الشِّركِ والفُجُورِ، وتُحْيي هذهِ الحفلَةُ فرقٌ مِن كناوة، أو عيساوة، أو غيرهم ويبدأ الرَّقصُ والغِنَاء علىٰ إيقاعاتِ الفِرْقَةِ، وأثناء العَزْفِ تقومُ بَعْضُ النِّساء فَيَبْدَأنَ في الجذبِ والرَّقص كاشفاتٌ شعورَهُنَّ لابسات لباساً بعيداً عَن الحشمةِ والوَقَارِ، ومنهُنَّ مَن تكونُ مُرتدية ثياباً خَضْرَاءَ فَقَط علىٰ أساسِ أنَّ الجنِّية تحبُّ هذا اللَّون، أو ثياباً حمراء لأنَّ الجنية «ميرة» تحبُّ هَذا اللَّون.. وبَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الرَّقْصِ يُغْمَىٰ علىٰ المرأةِ فَيسْأل الفَقيهُ الجنيَّ أو الجِنِّيَةَ عَن رغبتِهِ وطلَبَاتِه..

وهناكَ فكرةٌ خاطئةٌ عندَ مَن يَعْتَقِدُونَ الشِّفاءَ بالزَّار وهي أنهُ بَعْدَ الحفلةِ سَيشْفَىٰ المريضُ شفاءً تامَّاً وتَعُمُّهُ سعادةٌ عارمةٌ، وهذا غَلَطٌ وَجَهْلٌ تَامٌّ بخبثِ الشَّيطانِ، وذلكَ أنهُ قبلَ أن يحضُرَ المصابُ الحفلَةَ يَقْبِضُ الجنيُّ علىٰ نَفسِ المريضِ فَيَشْعُر بالقَلَقِ وضِيْقِ النَّفس والعياءِ والتَّعَبِ والخمُول، وعندَمَا يَرْقُص ويجذب في هذهِ الحفلة وقَد يُغْمَىٰ عليهِ، تحصلُ لَهُ حالةٌ نَفْسِيَّةٌ أُخْرَى وَيَشْعُر بلذَّةٍ نَفسِيَّةٍ وبهجةٍ وسُرُور.. لأنهُ أرضَىٰ الجنيَّ الَّذي يحبّ مَزَامِرِ الشَّيطان ويحبُّ الذَّبائح الَّتي لم يُذكَر عليهَا اسمُ اللهِ.. لكن مَا تلبث أن تعودَ إليهِ هَذِهِ الأعراضُ مِن جديدٍ ويبقَىٰ في دَوَّامةٍ لا يخرُج منهَا إلاَّ بالتَّوبةِ النَّصُوح والالتزام بِشَرْعِ اللهِ.

(ب) الاستشفاء بزيارة الأضرحة:

إنه لمن المؤسفِ جداً ونحنُ في بلادٍ إسلاميَّةٍ أن نجدَ كثيراً مِن رُمُوزِ الشِّرك، لها منابِر ثقافية واقتصاديَّة ودينيَّة.. سنوياً والنَّاسُ يَشُدُّونَ الرِّحالَ إلىٰ هذهِ الأضرحَةِ طلباً للشِّفاءِ، أو الرِّزق، أو الزَّواج، أو الولد.. ويُنْفِقُونَ في سَبيل ذلكَ الغَالِي والنَّفيس، ويسافرونَ من بلدٍ إلىٰ آخر، واللهُ عَزَّ وَجَلَّ الوَهَّابُ الرَّزاق أقربُ إليهم مِن حَبْلِ الوَرِيد، فعندنا في دمشق علىٰ سبيل المثَال هناكَ أضرحةٌ كثيرةٌ يتجاوزُ الناسُ فيها الحدَّ من تقديسٍ وتمسُّحٍ بالقبرِ، وسُؤال صاحبِ القَبر، أو أن يكتبَ المريضُ أو طالبُ الحاجةِ عَلىٰ قبرِهِ عبارةً لقضاءِ حاجتِهِ، أو يَرْبِطَ شيئاً، من هذه الأضرحة (قبرُ يحيىٰ في المسجد الأموي) و(قبر الشيخ محيي الدِّين) و(قبر الشيخ رسلان) إلخ ما عندنا، وأظنّ أنَّني مرَّةً رأيتُ عند قبر الشيخ رسلان آنيةً للماءِ يضعونها للاستشفاءِ، ثمَّ بعد فترةٍ يَعُودونَ لأخذِهَا وشُربها، وهَذا واللهِ مَا أنزلَ اللهُ بهِ من سُلطان، ألم يقرأ هَؤلاءِ قولهُ تَعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ألم يقرأ هؤلاءِ قولهَ تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُم خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

ألم يَفْهَم هَؤلاء حديثَ رسولِ اللهِ ﷺ حينَ خاطبَ ابنَ عبَّاس رضي الله عنه بقولِهِ: «يَا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإذَا استَعَنْتَ فَاستَعِن باللهِ، وَاعْلَمْ: أنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَت عَلَىٰ أن يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَم ينفعُوكَ إلاَّ بشَيْءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإنِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ

أن يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَم يَضُـرُّوكَ إلاَّ بشَيءٍ قَد كَتبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» [رَوَاهُ التِّرْمذيُّ].

وللأسف إلىٰ يومِنَا هذا مَن يَنْذُر لهذِهِ الأضرحةِ، حيثُ يَطوفُ المريضُ بهذا التَّابوت سَبعةَ أشواطٍ كأنهُ يَطوفُ بالكعبةِ المشرَّفةِ ويُقبِّل أعتابَ التَّابوتِ وأركانِهِ كما يُقبِّلُ الحاجُّ الحجرَ الأسودَ، ثمَّ يُدْخِل رأسَهُ في التابوتِ فيناجيهِ ويسأله الشِّفاء والرِّزق كأن يقول: «لقد جئتُكَ قاصداً والمقصودُ هو اللهُ وبما أن نورك مُتَّصلُ بنورِ اللهِ فاشفِنِي مِن مَرَضِي فإن أنتَ شَفَيْتَنِي فَلَكَ كَذا وكَذا..» وقد يُصلِّي ركعتين أمامَ الضَّريح كما يُصلِّي الحاجُّ في مقام إبراهيم ركعتين بعد طوافِ القُدُوم، وبعدَ ذلكَ يُخْرِجُ المريضُ أو الزائرُ ذبيحةً تُذْبَح دُونَ تسميةٍ أو يُسَمِّي باسمِ الضَّريح أو يذكر اسمَ اللهِ ولكن نيَّتُهُ منصرفة إلىٰ الذَّبح لذلكَ الضَّريح كما يَذْبَح الحاجُّ الهديَ في يوم عيدِ الأضحىٰ وهذا كُلُّهُ شِرْكٌ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وربَّما كان عند بعضِ الأضرحةِ (خلوة) وما أدراكَ ما هي؟ فهي عبارةٌ عَن مغارةٍ أو حُفرة تحتَ الأرضِ، وتكون مظلمة وكريهة الرَّائحة، والشياطينُ تحتَ الظلام لأنَّهُ أجمع لقوى الشَّرِّ، وعندما ينزلُ المريضُ إلىٰ الخلوةِ يُغْلَقُ عليهِ بابُهَا ويستغيث بالضَّريح كي يَشْفيه ويُشعل بَعْضَ الشُّمُوع أو يَرُش الخلوة بماءِ الزَّهر والوردِ، ثم يصعَد منها، وإذا كانت الحالةُ خطيرةٌ كالمجنونِ الَّذي يضرب ويَصْرُخ فإنَّهُ يُغْلَقُ عليهِ في الخلوةِ ثلاثة أيَّام حتَّىٰ يهدأ أو يُشْفَىٰ وهذا كُلُّهُ ضَلالٌ وشِرْكٌ، فالمريضُ عندمَا ينزلُ إلىٰ الخلوةِ وبهِ بَعْضُ الجنِّ المتلبِّسِ به، يَصْعَد منهَا ومعهُ عددٌ أكبرُ يزيدونَهُ مرضاً إلىٰ مَرَض حتَّىٰ يَبْقَىٰ دائمَ الزِّيارةِ لذلكَ الضَّريح وربَّما يَمُوتُ علىٰ الشِّرك والعياذُ باللهِ العَظيم..

وهناك للأسف مَن يَستَغِلّ سذاجةَ هَؤلاء فَيجْعَل مِنَ الضريحِ مكاناً لجمع المالِ الوفير، وأسألُ هؤلاءِ الذينَ يُلقونَ بالمالِ ضمنَ قُبَّةِ الضَّريح، مَن يَؤخُذُهَا، هَل ينتفعُ بها هذا الميِّت؟ أم أنَّ هناكَ من ينتفعُ بها، وهم الَّذينَ يُشجِّعُونَ النَّاسَ علىٰ فعلِ ذلكَ.. ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العَظيم.

(ج) النذر بالذبح لِغَير الله:

يقول ابن تيميةَ رحمهُ اللهُ: ومِمَّا يتقربُ بهِ إلىٰ الجنِّ الذَّبائح، فإنَّ مِن النَّاسِ مَن يَذْبَح للجنِّ وهو مِنَ الشِّرك الَّذي حرَّمَهُ اللهُ ورسولُهُ ﷺ. [البيان المبين في أخبار الجن والشياطين/ ص: ٨٣]. والذبحُ لِغَيْرِ اللهِ مُحَرَّمٌ شرعاً، وهناكَ مَن يبادِر إلىٰ هَذا الأمرِ بِتَلهُّفٍ، خاصَّةً المرضَىٰ بالصَّرع، لأنَّ الجنيَّ يعدُ أهلَ المريضِ وعداً كاذباً بأنَّهم إذا قَرَّبوا له ذَبيحَةً بصفاتٍ مُعَيَّنَةً فَسَوفَ يخرجُ منهُ أو يُشْفَىٰ، ولا يَعْرِفُ هؤلاء المساكِين أنهُ مِن صفاتِ الشَّياطين الكذِبَ الَّذي يجري في دِمَائِهم، كما يجري الهواءُ في العُروق، وهذا الذَّبح يكونُ إمَّا طلباً للشفاءِ، وإمَّا إجلاءً للجنِّ من بيتٍ جَديدٍ يُبْنَىٰ.. فالأمر الأوَّلُ يَقُومُ فيه أهلُ المريضِ بأخذِ الذَّبيحة المطلوبةِ مِن طرفِ الجنيِّ كذبيحة سوداءَ مثلاً، ويديرونَهَا حولَ رأسِ المريضِ سَبعَ مَرَّات ثمَّ يَذْبَحُونَها دونَ تسميةٍ، ويُلقونَ بِهَا في ساحةٍ بالضَّريح مخصَّصة للذَّبح، أو في خلوةٍ مُظلمةٍ.. وهذا الطعامُ يكونُ للشَّياطين لأنهُ لم يُذكَر اسمُ اللهِ عَليهِ، واللهُ سبحانَهُ يَقُول: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَم يُذْكَرِ اسْمُ الله عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلىٰ أَوْلِيَائِهِم لِيُجَادِلُوكُم وَإِن أَطَعْتُمُوهُم إِنَّكُم لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

والأمر الثاني: أنه عندَ بناءِ بيتٍ جَديدٍ، يَقُوم أهلُ هذا البيتِ بذبحِ ذَبيحَةٍ زعماً بأنَّ ذلكَ فيهِ طردٌ للجنِّ بإرضائِهم، ولكن هيهاتَ فهَذا ترحيبٌ بالشياطِين الباحثينَ

عَن بيتٍ يعيشونَ فيهِ ويُفرِّخونَ فيهِ، والناسُ بجهلِهِم يُرضُونَهُم بالذَّبائح المحرَّمةِ.

(د) الاستشفاء بالنذر لغير الله:

النَّذرُ: هو التزامُ قُربةٍ غَير لازمةٍ في أصلِ الشَّرع بلفظٍ يُشْعِرُ بذلكَ، مثل أن يقول المرءُ: للهِ عَلَيَّ أن أتصَدَّق بمبلغ كَذا، أو: إن شَفَىٰ اللهُ مَريضي فعليَّ صيامُ ثلاث أيَّام ونحوِ ذَلِكَ، ولا يصحُّ إلاَّ مِن بالغ عَاقِل مختارٍ. وهذا جائزٌ.

أمَّا النذرُ لغيرِ اللهِ فمحرَّمٌ شَرْعاً، وبعض المرضَىٰ بالمسِّ ينذرونَ للأضرحةِ والجنِّ والمشَايخ، كأن يَنْذُر المريضُ ذبيحةً لصاحب الضَّريح إن شفاهُ.. فيقول: يا سيِّدي فُلان إن شَفيتَ مَرضي فلكَ كَذَا.. فإن شُفيَ ذهبَ إلىٰ الضريحِ وذبحَ هناكَ، وكلُّ هذا شركٌ باللهِ يُؤدي بصاحبهِ إلىٰ النَّار، والعياذُ باللهِ..

(ذ) الاستشفاء بالقَسَم:

ومفادُ هذهِ الطَّريقةِ أن يَقُومَ السَّاحرُ الَّذي لهُ عقدٌ مَع الجنِّ أو الشَّيخ المشرِف علىٰ الضَّريح بالقَسَم علىٰ الجني الصَّارع بسيدِهِ وأميرِهِ مِنَ الجنِّ، وتهديده بهِ حتىٰ يخرُج، وذلكَ أنَّ الساحِرَ الَّذي له عقدٌ مَع زعيم مَمْلَكَةٍ أو قبيلةٍ مِنَ الجنِّ تكون له قَاعِدَةٌ مُشكَّلةٌ مِن بعض الجنُودِ «الشَّياطين» الَّذين أصبَحُوا في خدمَةِ هذا السَّاحِرِ، وبواسطةِ هؤلاءِ الشَّياطين يتعرفُ السَّاحِرُ علىٰ القبيلةِ الَّتي يَنْتَمِي إليها الجنيُّ الصَّارعُ، فيتقرَّب إلىٰ زَعيمِها الَّذي يجبِرُهُ علىٰ الخرُوج مِنَ المريضِ تحتَ وطأةِ التَّهديد، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُم رَهَقاً﴾ [الجن: ٦].

أو ربما بدونِ تَقرُّبٍ إلىٰ هذهِ القَبيلةِ وبمساعدةِ هؤلاءِ الجنودِ يَسْجُنُهُ أو يَنْفيهِ إلىٰ مكانٍ مُعيَّن..

(٢) العلاج المشروع

إنَّ العلاجَ بالقرآنِ الكريم والأدعيةِ النَّبوية مِنَ المسِّ والصَّرع يُعتبر هُوَ العِلاج الَّذي شَرَعَهُ اللهُ عزَّ وَجَلَّ ودعَا إلىٰ الأخذِ بِهِ، لأنَّ الأرواحَ الشِّريرةَ لا يَطْرُدهَا سِوى الذِّكْرُ والدُّعَاءُ فَافْهَم.

① العلاجُ بالقرآن:

لَقَد أنزلَ اللهُ سبحانهُ القرآنَ فيهِ شِفَاءٌ للنَّاسِ، يقولُ سبحانَهُ وتعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ [الإسراء: ٨٢]. وقولـهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُل هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]. وقَد كانَ النبيُّ ﷺ يَستَعْمِل الرقيـةَ في عـلاج المصَابين بالمسِّ والجنونِ، وعَن أبِي لَيْلَىٰ، قَالَ: كُنْتُ جَالِساً عِنْـدَ النَّبِـيِّ ﷺ إذ جَـاءَهُ أعْرَابِيٌّ، فقَالَ: إنَّ لِـي أخاً وَجعاً، قَالَ: «مَا وَجَعُ أخِيكَ؟» قَالَ: بِـهِ لَمَـمٌ، قَالَ: «اذْهَب فَأْتِنِي بِهِ» قَال: فَذَهَبَ فَجاءَ بِهِ، فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَسَمِعْتُهُ عَوَّذَهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَأَرْبَع آيَاتٍ مِن أوَّلِ الْبَقَرَةِ، وآيَتَيْنِ مِن وَسَطِهَا: ﴿وَإلهُكُـم إلـهٌ وَاحِـدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] وآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَثَلاثِ آيَاتٍ مِن خَاتِمَتِهَا، وآيَةٍ مِـن آلِ عِمْرَانَ أحْسِبُهُ قَـالَ: ﴿شَـهِدَ اللَّهُ أنَّهُ لاَ إلـهَ إلاَّ هُـوَ﴾ [آل عمران: ١٨] وآيَـةٍ مِـنَ الأعْـرَافِ: ﴿إنَّ رَبَّكُـمُ اللَّـهُ الَّـذِي خَلَـقَ﴾ [الأعـراف: ٥٤] الآيَـةَ، وآيَـةٍ مِـنَ (الْمُؤْمِنونَ): ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إلهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧] وآيَةٍ مِنَ الْجِنِّ: ﴿وَأنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَـداً﴾ [الجن: ٣]. وَعَشْرِ آيَاتٍ مِـن أوَّلِ الصَّافَّـاتِ، وَثَـلاَثِ آيَـاتٍ مِـن آخِـرِ الْحَشْـرِ: و﴿قُـل هُـوَ اللَّـهُ أحَـدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، فَقَامَ الأعْرَابِيُّ قَد بَرَأَ، لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ»[1].

---

(١) «لمم» اللمم: طَرَف من الجنون يلُم بالإنسان، أي: يقرب مِنْهُ ويعتريه.

ويقولُ ابنُ القيِّم في «زادِ المعاد»: (وَعِلاجُ هَذَا النَّوْعِ يَكُونُ بِأمْرَيْنِ: أمْرٍ مِن جِهَةِ المصْرُوعِ وأمْرٍ مِن جِهَةِ الْمُعَالِجِ، فَالَّذِي مِن جِهَةِ الْمَصْرُوعِ يَكُونُ بِقُوَّةِ نَفْسِهِ وَصِدْقِ تَوَجُّهِهِ إلىٰ فَاطِرِ هَذِهِ الأرْوَاحِ وَبَارِئِهَا، وَالتَّعَوّذِ الصَّحِيحِ الَّذِي قَد تَوَاطَأ عَلَيْهِ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ، فَإنَّ هَذَا نَوْعُ مُحَارَبَةٍ وَالْمُحَارِبُ لا يَتِمُّ لَهُ الانْتِصَافُ مِن عَدُوِّهِ بِالسِّلاحِ إلاَّ بِأمْرَيْنِ: أن يَكُونَ السِّلاحُ صَحِيحًا فِي نَفْسِهِ جَيِّدًا، وأن يَكُونَ السَّاعِدُ قَوِيّاً، فَمَتَىٰ تَخَلَّفَ أحَدُهُمَا لَم يُغْنِ السِّلاحُ كَثِيرَ طَائِلٍ، فَكَيْفَ إذَا عُدِمَ الأمْرَانِ جَمِيعًا؟ فيكُونُ الْقَلْبُ خَرَابًا مِن التَّوْحِيدِ وَالتَّوكُّلِ وَالتَّقْوَى وَالتّوَجّهِ ولا سِلاحَ لَهُ. وَالثّانِي: مِن جِهَةِ الْمُعَالِجِ بِأن يَكُونَ فِيهِ هَذَانِ الأمْرَانِ أيْضًا حَتَّىٰ إنَّ مِن الْمُعَالِجِينَ مَن يَكْتَفِي بِقَوْلِهِ: «اخْرُج مِنْهُ». أو بِقَوْلِ «بِسْمِ اللهِ» أو بِقَوْلِ: «لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ» والنّبِيُّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اخْرُج عَدُوَّ اللهِ أنَا رَسُولُ اللهِ».

عِلاجُ ابْنِ تَيْمِيّةَ لِلْمَصْرُوعِ:

وقال: وَشَاهَدْتُ شَيْخَنَا يُرْسِلُ إلىٰ الْمَصْرُوعِ مَن يُخَاطِبُ الرُّوحَ الَّتِي فِيهِ وَيَقُولُ قَالَ لَك الشَّيْخُ: اخْرُجِي فَإنَّ هَذَا لا يَحِلُّ لَكِ، فَيُفِيقُ الْمَصْرُوعُ وَرُبّمَا خَاطَبَهَا بِنَفْسِهِ، وَرُبَّمَا كَانَت الرُّوحُ مَارِدَةً فَيُخْرِجُهَا بِالضَّرْبِ، فَيُفِيقُ الْمَصْرُوعُ ولا يَحُسّ بِألَمٍ، وَقَد شَاهَدْنَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا مِنْهُ ذَلِكَ مِرارًا.

وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَقْرَأُ فِي أُذُنِ الْمَصْرُوعِ: ﴿أفَحَسِبْتُم أنَّمَا خَلَقْنَاكُم عَبَثًا وأنَّكُم إلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١١٥].

قال: وَحَدَّثَنِي أنَّهُ قَرَأهَا مَرَّةً فِي أُذُنِ الْمَصْرُوعِ، فَقَالَت الرُّوحُ: نَعَم، وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ. قَالَ: فَأخَذْت لَهُ عَصًا وَضَرَبْته بِهَا فِي عُرُوقِ عُنُقِهِ حَتّىٰ كَلَّت يَدَايَ مِنَ الضَّرْبِ، وَلَم يَشُكّ الْحَاضِرُونَ أنَّهُ يَمُوتُ لِذَلِكَ الضَّرْبِ، فَفِي أثْنَاءِ الضَّرْبِ

قَالَت : أَنَا أُحِبُّهُ. فَقُلْتُ لَهَا : هُوَ لا يُحِبُّكِ. قَالَت : أَنَا أُرِيدُ أن أحُجَّ معه. فَقُلْت لَهَا : هُوَ لا يُرِيدُ أن يَحُجَّ مَعَكِ. فَقَالَت : أَنَا أدَعُهُ كَرَامَةً لَكَ. قَالَ : قُلْتُ : لا ، وَلَكِن طَاعَةً للهِ وَلِرَسُولِهِ. قَالَت : فَأَنَا أخْرُجُ مِنْهُ. قَالَ : فَقَعَدَ الْمَصْرُوعُ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالاً وَقَالَ : مَا جَاءَ بِي إِلَىٰ حَضْرَةِ الشَّيْخِ؟ قَالُوا لَهُ : وَهَذَا الضَّرْبُ كُلُّهُ ؟ فَقَالَ : وَعَلَىٰ أيِّ شَيْءٍ يَضْرِبُنِي الشَّيْخُ ، وَلَم أُذْنِب؟ وَلَم يَشْعُر بِأَنَّهُ وَقَعَ بِهِ ضَرْبٌ ألْبَتَّةَ.

◉ وَكَانَ يُعَالِجُ بِآيَةِ « الْكُرْسِيّ » وَكَانَ يَأْمُرُ بِكَثْرَةِ قِرَاءَتِهَا الْمَصْرُوعَ وَمَن يُعَالِجُهُ بِهَا وَبِقِرَاءَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذَا النَّوْعُ مِن الصَّرْعِ وَعِلاجِهِ لا يُنْكِرُهُ إلاَّ قَلِيلُ الْحَظِّ مِن الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وأكْثَرُ تَسَلُّطِ الأرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ عَلَىٰ أهْلِهِ تَكُونُ مِن جِهَةِ قِلَّةِ دِينِهِم وَخَرَابِ قُلُوبِهِم وألْسِنَتِهِم مِن حَقَائِقِ الذِّكْرِ وَالتَّعَاوِيذِ وَالتَّحَصّنَاتِ النَّبَوِيَّةِ وَالإيمَانِيَّةِ ، فَتَلْقَىٰ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ الرَّجُلَ أعْزَلَ لا سِلاحَ مَعَهُ وَرُبَّمَا كَانَ عُرْيَانًا فَيُؤَثِّرُ فِيهِ هَذَا.

وَلَو كُشِفَ الْغِطَاءُ لَرَأَيْت أكْثَرَ النُّفُوسِ الْبَشَرِيّةِ صَرْعَىٰ هَذِهِ الأرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ وَهِيَ فِي أسْرِهَا وَقَبْضَتِهَا تَسُوقُهَا حَيْثُ شَاءت ، ولا يُمْكِنُهَا الامْتِنَاعُ عَنْهَا ولا مُخَالَفَتُهَا ، وَبِهَا الصَّرْعُ الأعْظَمُ الَّذِي لا يُفِيقُ صَاحِبُهُ إلاَّ عِنْدَ الْمُفَارَقَةِ وَالْمُعَايَنَةِ فَهُنَاكَ يَتَحَقَّقُ أَنَّهُ كَانَ هُوَ الْمَصْرُوع حَقِيقَةً وَبِاللهِ الْمُسْتَعَانُ.

◉ وَعِلاجُ هَذَا الصَّرْعِ بِاقْتِرَانِ الْعَقْلِ الصَّحِيحِ إلَىٰ الإيمَانِ بِمَا جَاءت بِهِ الرُّسُلُ وأن تَكُونَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ وَقِبْلَةَ قَلْبِهِ ، وَيَسْتَحْضِرُ أهْلَ الدُّنْيَا وَحُلُولَ الْمَثُلاتِ وَالآفَاتِ بِهِم وَوُقُوعَهَا خِلالَ دِيَارِهِم ، كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ وَهُم صَرْعَىٰ لا

يُفِيقُونَ، وَمَا أشَدَّ دَاءَ هَذَا الصَّرْعِ، وَلَكِن لَمَّا عَمَّت البَلِيَّةُ بِهِ بِحَيْثُ لا يَرَى إلاَّ مَصْرُوعًا، لَم يَصِر مُسْتَغْرَبًا ولا مُسْتَنْكَرًا، بَل صَارَ لِكَثْرَةِ الْمَصْرُوعِينَ عَيْنَ الْمُسْتَنْكَرِ الْمُسْتَغْرَبِ خِلافهُ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا أَفَاقَ مِن هَذِهِ الصَّرْعَةِ وَنَظَرَ إِلىٰ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا مَصْرُوعِينَ حَوْلَهُ يَمِينًا وَشِمَالاً عَلىٰ اخْتِلافِ طَبَقَاتِهِم فَمِنْهُم مَن أَطْبَقَ بِهِ الْجُنُونُ، وَمِنْهُم مَن يُفِيقُ أَحْيَانًا قَلِيلَةً وَيَعُودُ إِلىٰ جُنُونِهِ، وَمِنْهُم مَن يُفِيقُ مَرَّةً وَيُجَنُّ أُخْرَى فَإِذَا أَفَاقَ عَمِلَ عَمَلَ أَهْلِ الإِفَاقَةِ وَالْعَقْلِ، ثُمَّ يُعَاوِدُهُ الصَّرْعُ فَيَقَعُ فِي التَّخَبُّطِ. انتهىٰ قولهُ في «زادِ المعاد».

(٢) العلاجُ بالأدعية:

يُعْتَبَر الدُّعاءُ مِن أمضَىٰ الأسلحةِ في عِلاج مَرَضِ المسِّ وذلكَ بالالتجاءِ إلىٰ الباري جَلَّ وَعَلا كَي يكشِفَ الضرَّ عَن صاحِبِهِ، يقولُ ابنُ القَيِّم ـ رحمهُ اللهُ ـ: (وَمِنْ أَنْفَعِ عِلاجَاتِ السِّحْرِ الأَدْوِيَةُ الإِلَهِيَّةُ، بَلْ هِيَ أَدْوِيَتُهُ النَّافِعَةُ بِالذَّاتِ فَإِنَّهُ مِن تَأْثِيرَاتِ الأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ السُّفْلِيَّةِ، وَدَفْعُ تَأْثِيرِهَا يَكُونُ بِمَا يُعَارِضُهَا، وَيُقَاوِمُهَا مِنَ الأَذْكَارِ وَالآيَاتِ وَالدَّعَوَاتِ الَّتِي تُبْطِلُ فِعْلَهَا وَتَأْثِيرَهَا، وَكُلَّمَا كَانَت أَقْوَى وَأَشَدّ كَانَتْ أَبْلَغَ فِي النّشْرَةِ، وَذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْتِقَاءِ جَيْشَيْنِ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عُدَّتُهُ وَسِلاحُهُ، فَأَيُّهُمَا غَلَبَ الآخَرَ قَهَرَهُ، وَكَانَ الْحُكْمُ لَهُ، فَالْقَلْبُ إِذَا كَانَ مُمْتَلِئًا مِنَ اللهِ مَغْمُورًا بِذِكْرِهِ وَلَهُ مِنَ التَّوَجُّهَاتِ وَالدَّعَوَاتِ وَالأَذْكَارِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وِرْدٌ لا يُخِلُّ بِهِ يُطَابِقُ فِيهِ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، كَانَ هَذَا مِن أَعْظَمِ الأَسْبَابِ الَّتِي تَمْنَعُ إِصَابَةَ السِّحْرِ لَهُ، وَمِن أَعْظَمِ الْعِلاجَاتِ لَهُ بَعْدَ مَا يُصِيبُهُ.

وَعِنْدَ السَّحَرَةِ أَنَّ سِحْرَهُمْ إِنَّمَا يَتِمُّ تَأْثِيرُهُ فِي الْقُلُوبِ الضَّعِيفَةِ الْمُنْفَعِلَةِ وَالنُّفُوسِ الشَّهْوَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ مُعَلَّقَةٌ بِالسُّفْلِيَّاتِ، وَلِهَذَا فَإِنَّ غَالِبَ مَا يُؤَثِّرُ فِي

النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالْجُهَّالِ وأَهْلِ الْبَوَادِي، وَمَنْ ضَعُفَ حَظُّهُ مِن الدِّينِ وَالتَّوكُّلِ وَالتَّوْحِيدِ وَمَن لا نَصِيبَ لَهُ مِنَ الأَوْرَادِ الإلَهِيّةِ وَالدَّعوَاتِ وَالتَّعوُّذَاتِ النَّبوِيَّةِ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَسُلْطَانُ تَأْثِيرِهِ فِي الْقُلُوبِ الضَّعِيفَةِ الْمُنْفَعِلَةِ الَّتِي يَكُونُ مَيْلُهَا إِلىٰ السُّفْلِيَّاتِ.

قَالُوا: وَالْمَسْحُورُ هُوَ الَّذي يُعِينُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَإِنَّا نَجِدُ قَلْبَهُ مُتَعَلِّقًا بِشَيْءٍ كَثِيرِ الالْتِفَاتِ إِلَيْهِ، فَيَتَسَلَّطُ عَلَىٰ قَلْبِهِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْمَيْلِ وَالالْتِفَاتِ، وَالأَرْوَاحُ الْخَبِيثَةُ إِنَّمَا تَتَسَلَّطُ عَلَىٰ أَرْوَاحٍ تَلْقَاهَا مُسْتَعِدَّةً لِتَسَلُّطِهَا عَلَيْهَا بِمَيْلِهَا إِلىٰ مَا يُنَاسِبُ تِلْكَ الأَرْوَاحَ الْخَبِيثَةَ، وَبِفَرَاغِهَا مِنَ الْقُوَّةِ الإِلَهِيَّةِ وَعَدَمِ أَخْذِهَا لِلْعُدَّةِ الَّتِي تُحَارِبُهَا بِهَا فَتَجِدُهَا فَارِغَةً لا عُدَّةَ مَعَهَا، وَفِيهَا مَيْلٌ إِلىٰ مَا يُنَاسِبُهَا فَتَتَسَلَّطُ عَلَيْهَا وَيَتَمَكَّنُ تَأْثِيرُهَا فِيهَا بِالسِّحْرِ وَغَيْرِهِ، واللهُ أَعْلَمُ. [كذا في زاد المعاد].

واعلم أنَّ كُتُبَ العِلاج مِنَ المسِّ الشَّيطاني مليئة بِعرضِ الطرقِ الشَّرعية في علاج المسِّ والوقايةِ مِنْهُ بالتحصيناتِ والتَّعويذات، وتقدَّم ذلك في علاج السحر (ص/١٦٧) واعلم أنَّ المصابَ بالمسِّ إذا توكَّلَ علىٰ اللهِ واعتَمَدَ علىٰ نَفْسِهِ واستَعْمَلَ الطُّرُقَ المثلىٰ في العِلاج شُفِيَ بإذن الله تعالىٰ، بَل أكثر مِن ذلكَ يمكِن أن يُعَالِج غيرَهُ مِنَ المسِّ، فالمصابُ بالمسِّ ذكَراً كانَ أو أُنْثىٰ عليهِ أولاً أن يُقَوِّي شَخصِيَّتَهُ بِنَفْسِهِ ويَسْتَرْجِع ثِقَتَهُ بِنفْسِهِ ولا يضعُف، ويملأ قَلْبَهُ بالإيمان، وأنَّ ما أصابَهُ مَا كانَ لِيُخْطِئهُ، لأنَّ الرَّحىٰ التي يَدُورُ حَوْلَها الجنُّ هي بالوسواس أو التَّهويل والتَّحزين.

ثمَّ يَتَوجَّه بِقَلْبٍ خَاشع إلىٰ اللهِ كي يَصْرِف عنهُ السُّوءَ ويكشِفَ عنهُ الضُّرَّ، هذا مِنَ الناحيةِ النَّفسية أمَّا مِنَ النَّاحيةِ العلميةِ فعَلَىٰ المصاب بالمسِّ أن يُحْدِثَ حالةَ استِنْفَارٍ قُصْوى وذلكَ بـ:

أ- المحافظةِ عَلىٰ الصَّلواتِ الخمس في أوقاتِها مَع الجماعةِ.

ب- المحافظة علىٰ الأذكارِ والتَّحصينات النَّبوية في كلِّ وقتٍ وحِين.

ت- يحافِظ علىٰ قِراءةِ القُرآن خاصَّة السُّور التي فيهَا ذِكْرٌ للجنِّ وتَرهيب من العذابِ.

ث- أن يأخُذَ إناءاً كبيراً مِنَ الماءِ ويَقْرأ فيهِ آيات الرُّقيةِ والَّتي حَدَّدَهَا النبيُّ ﷺ في الحديث السَّابق ويُضيفُ إليها آيات الشِّفاء السِّت وهي :

١- ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

٢- ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

٣- ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

٤- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

٥- ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

٦- ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

ويمكن أن يُضيفَ ماءَ الوَرْدِ أو الزَّهْر إلىٰ ماءِ القرآنِ، ثمَّ يأخُذ رشاشَ ماء ذي ثُقب صغيرةٍ ويملؤه بماءِ القرآن، ثمَّ يَرُشّ جِسْمَهُ ويَدهنهُ بهِ يومياً ويَشْرَب منهُ كُل يوم كُلَّما أحَسَّ بالعَطَش، وإذا نَفَدَ الماءُ أعدَّ ماءً جديداً، وهنا أمران فإمَّا أن يَهْرُب الجنيُّ الَّذي بجسمهِ لأنه يَرَى سوطَ عذابٍ يُصَبُّ عليهِ وتَدْخُل نارُ العذابِ أمعاءه ـ المتمثلة في ماءِ القرآنِ ـ وإمَّا يَتحدَّى ويُصِرّ علىٰ البقاءِ فيموتُ حَرْقاً، لأنَّهُ مِنَ المستحيل أن يَبْقَىٰ الجنيُّ في جِسْم الإنسانِ بَعْدَ الاغتسالِ والشُّربِ مِن هذا الماءِ يومياً ومِلء القَلْب بالإيمان والمحافظة علىٰ التَّحصينات، لكن مِنَ الجنِّ مَن يكونُ

خبيثاً مَاكِراً، ذلك أنهُ لا يقدر علىٰ البقاءِ في الجسم فيخرُج منهُ باضطرار، ويؤثر علىٰ الإنسانِ مِن خارج جِسْمِهِ، ويُوهم المصابَ أنَّ القرآنَ والتَّحصينات لم تَنْفَع وأنَّهُ لا زال مَريضاً، وأنَّ الجنيَّ لا زالَ مُتَلَبِّساً بهِ، ويحاول هذا الجنيُّ تحطيمَ مَعنوياتهِ، وسَيُلاحظ المريضُ أنهُ عندما يبدأ في استعمالِ هذه الطَّريقة أنَّ حرارتَهُ قَد زَادَت، وهذا طبيعيٌّ فالمريضُ يحاربُ الجنيَّ، وهنا لا يجب عَلىٰ المريض أن يَتَسَرَّبَ اليأسُ والإحباطُ إلىٰ قلبهِ، وعليهِ أن يُدَاوم علىٰ هذهِ الطَّريقة لأنها مجرَّبة ونافعة جداً، وكلَّما قَوي إيمانُهُ اتَّسعت دائرةُ نُورِهِ واحتَرَقَت وساوسُ ومكايدُ الشَّيطان، وبهذا الأمر يَتَحَقَّق الشفاءُ بإذنِ اللهِ تَعَالىٰ، وقَد سُئِلَ الشَّيخ ابنُ العثيمين عَن حكم قِراءةِ القُرآن الكريم في الماءِ فَقَالَ: هَذا أعظَمُ مَا يُرْقَىٰ به المريضُ، فيقرأ الفاتحة مثلاً وينفث في الماءِ، فإنَّ هذا لا بأسَ بهِ، وقَد فعلَهُ بعض السَّلَفِ وهُو مجرَّب ونَافعٌ بإذنِ اللهِ.

❖ ❖ ❖

(٣) العين (الحسد)

اعلم أن العينَ يحضرُها الشَّيطانُ وحَسَدُ ابنِ آدم، وفي الحديثِ عَن النبيِّ ﷺ قالَ: «الْعَيْنُ حَقٌّ، ويَحْضُرُ بِهَا الشَّيْطَانُ وحَسَدُ ابْنِ آدَمَ». [رواه أحمد].

وَالحسدُ: هُو تمنِّي زوالِ النِّعمةِ عن صاحِبها: سَواءٌ كَانَت نِعْمَةَ دِينٍ أو دُنيا.. قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿أم يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلىٰ مَا آتاهُمُ الله مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤].

وعَن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إيَّاكُم وَالحَسَدَ، فَإنَّ الحَسَدَ يأكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأكُلُ النَّارُ الحَطَبَ» أو قَالَ: «العُشْبَ»[1].

فَالحسَدُ مَذمومٌ، وصاحِبُهُ مَغْمُومٌ، وهو يأكلُ الحسنَات كمَا تأكلُ النارُ الحطبَ.. قَالَ الحسَنُ: مَا رأيتُ ظالماً أشبَه بمظلوم مِن حَاسِدٍ، نَفس دائمٌ، وحزنٌ لازم، وعبرة لا تَنْفَد.

وقالَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُود: لا تُعادُوا نِعَم اللهِ. قِيل لَهُ: ومَن يُعادي نِعَم اللهِ؟ فقَالَ: الَّذين يحسدُونَ النَّاسَ عَلىٰ ما آتاهُم اللهُ مِن فَضْلِهِ، يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ في بعض الكتبِ: الحسودُ عَدُوٌّ نِعمَتِي مُتَسَخِّطٌ لِقَضَائِي غير راضٍ بِقِسمَتِي.

ولمنصورِ الفَقيه:

ألا قُل لِمَن ظَلَّ لي حَاسِداً ... أتَدْرِي عَلىٰ مَن أسَأتَ الأدَب

أسَأت عَلَىٰ اللهِ في حُكمِه ... إذا أنتَ لَم تَرضَ لِي مَا وَهَب

ويُقَال: الحسدُ أوَّل ذَنْبٍ عُصِيَ اللهُ بِهِ في السَّماء، وأوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ بِهِ في

---

١ - (أبوداود/٤٩٠٣). (إياكم والحسد) أي: احذروا الحسد في مال أو جاه دنيوي فإنه مذموم بخلاف الغبطة في الأمر الأخروي (فإن الحسد يأكل الحسنات) أي: يفني ويذهب طاعات الحاسد (كما تأكل النار الحطب) لأن الحسد يفضي بصاحبه إلىٰ اغتياب المحسود ونحوه فيذهب حسناته في عرض ذلك المحسود فيزيد المحسود نعمة علىٰ نعمة والحاسد حسرة علىٰ حسرة.

الأرض، فأمَّا في السَّماء فَحَسد إبليس لآدَمَ، وأمَّا في الأرض فَحَسد قَابيل لهابيل.

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: مَا حَسَدْتُ أَحَدًا عَلَىٰ شَيْءٍ مِن أَمْرِ الدُّنْيَا لأَنَّهُ إن كَانَ مِن أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَيْفَ أَحْسُدُهُ عَلَىٰ الدُّنْيَا وَهِيَ حَقِيرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِن كَانَ مِن أَهْلِ النَّارِ فَكَيْفَ أَحْسُدُهُ عَلَىٰ أَمْرِ الدُّنْيَا وَهُوَ يَصِيرُ إِلَىٰ النَّارِ.

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ﷺ: مَا أَكْثَرَ عَبْدٌ ذِكْرَ الْمَوْتِ إِلاَّ قَلَّ فَرَحُهُ وَقَلَّ حَسَدُهُ.

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ ﷺ: كُلُّ النَّاسِ أَقْدِرُ عَلَىٰ رِضَاهُ إِلاَّ حَاسِدَ نِعْمَةٍ فَإِنَّهُ لا يُرْضِيهِ إِلاَّ زَوَالُهَا.

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَا رَأَيْت ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِن حَاسِدٍ، إِنَّهُ يَرَى النِّعْمَةَ عَلَيْك نِقْمَةً عَلَيْهِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ رحمه الله: يَا ابْنَ آدَمَ لا تَحْسُد أَخَاك، فَإِن كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ لِكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ فَلا تَحْسُد مَن أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَإِن كَانَ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَلِمَ تَحْسُدُ مَن مَصِيرُهُ إِلَىٰ النَّارِ؟

وَقَالَ بَعْضُهُم: الْحَاسِدُ لا يَنَالُ مِن الْمَجَالِسِ إِلاَّ مَذَمَّةً وَذُلاًّ، وَلا يَنَالُ مِن الْمَلائِكَةِ إِلاَّ لَعْنَةً وَبُغْضًا، وَلا يَنَالُ مِن الْخَلْقِ إِلاَّ جَزَعًا وَغَمًّا، وَلا يَنَالُ عِنْدَ النَّزْعِ إِلاَّ شِدَّةً وَهَوْلاً، وَلا يَنَالُ عِنْدَ الْمَوْقِفِ إِلاَّ فَضِيحَةً وَهَوَانًا وَنَكَالاً.

ولا شَكَّ أَنَّ الْحَسَدَ مِن أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ الْعَظِيمَةِ، وَأَمْرَاضُ الْقُلُوبُ لا تُدَاوَى إِلاَّ بِالْعِلْمِ، فَالْعِلْمُ النَّافِعُ لِمَرَضِ الْحَسَدِ أن تَعْرِفَ أَنَّهُ يَضُرُّ دِينًا وَدُنْيَا وَلا يَضُرُّ الْمَحْسُودَ لا دِينًا وَلا دُنْيَا، إذ لا تَزُولُ نِعْمَةٌ بِحَسَدٍ قَطُّ، وَإِلاَّ لَم يَبْقَ للهِ نِعْمَةٌ عَلَىٰ أَحَدٍ حَتَّىٰ الإِيمَانُ، لأَنَّ الْكُفَّارَ يُحِبُّونَ زَوَالَهُ عَن أَهْلِهِ، بَل الْمَحْسُودُ مُنْتَفِعٌ بِحَسَدِك دِينًا لأَنَّهُ مَظْلُومٌ مِن جِهَتِك، سِيَّمَا إن أَبْرَزْتَ حَسَدَكَ إِلَىٰ الْخَارِجِ بِالْغِيبَةِ وَهَتْكِ السِّتْرِ وَغَيْرِهِمَا مِن أَنْوَاعِ الإِيذَاءِ، فَهَذِهِ هَدَايَا تُهْدِي إِلَيْهِ حَسَنَاتك بِسَبَبِهَا

حَتَّىٰ تَلْقَىٰ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُفْلِسًا مَحْرُومًا مِن النِّعَمِ، كَمَا حُرِمْتَ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا وَدِينًا لِسَلامَتِهِ مِن غَمِّك وَحُزْنِك وَغَيْرِهِمَا، وَمَتَىٰ انْكَشَفَ غِشَاءُ بَصِيرَتِك وَرَيْنُ قَلْبِك وَتَأَمَّلْتَ ذَلِك وَلَم تَكُن عَدُوَّ نَفسِك وَلا صَدِيقَ عَدُوِّك، أَعْرَضْتَ عَن الْحَسَدِ أَصْلاً وَرَأسًا، حَذَرًا مِن أن تَكُونَ قَد وَقَعْتَ بِهِ فِي وَرْطَةٍ عَظِيمَةٍ، وَهِيَ أَنَّك قَد سَخِطْتَ قَضَاءَ اللهِ وَكَرِهْتَ قِسْمَةَ اللهِ وَعَدْلَهُ، وَهَذِهِ جِنَايَةٌ أيُّ جِنَايَةٍ عَلَىٰ حَضْرَةِ التَّوْحِيدِ وَنَاهِيك بِهَا جِنَايَةً عَلَىٰ الدِّينِ، أعاذني اللهُ وإياكَ من ذلكَ كلِّهِ.

(١) علاجُ المحسود:

ذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ إلىٰ أنَّ الإصَابَةَ بِالْعَيْنِ ثَابِتَةٌ مَوْجُودَةٌ، وَلَهَا تَأْثِيرٌ فِي النُّفُوسِ، وَتُصِيبُ الْمَالَ، وَالآدَمِيَّ، وَالْحَيَوَانَ.

وَالأصْلُ فِي ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِن حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما رَفَعَهُ: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقٌ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا».

وَمَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْعَيْنُ حَقٌّ». [متفق عليه].

ولقد صَرَّحَ الْعُلَمَاءُ بِوُجُوبِ الاغْتِسَالِ لِلاسْتِشْفَاءِ مِن إصَابَةِ الْعَيْنِ، فَيُؤْمَرُ الْعَائِنُ بِالاغْتِسَالِ، وَيُجْبَرُ إن أبىٰ، لِمَا رُوِيَ عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (كَانَ يُؤْمَرُ الْعَائِنُ فَيَتَوَضَّأُ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمُعَيَنُ). [رواه أبو داود] وَالأَمْرُ حَقِيقَةً لِلْوُجُوبِ، وَلا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أن يَمْنَعَ أخَاهُ مِمَّا يَنْتَفعُ بِهِ، وَلا يَضُرُّهُ هُوَ، وَلا سِيَّمَا إذَا كَانَ هُوَ الْجَانِي عَلَيْهِ.

وطريقةُ ذلكَ: أن يَتَوَضَّأَ العائنُ (الحاسدُ) فيَغسِل يديهِ ورجليهِ ووجههُ في إناءٍ ثمَّ يُعطيهِ للمحسودِ فيغتَسِل به، فيبرأ بإذنِ اللهِ تعالىٰ من فورِهِ.

وَأَنْكَرَ طَائِفَةٌ مِن الطَّبَائِعِيِّينَ وَطَوَائِفُ مِن الْمُبْتَدِعَةِ الْعَيْنَ لِغَيْرِ مَعْنًىٰ، وَأَنَّهُ لا

شَيْءَ إلاَّ مَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ الْخَمْسُ وَمَا عَدَاهَا فَلا حَقِيقَةَ لَهُ. وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ فَسَادِ قَوْلِهِم: أَنَّهُ أَمْرٌ مُمْكِنٌ، وَالشَّرْعُ أَخْبَرَ بِوُقُوعِهِ فَلا يَجُوزُ رَدُّهُ.

ويقولُ ابنُ القَيِّم: وهذهِ الكيفيَّةُ لا يَنْتَفعُ بهَا مَن أنكرَهَا، ولا مَن سَخِرَ مِنْهَا، ولا مَن شَكَّ فيهَا أو فَعَلَها مُجَرِّباً غيرَ مُعْتَقِدٍ، وإذا كانَ في الطَّبيعة خوَّاص لا يعرفُ الأطباءُ عِلَلَهَا، بَل هي عندَهُم خارجةً عَن القياسِ، وإنما تُفعَل بالخاصِّيةِ فما الَّذي تُنكر جهلتُهُم مِن الخواصِّ الشَّرعية، هذا مَع أنَّ في المعالَجَةِ بالاغتسالِ مناسبة لا تَأباهَا العقولُ الصحيحةُ، فهذا ترياقُ سُمِّ الحيَّةِ يُؤخَذُ مِن لحمِهَا، وهَذا عِلاج النَّفس الغَضبيةِ تُوضَعُ اليدُ عَلىٰ بدنِ الغَضْبَانِ فيسكُن، فكأنَّ أثرَ تِلْكَ العين كَشُعْلَةِ نَارٍ وَقَعَت علىٰ جسَدٍ فَفِي الاغتسالِ إطفاءٌ لِتِلْكَ الشُّعْلَةِ. واللهُ أعلمُ.

(٢) الْوِقَايَةُ مِن الْعَيْنِ:

ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ لِلْوِقَايَةِ من الْعَيْنِ الطُّرُقَ الآتِيَةَ:

أ - قِرَاءَةُ بَعْضِ الأدْعِيَةِ وَالأذْكَارِ مِن قِبَلِ الْعَائِنِ:

ذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ إلَىٰ أنَّ قِرَاءَةَ بَعْضِ الأدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ، وَالآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ تَدْفَعُ ضَرَرَ الْعَيْنِ، كَمَا رَوَى عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ رضي الله عنه، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إذَا رَأَى أحَدُكُم مِن نَفْسِهِ أو مَالِهِ أو أخِيهِ شَيْئًا يُعْجِبُهُ، فَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ، فَإنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ».

[صحيح: رواه الحاكم، والطبراني].

فَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أنَّ الْعَيْنَ لا تَضُرُّ، وَلا تَعْدُو إذَا بَرَّكَ الْعَائِنُ، فَالْمَشْرُوعُ عَلَىٰ كُلِّ مَن أعْجَبَهُ شَيْءٌ أن يُبرِّكَ، فَإنَّهُ إذَا دَعَا بِالْبَرَكَةِ صَرَفَ الْمَحْذُورَ لا مَحَالَةَ، وَالتَّبَرُّكُ أن يَقُولَ: تَبَارَكَ اللهُ أحْسَنُ الْخَالِقِينَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: يُسْتَحَبُّ لِلْعَائِنِ أن يَدْعُوَ لِمن يخاف أن يحسدَهُ بِالْبَرَكَةِ،

فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ بَارِكْ وَلا تَضُرَّهُ. وَيَقُولُ أيضاً: مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ.

وَفِي حَدِيثِ أَنسٍ ﷺ رَفَعَهُ: «مَن رَأى شَيْئًا فَأَعْجَبَهُ، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، لا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ لَم يَضُرَّهُ». [رواه ابنُ السنيِّ وفيه ضعف].

③ الاسْتِرْقَاءُ مِنَ الْعَيْنِ:

رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِن حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إنَّ وَلَدَ جَعْفَرٍ تَسْرُعُ إلَيْهِم الْعَيْنُ، أونسترقي لَهُم؟ قَالَ: «نَعَم» الْحَدِيثَ.

وَفِي رِوَايَةٍ عَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لأَسْمَاءِ: «مَا لِي أرَى أجْسَامَ بَنِي أخِي ضَارِعَةً؟ أتُصِيبُهُم الْحَاجَةُ؟» قَالَتْ: لا، وَلَكِنَّ الْعَيْنَ تَسْرُعُ إلَيْهِمْ، قَالَ: «وَبِمَاذَا؟» فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «ارْقِيهِمْ». [رواه مسلم وأحمد].

④ الْمَعْرُوفُ بِالإصَابَةِ بِالْعَيْنِ وَمَا عَلَيْهِ:

نَقَلَ ابْنُ بَطَّالٍ عَن بَعْضِ الْعُلَمَاءِ: أَنَّهُ يَنْبَغِي إذَا عُرِفَ وَاحِدٌ بِالإصَابَةِ بِالْعَيْنِ أن يُجْتَنَبَ وَيُحْتَرَزَ مِنْهُ، وَيَنْبَغِي لِلإمَامِ مَنْعُهُ مِن مُدَاخَلَةِ النَّاسِ، وَيُلْزِمهُ بَيْتَهُ، وَإن كَانَ فَقِيرًا رَزَقَهُ مَا يَكْفِيهِ، فَضَرَرُهُ أكْثَرُ مِن ضَرَرِ آكِلِ الثُّومِ وَالْبَصَلِ الَّذِي مَنَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِن دُخُولِ الْمَسْجِدِ لِئَلاَّ يُؤْذِيَ النَّاسَ، وَمِن ضَرَرِ الْمَجْذُومِ الَّذِي مَنَعَهُ عُمَرُ ﷺ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: هَذَا الْقَوْلُ صَحِيحٌ مُتَعَيَّنٌ، لا يُعْرَفُ عَن غَيْرِهِ تَصْرِيحٌ بِخِلافِهِ. واللهُ تعالى أعلمُ وأحكمُ.

⑤ تَعْلِيقُ التَّعْوِيذَاتِ عَلَى الإنْسَانِ:

قال العلماءُ: إن كَانَ الْمُعَلَّقُ خَرَزًا أو خُيُوطًا أو عِظَامًا أو نَحْوَ ذَلِكَ فَذَلِكَ حَرَامٌ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَن تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِّلَ إلَيْهِ». [صحيح: رواه أحمد].

وَلِحَدِيثِ: أَنَّهُ ﷺ أبْصَرَ عَلَى عَضُدِ رَجُلٍ حَلْقَةً - أرَاهُ قَالَ مِن صُفْرٍ - فَقَالَ:

وَيْحَكَ مَا هَـذِهِ؟ قَالَ: مِن الْوَاهِنَةِ. قَالَ: «أَمَّا إِنَّهَا لا تَزِيدُكَ إِلاَّ وَهْنًا، انْبِذْهَا عَنْكَ فَإِنَّكَ لَو مُتّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»(١). [رواه أحمد، وابنُ ماجه، وقال في الزوائد: إسنادُ حسن].

◉ وَإِن كَانَ الْمُعَلَّقُ شَيْئًا مِمَّا كُتِبَ فِيهِ الرُّقَىٰ الْمَجْهُولَةُ وَالتَّعَوُّذَاتُ الْمَمْنُوعَةُ فَذَلِكَ حَرَامٌ أَيْضًا. لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَن تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلا أَتَمَّ اللهُ لَـهُ، وَمَن تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلا وَدَعَ اللهُ لَهُ». [حسن، رواه أحمد، وابنُ حبان في صحيحه].

◉ وَإِن كَانَ الْمُعَلَّقُ شَيْئًا كُتِبَ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا يَجُوزُ الاسْتِرْقَاءُ بِهِ مِـن الْقُرآنِ أو الأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ، فَقَد اخْتُلِفَ فِي جَوَازِ ذَلِكَ:

فَقَالَت طَائِفَةٌ: يَجُوزُ ذَلِكَ. وَهُوَ قَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، وَهُوَ ظَاهِرُ مَا رُوِيَ عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها وَبِهِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَأَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ. وَحَمَلُوا حَدِيثَ النَّهْيِ عَن التَّمَائِمِ عَلَىٰ مَا فِيهِ شِرْكٌ وَنَحْـوُهُ مِن الرُّقَىٰ الْمَمْنُوعَةِ عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

وَقَالَت طَائِفَةٌ أُخْرَى: لا يَجُوزُ ذَلِكَ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَهُوَ ظَاهِرُ قَوْلِ حُذَيْفَةَ وَعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ وَابْنِ حَكِيمٍ رضي الله عنهم، وَبِهِ قَالَ جَمْعٌ مِن التَّابِعِينَ، مِنْهُم أَصْحَابُ ابْنِ مَسْعُودٍ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: كَانُوا - يَعْنِي أَصْحَابَ ابْنِ مَسْعُودٍ - يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا، مِن الْقُرآنِ وَغَيْرِهِ.

وَكَرِهَهُ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ اخْتَارَهَا كَثِيرٌ مِن أَصْحَابِهِ، وَجَزَمَ بِهِ الْمُتَأَخِّرُونَ، لِعُمُومِ النَّهْيِ عَن التَّمَائِمِ، وَلِسَدِّ الذَّرِيعَةِ، لأَنَّ تَعْلِيقَهُ يُفْضِي إِلَىٰ تَعْلِيقِ غَيْرِهِ، وَلأَنَّهُ إِذَا عُلِّقَ فَلا بُدَّ أَن يَمْتَهِنَهُ الْمُعَلِّقُ، بِحَمْلِهِ مَعَهُ فِي حَالِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ

(١) «الواهنة» في النهاية: عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها، فيُرقىٰ منها.

وَالاسْتِنْجَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالَّذِينَ ذَهَبُوا مِن الْعُلَمَاءِ إلىٰ جوَازِ تَعْلِيقِ التَّعْوِيذِ اشْتَرَطُوا مَا يَلِي:

(١) أن يَكُونَ فِي قَصَبَةٍ أو رُقْعَةٍ يُخْرَزُ فِيهَا.

(٢) أن يَكُونَ الْمَكْتُوبُ قُرآنًا، أو أدْعِيَةً مَأْثُورَةً.

(٣) أن يَتْرُكَ حَمْلَهُ عِنْدَ الْجِمَاعِ أو الْغَائِطِ.

(٤) ألاَّ يَكُونَ لِدَفْعِ الْبَلاءِ قَبْلَ وُقُوعِهِ، وَلا لِدَفْعِ الْعَيْنِ قَبْلَ أن يُصَاب، قَالَت عَائِشَةُ رضي الله عنها: مَا تَعَلَّقَ بَعْدَ نُزُولِ الْبَلاءِ فَلَيْسَ مِن التَّمَائِمِ.

(٦) تَعْلِيقُ الْجُنُبِ وَالْحَائِضِ التَّعَاوِيذَ:

ذَهَبَ الْقَائِلُونَ بِجَوَازِ تَعْلِيقِ التَّعَاوِيذِ إلىٰ أَنَّهُ لا بَأْسَ بِتَعْلِيقِ الْجُنُبِ وَالْحَائِضِ، التَّعَاوِيذَ أو بِشَدِّهَا عَلىٰ الْعَضُدِ إذَا كَانَت مَلْفُوفَةً، أو خُرِزَ عَلَيْهَا أدِيمٌ. [كذا في الموسوعة الفقهية الكويتية].

❖ ❖ ❖

(٤) الوسوسة

فمن شرِّ الشيطانِ أنَّهُ يوسوسُ للعبدِ، والوسوسةُ أعظمُ صفاتِ الشيطان، وأشدُّها شرراً، وأقواها تأثيراً، وأعمُّها فساداً، وهي أصلُ كلِّ معصيةٍ وبلاءٍ.

وحصولُ هذا الوسواس، مع هذهِ الكراهةِ العظيمة له ودفعهِ عن القلبِ، هو من صريح الإيمانِ، كالمجاهدِ الذي جاءهُ العدُوُّ فدافعهُ حتىٰ غلبهُ، فهذا أعظمُ الجهادِ و(الصريح) هو الخالصُ، كاللبنِ الصريح، وإنَّما صارَ صريحاً، لمَّا كره تلكَ الوساوسَ الشَّيطانيةَ ودفعَهَا فخلصَ الإيمانَ فصارَ صريحاً، والحمدُ للهِ الذي كانَ غايةُ كيدِ الشَّيطانِ الوسوسَةَ.

الوسوسةُ تكونُ تارةً مِن النَّفس، وتكونُ تارةً مِنَ الشَّيطان، يقولُ اللهُ سبحانَهُ وتَعَالىٰ في سُورة (ق): ﴿وَلَقَد خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِن حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ويقولُ تَعَالىٰ في سورةِ (طه): ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَل أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَىٰ﴾ ويقولُ سُبحانَهُ: ﴿قُل أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِى يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ فالنَّفسُ لها وَسْوَسَةٌ، والإنسُ لَهُم وَسْوَسَةٌ، والجنُّ لَهُم وَسْوَسَةٌ، والوَسْوَسَةُ تكونُ مِن الدَّاخل ومِن خَارج الجسَدِ، ولكنَّ الشَّيطانَ إذا ما اقترَنَ بالإنسانِ تكونُ وَسْوَسَتُهُ أقوى تأثيراً فَيجعَل المصروعَ في شُرودٍ ذِهنِيّ مُستَمِر، فهو لا يَستطيع التَّركيز ولا التَّفكير ولا الخشُوع في الصَّلاة مِن شِدَّةِ الوسوسةِ، وقد يجعَل الشيطانُ المصروعَ يشكّ ويَرتاب في تَصرُّفاتِهِ وأقوالِهِ وأفعالِهِ، وفي أقوالِ وأفعالِ وتَصرُّفات الآخرينَ، وذلكَ مِن خلالِ مَا تُوسوسُ لَهُ الشَّياطينُ في صَدْرِهِ، حتَّىٰ تجعلهُ

يُصَدِّق تِلْكَ الوسوسَةَ وذلكَ الإيحاءِ، ويعتَقِد بصحَّتِهِ فيكون خاضعاً لِتَصَرُّف الشيطانَ عَن طريقِ الوَسْوَسَةِ.

والوسواسُ القَهريُّ الشَّيطاني: هو ما تمليهُ الشَّياطينُ مِن الوسوسةِ في صُدورِ الإنسِ مِن أجلِ أن تَقْهَر الإنسانَ بتلكَ الوَسَاوِس وتجعله يَتَفَجَّر غيظاً وقهراً، لأنَّ الشياطينَ تجعلهُ يُؤمن بأنها واقعٌ ولَيْسَت مجرَّد وسوسة، وهذا النَّوع مِنَ الوسوسَةِ في غايةِ الخُطورَةِ إذا ما ٱبتُلِيَ بهَا الإنسانُ، خصوصاً في حالاتِ السِّحْرِ القويّ.

والوسوسةُ مِنَ الشَّيطان تكونُ علىٰ أشكالٍ:

- منها ما يُقْذَفُ في رَوْع الإنسانِ مِنَ الهواجِس والأقوالِ والأفكارِ والشكُوكِ، وهذهِ تكُونُ بِصَوتٍ غَير مَسْمُوع لا مِنَ المصروع ولا مِنَ المحيطينَ بِهِ..

- ومنها: ما يَتَحَدَّث بهِ الشيطانُ في بطنِ أو صدرِ أو أذنِ الإنسانِ بصوتٍ مَسْمُوع للمَصْروع نفسِهِ، وليسَ للمحيطينَ بِهِ، فتجِد بعضَ مَن بهِ مَسٌّ يهذِي بكلام وَيُتَمْتِم ويَتَحَدَّث ويحاور نَفْسَهُ، وهُو في الحقيقةِ يَتحَدَّث ويحاور الشَّيطانَ الَّذي يُوسوس لَهُ..

- ومنها: أن يَرَى الإنسانُ الشَّيطانَ خَارِجَ الجسدِ وَيُحَاوِرُهُ ويَتَحَدَّث إليهِ ولكن مَن بجوارِ المصروع يَسْمَعُونَ الحوارَ مِن جانبٍ واحدٍ فَقَط.

◉ **وقال بعضهُم: ينقسمُ مَرضُ الوسواسِ إلىٰ أربعةِ أقسام:**

(القسمُ الأوَّل): الوسواسُ في الصَّلاةِ ومثالُهُ:

- أن لا يَدْري العبدُ كَم صلَّىٰ؟ وهل هو في الركعةِ الثالثةِ أم الرابعة؟..

- وهَل كبَّرَ للإحرام أم لا؟ وهَل كبَّرَ بعدَ الإمامِ أم قبلَهُ؟ لذا يعيدُهُ بعضُهم مرَّات ومرَّات.

قال ابنُ الجوزي: وربُّما شَغَلَهُ الشيطانُ بوسواسِهِ حتَّىٰ تَفوتهُ الجماعةُ، وربَّما فاتَهُ الوقتُ.. ويشغلهُ بوسوستِهِ في النِّيـةِ حتىٰ تفوتـهُ التكبيرةُ الأولىٰ، وربما فَوَّتَ عليهِ ركعةً أو أكثرَ..

قال: ومنهم مَن يحلِفُ أنهُ لا يزيدُ علىٰ هذا ثمَّ يكذب. قُلتُ: وحكَىٰ لي مَن أثقُ بِهِ عَن مُوسوسٍ عَظيم رَأيتُهُ أنا يكرِّرُ عَقْدَ النِّيةِ مِراراً عديدةً فيشقُّ علىٰ المأمومينَ مَشَقَّةً كبيرةً، فعرضَ له أن حَلَفَ بالطلاقِ أنهُ لا يزيدُ عَلىٰ تلكَ المرَّةِ، فَلَم يَدَعهُ إبليسُ حَتَّىٰ زادَ، فَفَرَّقَ بينَهُ وبينَ امرأتِهِ فأصابَهُ لذلكَ غَمٌّ شديدٌ، وأقاما مُتَفَرِّقين دهراً طويلاً حتَّىٰ تَزَوَّجَت تلكَ المرأةُ برجلٍ آخَرَ وجاءه منهَا وَلَدٌ، ثمَّ إنَّهُ حنثَ في يمينٍ حَلَفَهَا عليها بالطلاق، فَفُرِّقَ بَينهمَا وَرُدَّت إلىٰ الأوَّل بَعْدَ أنْ كادَ يَتْلفَ لمفارقَتِهَا..

قالَ: وبلغَني عَن آخَرَ أنه كانَ شديدَ التَّنطع في التَّلفظِ بالنِّيةِ والتَّقعّر في ذلكَ، فاشتَدَّ بهِ التَّنطُّعُ والتَّقعُّرُ يوماً إلىٰ أن قَالَ: أصلِّي.. أصلِّي ـ مِراراً ـ صَلاةَ كَذا وكذا وأرادَ أن يقولَ: (أداءً) فأعجم الدَّال وقالَ: (أذاءً) للهِ فَقَطَع الصَّلاةَ رَجُلٌ إلىٰ جانِبِهِ فَقَالَ: ولِرَسُولِهِ وملائِكَتِهِ وجماعةِ المصلِّين.

قالَ: ومنهُم مَن يَتَوسوسُ في إخراجِ الحرفِ حتَّىٰ يكَرِّرهُ مراراً.. قَالَ: فرأيتُ مِنهُم مَن يقولُ: (اللهُ أكككبر). ا. هـ

- ومنهم من يوسوِسُ لهُ الشَّيطانُ هَل قرأ الفاتحةَ أم لا؟ وهل أتىٰ بها تامَّة أم ناقصة؟ وهل ضبطَ حركاتها أم لا.. وهل قرأها في الركعةِ السابقةِ أم لا؟..

- أو كم سَجَدة سجدَ واحدة أم ثنتين؟ وهل قرأ التشهدَّ أم لا؟..

- وهل يصلِّي الآن وهُو مُتوضئ أم أنَّهُ يُصلِّي بدونِ وضُوء؟..

- وهل الإمام الذي يصلِّي خلفهُ صلاتُهُ صحيحةٌ أم لا؟..

- وهل السجَّادة التي يُصلِّي عليها طاهرةٌ أم لا، لذلكَ نرى من يضع على سجّاد المسجد سجادةً يُصلي عليها يجلبها معهُ من البيت.

وكذلكَ يُوسوسُ الشَّيطانُ للمصلِّي أفكاراً كثيرةً منها:

- هل أقفل الجوالَ أم لا، ومرَّةً صلَّى بجانِبي رجلٌ ونحنُ نصلِّي في جماعةٍ فرأيتُهُ أخرجَ الجوَّال وبدأ يعبثُ به..

- وكذلك يوسوسُ لهُ أحياناً إذا دخلَ في الصلاةِ أنَّهُ قد تَركَ ولدَهُ الصَّغير يَلْعَبُ وحدَهُ في البيتِ وأُمُّهُ تعملُ في المطبخ وهِي مشغولةٌ عنهُ، وسيحصُلُ لهُ مكروهٌ كأن يسقُط أرضاً، أو يصعقَ بالكهرباء إلخ هذهِ الأفكارِ الوسواسيَّة..

- ومنها: يوسوسُ لهُ أنَّهُ قَد بكَّرَ في الصَّلاةِ ومنَ الممكِن أن يأتيهِ اتِّصالٌ مهمٌّ، فلو أجَّلَ الصَّلاةَ قليلاً كانَ لا بأسَ بذلكَ..

- ومنها: التَّفكير بالأمور الَّتي تبعدُه عَن الخشُوع في الصَّلاة كالتَّفكير بالأموالِ.. أو المصَالح الدُّنيوية، كالبيع والشِّراء.. وما أكثرَها.

- ومنها: أن يُخيِّل الشَّيطانُ للمصلِّي المناظر الإباحية أو التَّفكير بالجنسِ فسألني بعضُ التائبينَ الجُدُد: ماذا أفعل فإنَّني إذا دخلتُ في الصلاةِ تخيّلتُ من كنتُ أعاشِرُها عاريةً أمامِي إلخ.. وسنتكلَّم إن شاءَ اللهُ تعالىٰ عن دواء الوسوسةِ بعده مباشرةً.

(القسمُ الثاني): الوسواسُ في الطَّهارَةِ:

وتقدَّم أنَّ هناك شيطاناً للوضوء اسمه (الولهان) فعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَاناً يُقالُ لَهُ: الْوَلَهَانُ، فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ»[1]

---

١ - رواه الترمذي، و(الولهان) بفتحتين مصدر وله يوله ولهاناً وهو ذهابُ العقل والتَّحيُّر من شدَّة الوجدِ وغاية العشق، سُمِّي بها شيطان الوضوء إمَّا لشدَّة حرصهِ على طلب الوسوسةِ في الوضوء، وإمَّا=

ومثاله:

- هل وصلَ الماءُ إلىٰ أعضاءِ الوضوء أم لا؟

- وهل غسل مَرَّتين أم مَرَّة؟

- وهل هُو طاهِرٌ أم نجس؟

- أو هل بَلَغَ الماءُ قُلَّتين أم لا؟

- ومنهم من يَرجع بعدَ الفراغ من الوضُوء فيغسل وجهَهُ أو يديهِ، أو يمسح شعرَ رأسهِ..

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّه هل انتقض وضوؤه وهو يتوضأ أم لا؟ فيعيد مرَّات ومرَّات دون أن يسمع صوتاً أم يشمَّ رائحةً..

- ومنهم من يوسوِسُ لهُ الشَّيطانُ أنَّهُ هل خرجَ منهُ بولٌ بعدَ خروجِهِ من بيتِ الخلاءِ أم لا؟ حتىٰ أنِّي أذكرُ أنَّ أحدَهم سألَني عَن هذهِ المسألةِ وقالَ لي: يا شيخ إنَّني أدخلُ (محرمةً ورقيَّةً) في قَضيبي بعد خُرُوجي مِن بيتِ الخلاءِ.

- وكذلكَ يوسوسُ الشيطانُ لبعضهم ـ بعد فراغه منَ الوضوء: أنَّ سروالَهُ الداخليِّ فيه بولٌ، فيسرع لغسلهِ فربَّما يمسُّ ذكَرَهُ بباطِن يدهِ فيعيدُ الوضوء مرَّةً أخرى.

- ومنهم مَن يَقفُ ليصلِّي، فيوسوسُ لهُ الشيطانُ قائلاً: إنَّكَ لم تَتَوضَّأ.. وجرى ذلكَ مع أحدِ التابعين واسمهُ (أبو حازم) وهو عالم معروفٌ، فمرَّةً كَبَّرَ ليُصلِّي ركعتَين، فجاءهُ الشَّيطانُ وقالَ له: يا أبا حَازم أنتَ تُصلِّي ولم تَتَوَضَّأ. فقالَ له أبو حَازم: لم يَبلغُ النُّصحُ بِكَ إلىٰ هذا الحدّ، وتابعَ صلاتَهُ ولم يلتَفِت إليهِ.

=لإلقائه النَّاس بالوسوسة في مهواة الحيرة حتىٰ يرَى صاحبهُ حيران ذاهب العَقْل لا يدري كيف يلعب به الشيطان. واللهُ تعالىٰ أعلم. [تحفة الأحوذي].

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّ الماء دخلَ جوفهُ أثناء المضمضةِ وهو صائمٌ، لذا أمرَ النبيُّ ﷺ الصائمَ بعدم المبالغةِ في الاستنشاق والمضمضةِ.

- ومنهم مَن يُوسوسُ لهُ الشيطانُ أنَّ (المغسلةَ) نجسةٌ، وهذا الرذاذُ الذي أصابَهُ منها هو نجسٌ.. فيرجع لتبديلِ ملابِسِه ومن ثمَّ يتوضَّأ مِن جديد..

- ومنهم مَن يوسوسُ لهُ الشيطانُ أنَّ يدَ الصُّنبورَ نجسةٌ.. فيغسل يدَهُ.. ثمَّ يغسلُ الصنبورَ.. ثمَّ يعاودُ غسلَ يَدِه..

- ومنهم مَن يُوسوسُ لهُ الشيطانُ بعد أن يُنشِّف أعضاءهُ بالبشكير أنَّهُ نجسٌ.. فيعيدُ الوضوءَ مرَّةً أخرى ويستعمل بشكيراً جديداً..

- ومنهم مَن يُوسوسُ لهُ الشيطانُ إذا اغتسلَ أنَّ رذاذَ الماءِ العائد إلىٰ قدميهِ نجسٌ.. فيغتسل مرَّات ومرَّات.. فيسرفُ في الماءِ كثيراً وإذا دخلَ ليغتَسِل لَم يخرُج..

وذكر أبو الفَرج ابن الجوزيّ عَن أبي الوفاءِ بن عقيل: أنَّ رجلاً قالَ لَهُ وقد انغَمَسَ في الماءِ مِراراً كثيرةً وقد شَكَّ: هَل صحَّ لي الغُسلُ أمْ لا، فما تَرى في ذلكَ؟ فقالَ لَهُ الشيخُ: اذهَب فقَد سَقطَت عنكَ الصَّلاةُ. فقَالَ وكيفَ ذلك؟ فقالَ لأنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «رُفِعَ القَلَمُ عَن ثلاثةٍ: المجنونِ حتَّىٰ يفيقَ، والنائم حتَّىٰ يستيقِظ، والصَّبيّ حتَّىٰ يَبْلُغ». ومَن يَنْغَمِس في الماءِ مِراراً ويَشُكّ هَل أصابَهُ الماءُ أم لا فَهُو مجنونٌ.

- ومنهم مَن يُوسوسُ لهُ الشيطانُ وهو يقومُ بتنشيفِ جسدِهِ أنَّ يدَهُ لامست فرجهُ فيعيدُ الوضوءَ مرَّةً أخرى.. إلخ..

- ومنهم مَن يُوسوسُ لهُ الشيطانُ في فصلِ الشتاءِ أنَّ ما يُصيبُ ثوبَهُ من طينِ الشارعِ نجسٌ، مع أنَّهُ معفوٌّ عنهُ.

- ومنهم مَن يُوسوسُ لهُ الشيطانُ إن سقطَ عليهِ ماءٌ مِن الأعلىٰ وهو يسيرُ في الشارع أنَّهُ ماءٌ نجسٌ..

- ومنهم مَن يُوسوسُ لهُ الشيطانُ وقد سمَّىٰ اللهَ في بدايةِ تناولِهِ للطعام أنَّهُ لم يُسمِّ اللهَ فيعيدُ التسميةَ مراراً وتكراراً..

(القسم الثالثُ): الوسواسُ في العلاقاتِ الاجتماعيَّةِ:

ومثالُ ذلكَ وليسَ للحصرِ لأنَّ ذلكَ يطولُ:

- منهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّ زوجتَهُ قَد خانتهُ في غيابِهِ مَع أحدٍ غيره.. وأنَّها لا تُحبُّهُ وهي علىٰ عَلاقةٍ مَع رجلٍ غيره.. لذا يأتي أحدُهم إلىٰ أهلِهِ بغتةً.

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّ أولادَهُ ليسوا من صُلبِهِ.. وإنَّما هم من رجلٍ آخر.. فيعاملُهمُ علىٰ هذا الأساسِ فيبغضُهُم ويبغضونَهُ..

- ومنهم مَن يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّ زوجتَهُ سرقت منهُ بعضَ المالِ لتعطيهِ لأهلِها أو لعشيقِها..

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّ زوجتَهُ الغَاضِبَةَ منهُ تُفكِّرُ في قتلِهِ وقَد وضعَت لهُ السُّمَّ في الطَّعام.. أو عَمِلَت لهُ السِّحرَ ووضعتهُ لهُ في الشَّراب..

- ومنهم من يُوسوسُ لهُ الشيطانُ أنَّهُ طلَّقَ زوجتَهُ إذا دارَ في فكرِهِ الطلاقُ، أو خطرَ علىٰ نفسِهِ دُونَ أن يلفظَ بِهِ صَريحاً، فهذا حقيقةً لم يُطلِّقها. ولقد أفتىٰ العلماءُ ومنهم ابنُ عثيمين ـ رحمهُ اللهُ ـ أنَّ طلاقَ الموسوسِ لا يَقع.

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّ ابنتَهُ التي تَذهَبُ إلىٰ المدرسةِ أنَّها تعشقُ وتحبّ، وإنَّها تتَّخذُ مِن المدرسةَ ذريعةً للقاءِ عشيقِها ومراسلتِهِ..

- وأما إذا كانَت الزَّوجَةُ هي صَاحبَةُ المرضِ فيحرقُهَا الشَّكُّ والغيرةُ الجنونيَّةُ،

فَتَنَامُ وفي صَدْرِهَا الوساوسُ الشَّيطانيةُ، حتَّىٰ تَصِل بها الأمورُ إلىٰ أن لا تُصَدِّق بأنَّ زَوْجَهَا لا يخُونُها أو أنَّهُ مخلِصٌ لَهَا، حتَّىٰ لو كانَ زَوجُهَا مثالاً للأمانَةِ والإخلاصِ. وربَّما تحملُ الغيرةُ والشكُّ في نهايةِ المطافِ الزَّوجَ للطَّلاق.

- ويُوسوسُ الشيطانُ لِبَعْضِهِنَّ أنَّ زوجَها سيتزوَّجُ عليها، أو حينَ يكبُرُ أبناؤها سوفَ يُطلِّقُها.. فتُعامِلُهُ بناءً علىٰ هذا الوسواس والهاجس اليوميّ، فَتَنْقَلِبَ حياتُهما جحيماً.. وربَّما من جرّاءِ كثرةِ الشَّكِّ والظنِّ يقعُ كلُّ هذا..

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ إن مرضَ هو أو زوجته أو ولدُهُ، أنَّهُ لن ينفعَ معهُ الدّواءَ وسوفَ يموتُ.. أو إذا احتاجَ إلىٰ إجراءِ عمليَّةٍ جراحيَّةٍ أنَّها ستفشل..

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ إن أرسلَ ولَدَهُ الصغير لشراءِ شيءٍ لهُ من الدُّكانَ أنَّ سيَّارةً ستدهسُهُ، أو أنَّ أحداً سيخطفُهُ.

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشَّيطانُ حينَ يَرَى مَن يُبغضُهُ أنَّهُ يخطِّطُ لقتلِهِ أو لسرقَتِهِ.. أو يُدبِّرُ لهُ مكيدَةً..

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشَّيطانُ حينَ يَرَى شخصاً ما، أنَّ نهارَهُ سيكونُ عقيماً ولن يُفلح في ذلكَ اليوم، فيتشاءم ويتطيَّر..

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشَّيطانُ حينَ يَرَى شخصاً ما يضحكُ أنَّهُ يستهزأ بهِ.

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشَّيطانُ حينَ يَرَى شخصاً ما ينظُرُ إليهِ أنَّهُ قد حَسَدَهُ أو أصابَهُ بعينِهِ.

- ومنهم مَن يُعَاوِدُ الأمرَ مرَّاتٍ ومرَّات، كأن يُغلِقَ بابَ منزلِهِ فيوسوسُ لهُ الشَّيطانُ: إنَّكَ لم تُغلِقْهُ.. فيرجع ليغلِقَهُ مرَّةً ثانيةً، فيجدهُ مُغلقاً.. فيوسوسُ لهُ مرَّةً ثالثةً: لعلَّكَ لم تُغلِقْهُ جيِّداً.. فيرجع مرَّةً ثالثةً ليتأكّد منهُ فيراه مغلقاً جيِّداً..

- وكذلكَ يُوسوِسُ الشيطانُ لبعضِهِم حينَ يوصِلُ أسطوانةَ الغازِ أنَّها ستنفجرُ في وجهِهِ، فيرجع ليتأكّد منها مرَّاتٍ ومرَّات..

- وكذلكَ يُوسوِسُ الشيطانُ لبعضِهِم حينَ يعدُّ المال، فيعيدُ العدَّ مرَّاتٍ ومرَّات..

- وكذلكَ يُوسوِسُ الشيطانُ لبعضِهِم حينَ يبني بيتاً أنَّ أساسَهُ ليسَ متيناً وأنَّهُ سيهبطُ بهِ وبأولادِهِ، أو سيقعُ السَّقفُ عليهِم جميعاً.

- وكذلكَ يُوسوِسُ الشيطانُ لبعضِهِم حينَ يُسافرُ إلىٰ الحجِّ أو العمرة أو للتِّجارةِ أنَّ الطائرةَ ستهوي بِهِ أو تغرق السفينةُ وسَيموت، كي يُؤخّرهُ عن الخير..

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّهُ سيموتُ علىٰ غيرِ ملَّةِ التوحيد، مع أنَّهُ يصلِّي ويحلِّل ويحرِّم ويحافظُ علىٰ دينهِ قدر المستَطاع.

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّ زوجتَهُ حَمَلَت بجنينٍ وأنَّهُ سيُولدُ مشوَّهاً.. كي يفكِّرَ في إسقاطِهِ ووأدِهِ والتخلّص منهُ..

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّ تجارتَهُ هذهِ خاسرةٌ.. فيفكِّرُ ويتردَّد كثيراً، ويقضي عليهِ الهمُّ مِن كَثرةِ الوسوسةِ والتَّفكير.. مع أنَّ اللهَ تعالىٰ أقسمَ قائلاً أنَّهُ خلقَ الخلقَ وقسَّمَ الرِّزقَ، فقالَ تعالىٰ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢- ٢٣].

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ فيترك الزَّواج، فهو لايثقُ ببنتِ أنثىٰ، ويرى الفتيات كُلّهنَ غير شريفات، أو لهنَّ علاقةٌ مع الشباب، فيكبُرُ ولا يَتزوّج.

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّ العاملَ الذي يعملُ عندَهُ في الدُّكانِ يخونُهُ ويسرقُ منهُ..

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّ الأقاربَ والجيرانَ والناسَ لا خيرَ فيهم جميعاً في هذا الزَّمانِ فيبغضُهُم ويبغضونَهُ..

- ومنهم مَن يُوسوسُ لهُ الشيطانُ أنَّ اللهَ أفقرَهُ لأنَّهُ يُبغضهُ مَع أنَّهُ موحدٌ للهِ ومحافظٌ علىٰ دينِهِ، وأنَّهُ يحبُّ الكافرَ أكثرَ منهُ لأنَّهُ رزَقَهُ المالَ والصحّةَ والدُّنيا.

(القسمُ الرَّابع): الوسواسُ في الدِّين والمعتَقَدِ.

ومثالُ ذلكَ:

- كأن يقول هذا خلقَ اللهُ فمن خلقَ اللهَ.. وتقدَّم الكلام عن هذا (ص/٧١-٧٢-١١٧).

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّهُ مهما دعا اللهَ فلن يستجيبَ لهُ، كي يتوقَّف عَن الدُّعاء.. أو أنَّ اللهَ لا يستجيبُ الدُّعاءَ إلاَّ للأنبياءِ..

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّ الأحاديث النبويَّة الثابتة غير صحيحة، فيتَجَرّأ علىٰ اللهِ تعالىٰ وَلا يُصدِّق بالأحاديثِ النبويَّة، ويزعم أنَّهُ مؤمنٌ بالقرآن فَقَط، وهذا قرآنيّ مكابِر، ألم يَقْرأ قولَهُ تَعَالىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: من الآية ٧].

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ فلا يُصلِّي خلفَ أئمَّةِ المساجدِ في هذا الزَّمان، لاعتقادِهِ أنَّهم كفَّارٌ..

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّهُ لا يُوجدُ عذابٌ في القبرِ ولا حسابٌ يومَ القيامةِ، وإنما هي هذهِ الحياةُ الدُّنيا، وأنَّ اللهَ لن يَبْعَثَ أحداً..

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّهُ مُسيَّرٌ وليسَ مخيّرٌ في شيءٍ، فإن قتلَ أو سرقَ أو زنىٰ فهذا كلّه اللهُ الَّذي رضيهُ لهُ ـ والعياذُ باللهِ ـ ألم يَقْرأ هذا قولَهُ تَعالىٰ:

﴿وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: من الآية ٧]. فلا ينسىٰ أَنَّهُ مُبتَلىٰ وهو في هذهِ الدُّنيا في مرحلةِ اختبارٍ، وإن صدرَ منهُ سوءٌ فبإرادتِهِ، فلقد وهبَ اللهُ لكَ العقلَ وبعثَ لكَ الرُّسُلَ، فلا حجَّةَ لكَ، ودليلٌ آخر عقليٌّ لمن في قلبِهِ مرضٌ، أسألُ هذا وأمثالَهُ: لماذا إذا قُدِّمَ لأحدِهم عسلٌ وسمٌّ، فهو يُسرع ليختار العَسلَ لا السُّمَّ، ولا يقول: إنَّ اللهَ تعالىٰ أجبرَهُ علىٰ اختيار العَسل، وأمَّا في الحلالِ والحرام أي: في التكاليفِ الشَّرعيةِ فيقول: اللهُ أجبرَهُ علىٰ الزنىٰ والسَّرقةِ إلخ..

- ومنهم من يُوسوِسُ لهُ الشيطانُ أنَّهُ إذا ارتكَبَ ذنباً أنَّ اللهَ لن يغفرَ لهُ - والعياذُ باللهِ - حتىٰ وإن تابَ منهُ، وكذلكَ إن كبُرَت سِنَّهُ وأرادَ أن يتوبَ وهو كبيرٌ في السِّنِّ وسوسَ لهُ أنَّ اللهَ لا يقبَل إلاَّ مَن تابَ وهُو شابٌّ..

وهذا كلّهُ من وساوس الشيطان والعلاجُ منهُ إن كان في الصلاةِ أن يبني علىٰ الأقل واليقين، وإن كان في الطهارةِ فلا يعيد الوضوءَ بعدَ الفراغ منه، وإن كانَ في العلاقاتِ الاجتماعية كالغيرةِ مثلاً، فليعلم أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ مِنَ الغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ الله ومِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللهُ، فَأَمَّا الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالغَيْرَةُ في الرِّيبَةِ، وَأَمَّا الّتِي يَبْغَضُهَا الله فالْغَيْرَةُ في غَيْرِ رِيبَةٍ». [أبو داود].

وأمَّا إن كانت في العقيدةِ فعلىٰ المسلم أن لا يسترسِل في أفكارهِ، بل ينتهي وليقُل: آمَنْتُ باللهِ وَرُسُلِهِ، وليستَعذ باللهِ تعالىٰ ولينتَه..

وإذا كانَ في غير هذهِ الأصناف فليسأل العلماءَ من أهلِ الذِّكر. قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: من الآية ٤٣].

اللَّهمَّ لا تجعَل للشَّيطانِ علينا مِن سبيلٍ يا أرحمَ الرَّاحمينَ.

طرق عملية للتخلّص من الوسواس

هذه مقدمة عملية تطبيقية في سبيل الخلاص من الوسواس:

١ - الاستعاذةُ باللهِ مِنَ الشَّيطان الرَّجيم - وهذهِ الاستعاذةُ - أعوذُ باللهِ مِن الشيطانِ الرَّجيم - إنما تبلغُ أثرها حين تكونُ علىٰ اعتقادٍ جازم بمعانِيها.

فإن العوذ: اللجوءَ إلىٰ الشيءِ والاقتراب منه.

ومن استعاذَ باللهِ اعتَصَم بهِ ولجأ إليهِ، فأيّ كيدٍ يَصلُهُ وهو يعتقدُ اعتقاداً جازماً أنه مُعتَصِمٌ باللهِ الَّذي هو ربّ كلّ شَيءٍ ومليكه. واللهُ جَلَّ وتَعَالىٰ يَقُولُ: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

فهو سميعٌ يَسْمَعُ استعاذَتَكَ فَيُجيبُكَ.

عَليمُ: يَعْلَمُ مَا تستعيذُ منهُ فيدفعُهُ عَنْكَ.

٢ - المداومةُ علىٰ أذكارِ الصَّباح والمساءِ وخاصَّة (المعوذتين) فإنَّ الذِّكْرَ هو الحصنُ الحصينُ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم.

٣ - قطعُ الاسترسَالِ. فَلا يستَرْسِلُ المؤمنُ أو المؤمنةُ مَع حبائِلِ الشَّيطان ومكائِدِهِ وخواطرِهِ وهواجِسهِ، سدّاً للذريعةِ وصيانةً للنَّفسِ مِن أن يَتَسلَّطَ عَليها الشيطانُ بوسوسَتِهِ.

٤ - كثرةُ الدُّعاءِ واللُّجوء إلىٰ الله تَعَالىٰ، فإنَّ اللهَ هُوَ الَّذي يقدِّرُ البلاءَ وهُو الَّذي يدفعُهُ.

٥ - كثرةُ قراءةِ القرآنِ الكَريم مَع التَّدبر وفَهم مَعَانيهِ.

◉ ومِن أسبابِ العلاج لوساوسِ الشَّيطان المتعلقةِ بالطَّهارة والصَّلاة والتَّشاغل عنها بجانِب ما سَبَق ما يأتي:

٦- استصحابُ القاعِدَةِ الفقهيَّة العظيمةِ: «اليقينُ لا يزولُ بالشَّكِّ» فما ثَبتَ بيقينٍ لا يَرتَفع إلاَّ بيقينٍ.

دليلُ ذلكَ مَا صحَّ عنهُ ﷺ أنَّهُ قالَ: «إذَا كَانَ أحَدُكُم في الصَّلاَةِ فَوَجَدَ حَرَكَةً في دُبُرِهِ أَحْدَثَ أوْ لَمْ يُحْدِثْ فأُشْكِلَ عَلَيْهِ، فَلاَ يَنْصَرِفْ حَتَّىٰ يَسْمَعَ صَوْتاً أوْ يَجِدَ رِيحاً». [رواه مسلم وأبو داود، واللفظُ له].

فمن كانَ مُتيقّناً أنهُ تَوضّأ، ثمَّ شكَّ هَل أحدثَ أم لا؟ لَم يَلْتَفِت إلىٰ هَـذا الشكِّ، ويبني علىٰ ما هُو مُتيَقن منهُ، فمـن استصحبَ هَـذِهِ القاعدَةَ وعَمِلَ بها تَخلَّصَ مِنَ الوسواسِ بإذنِ اللهِ تعالىٰ.

٧- الاقتداءُ والتَّأسي بمسلَكِ السَّلَفِ الصَّالح في هـذا الجانِبِ، حيثُ كانُوا لا يَتشَدَّدُون، وما كانُوا يغالونَ في مسائِل الطَّهارة، والأمثلةُ علىٰ ذلكَ كثيرةٌ جداًّ.

روى أبو داود عَنِ امْرَأةٍ مِن بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّ لَنا طَرِيقًا إلَىٰ المَسْجِدِ مُنْتِنَةً، فَكَيْفَ نَصْنَعُ إذَا مُطِرْنَا؟ قَالَ: «أَلَيْسَ بَعْدَهَا طَرِيقٌ هِيَ أطْيَبُ مِنْهَا؟» قَالَتْ: قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: «فَهَذِهِ بِهَذِهِ». [صحيح].

إنَّ هـذه الشريعةَ مبناهَا علىٰ اليُسْرِ، ورَفْعِ الحرَجِ، وعَدَم التكليفِ بمـا لا يُطاق، هَذِهِ النِّعَمُ العظيمةُ حُرِمَها كثيرٌ مِنَ النَّاس بسببِ تَشَدُّدهِم وتَنَطُّعِهِمْ وطاعتهم للشَّيطان..

ومِن الطُّرق النافعةِ لِدَفع الوسواسِ أيضاً: نَضْحُ الفَرْج والسَّراويل بالماءِ دفعاً للوسوسةِ. قال العلامةُ ابنُ القيِّم ـ رحمهُ اللهُ ـ: قالَ الشيخ أبو محمَّد: ويُستَحبّ للإنسانِ أن يَنْضَحَ فَرْجَهُ وسَراويلَهُ بالماءِ إذا بالَ، ليدفَعَ عَن نفسِهِ الوسوسَةَ، فمتىٰ وجَدَ بللاً قالَ: هَذا مِنَ الماءِ الَّذي نَضحتُهُ، لما رَوى أبو داودَ بإسنادهِ عَن أبي

الحَكَمِ بْنِ سُفْيَانَ الثَّقَفِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَالَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، وَنَضَحَ فَرْجَهُ.

وكانَ ابنُ عُمَرَ ﵄ يَنْضَحُ فرجَهُ حتَّىٰ يبلّ سَراويلَهُ.

◉ وشكا إلىٰ الإمام أحمد بعضُ أصحابِهِ أنَّهُ يجدُ البَلَلَ بَعْدَ الوضوءِ، فأمرَهُ أن يَنْضَحَ فرجَهُ إذا بالَ، قَالَ: ولا تجعَل ذلكَ مِن همَّتِكَ، وَٱلْهُ عَنْهُ.

◉ لكنَّ الموسوسِين استَعَاضُوا عَن هذهِ السُّنَّةِ بأمور مَا أنزلَ اللهُ بِهَا مِن سلطانٍ، هي: السَّلت، والنَّترُ، والنَّحنحةُ، والمشيُ، والقَفْزُ، والحبل، والتَّفقدُ، والوجور، والحشو، والدَّرجة. بشكلٍ كبيرٍ ملحوظ.

◉ قالَ ابنُ القَيِّم: ثمَّ إن طائفةً مِن الموسوسِين قَد تَحَقَّق منهم طاعة الشيطانِ، حتَّىٰ اتَّصفوا بوسوسَتِهِ، وقَبِلُوا قولَهُ، وأطاعُوهُ، ورغِبُوا عَن اتِّباع رسولِ اللهِ ﷺ وصحابَتِهِ، حتَّىٰ إنَّ أحدَهُم ليرى أنَّهُ إذا تَوَضَّأ وضوءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أو صَلَّىٰ كصلاتِهِ، فوضوؤهُ باطلٌ، وصلاتُهُ غيرُ صحيحةٍ..

ويَرَى أنَّهُ إذا فَعَل مِثْلَ فعلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ في مواكَلَةِ الصِّبيان، وأكلِ طعام عامَّةِ المسلمين، أنَّهُ قَد صارَ نجساً، يجبُ عليهِ تسبيع يَدِهِ وفَمِهِ، كمَا لو وَلَغَ فيهما كلبٌ أو بالَ عليهمَا هِرٌّ..

ثمَّ إنهُ يَقْبَلُ قَولَ إبليسَ في تعذيبِ نَفْسِهِ، ويطيعُهُ في الإضرارِ بجسدِهِ، تارةً بالغوصِ في الماءِ البارِدِ، وتارةً بكثرةِ استعمالِهِ وإطالةِ العركِ، وربما فَتَحَ عينَيهِ في الماءِ البارِدِ، وغَسَلَ داخِلَهُما حتَّىٰ يَضُرّ بِبَصَرِهِ، وربما أفضَىٰ إلىٰ كشفِ عورتِهِ للنَّاس، وربما صارَ إلىٰ حالٍ يَسخَرُ منهُ الصبيانُ ويستهزئُ بهِ مَن يراهُ.

اللَّهمَّ إنَّا نسألُكَ أن تحفظنَا مِن كيدِ الشَّيطان وهمزِهِ ونزغهِ اللَّهُمَّ آمينَ.

(٥) الاكتئاب

تعريف الاكتئاب:

الاكتئابُ هُو تَغَيُّرُ النَّفسِ وانكسارُهَا مِن شِدَّةِ الهمِّ والحزنِ، وهو مرضٌ روحانيٌّ، ولهُ نوعان:

(١) الاكتئابِ العَادي. أي: هو الشعورُ بالحزنِ من غير مرضٍ عضوي.

(٢) والاكتئاب المرضي ـ أي: بسببِ مرضٍ كالقرحةِ، والسُّكريِّ، والقلبِ، والسرطان إلخ..)

◉ والاكتئابُ نوعانِ: (الاكتئابُ الظاهريُّ) و(الاكتئابُ الباطنيُّ)..

الاكتئاب الظاهري:

فهو الحالةُ الواضحةُ، وأحوالُ هذا المرضِ وأعراضُهُ واضحةٌ للعيانِ، وتكونُ تصرُّفات المريضِ غير سويَّةٍ، وفي الغالبِ ما تكونُ الأعراضُ عندهُ فاضحةً كمثل:

١ ـ الرَّجفةِ. ٢ ـ الكلام مع النَّفس. ٣ـ الكلام مَع آخرين ولا وجودَ لَهُم. ٤ ـالتَّسكع بالشوارع. ٥ ـ الجلوس في الأماكن القَذِرَة. ٦ ـ القوة الزَّائدة التي تبلغُ قوَّة ثلاثة رجالٍ. ٧ـ الهيجان والعصبية الزائدة. ٨ـ عَدَم القُدرة علىٰ الصَّلاة. ٩ ـ الاستياء مِن سماع قراءةِ القرآنِ. ١٠ ـ الخروج مِنَ البيتِ، وعدم العودةِ إلاَّ بعدَ وقتٍ طويل. ١١ ـ الذكاء البائِن في بعضِ الأحيانِ. ١٢ ـ الغباءِ اللاَّ محدود في بعض الأحيان.

الاكتئاب الباطني:

فهو خفيٌّ ولا يشعرُ بوجودهِ عند الشخصِ إلاَّ المقربونَ، لأنهُ يَتصَرَّفُ مَع العامَّةِ بحرصٍ شديدٍ، ولكن غالباً ما يكونُ مكشوفاً لدَى زوجتِهِ وأولادِهِ.

ومنَ الأعراضِ الَّتي تُوجَدُ عندَ المريضِ بالاكتئابِ الباطِنِيِّ:

١- الانعزالُ عن النَّاس. ٢- كراهيةُ العلاقاتِ الاجتماعيةِ. ٣- النُّفُور من الجميع. ٤- الإحساسُ بالعدائيَّةِ للجَميع. ٥- الشُّعور بالعظمةِ والتَّعبير عَن ذلكَ. ٦- عدمُ الاكتراثِ بالآخرين. ٧- الأنانية. ٨- الهزال والكسلُ. ٩- التَّقلب بالشخصية. ١٠- التَّرددُ الدائمُ. ١١- الإجابةُ بـ (نعم) و(لا) في الآنِ نفسِهِ.

إذن: الاكتئابُ هُو حالةٌ مزاجيةٌ تَعتري الإنسانَ لأسبابٍ معيَّنةٍ، أو قَد يكون مِن دُون سببٍ، وقَد تَصِل هذه الحالةُ مِنَ الشِّدةِ بحيثُ تُؤثِّر علىٰ تفكيرِ الشَّخص وسلوكِهِ وانفعالاتِهِ، وقَد يَتَعدَّى تأثيرُها مِنَ المريضِ نَفْسِهِ إلىٰ المحيطينَ بهِ.

والمشكلةُ أنَّ الكثيرينَ مِنَ الناسِ لا يعتقدونَ بأن الاكتئابَ هُوَ مُشكلةٌ مَرضِيَّةٌ بالفعلِ، ولها أبعادٌ مختلفةٌ.

أعراض الاكتئاب:

الاكتئابُ له العديدُ مِن المتلازماتِ، والحزنُ أحدُ أعراضِهِ، لكنَّ نسبةً لا بأسَ بهِم مِنَ المرضىٰ بالاكتئابِ لا يشعرونَ بالحزنِ.

إذن فالاكتئابُ هو متلازمة أهمّ أعراضها الحزنُ، وقتل الرغبة في الإنسان. وقد يكونُ مِنَ المفيدِ هنا الإشارة إلىٰ أنَّ الإنسانَ خِلالَ إصابتهِ بالاكتئابِ تَطْغَىٰ عليهِ حالةٌ شديدةٌ مِنَ الحزنِ وفُقدانِ الرَّغبة في فعلِ أيّ شيءٍ، فضلاً عَن بعضِ الأعراضِ الأخرَى الَّتي قَد تكونُ شديدةً إلىٰ حدٍّ تأثيرهَا علىٰ نفسيَّةِ المريضِ وعلاقَتِهِ بالآخرينَ وقدرَتِهِ علىٰ القيام بأعمالِهِ اليوميةِ المعتادةِ وواجباتِهِ.

◉ أمَّا تَشخيصُ الاكتئابِ فَيَتمّ بطريقةٍ إكلينيكيةٍ، بمعنىٰ لا يوجُد أجهزة لقياسِ حِدَّةِ الاكتئابِ، أو مداه داخِل المختبرات، فهو تشخيصٌ إكلينيكي بحتٌ.

● أمَّا أعراضُهُ: فأبرزُهَا الشُّعورُ بالحزنِ والغَمِّ والضِّيقِ وفقدانِ الرَّغبةِ في عملٍ أيّ شيءٍ، حيث يَفْقِدُ المكتئبُ طعمَ جميع ملذَّاتِ الحياةِ، ولا يودّ الاستمتاع بأيِّ شيءٍ ولا تُصبح لها أيّ قيمةٍ عندَهُ. فعندَهَا قد يمتلكُ المريضُ الكثيرَ مِن ملذَّات الدُّنيا، ولكنه لا يستطيعُ الاستمتاع بها، هذا فضلاً عَن الأعراض العضويةِ المرتبطةِ بذلكَ مثل: اضطرابات النَّوم من حيثُ الزيادةِ أو النُّقصان، وكذلكَ الحالُ بالنسبةِ لتناولِ الطعام، فضلاً عَن الشعور بالكسلِ والخمُول والصعوبةِ في التركيز.

وغالباً يكونُ سببُ الاكتئابِ هو ارتكابُ المعاصي والبعدِ عن اللهِ، ولقد توعَّد اللهُ تعالىٰ هؤلاء قائلاً: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ [طه: ١٢٤].

وهل الإعراضُ عَنِ اللهِ تعالىٰ إلاَّ مِنَ الشَّيطانِ اللَّعينِ ووساوسِهِ الشَّيطانيةِ.. فإن أردتَ أن تعيشَ سعيداً فلن يكونَ ذلكَ بالمال ولا بالقوّةِ ولا بالجمالِ.. ولا بشيءٍ أبداً، إلاَّ بشيء واحدٍ هو التَّقوى، قالَ تَعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وإليكَ دليلاً حسيّاً علىٰ ما نقول، وهو في بلادِ الغَربِ حيثُ الحرياتُ المطلقةُ والأموال والاهتمام بالمواطن مِن كافَّة النَّواحي، وتأمين الخدمات اليوميَّة والظروف المتكافئة هناك ومع ذلك، فنسبةُ الاكتئاب عندهم أضعاف ما عندَ المسلمين مع ما هم عليه من فقرٍ وظروفٍ مهينةٍ في كثيرٍ من البلاد..

- ففي بريطانيا، أفادَت دراسةٌ علميةٌ، أنَّ بها (٦ ملايين) مريض، وأنَّ واحداً من كلِّ سبعةٍ بَالغين مصابٌ بالقَلَقِ أو الاكتِئَاب أو أي اضطرابٍ نفسيٍّ

آخَر، وأن النِّساء هنَّ الأكثر تَعَرُّضاً للإصابةِ بالأمراضِ النَّفسية.

- أمَّا في اليونان فَقَد أجرى الدكتُور «جورج بيرولولس» أستاذ علم النَّفس بجامعة (أثينا) دراسةً أثبتَ فيها: أنَّ الضُّغوط النَّفسية المتراكمةِ الَّتي يُواجِهُهَا الإنسانُ الأوروبيّ في حياتِهِ اليومية، تُصيبهُ بحالةٍ مِنَ الإرهاقِ النَّفسي، قَد يَتَحَوَّل بعدها إلىٰ رهينةٍ لحالةٍ مِنَ الخوفِ والاكتئابِ ليقع في شباكِ أمراضٍ نَفْسيَّة مُعَقَّدة يصنَعُها بنفسِهِ! وأكدت الدِّراسة وجود (٦٤٥٦) مصدراً وسبباً لمخاوفِ الإنسان في أوروبا.

- فالاكتئابُ عند الأوربيين واحدٌ مِن أهمِّ الأمراض النَّفسية وأكثرها انتشاراً، خصوصاً بين البالغينَ، وقد أظهرت الدِّراسات أن حوالي (٦٪) مِنَ النَّاس عموماً يعانون مِنَ الاكتئابِ، وأن (١٥٪) من هؤلاء المصابين يَنْتَحِرُونَ، وأنَّ حوالي (٧٠٪) من حالات الانتحار إجمالاً كان سببها الاكتئاب.

وقديماً كانَ ظُهُورُ المرض عادةً في سِنِّ الأربعين، إلاَّ أنهُ في العَصْرِ الحديثِ بدأ يظهر مبكراً (ربما في الثلاثينات أو حتَّىٰ في العشرينات مِنَ العُمُر) ولعلَّ ذلك يرجعُ لتعقيداتِ الحياةِ الحديثةِ. ويصيبُ الاكتئابُ النِّساء أكثرَ مِنَ الرِّجال بمقدار الضِّعف، ويكثر بينَ الأرامِل وفي حالاتِ الطَّلاق ويقلُّ بينَ المتزوجينَ.

فأمرُ الاكتئابِ خطيرٌ فقَد يَصِلُ الأمرُ إلىٰ حدِّ التَّفكير في الانتحارِ، لأنه يَعْتَبِر الموتَ أهون مِن الحياةِ.

ثمَّ إنَّ الاعتقاد بأنَّ أيّ إنسانٍ يستطيع تشخيصَ الاكتئاب هو اعتقادٌ خاطئٌ، بل إنَّ كثيراً مِنَ الأطباءِ غَير المتخصصينَ لا يكون بمقدورِهم القيام بذلك.

فالأمراضُ النَّفسيةُ بالذَّاتِ دائماً ما تكونُ بحاجةٍ إلىٰ التَّدريب والخبرةِ مِن

المعالجينَ أكثرَ مِن التَّخصصات الأُخرى، لأنَّ الأمراضَ النَّفسية عموماً لا تَعْتَمِد علىٰ نتائج التَّحاليل المخبريةِ، مَع ذلكَ فَهُناكَ أشياء محدَّدة بالنِّسبةِ للاكتئابِ، منها:

- (الوقت) بمعنىٰ أنَّ الحالةَ لا بدَّ أن تَسْتَمِرَّ لمدَّةِ أُسبوعين علىٰ الأقلّ في العادةِ، أمَّا الأعراض فيحدِّدُهَا الطبيبُ.

والفرقُ بينَ الاكتئابِ العَادي والمرضي هُو مدى استمراريتُهُ وتأثيرُهُ علىٰ حياةِ الشَّخص بشكلٍ عامّ، لكنَّ المسألةَ أكثر تعقيداً مِن ذلكَ حيثُ يَتِمُّ أخذُ بعضِ الظروفِ في الاعتبارِ، فقد تُؤدِّي وفاةُ أحدِ الأشخاصِ المقرَّبين إلىٰ البقاءِ في الحزنِ لمدة أسبوعينَ أو أكثرَ، وهو شيءٌ طبيعيٌّ.

فالاكتئابُ النَّفسي في الحقيقةِ لَيْسَ بالبساطةِ الَّتي قَد يَعْتَقِدُها بعضُنا فَلَهُ أبعادٌ مختَلِفَة، فمنهَا البيولوجيّ والاجتماعيّ والنَّفسيُّ.

أرقام عن الاكتئاب:

قالوا: سوفَ يحتَلُّ مرضُ الكآبةِ أو الاكتئاب المرتبةَ الأولىٰ في قائمةِ الأمراض في الدُّول النَّامية عام (٢٠٢٠م) واليوم أكثر مِن «بليون ونصف بليون» شخص يُعَانونَ حالياً مِن أمراض عَصَبِيّة ونفسية أهمها: (الاكتئاب، والقَلَق، والفصام، أو مِن اضطرابات سلوكيَّة مثل الإدمان علىٰ الكُحُول أو المخَدِّرات أو التدخين).

اللَّهم فَارِجَ الهمِّ، كَاشِفَ الغَمِّ، مجيبَ دَعْوةِ المضطرينَ، رَحْمَن الدُّنيا والآخرةِ ورحيمهُمَا، أنت تَرْحَمُنِي، فَارْحَمْنِي رَحمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَن رَحْمَةِ مَن سِواك.

❖ ❖ ❖

(٦) الهلوسة

قال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. [الأعراف: ٢٠٠].

الهلوسةُ عندَ الإنسانِ تأتي في حالتين مُنفصلتَين.

◉ (الحالة الأولىٰ): عند ارتفاع الحرارةِ عندَ الإنسانِ لأربعين درَجَةٍ مئوية، فيبدأ الإنسانُ بالهلوسةِ. وتسمىٰ (الحمَّىٰ) والعلاجُ المؤقتُ لها، الماء البادر يُسكبُ علىٰ أطراف المريض، كما ثبتَ في الحديث الصَّحيح.

◉ (الحالة الثانية): الهلوسةُ الناتجةُ عن الاكتئابِ الرُّوحاني، فيبدأ الإنسانُ بالهلوسةِ، فلا يَعْرِف ماذا يقولُ أو ماذَا سَيَقُول، أو ماذا يَفْعَل أو مَاذا سَيَفْعَل، فيتحول ليكونَ إنساناً غير طبيعيّ، وغريب الأطوار، وغريباً عن أقربِ النَّاس إليهِ في أحوالهِ الجديدةِ.

ومن جرَّاء هذا كلِّه رُبَّما يصابُ المرءُ بانفصام الشَّخصية، وهي حالةٌ تقتَصِر علىٰ الإنسان مَع نَفْسِهِ فيشعُر أنَّ هناك مـن يحاورُه، علماً بأنهُ لا صاحِبَ الحالةِ يَعْلَم أو يَسْمَع أو يَرَىٰ مَن يُحَاورهُ، ولا حتَّىٰ مَن حولَهُ مِن أقاربِهِ، فهذهِ الحالةُ لها علاقَةٌ بالتأثيرِ الشَّيطاني، وأصلُهَا وسوسةٌ في الصُّدورِ، فإنَّهُ والحالةُ هذهِ يكَلِّمُ شيطانَهُ وقرينَهُ..

ويحصُلُ للمريض الهلوسةُ في الصَّلاةِ فيكلِّم نفسَهُ إذا دخلَ في الصَّلاةِ، وكذا إذا خَلا وحدَهُ، أو سارَ في الطريق، فَكم نَرَىٰ من أشخاصٍ يُكلِّم بعضُهم نَفْسَهُ في الطَّريق وليسَ بجوارِهِ أحدٌ، وكذا إذا دخلَ بيتَ الخلاء.. أو توضأ.. إلخ..

نسألُ اللهَ تعالىٰ العفوَ والسَّلامةَ..

(٧) الوهم

يعتبرُ الوهمُ مِن الأمراضِ الرُّوحانيةِ، وهو ما يَقَع في الذِّهن مِنَ الخاطِر، وتَضْخِيم الواقِعَةِ إلىٰ عِدَّةِ أضعافٍ غَير حقيقية، سواء أكانَت الحالةُ مِنَ الظنِّ، أو التَّخيل، أو التَّمثل.

و(الوهمُ) ظنُّ الشيءَ وتمثّلهُ وتخيّلهُ، سواء كانَ في الوجودِ أو لم يكُن. يقولُ اللهُ تعَالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ [النجم: ٢٨].

وصاحب الوهمِ يَعيشُ مُعَذَّباً في ليلهِ وَنَهَارِهِ، ففي نهارِهِ يكثِر انتقادهُ واتِّهامه بالكذِب، وحساسيتَهُ المغرقة في أطلال الوَهْم الَّتي تُوحِي له دائماً بأنهُ إنسانٌ مَنْبُوذٌ، أمَّا ليلهُ فَلا يخلُو مِنَ القَلَقِ والأرقِ وقِلَّة الرَّاحة، والمنامَاتِ المزعجةِ والكوابيسِ.

ويَنْقَسِم الوهمُ إلىٰ خمسةِ أقسام: وهي:

(القسم الأول): وَهْم التَّخيّل:

وهو أنَّهُ يُخَيّل إليهِ أو يُشبَّهُ لَهُ وهُو غيرُ صَحيح، وهذا النَّوع مِنَ الوَهْم يجمع المرضَ بالوهم، والتَّعرُّض للسِّحرِ لأنَّ السِّحرَ فيه التَّخيل، أي: تخيلهُ يَتحرَّك وهو لم يَتحرَّك. كما ذكرَ في قولهِ تعَالىٰ: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه]. فبيَّنت هذه الآيةُ الكريمةُ التَّخيل الَّذي ينتُج عَن السِّحرِ.

والإنسانُ المريضُ بهذا النَّوعِ مِنَ المرضِ سواء أكانَ المريضُ ذكراً أم أنثىٰ، يَتخَيَّل دائماً أنَّ هُنَاكَ أشخاصاً موجودين حَوْلَهُ، وأنَّ هناكَ مَن يمشِي وراءه، وأنَّ

هناك مَن يتكلَّم مَعَهُ، وأنَّ هناك مَن يخدمهُ، وأنه يُوحَىٰ إليهِ، وأنه صاحب شأنٍ، وأنَّ فلاناً يحبُّهُ، وأنَّ فلانةً تكرَههُ، وأنَّ فُلانةً تكيدُ لَهُ بالسِّحرِ، ويَتخَيَّل أنَّ فُلاناً قَد نَظَرَ لَهُ بعينِ الحسَدِ، وأنَّ فُلاناً لا يحبُّ لَهُ الخيرَ، وهذا كلّه مِنَ الوهم، وربما وَجَدَ سُوءَ الظنِّ بابنته الصغيرةِ وزوجهِ الطاهرةِ، فيعاملهنَّ المعاملةَ القاسيَةَ وربَّما ضربهنَّ ظلماً وعدواناً. عافانا الكريمُ من ذلكَ كلِّهِ.

وأمَّا أعراضُ وَهْم التَّخيّل فهي: الصُّداع في الرَّأس، التَّوتر، المنامات المزعجةُ والكوابيسُ، الشكُّ، الوسوسَةُ، اتّهام الآخرينَ بالخيانَةِ، عَدَم الثِّقة بالنَّفس وبالآخرينَ.

(القسمُ الثاني): وهم التنبؤ:

وهو منحصرٌ علىٰ مَن يرى في نفسِهِ عالماً للغَيب، سواء أكانَ مِن الفتَّاحين، أو العرّافين، أو الفلكيين، أو المشعوذِين، أو ضارِبي الرَّمل، أو قارئي الفَناجين، أو قارئي الكفِّ، أو من يَقْرَع المنديلَ، أو كلّ مَن ادَّعىٰ أنَّه يعلَمُ الغيبَ سَواء بعلم الفَلَكِ، أو الحساب وهُو الجمع والطّرح في الأرقام لكشفِ الغالب والمغلوب سلفاً، أو تَوَقّع البرج الفلكي أو الرُّوحاني.

ومن بابِ التأكيد في هذهِ الأيام المظلمةِ فَلا يُوجَد علمٌ بالغيبِ علىٰ الأرضِ ظاهريّ أو باطنيّ، وكلّ مَن يَدَّعِي علمَ الغَيْبِ فهو كاذبٌ مخادعٌ مُضِرّ بالنَّاس مُشْرِكٌ باللهِ، يقولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ [الجن].

◉ وقال لي بعضُ مَن يدَّعي العِلْمَ: إنَّهُ يعلمُ حالَ الإنسان من خلالِ رسمِهِ للخطوطِ، من صحَّةٍ وسُقمٍ، وتَقْوى وفُجُور، حتَّىٰ إنَّهُ يعلَمُ مِن خِلالِ هذهِ

الخطوطِ إن زنىٰ هذا الشخص في حياتِه إلخ.. واستشهدَ بحديث رَسُولِ اللهِ ﷺ الذي قال فيهِ: «كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاك» [رواه مسلم].

قال النووي ـ رحمه اللهُ ـ: اختلَفَ العلماءُ في معنَاه، فالصَّحيح أنَّ مَعناه مَن وافقَ خَطَّهُ فهو مباحٌ لَهُ، ولكِن لا طريقَ لَنَا إلىٰ العِلْم اليَقِينيّ بالموافَقَةِ فلا يُبَاح، والمقصود أنهُ حَرامٌ، لأنهُ لا يُبَاحُ إلاَّ بيقينِ الموافَقَةِ وليسَ لنَا يقينٌ بِهَا، وإنَّما قالَ النبيُّ ﷺ: «فَمَن وَافَق خَطَّهُ فَذَاك» ولم يَقُل: «هُو حرامٌ» بغير تَعْليقٍ علىٰ الموافقةِ لئلاَّ يتوَهّم مُتوهِّمٌ أنَّ هـذا النَّهيَ يَدْخُلُ فيهِ ذاكَ النَّبِيّ الَّذي كانَ يخطُّ، فحافَظَ النبيُّ ﷺ علىٰ حُرمَةِ ذاكَ النبيِّ مَع بيانِ الحكم في حَقِّنا، فالمعنىٰ أنَّ ذَلِكَ النبيَّ لا مَنْعَ في حَقِّه، وكذا لو عَلِمْتُم مُوَافَقَتَهُ ولكن لا عِلْمَ لكُم بهَا.

وقالَ الخطابيُّ: هذا الحديثُ يحتمِل النهيّ عَن هـذا الخطّ إذا كانَ عِلْماً لنبوةِ ذاكَ النبيِّ، وقَد انقطَعَت فَنُهينَا عَن تَعَاطِي ذَلِكَ.

وقالَ القَاضي عياض: المختارُ أنَّ معناه: أنَّ مَن وافقَ خَطَّهُ فَذَاكَ الَّذي يجدونَ إصابتهُ فيما يقول، لا أنهُ أباحَ ذلكَ لِفَاعِلِه. قالَ: ويحتمل أنَّ هذا نسخ في شَرعنَا، فحصلَ مِن مجموعِ كلام العُلَمَاءِ فيهِ الاتفاق علىٰ النَّهي عَنْهُ الآن. ا. هـ

فعلينَا أن نكونَ حَذرين مِن مصائِد شَياطِينِ الجنّ والإنسِ لَعَنَهُم اللهُ.

(القسمُ الثَّالث): وهمُ الإحسَاسِ:

وهو مرضٌ رُوحانيّ ويُشكِّل لدى بعضِ النَّاس مفخرة، ولو عَرَفُوا ما هُـو لما افتخَرُوا بهِ. ويُسَمَّىٰ هـذا المرض عندَ بعضِ النَّاس، الحاسَّةِ السَّادسة، أو قُوَّة الحدسِ، أو قوَّة الفراسَةِ، أو الإلهام، أو الإيحاء.

وأعراضه إحساسُ الإنسانِ بأنَّ شيئاً سَيَحْدُث، أو إحساس الإنسان أنَّ حرباً

ستقُوم، أو إحساسهُ بأن الطِّفل سَيَقع أو تدهسه السيَّارةُ، أو إحساسه أنَّ فلاناً سيأتي، أو إحساسه أنَّ هناكَ حَرَائِق يشعلها البعضُ، أو الإحساس بأنَّ فلاناً سيموت، أو الإحساس أنَّ فلاناً عنده مرضٌ خطيرٌ، أو إحساسٌ أنَّ فلاناً تجارتُهُ خاسرة، أو إحساسٌ بأنَّ هناك طاقةَ فَرَجٍ لفلانٍ إلخ مَا شابه ذلكَ.

وهذه الأحاسيسُ إن كانت صَحيحةً أو غير صحيحة فهي تُسَبِّبُ للإنسانِ المتاعِبَ والتَّوتر.

وعَليكُم أن تَعْلَمُوا أنَّ هَذا نزغٌ وهمزٌ مِنَ الشَّيطانِ الرجيم، يقولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

(القسمُ الرَّابع): وَهْمُ المرضِ:

وهذا النَّوعُ مِن المرضِ يُصيبُ الكثيرَ مِنَ النَّاس الَّذين يَتعَرَّضُونَ إلىٰ أمراضٍ عُضوية، منها الأمراض الخبيثة، أو السُّكري، أو فقدان المناعَة، أو ارتفاع في ضغط الدَّم.. فلا يَنْبَغِي للطبيبِ أن يخبرَ مريضَه إن استطاعَ وخاصّةً أصحابَ الأمراضِ الخبيثة، فهذا رسولُ اللهِ ﷺ يقول: «إذَا دَخَلْتُمْ علىٰ المَرِيضِ فَنَفِّسُوا لَهُ في أجلِهِ، فإنَّ ذَلِكَ لا يَرُدُّ شيئاً وَيُطَيِّبُ بِنَفْسِهِ». [رواه الترمذي] وإن كانَ الحديثُ ضعيفاً إلاَّ أنَّه يُستأنس بهِ. نسأل اللهَ لنا ولكُم العفوَ والعافيةَ.

(القسمُ الخامسُ): وهمُ العظمةِ:

وهذا النوعُ مِنَ المرض مُرتبطٌ بتزيينِ الشَّيطانِ لأعمالِ المفسدينَ في الأرضِ، حتىٰ يَصِلَ أحدُ المفسدينَ إلىٰ قناعَةٍ بأنَّهُ لو شَتَمَ الدِّينَ أو الرَّبَّ سَيَدْخُل الجَنَّةَ قَبلَ الملتزمينَ، وهذه المهزلةُ تُصيبُ بعضَ النَّاس وخاصَّةً من المنافقينَ، الَّذين يَدَّعُونَ الإيمانَ باللهِ وباليوم الآخِرِ.

وصاحبُ مَرَضِ العظمةِ علىٰ قناعةٍ بأنَّهُ في الدُّنيا أفضل الموجود، وأعظم المقصُود، ويَرَى في موتِهِ أنَّهُ عَن الدُّنيا أبرز مَفْقُودٍ، ويُخَيِّلُ إليهِ الشَّيطانُ أنَّ قبره مُضيء، وعاقبَتَهُ حَسَنَةٌ، وهو مِنَ المتَّقين، ولكن حقيقةَ هَـذا المفسِدِ سَتَبين له في أوَّل سكراتِ مَوتِهِ، حينَ يَبْدأ الحجابُ بالانكشَافِ ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

وأذكرُ قصَّةً عن عالم عندنا في بلدِنا كانَ ينهج نهجَ العلماءِ الصَّالحين، إلاَّ أنَّهُ بدأ يجتَهِد حتَّىٰ خَرَجَ عَن نَهْج علماءِ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ، وخاضَ مع الخائضينَ! وأخذَ يُفتِي ويقُولُ ما لَم يَقُل بهِ اللهُ ورسولُهُ ـ نعوذُ باللهِ من ذلكَ ـ فنبذَهُ العلُماءُ وتبرَّؤوا منه، ومرَّةً كانَ برفقتِهِ صديقٌ له وهو في سيَّارتِهِ فقَالَ لَهُ: أترى لو انقلبت بنا هذهِ السَّيارة ومتنَا وذهبنا إلىٰ اللهِ تعالىٰ، تَظنّ مَاذا سيقولُ لي اللهُ؟ فقال لهُ صديقُهُ: ماذا سيقولُ لكَ اللهُ؟

فقَالَ: سيقُولُ لي: (أحسنتَ يا فُلان.. برافُو عَليك..). ا. هـ

وأمثال هذا هـؤلاءِ الذينَ يدَّعون العِلْم والاجتِهَاد ممَّن يُفتِي لإرضَاءِ فلانٍ وفلانٍ.. فتارةً نَسْمَع مِن هؤلاء بجواز الرِّبا، وتارةً نسمع بجواز تقبيل الممثِّل للممثلةِ للضرورةِ، وتارةً وتارةً.. ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيم..

اللهمَّ إنِّي عبدُكَ الحقيرُ الفقيرُ أرجُو رحمتَكَ وأخشَىٰ عذابَكَ، أعوذُ بِنُورِ وجهكَ من الضَّلالِ والفتنِ ما ظهرَ منها وما بَطَن، وأسألُكَ الثَّباتَ علىٰ دينكِ، وسُنَّةِ نبيِّكَ ﷺ حتَّىٰ ألقاكَ وأنتَ راض عنِّي غيرَ مُبدِّل لقولي، ولا نَاكثاً لعملي.. آمين يا أرحمَ الرَّاحمين.. آمين يا أرحمَ الرَّاحمين..

❖ ❖ ❖

(٨) الخوف

يعتبرُ الخوفُ السلبيُّ مِن الأمراضِ الفتَّاكَةِ ذاتِ العَواقبِ الوخيمةِ، وهُو مِن الأسبابِ الرَّئيسيةِ للكثيرِ مِنَ الأمراضِ العُضويَّةِ والنَّفسيَّةِ والرُّوحانيَّةِ.

والخوفُ هُو مَرَضٌ رُوحانيّ بحت، ولكنَّه مُسَبِّب لأمراضٍ عضويةٍ ونفسيَّةٍ أيضاً. وللخوفِ أشكالٌ أربعةٌ:

(الأول): الخوف الواجبُ:

وهو الخوفُ من اللهِ تعالىٰ، قالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وإيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]. وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَديدٌ﴾ [البروج: ١٢]. وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وكَذلِكَ أخْذُ رَبِّكَ إذا أخَذَ القُرَى وهِيَ ظَالِمَةٌ إنَّ أخْذَهُ أليمٌ شَديدٌ ۝ إنَّ في ذلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ..﴾ [هود: ١٠٢-١٠٣]. وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَيُحذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

أي: ويخوفكُمُ اللهُ مِن نَفْسِهِ أنْ تَرتكبُوا مَعَاصِيهِ أو تُوالُوا أعداءهُ، فإنَّ مَرْجِعَكُم ومَصيركُم بَعْدَ مماتِكُم، ويَومَ حَشرِكُم لموقفِ الحسابِ، يَعنِي بذلكَ: متَىٰ صِرتُم إليهِ، وقَد خَالَفْتُم مَا أمركُم بهِ، وأتيتُم مَا نَهَاكُم عنهُ مِن اتِّخَاذِ الكافرينَ أولياءَ مِن دُون المؤمنينَ، نَالَكُم مِن عقابِ رَبِّكُم مَا لا قِبَلَ لَكُم بِهِ، يقولُ: فَاتَّقُوهُ وَاحذَرُوهُ أنْ يَنالكُم ذلكَ مِنْهُ، فإنَّه شديدُ العذابِ.

وعَن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، فَقَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً ولَبَكَيْتُمْ كَثِيراً»(١)

١- (البخاري/٤٦٢١، مسلم/٢٣٥٩). (لو تعلمون ما أعلم) أي: من عقاب الله للعصاة وشدة المناقشة يوم الحساب، لضحكتم جواب لو (ولبكيتم كثيراً) أي: بكاء كثيراً أو زماناً كثيراً أي: من خشية الله ترجيحاً للخوف علىٰ الرجاء، وخوفاً من سوء الخاتمة. قال الحافظ: والمراد بالعلم هنا ما يتعلق=

وفي روايةِ التِّرمذي: «وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلىٰ الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إلىٰ الصُّعُداتِ تجْأرُونَ إلىٰ الله تَعالىٰ». فَغَطَّىٰ أصْحَابُ النبيِّ ﷺ وجُوهَهُمْ، وَلَهُمْ خَنينٌ.

فالقَلْبُ إذا امتلأ خوفاً منَ اللهِ تعالىٰ أحجَمَتِ الأعضاءُ جَميعُهَا عَن ارتكابِ المعاصِي، وَبقَدْرِ قِلّة الخوفِ يكُونُ الهجُومُ عَلىٰ المعَاصِي فَإذا قَلَّ الخوفُ جِداً واستَوْلَت الغَفْلَةُ علىٰ الإنسانِ كانَ ذَلِكَ مِن عَلامَةِ الشَّقاءِ وَمِن ثمَّ قَالُوا: المعاصِي بريدُ الكُفْرِ. أي: رَسُولُهُ بِاعتِبَار أنَّها إذا أورثَت القَلْبَ هَذا السَّوادَ وَعَمَّتهُ يَصيرُ لا يَقْبَلُ خَيراً قَطّ، فيَقْسُو وَيَخْرُج منهُ كلّ رَأفةٍ وَرَحْمَةٍ وَخَوْفٍ، فَيرتكب مَا شاءَ وَيَفْعَلُ مَا أرادَ، وَيَتَّخِذ الشَّيطانَ وليّاً مِن دونِ اللهِ، فَيُضِلُّهُ وَيَغْويه، وَيَعِدُهُ وَيُمَنِّيهِ، ولا يَقْنَع منهُ بِدُونِ الكُفْرِ مَا وَجَدَ إليهِ سبيلاً: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً من دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً﴾. [النساء: ١١٩].

(الثاني): خوفُ ردَّةِ الفِعْل:

وهُو الخوفُ النَّاتج عَن شيءٍ مخيفٍ، والمصابُ بهذا النَّوعِ مِنَ المرَضِ يكونُ إنساناً مهزوزاً لا يَستَطِيع اتّخاذ أيِّ قرارٍ، لخوفِهِ الشَّديد من النَّتائج الَّتي يَظُنّ مِن خوفِهِ أنَّها سَتَحدُث فيمَا بَعْد فيكون متردِّداً، والخوفُ مِنَ المجهولِ هُوَ خوفٌ غير مُبرَّر، وهُو يَعْمَل عَلىٰ فُقْدَان الثِّقَةِ بالنَّفس، وقَد يكون المرضُ قَد رَافَقَ المصَابَ مِن فَتْرةِ الطُّفولةِ، أو نتيجة صَدْمَة قَد تَعرَّض لها في إحدَى مَرَاحِل حياتِهِ.

=بعظمة الله وانتقامه ممن يعصيه، والأهوال التي تقع عند النزاع والموت وفي القبر ويوم القيامة. وعن الحسن البصري أنه قال: من علم أن الموت مورده، والقيامة موعده، والوقوف بين يدي الله مشهده، فحقه أن يطول في الدنيا حزنه. وَ(الصُّعُدَات) أي: الطُّرُقَاتُ. ومعنَىٰ (تَجْأَرُونَ): تَسْتَغِيثُونَ. و(الخَنِين) بِالخاءِ المعجمة: هُوَالبُكَاءُ مَعَ غُنَّةٍ وَانْتِشَاقِ الصَّوْتِ مِنَ الأنْفِ.

وعلاجهُ:

أ- الثقة باللهِ، وحُسن التوكّل عليهِ.

ب- الأخذ بالأسباب مَع التوكلّ علىٰ ربِّ الأسبابِ، ومُدَبِّر الأمور، وأنَّ ما يُصيبُ العبدَ لن يخطئه، وما أخطأه لن يصيبَهُ. وكل ذلكَ بقدرٍ من اللهِ تعالىٰ.

ج- الاستشارة والاستخارة.

(الثالث): الخوف من المرض:

يعتبر هذا النَّوع مِن الأمراضِ الفتَّاكةِ، وهو في داخلِ الإنسانِ المريضِ، ويرافِقُهُ طوالَ الوقتِ، وهذا المرضُ سَبَب مباشرٌ للكثيرِ مِنَ الأمراضِ العُضوية، مثل: السكّري، وارتفاع ضغطِ الدَّم، وأمراض القَلْب، وكَسَل الغُدَدِ، والتَّسارع في نبضاتِ القَلْبِ.

كما أنَّه يُسَبِّب الكثيرَ مِن الأمراضِ النَّفسية ومنهَا: التَّوتُّر، القَلَق، الهلوسة، انفصام الشَّخصية، الانطوائية، عدم الثِّقةِ بالنَّفس، التَّردد، الرّعاش العَصَبي. كما أنَّه يُسَبِّب الكثيرَ مِنَ الأمراض الرُّوحانية، مثل: المسّ الشَّيطاني، التَّخيل، الكوابيس في المَنام، الأرق والاكتئاب، الوسوَاس، الوَهْم، العُقم الرُّوحاني. وينقسم هذا النوعُ إلىٰ خمسةِ أقسام:

(القسمُ الأول): نوبات الذُّعر وهي مِن النَّوبات التي تُصيب الإنسانَ فجأةً.

(القسمُ الثَّاني): الرُّعبُ الدَّاخلي وهو التَّوتر النَّاتِج عَن الخوفِ مِن المجهولِ.

(القِسْمُ الثالثُ): الخوفُ الشَّديدُ مِن المواجهةِ والمنازلةِ.

(القِسْمُ الرَّابع): الخوفُ مِنَ الماضِي والحاضِرِ والمستَقْبَل.

(القسم الخامس): الخوفُ مِن الحالةِ الصِّحيَّةِ ومِن الموتِ.

أمَّا بالنسبة لأعراضِ نَوباتِ الذُّعرِ فهي علىٰ النَّحو التالي:

(فقدانُ الوَعي، فقدانُ الذَّاكرة، الرَّجفةُ العَصَبِيّة، هبوطُ القَلْبِ، عَدَم انتظام نبضاتِ القَلْب، كَسَل في العضلةِ المنبسطةِ، كَسَلٌ في العضلةِ المنقبضةِ، الإحساس بِثِقَلٍ علىٰ الصَّدْرِ مُرافق لضيقِ التَّنفُّس، الهُزَال في الجسم).

وتكونُ الأحوال لَدَى المريض بنوباتِ الذُّعر شبيهةً بالأحوالِ التي تكونُ لَدَى المريض بنوباتِ الصَّرع.

أما بالنِّسبة لأعراض الرُّعبِ الدَّاخلي فهي علىٰ النحو التالي:

(آلامٌ متنقلة لا أساسَ علمياً لها، الأرقُ والاكتئابُ، الشعورُ بالضَّعف المفرط، انعدام الشَّخصية، الإحساس بالانهزاميَّة علىٰ مدار الساعة، التَّوتر الدائمُ، فقدانُ الثِّقةِ بالنَّفس، فقدان الثقةِ بالآخرين، الانفصام بالشَّخصية، التردد والخوفُ مِن اتخاذ أيِّ قرار، الأحلامُ المزعجةُ والكوابيسُ، كَثْرَةُ الانهيارات النَّفسية والعصبية، الضَّعف الجنسي).

والخوف الناشئ عَن وسواسٍ مَرَضِيّ يكونُ منهُ:

- الخوفُ مِنَ الموتِ.
- الخوفُ مِنَ الداء العضالِ.
- الخوفُ مِنَ التَّلوث.
- الخوفُ مِن الهواجِس.
- الخوفُ مِنَ الظَّلام.
- الخوفُ مِنَ المرتَفعَات.
- الخوف مِنَ الأماكِن المغلَقَة.

(الرابع): تخويفُ الشَّيطان:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

قال ابنُ كثير: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: يخوّفكم أولياءه ويُوهِمُكُم أنهم ذوُو بأسٍ وذوُو شِدَّة قالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إذا سوَّل لكُم وأوهَمَكُم فتوكّلُوا عليّ والجؤوا إليّ فإنّي كافيكم وناصرُكُم عليهم، كما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦] وقالَ تَعَالىٰ: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ [النساء: ٧٦] وقالَ تَعَالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩] وقَالَ تعالىٰ: ﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]. والآياتُ في ذلكَ كثيرةٌ. ا.هـ.

والمعنىٰ أَنَّهُ لا يَنْبغي للمؤمِن أن يخافَ أولياءَ وجُنُودَ إبليسَ، بَل عَلَيْهِ أن يَثِقَ باللهِ تَعَالىٰ ويتوكَّل عَلَيْهِ، وليعلَم أنَّ كيدَ الشيطانِ ضَعِيفٌ، ولا يملكُ إلاَّ الوسوسةَ فَلْيَسْتَعِذ باللهِ مِنْهَا.

إذن: الشيطانُ يَسْعَىٰ لردِّ المسلمِ عَن أعمال الخير، والجهادِ والنَّفقةِ في سَبِيل اللهِ.. فَلا يَنْبَغِي للمؤمِن أن يَخَاف الشَّيطانَ، وعليهِ أن يُلْقِي بضاعةَ الشيطانِ الَّتي هي الوسوسة تحتَ قدمِهِ وأن لا يَتطَيَّر، ثمَّ يمضي ويتوكَّل علىٰ اللهِ، وكلّه ثقة بأنَّ اللهَ تعالىٰ مَعَه. ومن أمثلةِ تخويف الشيطان للمؤمن:

(أ) الصدّ عن أعمال الخير:

عن سَبُرَة بن أبي فاكِه قَالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ

لابْنِ آدمَ بِأطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإسْلامِ، فَقَالَ لَهُ: أَتُسْلِمُ وَتَـذَرُ دِينَكَ، وَدِينَ آبَائِكَ، وآبَاءِ أبِيكَ؟» قَالَ: «فَعَصَاهُ فَأسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ، فَقَالَ: أتُهَاجِرُ وَتَـذَرُ أرْضَكَ وَسَمَاءَكَ؟ وَإِنَّمَا مَثَلُ المُهَاجِرِ كَمَثَلِ الفَرَسِ فِي الطِّوَلِ» قَالَ: «فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ» قَالَ: «ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الجِهَادِ، فَقَالَ لَهُ: هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ المَرْأةُ، وَيُقَسَّمُ المَالُ» قَالَ: «فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَن فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَمَاتَ، كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أن يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أو قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أن يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَإِن غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أن يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أو وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أن يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ». [صحيح، رواه أحمد، والنسائي].

(ب) التخويف من الإنفاق:

قال تعالىٰ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

أخرجَ ابنُ جَرير عَن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما قالَ: اثنَتَانِ مِنَ اللهِ واثنَتَانِ مِنَ الشَّيطان ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ يَقُولُ: لا تُنْفِق مَالَكَ وامسِكْهُ عَلَيْكَ فإنَّك تحتَاجُ إليهِ. ﴿وَاللهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً﴾ علىٰ هذهِ المعَاصِي وفضلاً في الرِّزق.

وقال ابنُ كثيرٍ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ أي: يُخَوِّفكُم الفَقرَ لِتُمسِكُوا ما بِأيديكُم فَلا تُنْفِقُوهُ في مَرْضَاةِ اللهِ ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾: أي: مَع نَهْيِهِ إيَّاكُم عَنِ الإنفاقِ خَشْيَةَ الإملاقِ، يأمُرُكُم بالمعاصِي والمآثِم والمحارِم ومخالَفَةِ الخلاَّق، قالَ تعَالىٰ: ﴿وَاللهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ أي: في مُقابلةِ ما أمركُم الشَّيطانُ

بالفَحْشَاءِ﴿وفَضْلاً﴾ أي: في مقابلةِ مَا خوَّفكم الشيطانُ مِنَ الفَقْرِ. ا. هـ

وَفي الحديث الذي رواهُ أحمَد في (مسنده) عَن بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يُخْرِجُ رَجُلٌ شَيْئاً مِنَ الصَّدَقَةِ حَتَّىٰ يَفُكَّ عَنْهَا لَحْيَي سَبْعِينَ شَيْطَاناً».

ورواهُ البَيْهَقِيُّ أيْضاً عَن أبِي ذرّ موقوفاً عَلَيْهِ قَالَ: «مَا خَرَجَت صَدَقَةٌ حَتَّىٰ يُفَكَّ عَنْهَا لَحْيَي سَبْعِينَ شَيْطَاناً كُلُّهُم يَنْهَىٰ عَنْهَا».

هذا وإنَّ وعدَهُ لهُ بالفقرِ ليسَ شفقةً عليهِ، ولا نصيحةً لهُ، وإنَّما وعدُهُ لهُ بالفقرِ، وأمرُهُ إيَّاه بالبُخل، ليُسيءَ ظَنَّهُ بربِهِ، ويتركَ ما يُحبُّهُ منَ الإنفاق لوجهِهِ، فيستوجبُ منَ الحرمانِ.

وأمَّا اللهُ تعالىٰ فإنَّهُ يعدُ عبدَهُ مغفرةً لذنوبِهِ، وفضلاً منهُ بأن يُخلفَ عليهِ أكثرَ ممَّا أنفق أضعافَهُ، في الدُّنيا والآخرة.

العلاج مَن الخوفِ:

لن نَسْتَطيعَ أن نَصِفَ لمريضِ الخوفِ أيَّ عَقَاقِير يَتَعَاطَاهَا أو دَواء يَشْرَبُهُ أو جِرَاحَةً تشفيهِ، كلّ مَا نَسْتَطيع أن نَصِفَ لَهُ، وكلّ مَا يحتَاجهُ للشِّفاء مِن دائِهِ الخطير.. هو الإيمانُ باللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ والشَّجاعة.. نَعَم إنَّ الشَّجاعَةَ هِيَ الدَّواءُ الشَّافي الكافي لهذَا الدَّاء بإذنِ اللهِ تعالىٰ، وفي الحديثِ الصَّحيح: قالَ ﷺ: «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأحَبُّ إلىٰ اللهِ تَعالىٰ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ علىٰ ما يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ باللهِ ولا تَعْجز، وإنْ أصابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أنّي فَعَلْتُ كَذَا كانَ كَذَا وكَذَا، ولَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَما شاءَ فَعَلَ، فإنَّ لَوْ تفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطانِ». [رواه مسلم]. واللهُ تعالىٰ أعلمُ وأحكمُ.

(٩) النسيان

مرضُ عدم التركيز

يُعتبر النِّسيانُ مَرضاً روحانياً لا يَخْلُو مِن دَسِّ الشيطانِ وهمزِهِ، يقولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

وقالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً﴾ [الكهف: ٦٣].

وفي الحقيقةِ يَنْقَسِمُ النسيانُ كمرضٍ رُوحانيّ إلىٰ أربعةِ أقسام:

(القسمُ الأوَّلُ): نسيانُ الذِّكر. (القِسْمُ الثَّاني): الغفلةُ. (القِسْمُ الثَّالثُ): السَّهوُ. (القِسْمُ الرَّابعُ): فقدانُ الذَّاكِرَةِ.

(القسمُ الأول): نسيانُ الدِّينِ والعبادةِ:

وهو نسيانُ الذِّكرِ، والمقصُود بالذِّكرِ هو عبادَةُ اللهِ وذِكْرُهُ، وهَذا النَّوعُ مِنَ النِّسيانِ قَد يُسَيْطِرُ علىٰ مَصيرِ الإنسانِ، ويُلْقِي بهِ إلىٰ التَّهلُكَةِ، يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ﴾ [طه].

يقولُ تعالىٰ: ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا﴾ أي: دلالاتُنَا عَلَىٰ وحدانيّتنَا وقُدْرَتِنَا. ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ أي: تركتَهَا ولَم تَنْظُر فِيهَا، ولم تُؤمن بها، وأعرَضْتَ عَنْهَا. ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ﴾ أي: تُتْرَكُ في العذابِ، يُريد جهَنَّم.

وقالَ قتادة: نُسِيَ مِنَ الخيرِ، ولَم يُنسَ مِنَ الشَّرِّ.

فيجب علىٰ الإنسانِ أن يكونَ حَذِراً مِن شَرِّ نفْسِهِ، ومِن شَرِّ الشَّيطانِ ونَزَغَاتِهِ وهَمَزَاتِهِ، وأن يُرَاقِب حركاتِهِ وسكنَاتِه وأن لا يفعل مَا يُغْضِب اللهَ، لأنَّه إذا أغضَبَ رَبَّهُ أعرَضَ عَن ذِكْرِهِ، وإذا أعْرَضَ الإنسانُ عَن ذِكْرِ اللهِ، تَتَحَوَّل حياتُهُ إلىٰ ضَنَكٍ، وفي الآخرةِ يَصْلَىٰ الجحِيم، وفي المحصِّلَةِ يخسَر الدُّنيا والآخرةَ والعياذُ باللهِ، نَسألُ اللهَ لَنَا ولكُم الهدايَةَ والصَّلاح، اللَّهُمَّ آمينَ.

(القسم الثاني): الغفلة:

والمقصودُ بالغفلةِ هُو أنَّ العبدَ يسهُو مِن قِلَّةِ التَّحفُّظ والتَّيَقُّظ أي: تركَهُ إهمالاً مِن غيرِ نِسْيانٍ، وأنَّ الإنسانَ يَفْقِدُ السيطرةَ عَلىٰ الميزانِ أي: العقل لبعضِ الوقتِ فَيَتَحكَّمُ بالميزانِ الشَّيطانُ فَيَحْصُل ما يحصُل في هَذا الوَقْتِ المسمَّىٰ بالغفلةِ، وفي أغلبِ الأوقاتِ لا يَعْلَمُ الإنسانُ مَاذا حَصَلَ أو مَاذا فَعَل في وَقْتِ الغَفْلَةِ، والسَّببُ في حدوثِ هَذِهِ الغَفْلَةِ الشَّيطان، وعَلىٰ الإنسانِ أن يَعْلَمَ أنَّهُ قد يَتَرَبَّصُ الشيطانُ بِهِ لمدَّةِ شَهْرٍ كامِلٍ لِيَصِلَ بهِ إلىٰ دَقيقَةِ غَفْلَةٍ، لِيُسَيْطِرَ عليهِ.

وغالباً مَا يُؤخذ في دقيقةِ الغَفْلَةِ أكبر القَراراتِ المصيريّة، أو العَصَبِيَّة الشَّديدة وربُّما يَكْفُر الإنسانُ، أو يَشْتُم اللهَ.. أو الدِّين.. أو يُطَلِّق بالثَّلاث.. والعياذُ باللهِ..

وهناكَ مَن تحصُلُ عِنْدَهُ الغفلةُ لمرَّةٍ واحِدَةٍ لكنَّها رُبَّما تكونُ قاسِمةَ الظهر، فعن ابنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: « إنَّ رَاهِباً عَبَدَ اللهَ فِي صَوْمَعَتِهِ سِتِّينَ سَنَةً، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَنَزَلَتْ إلىٰ جَنْبِهِ، فَنَزَلَ إلَيْهَا فَوَاقَعَهَا سِتَّ لَيَالٍ، ثُمَّ سُقِطَ فِي يَدِهِ فَهَرَبَ فَأَتَىٰ مَسْجِداً فَأَوَى فِيهِ ثَلاثاً لاَ يَطْعَمُ شَيْئاً، فَأُتِيَ بِرَغِيفٍ فَكَسَرَهُ فَأَعْطَىٰ رَجُلاً عَنْ يَمِينِهِ نِصْفَهُ، وَأَعْطَىٰ آخَرَ عَنْ يَسَارِهِ نِصْفَهُ فَبَعَثَ اللهُ إلَيْهِ مَلَكَ الْمَوْتِ فَقَبَضَ رُوحَهُ فَوُضِعَتِ السِّتُونَ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتِ السِّتَّةُ فِي كِفَّةٍ فَرَجَحَتْ، يَعْنِي:

السِّتَّةَ، ثُمَّ وُضِعَ الرَّغِيفُ، فَرَجَحَ، يَعْنِي: رَجَحَ الرَّغِيفُ السِّتَّةَ». [صحيح موقوف].

وهناكَ من تَتكَرَّر منهُ الغفلةُ وإذا تكرَّرت عندَ إنسانٍ فهو مَريضٌ بهَا وعليهِ أن لا يَسْتَهينَ بِهَا، لأنَّ الإنسانَ قَد يَقْتُل، أو يَسْرِق، أو يَظْلِم، في لحظةِ غَفْلَةٍ.

(القسم الثالث): السّهو:

وللسَّهوِ أحوالٌ كثيرةٌ مِنْها: السَّهو عَن الصَّلاةِ.. قال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون].

والسَّهو في الصَّلاةِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُم فِي صَلاَتِهِ فَلَم يَدْرِ كَم صَلَّىٰ؟ ثَلاَثاً أم أرْبعاً؟ فَلْيَطْرَحِ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلَىٰ مَا اسْتَيْقَنَ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أن يُسَلِّمَ، فَإن كَانَ صَلَّىٰ خَمْساً، شَفَعْنَ لَهُ صَلاَتَهُ، وَإِن كَانَ صَلَّىٰ إِتْمَاماً لأَرْبَعٍ، كَانَتَا تَرْغِيماً لِلشَّيْطَانِ». [رواه مسلم].

والسهو عن قراءةِ القرآنِ.. والسَّهو في قراءة القرآن.. والسَّهو عن الذِّكر.. والسَّهو في الذِّكر.. والسَّهو لمرضٍ..

والسَّهو هو نسيانُ الحاضِرِ ولا يُوجد لهُ علاقةٌ في نِسيانِ الماضِي لأنَّ نِسيان الماضِي يَتَعلَّق بالذَّاكِرَةِ، وفي الغالِب فإنَّ العِلاج الرُّوحاني يُعالِج المؤمنين، يَقُولُ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً﴾ [الإسراء: ٨٢].

ويَنْحَصِرُ السَّهو كَمَرَضٍ رُوحانيّ في السَّهو في الصَّلاةِ، والسَّهو في الوضُوءِ، والسَّهو في الذِّكْرِ، والسَّهو في قراءةِ القُرآن، والسَّهو بالعَمَلِ، والسَّهو في التَّعَامُل مَع النَّاس، والسَّهو عَن المطالَبَةِ بما هُوَ لَهُ، والسَّهو عَن تأديةِ مَا يُطلَب منهُ، والسَّهو غَيْر المقصُود عَن حقوقِ الآخرينَ، وما شابهَ ذَلِكَ. واللهُ تعالىٰ أعلمُ.

(القسم الرابع): فقدان الذاكرة:

تنقسم الذاكرةُ إلىٰ خمسةِ أقسام: فهناكَ مَا يُسَمَّىٰ الذَّاكرة (البَصريَّة) وهـو أن يذكُرَ الإنسانُ مَشْهَداً سَبَقَ أن شَاهَدَهُ، وهناك الذاكرةُ (السمعية) وهي أن يذكُرَ الإنسانُ صوتاً سَبَقَ له أنْ سَمِعَهُ، وهناك الذاكرةُ (الذَّوقية) وهو أن يَذْكُرَ الإنسانُ طَعْمَ شيءٍ سَبَقَ لـهُ أن ذَاقَهُ، وهنـاك الذاكـرةُ (الشَّمِّيةُ) وهـو أن يذكُرَ الإنسـانُ رَائِحَةً سَبَقَ له أنْ تَشَمَّمهَا، وهنـاك الذاكـرةُ (النُّطقيـة) وهـو أن يذكُرَ الإنسـانُ مَا صَدَرَ منهُ مِن قولٍ..

فهذه هي الذاكرةُ، وهي مُعَقَّدةٌ جـدّاً لكثرةِ مَا لَـها مِـن تَفَـاصيل، و(الذاكِرَةُ الرُّوحانيّة) هي الوعي الرُّوحاني، وهو أنَّ كلَّ الذَّاكرة نشيطة، وإذا كَسلَت لـدى إنسانٍ أي: من الذاكرات الخمس، شعَرَ الآخرونَ أنَّ فلاناً أقرب إلىٰ الجنونِ، أمَّا إذا تَعَطَّلت أحدُ الذاكرات فَستعلقُ في العقلِ لَدَى الإنسـانِ المصـابِ آخر كَلِمَـةٍ في الذاكـرةِ فيبـدأ بتكريرهَـا حتَّىٰ يُصْبـح مَن حولَـهُ يَتَّهمونَـهُ بـالجنونِ، وأمَّا إذا فقـد الإنسانُ الذاكرات الخَمْس فهو مصابٌ بفقدانِ الوعـي الرُّوحـاني، فيكـون صِحِّياً علىٰ أفضلِ حالٍ، لكنَّهُ عَقلِيّاً، لا يَفْقَه مِن الدُّنيا أيّ شَيءٍ.

اللَّهمَّ إنَّا نسألُك العفو والعافيةَ في الدِّينِ والدُّنيا والآخرةِ.

❖ ❖ ❖

(١٠) الشذوذ الجنسي

نتحدثُ في هذا البابِ عَن مَرضٍ شيطانيّ مُستَعْصٍ مُنْتَشِرٍ وهو (الشُّذوذُ الجنسيّ) والغريب في هذا المرض أنَّه لا يُفَرِّقُ بين كبيرٍ ولا صَغيرٍ، ولا بينَ رَجُلٍ ولا امرأةٍ، ولا بينَ مُتَدَيِّن ولا شرِّير، فهذا المرضُ يغزُو كلّ صَاحِب أو صاحِبَة نفسٍ مَريضةٍ، وهو ثغرةٌ يُسَيْطِرُ بها الشَّيطانُ علىٰ الإنسانِ، ويُعزى هذا المرض عند الكثيرين لسِنِّ المراهَقَةِ المبكِّرةِ منهَا، أو حتَّىٰ ما يُسَمَّىٰ بمراهَقَةِ الأربعين أو السِّتين، فَمِن هذا المنطِق الغريب، أصبحَ الرَّجُل المصابُ لا يطيق العَيْشَ إلاَّ بصديقةٍ يُشْبعُ بها غَريزَتَهُ الشَّيطانية، وأصبحت المرأةُ مولعة بِعلاقاتِها غير الشَّرعِيّة، كي تُرْضِي شُذوذَها، وتجد ـ علىٰ حدِّ زَعْمِهَا ـ حُلُولاً لظروفِها السَّيئة وواقِعِها الأليم، أو زمالة المدارِس أو مَا يُسَمّىٰ (بالحبِّ) الَّذي يُبَرِّر الاختلاطَ والخلوةَ سَواء بينَ طُلاَّب المدارس أو طلاَّب الجامِعَات إلىٰ غيرِ ذلك..

وصَاحِب هذا الوباء غالباً رُبَّما يَتُوب باليوم أكثَر مِن مَرَّة، ولكن تَوبَتَهُ مؤقّتة، فيتوب باللَّيل ويرجع بالنَّهار وبالعكسِ، أو يَتُوب أثناء البُرود، ويرجع أثناء اللِّقاء، أو امرأة تَتُوب وتَرْجع وتَقُول: أنا غير قَادِرَة أن أعيش بدونِهِ، ويصبحُ زوجُها الَّذي تربطُهَا به العلاقةُ الطيبةُ الطاهرةُ، مكروهاً منبوذاً من قِبَلِها لا يَصْلُحُ فيهِ إلاَّ جيبُهُ..

والنَّوع الثاني: هو مَن يمارس الشُّذوذَ مَع زوجتِهِ ولسانُ حالِهِ يقولُ لِزَوْجَتِهِ: اعملي كذا وإلاَّ تَزَوَّجت عليكِ، فيمارسُ معها الجماع من الدُّبر ـ والعياذُ باللهِ ـ وكأن ما يَفْعَلهُ حلالٌ، والمرأة إمَّا أن تكونَ علىٰ شاكِلَتِه وإمَّا أن تكونَ مكرهةً.. وفي الحديث الصَّحيح عن النبيِّ ﷺ قالَ: «مَن أتىٰ النِّسَاءَ في أعْجَازِهِنَّ فَقَد

كَفَرَ». [رواه الطبرانيّ في الأوسط، ورواته ثقات. وهو حديثٌ صحيحٌ لغيره].

وهناك مِن لا يحلُو لهُ معاشرة زوجَتِهِ إلاَّ وهي في فترةِ الحيضِ.. واللهُ تعالىٰ يقول: ﴿وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وهناك ما يُسمَّىٰ بالشذوذِ الأعتىٰ فيصلُ لِدَرَجَةِ اللّواط والسِّحاق بين النِّساءِ، وما أدراك ما اللّواط والسِّحاق، وهذهِ رذيلةٌ مِنَ الدَّرجة الأولىٰ ومُنتشرة بطريقة غير عاديّة بينَ المسلمين ـ وللأسف ـ ماذا نَقُولُ وماذا نَفْعَل، نسألُ اللهَ أن يَرْفَعَ عنَّا كيدَ الشَّيطان لأنهُ بحقّ للإنسان عدوٌّ مبينٌ..

فأرجو أن تكونَ قَد عَرَفْت مَن هُو عَدُوّك الحقيقيّ والَّذي يهيجك لِتُقْدِم علىٰ هذهِ التَّصرفات، كما أني أرجُو أن تَتخَلَّىٰ عنه.. إنَّهُ إبليسُ اللَّعين، وللخلاصِ منه، ارجع إلىٰ اللهِ بِتَوبَة نَصُوحَةٍ واستغفرْهُ إنَّهُ كانَ غفّاراً..

❖ ❖ ❖

الشباب والعادة السرية

تعتبرُ ممارسةُ العادةِ السِّرية «الاستمناء» واحدةٌ مِن الظواهِر السَّلبية في حياةِ بعضِ الشَّباب المسلِم، والَّتي نحتاج مَعَهَا لوقفةٍ جادَّة تُوضح ما لهذِهِ العادةِ من آثارٍ ونتائج سلبية يَتجَاوَزُ ضررُها في الغالبِ الشَّخص إلى مجتمعِهِ، وتأتي الخطورةُ الأكبر لهذِهِ العادة لدَى مَن يعتادُونَ عليها ويعتبرونَها الخلاص والحلّ الوحيد لحفظِ النَّفس مِنَ الزِّنا.

ويصنّف هؤلاء بأنهم مُدمنونَ وهم مهدَّدونَ بالكثير مِنَ الأعراض الصِّحية والنَّفسيةِ إلى جانبِ الإثم الَّذي يُوقِعُونَ فيهِ أنفسَهُم، وممارسة هذِهِ العادة لا يُغْنِي النَّفس أبداً عَن الزَّواج والانسياق وراء الشَّهوات، فنجد مَن يمارسونَ هذهِ العادَةَ بكثرةٍ هُم أكثر مَن يُشَاهِدُونَ الصُّور والمناظِر الخليعة، وهُم أكثر مَن يَنْسَاقُون وراءَ المحرَّمات مِن اغتصابٍ ولواطٍ، وهذا تَدميرُ الشَّخصِ لِنَفْسِهِ وإضرار لمجتمعهِ.

وهنا يَتَّضح للعاقِل أنَّ أهمَّ وأنجعَ الحلول تَفْريغ هذهِ الطَّاقة في مكانِها الصَّحيح، وذلكَ بالتَّحصن والزَّواج الشّرعيّ، ولَقَد صَدَقَ قولُ الشَّاعِر حينما قالَ:

صاحبُ الشَّهوة عبدٌ فإذا غَلَبَ الشَّهوةَ صَارَ السَّيِّدا

عجز وندم

أمَّا المشاكلُ الصِّحيّةُ والنَّفسيةُ والاجتماعيّةُ التي أفرزتهَا ممارسَةُ هذِهِ العادَة في مجتمعاتنا كثيرة، ومنهَا:

١ العجزُ الجنسِيّ بشكل عام:

حيثُ عُرِفَ مِن الشَّباب مَن يخافون مِن الإقدام على الزَّواج وأصبحُوا يتردَّدُون على العياداتِ التَّخصصيَّة بحثاً عَن علاجٍ لمشكلاتِهم الجنسِيَّة الَّتي تَتمَثَّل

في سرعةِ القَذْف، وضَعْفِ الانتِصَاب، وقِلَّة الرَّغبةِ الجنسيَّةِ، وأصبَحَ البعضُ نتيجةً لذلكَ يهرعونَ إلىٰ المقوّيات الجنسيّة، ويغفلونَ آثارَهَا الجانبية بحثاً عمَّا أضاعُوهُ!

٢ سقوط المبادئ والقِيم:

فالمنساقُ خَلْفَ هذهِ العادَةِ ضَعيفُ الشَّخصيةِ، تجرُّهُ شَهوةٌ مِن شهواتِهِ إلىٰ الوقوع في الحرَام، ولو علىٰ حسابِ السُّمعَةِ والصِّحةِ والدِّين والمبادئ.

٣ الإنهاك والضَّعف العام:

ومن ذلك إرهاقُ الأجهزةِ العَصبيةِ والعضليَّة، وآلام الركبِ والمفاصِل. وتقولُ إحدى الدراسات الطبية: «إنَّ قَذْفَ مرَّةٍ واحدةٍ تُعَادِل مجهود مَن ركض ركضاً مُتَواصِلاً لمسافةِ عِدَّة كيلومترات». وللقياس علىٰ ذلكَ يمكِن لمن يُريدُ أن يتصور الأمرَ بواقعيّة أن يركُض كيلو متراً واحداً ركضاً مُتواصلاً وليرَ النَّتيجَةَ.

٤ ضعفُ الذاكرة:

حيثُ إنَّ مَن يُدْمِن هذهِ العادةَ يُلاحَظُ عليهِ النِّسيان وعَدَم سُرعَةِ البديهةِ، ويُؤثر ذلكَ علىٰ إنتاجِهِ ومجهودِهِ الفِكْريّ. وربَّما إن أكثرَ منهَا أُصيبَ بالجنونِ المؤقت، ولقد رأيتُ بعضَ هؤلاء الشباب حينَ صارحوني بفعلها، أنَّ الواحدَ منهم يُرى علىٰ هيئةِ المصرُوع والعياذُ باللهِ..

٥ الشعور بالذنب والندم والحسرة:

فَرَغْمَ الشُّعور اللَّذيذ الَّذي ربما يَنْتَاب الشابَّ حينَ القِيام بهذهِ الفِعْلَةِ الشَّنيعةِ والوصُول إلىٰ النَّشوةِ للحظاتٍ، إلاَّ أنهُ سُرعَان مَا تَنْقَلِب تلكَ المشَاعِرُ إلىٰ إحساسٍ بالذَّنب والحسرَةِ، ويشعُرُ أَنَّهُ لم تنطفئُ شعلَةُ غريزَتهِ فربَّما عاودَ الكرَّة.

⑥ الشعور بالإكتئاب والحزن الشديد:

فهذِهِ العادةُ القبيحةُ تُورثُ اكتِئاباً وضيقاً في الصَّدْر وشُعوراً بالإثم، ويكرَه فاعِلُها أشدَّ الكراهيةِ أن يَعْلَمَ الَّذين يَعرفُونَهُ أنَّهُ يُمَارسُهَا..

طرق العلاج:

للانتصارِ علىٰ هذهِ العادةِ فإنَّ هناكَ عِدَّةَ أمور يجبُ أن يَتَشَبَّث بهَا مَن ابتِلـيَ، حتَّىٰ تكون له حرزاً ووقايةً بإذنِ اللهِ، ومِن ذلكَ:

(١) اللُّجوء إلىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ والتَّقرب إليهِ بالواجباتِ والنَّوافل، فإنَّ مَن قَدِم علىٰ اللهِ حفظَهُ وحفِظَ جَوارِحَهُ وعَصَمَهُ مِنَ الشَّيطانِ ووسَاوسِهِ.. وفي الحديث الصَّحيح: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تَعَالىٰ قالَ: مَنْ عادَى لي وليّاً فَقَدْ آذنتُهُ بالْحرْبِ، وما تَقَرَّبَ إليَّ عبْدِي بِشْيءٍ أحبَّ إلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْت عليْهِ، وما يَزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِل حتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإذا أحبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يسْمَعُ بهِ، وبَصَرَهُ الَّذي يُبصِرُ بِهِ، ويدَهُ التي يَبْطِشُ بِهَا، ورِجلَهُ التي يمْشِي بِهَا، وَإنْ سألَنِي أعْطيْتُهُ، ولَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ». [رواه البخاري].

(٢) ومن أهمّ الأسباب المعينة علىٰ تركِ هذهِ العادة (الزَّواج) إن تَيَسَّر وهُو سيكونُ بإذنِ اللهِ عِصْمَةً وحافظاً للدِّين والنَّفس، لِذَلكَ ينصح الدِّينُ الحنيف الشبابَ بالإسراع في الزَّواج. وفي الحديث الذي رواه البيهقي، قال ﷺ: «إذا تزوَّجَ العبدُ فقدِ استكْمَلَ نِصفَ الدِّينِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ في النِّصفِ الباقي». [حديثٌ حسن].

وفي الحديث الصَّحيح، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن كَانَ مِنْكُمْ ذَا طَولٍ فَلْيَتَزوَّجْ، فَإنَّهُ أغضُّ لِلطَّرْفِ، وَأحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَن لا، فَإنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ». [رواه أحمد].

(٣) ومن أنجع العلاجات الابتعاد عن أماكِن اللَّهو والشَّهوات والاختلاط، وذلك باتِّقاء أماكِن التَّجمعات المختلَطةِ كالأسواق وغيرِها إلاَّ للضَّرورة القُصوى، وإن كان لا بُدَّ فليتحرّ الرِّجالُ الأوقات التي يَقِلُّ فيها وجودُ النِّساء في هذه التَّجمعات، مثل الصَّباح أو بداية العَصْر وكذلكَ الأمر بالنِّسبة للنِّساء، وإذا حدثَ وتمَّ مصادفة ما يَفتِن ليسَ للمرءِ أن يَنْظُرَ إلىٰ هذهِ الفِتْنَةِ ويحدِّق النَّظَرَ فيهَا، بَل يجب غضّ البَصَر فوراً كي يبدِّل اللهُ هذهِ الفِتْنَةَ بلذَّة إيمانٍ يجدُهَا العبدُ في قَلْبِهِ.

(٤) ومن أهمِّ مسبباتِ هَذِهِ العَادَةِ وغيرها مِنَ الفواحِش مشاهدَة الفَضَائيّات، حيثُ باتَ مِن الأمورِ القاطِعَةِ لَدَى الصَّغير والكَبير والجاهِل والمثَقَّف مَدَى الإفساد والانحلال والمحرّمات الّتي تَبُثّها هذهِ القَنَواتُ بدءاً بالانحرافاتِ العَقَدِيَّة ومرورًا بالإغراءاتِ الجنسِيّة، والّتي هي محورُ رسالتنا، وانتهاءً بدعوى التَّحرُّر والإباحيَّة وخَرْق حواجِز الدِّين والعِفّة والحياء.

(٥) ومِن أسبابِ السَّلامةِ أيضاً تَجَنُّب الأوضَاع الَّتي تذكِّرك بهذهِ العادَةِ أو الحاجةِ إليها، فإذا كانَ الشيطانُ يُسَوِّل لكَ فِعلَها في أوقاتِ الفَرَاغ فاشغل نَفسَك بالمفيدِ والمباح، وإن كانَت النَّزوة تأتيكَ في ساعاتِ الوحدةِ فَتَجَنَّبهَا وهكذا..

عندئذ إذا كُنتَ ممّن يُدمنُون عليهَا وتركتَهَا فإنَّك ستَفْتَخِر بكلِّ يوم قاومتَهَا فيهِ.

وأخيراً سوفَ تكون أكثَر سعادةً و اعتزازاً حينمَا تحسِب الأسابيع الَّتي مَرَّت عليكَ ولم تَفْعلهَا، وحينما يأتيكَ ذلكَ الشُّعُور مرَّةً أُخرَى طالباً إرضاءه يمكنُكَ أن تَقُولَ لِنَفْسِكَ: «لَقَد قاومتُهُ كُلّ هَذِهِ المدَّة الطويلة.. أياماً وأسابيع وإذا مَا أخفقت الآن فسيضيعُ كُلّ شَيءٍ».. وختاماً: استَعِن باللهِ ولا تَعْجَز، واستَحْضِر إرادَتَكَ واشحَذ عَزيمَتَكَ.. وعليكَ بمداومةِ الدُّعاءِ للهِ تَعالىٰ، وإيَّاك أن يخدعكَ الشيطانُ.

الاستمناء من وجهة نظر شرعية

هي محرَّمةٌ بِلا شَكّ والأدلةُ عَلىٰ ذلكَ قولهُ تَعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٧]. والعادونَ هُم الَّذين يَتعَدّونَ حُدُودَ اللهِ تَعَالىٰ، ويَدُلّ علىٰ تحريمهَا أيضاً قول النبيِّ ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ». [رواه مسلم].

وأمَّا الرخصةُ فقد نُقِلت عَن الإمام أحمَد ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فَقَط لمن خَشِيَ علىٰ نفسِهِ الزِّنا أو الفَاحِشَةَ، وما عَدا ذلكَ فَيَحْرُم استعمالُها، واختار هذا القولَ شَيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ.

❖ ❖ ❖

قصصٌ من ضحايا الشيطان

قصص من الواقع لبعض من غرَّرَ بهم الشَّيطان فارتكبوا حماقاتٍ وجرائم بحقِّ أنفسهِم وحقِّ غيرهم.. ذكرتُها لتكونَ عظةً وعبرةً لكلِّ من تحدِّثُهُ نفسُهُ بالسَّير خَلْفَ الشَّيطان.. أو طاوعتهُ نفسُهُ بموافقتِهِ ولو بكلمةٍ أو إشارةٍ أو هَمسةٍ.. ولم أعتَمِد موضوعاً واحداً، أو ترتيباً خاصّاً لها.. إنَّما تندرج تحتَ ضَحَايا الفضائيات.. الإنترنت.. المخدرات.. الخدم والسائقين.. إلخ..

راجياً من اللهِ تعالىٰ بهذا العملِ الذي جمعتُهُ أن يكتُبَ لي ولهُ القبولَ ويُعينني علىٰ نَشْرِهِ رغماً عَن أنفِ الشَّيطانِ الرَّجيم، وأن يَعصِمَني وذرِّيتي والمؤمنينَ مِن شرِّهِ ونفخِهِ ونفثِهِ، وأن يُعينَنِي علىٰ نَشْرِ الخيرِ بين المسلمين وأن يكتُبَ لي الإخلاصَ والتوفيق آمينَ..

قابيل

وهو أوَّل ضحيةٍ في الأرض من ضحايَا الشَّيطانِ، حيثُ وسوسَ لهُ قتلَ أخيه فقَتَلَهُ، قالَ تَعَالىٰ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

قالَ القرطبيُّ: كانَ إبليسُ أوَّلَ مَن سنَّ الكُفرَ، وقابيل أوَّلَ مَن سنَّ القتلَ، وإنَّه كان أصل ذلكَ كلِّه الحسد.

وقال ابنُ كثير في تفسيرِهِ: إنَّ اللهَ تَعَالىٰ شرعَ لآدمَ عليهِ السَّلام أن يُزَوِّج بناته من بنيهِ لِضَرُورةِ الحال، ولكن قَالُوا: كانَ يُولد لَهُ في كلِّ بطنٍ ذُكر وأنثىٰ، فكانَ يُزَوِّج أنثىٰ هَذا البَطن لِذكرِ البطنِ الآخر، وكانَت أخت (هَابيل) دميمةً وأخت (قابيل) وضَيئةً، فأرادَ أن يَسْتَأثِرَ بها علىٰ أخيهِ، فَأبىٰ آدمُ ذَلكَ إلاَّ أن يُقرِّبا قرباناً، فَمَن تُقُبِّل منه فَهِي لَهُ، فَتُقُبِّل مِن هابيل، ولَم يُتَقَبَّل مِن قَابيل، فكانَ مِن أمرهِمَا مَا قَصَّهُ اللهُ لنا في كتابِهِ.

قالَ السّدي عَن ابنِ عباس، وعن ابنِ مَسعود: فَقَرَّبا قرباناً إلىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أيهما أحقّ بالجاريةِ، فَقَرَّب هَابيل جذعةً سمينةً، وقرَّبَ قابيل حزمةَ سُنبل، فوجد فيهَا سُنبلةً عظيمةً فَفركَهَا وأكلَهَا، فَنزَلَت النَّارُ فأكلَت قُربانَ هابيل، وتركَت قُربان قَابيل، فَغَضِبَ، وقالَ: لأقتُلَنَّك حتىٰ لا تنكح أختِي، فَقَالَ هَابيل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [رواه ابن جرير]. أي: ممن اتَّقىٰ اللهَ في فِعْلِهِ ذَلِكَ.

وقوله تَعَالىٰ: ﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]. يقولُ لَهُ أخُوه الرَّجُلُ الصَّالح الَّذي

تَقَبَّلَ اللهُ قُربانَهُ لِتَقْواه، حين تَوَعَّده أخوه بالقَتْل عَن غير ما ذَنْب مِنْهُ إليه ﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾ أي: لا أقابِلُكَ علىٰ صَنيعِكَ الفَاسِد بمثلِه، فأكون أنا وأنتَ سَواء في الخطيئةِ ﴿إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: مِن أن أصنعَ كما تُريد أن تَصْنَع بَل أصبر وأحتَسِب، وقال ابنُ جَرير عَن عبدِ الله بن عمرو قالَ: وايم اللهِ إن كانَ المقتولُ لأشدّ الرَّجُلين، ولكن مَنَعَهُ التَّحرج أن يَبْسُطَ يَدَهُ إلىٰ أخيهِ.

وقولُهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩]. قالَ ابنُ عَبَّاس ومجاهد: أي: بإثم قَتْلِي وإثمك الَّذي عليكَ قَبْلَ ذَلِكَ، وقالَ آخرونَ: يعني بذلكَ: إني أُريدُ أن تَبُوءَ بخطيئَتِي فَتَتَحَمَّل وزرهَا وإثمك في قتلك إيَّاي.

وعَن مجاهد يَقُول: إنِّي أُريدُ أن يكونَ عليكَ خطيئتي وَدَمِي، فتبوء بهمَا جميعاً.

فإن قيل: كيفَ أرادَ هَابيل أن يكونَ عَلىٰ أخيهِ قَابيل إثم قَتْلِهِ؟ والجواب: أن هابيلَ أخبَرَ عَن نفسِهِ بأنهُ لا يُقاتِل أخاه إن قَاتَلَهُ هوَ، بَل رفعَ عَنْهُ يَدَهُ طالباً إن وقَعَ قَتْلٌ أن يكونَ مِن أخيهِ لا مِنْهُ. وهَذا الكلامُ متضمنٌ موعظةً لَهُ لَو اتَّعظَ وزَجراً لو انزجَرَ، ولهذا قَالَ: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ أي: تَتَحَمَّل إثمي وَإثمكَ ﴿فَتَكُونَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ قالَ ابنُ عباس: خوَّفه بالنَّارِ فَلَم يَنْتَهِ ولم يَنْزَجِر.

وقولُهُ تَعَالىٰ: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠]. أي: فحسَّنت وسَوَّلَت له نَفْسُهُ وَشَجَّعتهُ علىٰ قَتْلِ أخيهِ فقتَلَهُ أي: بَعْدَ هذهِ الموعِظَةِ، وهذا الزَّجر. فَقَتَلَهُ بحديدةٍ كانت في يَدِهِ.

وقالَ السّدي: فَطَلَبَهُ قابيلُ ليقتُلَهُ فراغَ منهُ هابيلُ إلىٰ رؤوس الجبالِ، فأتاه

يوماً مِنَ الأيَّام، وهو يَرعىٰ غنماً له، وهو نائم، فرَفَع صخرةً فشَدَخَ بها رأسَهُ فمَات، فتركَهُ بالعراءِ. [رواه ابن جرير].

وعَن بعضِ أهل الكتابِ أنهُ قتلَهُ خنقاً وعضّاً كما تَقْتُل السِّباع.

وقالَ ابنُ جَرير: لما أرادَ أن يَقْتُلَهُ جعَلَ يلوي عُنُقَهُ، فأخذَ إبليسُ دابّةً ووضَعَ رأسهَا علىٰ حَجَرٍ ثمَّ أخذَ حجراً آخرَ فضرَبَ بهِ رَأسَهَا حتَّىٰ قتلَهَا، وقابيلُ ينظرُ، فَفَعَلَ بأخيهِ مِثْلَ ذَلكَ.

وقَولُـهُ: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: في الدُّنيـا والآخِـرَةِ، وأيُّ خسَـارَةٍ أعظَم مِن هذهِ!!.

وعَن عبدِ اللهِ بن مَسعُود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسـولُ اللهِ: «لا تُقْتَـلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إلاَّ كَانَ عَلَىٰ ابْنِ آدمَ الأوَّلِ كِفْلٌ مِن دَمِهَا، لأنَّهُ كَانَ أوَّلَ مَن سَنَّ الْقَتْلَ». [متفق عليه]

وقولُهُ تَعَالىٰ: ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَـهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَن أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

قالَ السّدي: لما مَاتَ هابيلُ تركَهُ قابيلُ بـالعراءِ ولا يَعْلَم كيفَ يَدفنُ أخاه، فَبَعَثَ اللهُ غُرَابين أخوين، فَاقتَتَلا فقَتل أحدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَحفَرَ لَهُ، ثمَّ حثَىٰ عليهِ التُّرابَ، فَلمَّا رآه قَالَ: ﴿يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَن أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾؟ وقالَ الضَّحاك: عن ابن عبَّاس: مكَثَ يحملُ أخاه في جرابٍ علىٰ عَاتِقِهِ سَنَةً حتَّىٰ بَعَثَ اللهُ الغُرابين فَرآهمَا يَبْحثـان فَقَـالَ: ﴿يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَن أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾؟ فَدَفَنَ أخاه.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ قالَ الحسنُ البصري: عَـلاهُ اللهُ بِنَدَامَـةٍ بَعْدَ خُسران. واللهُ أعلم.

فرعون

إنَّهُ الطاغيةُ المتكبِّر فرعون.. الذي رضخَ للشيطانِ وعملَ بكلِّ ما أملاهُ عليه، فكفرَ باللهِ وبغىٰ في الأرضِ الفساد.. وقالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ وقالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: من الآية ٣٨]. وهوَ الذي ذبَّح أبناءَ بني إسرائيلَ واستحيىٰ نساءهُم وجعلَ أهلَها شِيعاً.. وهو ذو الأوتاد.. نعم لَقَد بَغىٰ فرعونُ وطَغَىٰ، فبعثَ اللهُ تعالىٰ إليهِ مُوسىٰ وهارونَ عليهما السلامُ ليذكِّراهُ باللهِ تعالىٰ، وأمرهُما أن يقولا لهُ كلاماً ليِّنا لعلَّهُ يذَّكرُ أو يخشىٰ، قالَ تَعالىٰ: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أو يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣- ٤٤].

ولكن فرعونَ أصرَّ واستكبرَ وعتىٰ وبَغىٰ وتجبَّر فأخذَهُ اللهُ وجنودَهُ نكالَ الآخرةِ والأولىٰ. قالَ تَعالىٰ: ﴿هَل أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝ إذ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ اذْهَب إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ فَقُل هَل لَّكَ إِلَىٰ أن تَزَكَّىٰ ۝ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝ فَأَرَاه الآيَةَ الْكُبْرَى ۝ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝ فَحَشَرَ فَنَادَى ۝ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ۝ فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات].

ولَمَّا بلَّغَ موسىٰ عليهِ السَّلام رسالتَهُ إلىٰ فرعونَ ولم يُؤمن بل هدَّدَ وتوعَّدَ، أمرَ اللهُ تَعالىٰ مُوسىٰ عليهِ السَّلام أن يأخُذَ بني إسرائيلَ وَيَسير بهم باتِّجاه البحرِ، ولما سارَ القومُ علمَ فرعونُ بذلكَ فجمَعَ جنودهُ وجيوشَهُ للحاقِ به، وَعِنْدَمَا أشْرَفَ فِرْعَوْنُ علىٰ المكَانِ الَّذي عَبَرَ مِنْهُ مُوسَىٰ وَبَنُو إسْرَائيلَ رَأى طَرِيقاً في البَحْرِ لا وُعُورَةَ فيهِ، فَطَمِعَ أن يَعْبُرَهُ مَعَ جُنُودِهِ، وَأَصْدَرَ أوَامِرَهُ إلىٰ الجُنُودِ بِالعُبورِ..

حَتَّىٰ إذا كَانَ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ في وَسَطِ الطَّرِيْقِ وكَانَ بَنُو إسْرَائِيْلَ جَمِيْعاً قَد وَصَلُوا إلىٰ الشَّاطِئِ الثَّانِي ، جاءَ أَمْرُ اللهِ الَّذِي لا يُعْجِزُهُ شيءٌ في الأَرْضِ ولا في السَّمَاءِ وَأَطْبَقَتِ المِيَاهُ المُنْحَسِرَةُ مِن البَحْرِ علىٰ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ فَغَرِقُوا جَمِيْعاً ، وَلَم يُفْلِت مِنْهُم أحَدٌ وكَانَت لَحْظَةُ الغَرَقِ مَرِيْرَةً علىٰ نَفْسِ فِرْعَوْنَ فَجَعَلَ يَصْرُخُ قَائِلاً : ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لا إلهَ إلاَّ الَّذِي آمَنَت بِهِ بَنُو إسْرَائِيْلَ وَأَنا مِنَ المُسْلِمِيْنَ﴾ [يونس: ٩٠]. ولكِنَّ اللهَ لَم يَقبل تَوبَتَهُ لأَنَّهُ تَابَ مُضطراً فَأَغْرَقَهُ وَأَلْقَىٰ بِجَسَدِهِ عَلَىٰ الشَّاطِئِ لِيَقُولَ لَهُ وَلِكُلِّ طَاغِيَةٍ مُتَجَبِّرٍ مَغْرُورٍ: ﴿فَالیَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَن خَلْفَكَ آيةً وَإِنَّ كَثِيْراً مِنَ النَّاسِ عن آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

وروى أحمد والترمذي ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا قَالَ فِرْعَوْنُ: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلاَّ الَّذِي آمَنَت بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] قَالَ: قَالَ لِي جِبْرِيلُ: يا مُحَمَّدُ ، لَو رَأَيْتَنِي وقَد أَخَذْتُ حَالاً مِن حَالِ الْبَحْرِ ، فَدَسَّيْتُهُ فِي فِيهِ ، مَخَافَةَ أن تَنَالَهُ الرَّحْمَةُ».

❖ ❖ ❖

شارون

(يتعفَّنُ وهو حيٌّ)

ذكَرَت وكالاتُ الأنباءِ أنَّ الأطباءَ في مستشفىٰ « هداسا » الَّـذي يَرقُـدُ فيـهِ شارون في غيبوبةٍ كَامِلَةٍ منذُ عِدَّة أسابيع ، قَد أدخلُوهُ غرفةَ العَمليات يَـومَ الجمعَةِ (١٠ فبراير ٢٠٠٦) مِن أجل إجراءِ جراحـةٍ عاجِلَةٍ لاستِئصالِ أجزاءٍ مِن أمعائِهِ تَعَفَّنت مِن جراءِ إصابتِها بالغَرغَرينَا.

هكذا نَرى عَدُوَّ اللهِ والإسلام ، سَفَّاح صَبْرا وشَاتيلا ، وجَزَّار جنين ونَابلِس ، قَاتِل الشَّيخ أحمَد ياسين ، والدكتُور الرَّنتيسي والقـائِد صـلاح شحادَة وغيرهم ، والَّذي ظلَّ طـوالَ حَيَاتِـهِ مطاوعـاً للشيطانِ محارِباً للهِ ولرسُولِهِ وللمؤمنـينَ ، نَـراهُ الآنَ وقَد جعَلَهُ اللهُ عِبْرَةً وعظةً للعـالمينَ وكُـلّ يَـوم يُرينَـا اللهُ فيـهِ آيـةً في أمثالِـهِ مـن الظالمينَ وكيفَ تكونُ نهايتُهم.. إنَّها من أفظعِ وأبشعِ ما أنتَ ظانٌّ وراءٍ.

فهذا المجرم ضربَهُ اللهُ تعالىٰ بدايةً بجلطَةٍ في المخّ الَّذي طالما حاكَ المؤامرات فيهِ ودبَّرَ الاغتيالات وكَادَ للأمةِ المحمَّديَّةِ ليلَ نَهار..

إلىٰ شَلَلٍ تَامّ في أطرافِهِ كُلِّها بحيثُ لا يَستطيع أن يُحَرِّكَ حتَّىٰ جُفُونَ عَينَيهِ وهُو الَّذي قادَ الجيوشَ واكتَسَح سيناءَ ولبنَانَ.. وذَبَحَ الأسرَى المصريينَ ، فهوَ الآن في غيبوبةٍ تامَّةٍ فلا يَعْلَمُ مَا يَدُورُ حَوْلَهُ مِن قَريبٍ ولا بَعيد..

وهُو الَّذي كانَ يَتحكَّم في الدُّول ويَلْعَب بحكَّامِهَا ، كما يَلْعَبُ الصغيرُ بكرتِهِ.. لقد يئسَ أطبَّاؤهُ من الشفاءِ..

وأخيراً يُرينَـا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في هـذا الطَّاغيـةِ السَّفَّاح أعظَـم الآيـاتِ ، فجَسَدُهُ يَتَعَفَّن وهو مازالَ علىٰ قيدِ الحياةِ.. ليكونَ لمن خَلْفَهُ آيةً !!.

عبدة الشيطان

تاريخ عبدة الشيطان في العالم

لقد ظهرت جماعةُ عبدةِ الشيطانِ في مصرَ فجأةً.. لم يكن لها أيّ مقدِّمات تَسبقُ ظُهورها لذلك أصيبَ النَّاسُ بصدمَةٍ كبرى عندما علموا بالقبضِ على (٨٦) شاباً بينهم (٧) فتيات بتهمة « عبادة الشيطان » !.. وراحَ الناسُ يتساءلونَ مَا المقصودُ بعبادةِ الشَّيطان؟.. وأينَ ظهرَت أفكَارُها؟ وكيفَ؟ ومَتَى دَخلَت مِصْرَ؟

في الحقيقة يرجعُ أصلُ عبدةِ الشَّيطان كما تقولُ الباحثةُ الأمريكيةُ « اليزابيث باريت » من جامعة (ايلينوي) إنها إحدى الطوائِف الَّتي تندرجُ تحت الوَثنيةِ حيثُ إنَّ كلَّ ممارساتها وطقوس أفرادها اِنتهاكاً صارخاً للقانونِ مثل: (تعَاطي المخدرات، وشرب الخمورِ، والجنس الجماعي، والشُّذوذ، والسَّرقة..).

وتؤكد الباحثةُ أنَّ عبادَةَ الشَّيطان ظهرَت في أوربَّا في بدايةِ القَرن الثالثِ عَشر وقام أعضاؤها بممارسةِ السِّحرِ « الأسودِ » ووصلَت ذروتُها إلى أن دَعَت كنَائِسُ أوروبا إلى الدَّعوة إلى حَرْقِ عَبَدَةِ الشَّيطان بهدفِ اقتِلاع جذورِ الممارساتِ الشيطانية.

- أما ظهورُ فِكرِ عَبَدَةِ الشَّيطان الحديثِ فرجع إلى قيام يَهودي مِن أصل أمريكي اسمه « أنطوان تليدر ليفي » بتأسيس معبدٍ للشَّيطان في (سان فرانسيسكو) في إبريل عام (١٩٦٦م) وظلَّ يَدْعُو إلى عبادةِ الشَّيطان وخَرَجَت دعواتُه إلى أوروبَّا وأستراليا لكنَّها ظَلَّت عاجزةً عَن دُخُول العَالم الإسلامي والشَّرق الأوسَطِ حتَّى تمكَّنت أفكارُ عبدةِ الشَّيطان من دُخُول الشَّرق عَن طريق جماعةِ (الهيبز) التي تُشَابِه عَبَدَة الشَّيطان في طقوسِهَا مستَغِلِّين موسيقى

« الروك » التي يميلُ الشبابُ الشَّرقي إلىٰ الاستماع إليهَا خاصَّة أبناء الذَّوات.

وأكثر الدُّول الأوروبية التي كانت تُمَارس فيها جماعات عبدَةِ الشَّيطان طقوسَها (ألمانيا) حيث منطقة « برواكن بابك » في جبال « هيرتس » الشَّهيرة التي تُعَدُّ منطقةً مقدسةً لدى عبدةِ الشَّيطانِ وَيعتَقِدُونَ أنَّ العهدَ الموقَّع بينَ الشَّيطان والزَّعيم الروحي الدكتور « فاوست » وقعَ في هذه المنطقةِ. ويُقَام عليها احتِفَالان كبيران كُلَّ عام في بدايةِ شَهري (مايو، وأغسطس) يحضرُهُ عبدَةُ الشَّيطان من كلِّ مكانٍ.. وكانت الحكومةُ الألمانيةُ تَتْرُك أعضاءَ الجماعةِ يمارسون طقوسَهُم بكلِّ حريةٍ حتَّىٰ لا تُتَّهُم باضطهادِ الحرياتِ، حتَّىٰ فُوجئت بوجودِ ضَحَايا كثيرينَ للطقوسِ، حيثُ يقومُ عَبَدَةُ الشَّيطان بقَتْلِ الأطفال ليَشْرَبُوا دماءهم، ويُلَطِّخُونَ بها أجسَادَهُم ووجوهَهُم.. ويرتكبونَ جَرائمَ كثيرة تحت تأثير المخدراتِ.. لذلك أصبحت السُّلطات الألمانية تطاردهم.

وفي أمريكا ألقَت الشُّرطَةُ القبضَ علىٰ عددٍ مِن عبدةِ الشَّيطان بَعْدَ قيامهم بسرقةِ كمِّيةٍ كبيرةٍ من الدِّماء من أحدِ المستشفياتِ.

حقيقةُ عبدة الشيطان

قوم اتخذوا من إبليس ـ لعنهُ اللهُ ـ معبوداً، ونَصَّبُوه إلهاً، يَتقَرَّبُونَ إليهِ بأنواع القُرَبِ، واختَرَعُوا لهم طقوساً وترَّهات سمُّوها عبادات يَخْطبُونَ بها وُدَّه، وَيطْلُبُونَ رِضَاه.

نشأة هذه العبادة

هذا الفكرُ المنحرفُ فِكْرٌ قديمٌ، ولكن اختَلَف المؤرخونَ في نَشْأتِهِ

وبدايَةِ ظُهُورِهِ: فَذَهَبَ بعضُهُم إلىٰ أنَّه بدأ في القرنِ الأوَّل للميلادِ عندَ «الغنوصيين» وهؤلاء كانوا ينظرونَ إلىٰ الشَّيطان علىٰ أنه مُسَاوٍ للهِ تَعَالىٰ في القُوَّة والسُّلطان.. ثمَّ تطور هؤلاء إلىٰ «البولصيين» الَّذين كانُوا يؤمنونَ بأنَّ الشَّيطانَ هو خَالِقُ هذا الكونِ، وأنَّ اللهَ لَم يَقْدِر علىٰ أخذِهِ منهُ، وبما أنَّهم يعيشونَ في هذا الكونِ فلا بُدَّ لهم من عبادةِ خَالِقِهِ «المزعوم» إبليس.

كما وجدَت تلكَ العبادة في بعض «فرسان الهيكل» الَّذين أنشأتهم الكنيسةُ ليخوضُوا الحروبَ الصَّليبية سنة (١١١٨م) وهزَمَهُم صلاحُ الدِّين عام (١٢٩١م).

وقد أُعْدِمَ رَئيسهم «جاك دي مولي» وأتباعه.

وقد صَوَّرُوا الشيطانَ علىٰ شكلِ قِطٍّ أسود، وَوُجِدَت عندهم بَعْضُ الرُّموز والأدوات الشَّيطانية (كالنَّجمة الخماسية) التي يَتَوَسَّطها رأسُ الكبشِ كما يقولُ «داني أوشم».

وقد اختَفَت تلكَ العبادةُ لزمن طويلٍ، ولكنَّها بدأت تَعُودُ في العَصْرِ الحديثِ بقوَّةٍ حتَّىٰ وجدَت منظمات شيطانية لِعَبَدَةِ الشَّيطان كمنظمة (ONA) في بريطانيا و(OSV) في إيرلندا، و(معبد سِت) في أمريكا، و(كنيسة الشيطان) وهي أكبر وأخْطَر هذه المنظماتِ جميعاً، وقد أسَّسها الكاهن اليهودي الساحر (أنطون ليفي) سنة (١٩٦٦م) ويُقَدَّر عددُ المنتمين إليها بـ (٥٠) ألف عضو، ولها فروع في أمريكا وأوروبا وإفريقيا.

الدَّعوات التي يُطلقها «عبدة الشيطان»

ما يقوله «تراولي» وبعده «ليفي» هو أنَّ الشيطان يستحقّ التقدير وأن ينظر إليه، وحسب زعمهم - والعياذُ باللهِ مِن كلامهم - أنَّهُ مظلومٌ من قِبَلِ اللهِ تَعَالىٰ

عندما طرَدَهُ من الجنَّة وهو في الذَّروة في بابِ التَّوحيد، لأنَّه رفضَ السُّجُود لآدمَ، ويزعمونَ أيضاً بأنَّ الدِّين يَعِدُ المؤمنينَ بثوابٍ آجل، لكـن الشَّيطان يترك لأتباعِهِ أن يغنموا من حاضرهم وأن يَتَمَتَّعُوا بما شاؤوا وكيف شَاؤوا.

الأعمال المباحةُ لدى «عبدة الشيطان»

إنَّ أبرزَ ما يبيحونَهُ مِن أبوابِ الفسادِ كما يقـولُ «تراولي» لأتباعه: خُذ مِن الجنسِ مَا شئتَ وكيفَ تَشَاء ومَع مَن تشاء، وعَلىٰ الآخرِ أن يُسَلِّم لكَ، ويمكِّنُكَ مِن المتعةِ الَّتي تُريدها وبهذَا المعنىٰ يَدعُو «عبدةُ الشَّيطان» إلىٰ ممارسةِ الجنسِ وفق الطبيعةِ وخلافاً للطبيعةِ مَع أقربِ النَّاس أي: مَع «المحارم» وهـذا أولىٰ عِنْدَهُم وكَذلك في الممارساتِ الشَّاذة قَد يباشر الأمر أبٌ مَع ابنِهِ أو مَع ابنَتِهِ لذلك لا حدودَ عندَهُم ولا حُرُمَات، وتقومُ طقوسُهُم علىٰ الاجتماع في مَواقع يفضِّلُون أن تكونَ خربةً، أو بيوتاً مهجورةً ونائيةً وقَد رسَمُوا علىٰ جدرانِهَا أشكالاً مخيفَةً كـ(الأفاعي، والجماجم، أو أشكالاً غريبةً..) تدمج فيها أكثرَ مِن حيوانٍ أو هيئة، ويُرافقهم في هذه الجلساتِ الموسيقىٰ الصَّاخبة (HardRock) ويـرددون بعـض الكلماتِ علىٰ شكل أغـانٍ يُنْشَـدُ فيـها المـوتُ والانتحَـار، إضافـةً إلىٰ تعـاطي المخدراتِ والمسكرات بشكلٍ مبالغ به، ومِن مثل هـذه الحـالات قَد يلعقـونَ دِمَاءَ بعضِهِم أو يُمَزِّقُونَ هـرَّةً أو كلباً أو ديكاً ويختـارونَ اللَّـون الأسـودَ مِـنَ الحيوانـاتِ يمزِّقُونه وهو حيٌّ يَعبثُونَ بِدمَائِهِ، وقَد يُقَيِّدون إحدَى الموجـوداتِ مَعَـهُم بسلاسِـل مَع ترك أطرافِهَا ليمارسُوا مَعَهَا الجنسَ بطريقةِ التَّعذيب وهي تُسَلِّم لهم بذلك.

وبرأيهم أنَّ الإنسانَ يَسْتَمِدّ هذه الحرية كما يزعمـونَ مِـن توجيهاتِ الشَّيطان الَّذي يعبدونَهُ، ولذلكَ كانَ مِن مبادئهم أنَّ الإنسـانَ مِـن حَقّـِهِ أن يلبسَ مَـا يشَـاء

وكيفَ يشَاء، وأن يشربَ أو يأكلَ مَا يشَاء، وأن يمارسَ مَا يشاء وَبالشَّكل الَّذي يُريد وأن يموتَ سَاعَةَ يشَاء. وبالنِّسبة لهم الانتحَارُ هو أشبَه بمحطَّةٍ مِن محطاتٍ كثيرة يَتَدَرَّج فيها الإنسانُ لذلكَ لا يرونَ مشكلةً فيهِ.

فلسفتهم في الحياة

عُبَّادُ الشيطانِ قَومٌ لا يؤمنونَ بالله، ولا بالآخرة، ولا بالجزاءِ والجَنَّة والنَّار. ولذلك فقَاعِدَتُهم الأساسيَّةُ هي: التَّمتع بأقصىٰ قَدَرٍ مِنَ الملذّات قبل المماتِ كما يقول اليهودي «لافي» في كتابه (الشيطان يريدك Satan wants you): الحياة هي الملذات والشَّهوات، والموتُ هو الذي سيحرمُنا منها، لذا اغتَنِم هذه الفرصةَ الآن للاستمتَاع بهذه الحياةِ، فلا حياةَ بعدها ولا جنَّةَ ولا نَارَ، فالعذابُ والنَّعيمُ هنا.

الأعياد

عندهم عدَّةُ أعيادٍ في السَّنةِ أشهرُها عيدُ كلّ القِدِّيسين، أو الهالوين (Halloween) ويزعمون أنه يومٌ يسهل فيه الاتِّصالُ بالأرواح الَّتي تطلق في هذه الليلةِ.

طقوس وعبادات

أمَّا طقوسُ القوم فهي بين أمرين: إمَّا طقوس جِنْسِيَّة مفرطة، حتَّىٰ إنَّها تصل إلىٰ درجةٍ مقزّزة ممجوجة إلىٰ الغاية.

وإمَّا طُقُوس دمويَّة يخرجُ فيها هؤلاء عَن الآدميَّةِ إلىٰ حالةٍ لا تُوصَف إلاَّ بأنها فعلاً شيطانية، والَّتي لَعَلَّ أدناها شُرْبُ الدَّم الآدميّ المأخوذ من جروح الأعضاءِ، وليس أعلاهَا تقديم القرابين البشرية «وخاصَّة من

الأطفال» بعدَ تَعْذيبهم بجرح أجسامِهِم والكيِّ بالنَّار، ثمَّ ذبحهم تقرباً لإبليس، علىٰ الجميع لعائن اللهِ المتتابعات.

وقَد أشارَ المؤلِّفُ البريطانيُّ المعاصِر «بنشورن هيوز» أنَّهُ حتَّىٰ القرن السَّابع عَشَر، كان هناك قدرٌ كبيرٌ من الرَّقص الطقوسي في الكنائس الأوروبية، وكان الانغماس العميق في الرَّقص يؤدي إلىٰ انحلالِ قيودِ السَّاحرات، وتفكّك قِوَاهنَّ استعداداً لبلوغ قِمَّةَ السَّبت.

وتلك هي ذروةُ الطُّقُوس الَّتي يضاجعهن فيها الشَّيطان، ويغرق معهن في أشدِّ الملذات الحقيرة إثارةً، ثمَّ ينتهي احتفال السَّبت بعربدةٍ جنسيَّة عارمةٍ لا قُيودَ لها.

ويبدُو أنَّ هذهِ الطُّقُوس لم تَزَل مستمِرَّة حتَّىٰ أيَّامنا هذه، فَقَد أشار سيبروك «seabrook» أنهُ شاهَدَ طقوسَ القُدَّاس الأسوَد في نيويورك وباريس وليون ولندن.

ويصف المؤلفُ البريطاني المعاصِرُ «جوليان فرانكلين» هذه الطقوس قائلاً: يُقَام القُدَّاس الأسودُ في منتصفِ اللَّيل بين أطلالِ كنيسةٍ خربةٍ، برئاسة كاهِنٍ مُرْتَدّ، ومساعداته مِنَ البغَايَا، ويتمّ تَدنيسُ القُربان ببراز الآدميين.

وكانَ الكاهِنُ يرتدي رداءً كهنوتيًا مشقوقًا عِنْدَ ثلاث نقاطٍ، ويبدأ بحرقِ شُمُوع سوداءَ، ولا بدَّ مِن استخدام الماءِ المقدَّس لِغَمْس المعمدين مِنَ الأطفالِ غير الشَّرعيين حديثي الولادة.

ويتمّ تزيينُ الهيكل بطائِرِ البوم والخفافِيش والضَّفادع والمخلوقاتِ ذاتِ الفألِ السيءِ، ويقومُ الكاهِنُ بالوقوف مادًّا قَدَمَهُ اليُسْرى إلىٰ الأمام، ويتلُو القُدَّاس الرُّوماني الكاثوليكيّ معكوسًا.

وبعدهُ مباشرةً ينغمسُ الحاضرونَ في ممارسةِ كلِّ أنواع العربدةِ الممكنَةِ، وكافَّةِ

أشكالِ الانحراف الجنسيّ أمامَ الهيكل.

ويجزم «فرانكلين» أنَّ كثيرًا مِنَ النَّاس في العصر الحديث يجتمعونَ لإقامة (القُدَّاس الأسود) بشكل أو بآخَر، وعلىٰ سبيل الاستدلالِ، فقد اكتَشَفَ حاكم «إيرشاير» في (اسكتلنده) أنَّ هذه الطقوس كانَت تُقَام في إحدَى كنَائِس القرن السَّابع عشر المهجورة التي تَهَدَّمت أركانُها، ومِن بينِ الدَّلائل التي وجَدَهَا نسخة مِنَ الإنجيل مشوَّهة، وزجاجة خَمْر قُربان مكسورة، ورَسم لصليب مَقْلُوب بالطباشير علىٰ الهيكلِ.

وفي عام (١٩٦٣م) كتبت إحدى الأميراتُ قِصَّةً جنسيةً لمجلةٍ بريطانيةٍ عن (القُدَّاس الأسود) الذي شهدته بنفسها.

ومن الحقائقِ المعترفِ بِهَا أنَّ ذلك القُدَّاس قَد انتَشَرَ بشكلٍ كبير في شمالي انجلترا، وأصبحَ شائعًا لدرجةِ مساواتهِ بالأحداثِ البارزة عَام (١٩٦٣) م.

وقَد انتَشَرَت موجةٌ مِن أفلام السِّينما الأوروبية والأمريكية في السَّبعينيات تَتَحَدَّث عَن مثلِ هَذِهِ الطُّقوس بما فيها ممارسة الجنسِ مع الشيطان.

عبدة الشيطان والموسيقى

لعبَّادِ الشَّيطان شعراء مُتَخَصِّصُون في كتابةِ الكلمات الَّتي تعظِّم الشيطانَ وتَسُبّ الرَّحمن، وتُثيرُ الغرائزَ وتُلهبَهَا، كما أنَّ لهم مُلَحّنين دمجُوا تلكَ الكلماتِ بموسيقىٰ صاخِبَة ذات إيقاع سَريع، وهو ما يميل إليهِ شبابُ هَذا العَصْر.

وأكثر ما يَسْمَعُ عُبَّادُ الشيطانِ مُوسيقىٰ «الهيفي ميتال» وموسيقىٰ «الهارد روك» وقد ارتبط هذا النَّوع من الموسيقىٰ بِعِدَّةِ جرَائِم قامَ بها شبابٌ في عمر الخامسةِ عَشْرَة إلىٰ السَّابعة عشرةَ ينتظر عدد منهم حكم الإعدام علىٰ جرائم

تَقْشَعِرّ مِنْهَا الأبدانُ. ولا يقصر عبَّاد الشيطانِ مُوسيقاهم علىٰ أنفُسِهِم بَل يُقيمونَ الحفلات العامَّةِ، ويَنْشُرُون في الأسواقِ أغانيهم الَّتي تَدْعُو لتمجيدِ الشَّيطان والدَّعوة للجنْسِ والقَتْلِ والانتحَارِ.

يؤكد ذلكَ ما قالَهُ (كلين بنتون) قائد فرقة (deicide) يعني: قاتل الإلهَ عندما سُئِلَ عَن أهداف فرقَتِهِ؟ قَالَ: وضع مُوسيقىٰ تَدْعُو إلىٰ الشَّرِّ بقدر المستطاع، لكي نَفُوزَ بالدُّخول إلىٰ جَهَنَّم مِنَ البَّوابات السَّبع، وهذهِ إحدى الطرق للتَّعبير عن انتمائي لعبَّاد الشيطان (Fandamentalist Journal 18)

عُبَّاد الشيطان والجنس

إنَّ الغرضَ الأساسي عندَ عُبَّاد الشَّيطان هو إشباعُ الغَريزة الجنسيةِ إشباعاً تاماً، بغض النَّظر عن الوسيلةِ، فهم يبيحونَ ممارسة الجنسِ بجميع صورهِ المعقولة وغيرِ المعقولةِ حتَّىٰ بين أفرادِ الجنسِ الواحدِ - أي: اتِّصال الذَّكر بالذَّكر، والأنثىٰ بالأنثىٰ - كما أنهم لا يجدونَ غضاضةً في إتيانِ البهائِم، أو فعل الفاحشَةِ في جثثِ الموتىٰ والعياذُ باللهِ.

كذلك الانحرافاتُ الجنسيةُ المختلفةُ كالفتشية، أو السَّادية، أو الماسوشية، أو الافتضاحية، أو اغتصاب النِّساء والأطفال كلّ ذلك لا بأس بهِ عندهم طالما أنه يؤدي إلىٰ إشباع الغريزةِ. لا رقيبَ ولا حسيب.. بل ربَّما من تنزَّهَ شيئاً قليلاً عن هذهِ الأفعال، عُدَّ شاذاً في عُرفِهم.. ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ..

ويؤمن أفرادُ هذهِ الطائفة بإباحةِ كلّ أنثىٰ لكلِّ ذكر، وبالذاتِ إتيان المحارم وكلَّما كانت الحرمةُ أكبرُ كانَ أفضلُ كالابنِ مَع أمِّهِ، والبنت وأخيها وأبيها، وهكذا.. وهو لا شَكَّ أنَّ تَلبيس إبليس قَد استَولَىٰ عليهم تماماً.

أطفال عُبَّاد الشيطان وكيف يَعيشُون

ينشأ الطفل في كَنَف عُبَّاد الشيطانِ حَسبَ خططٍ وأساليب مَدْرُوسَة منذ نعومَةِ أظفارِهِ، فأوَّل ما يغرسُ في ذهنِهِ هو أنهُ شيطانٌ، وأنَّ الشيطانَ الأكبرَ هُوَ إلههُ ومعينُهُ في الشَّدائدِ، وتستعمل عدَّة طرقٍ لغرسِ هذه الفكرةِ في ذهنِهِ.

ولنأخذ مثالاً علىٰ ذلك، وهو ما صَرَّحت به إحدى الفتيات اللاَّتي هَربنَ مِن مجتمع عبَّادِ الشَّيطان لطبيبها النَّفسي، تقول:

لقَد كانَ والدايّ مِن عبدَةِ الشَّيطان، وكانا دائماً يكرِّران علىٰ مسامعي بأنَّني شيطانةٌ ولكن بصورةِ إنسان، فكبرتُ وأنا مؤمنةٌ بهذا القَول، ولكي لا أصِلُ إلىٰ أدنىٰ شَكّ في ذلك، أخبراني ذات يوم بأنَّهما سيرشَّان عليَّ ماءً مباركاً وهو الَّذي سيظهر شكْلِي الحقيقيّ، وكنت أنتظرُ هذا الحدثَ بفارغ الصَّبر.

وبعد أيام مَعْدُودَةٍ جاء والدايَّ بالماءِ، فَخَلَعَا مَلابِسي ثمَّ رشَّا الماء علىٰ جسدي وَوَجْهِي، وما هِي إلاَّ ثواني قليلة حتَّىٰ أحسست بعدها بأنني أصبحْتُ شعلةً مِن النيرانِ، وأُغميَ عليَّ مرَّات عديدةٍ من شدَّةِ الألم، فَأُصِبْتُ بِتَشَوُّهاتٍ في وجهِي ومناطق متفرِّقة مِن جسمِي، ثمَّ بعدَ ذلك عندمَا أنظرُ في المرآةِ وأرى وجهي المشوَّه أزدادُ يقيناً بأن هذا وَجْه شيطانٍ حقّاً..

وبعد ما كَبرت عَرَفْتُ أن هذا الماءَ المبارك هو في الحقيقةِ أحدُ الأحماضِ القويَّة المركَّزة (كالأسيد).

وبالنَّظر إلىٰ التَّقارير الَّتي جُمِعَت مِن العياداتِ النَّفسية وأقسام الشُّرطة من مختلف الولاياتِ في أمريكا نجدُ تشابهاً كبيراً بين أقوالِ الَّذين نجوا من عبَّادِ الشَّيطان، وهذهِ بعضُ طرقهم في تربيةِ أطفالهم..

قتل الشعور والإحساس عند الأطفال

لعبَّادِ الشَّيطان طرقٌ عديدة لِتحقيقِ ذلكَ منها :

(١) إعطاء الطِّفل جرعات مِن المخدِّرات..

(٢) استِخْدَام التَّنويم المغناطيسيّ..

(٣) الإذلال والاحتِقَار.. والضرب والقسوَة..

(٤) الخداع البَصَريّ، فهو يرى أشياءَ ليس لها وُجُود..

(٥) عزله لفترات طويلةٍ، وذلك بوضعه في صندوقٍ أو تابوتٍ بعيداً عنهم..

(٦) حرمانه مِنَ الأكلِ والشُّرب طوال اليوم..

(٧) التَّعليق مِنَ الأرجلِ أو اليَدَين..

(٨) إجبارُهُ علىٰ طَعْنِ بَعْضِ الحيواناتِ الحيَّة بخنجرٍ أو سكِّين، كي يَغْرِسُوا فيه - بجانبِ قَتْلِ الشُّعور - الدَّوافع العُدوانيةَ، وسهولة انقيادِهِ لَهُم.

طمس المُثل والقيم الأخلاقية عندَ الأطفالِ

يقومُ عبَّادُ الشَّيطان بإجبارِ الطِّفل علىٰ ارتكابِ الفوَاحِش كاللِّواط وإتيانِ البَهَائم والمشاركَةِ في الحفلاتِ الجنسيَّة الصَّاخبةِ، ويُعْطَىٰ الطِّفْلُ في باديءِ الأمر قطَّة أو كلباً صغيراً لِتَنْشَأ علاقَةٌ قويَّةٌ بينَ الاثنين، وليسَ الغَرَضُ مِن ذلك إدخال البهجَةِ والسُّرور إلىٰ قَلْبِهِ، بل لتهديدِهِ دائماً بذبح هَـذَا الحيوانِ أمامَهُ إن لَم يَستَجِب لما يُريدُونَ، فيكون سَلسَ القيادِ طوعَ الزّمام.

ويذكرُ البعضُ أنَّهُم أُجبروا علىٰ أكلِ قِطَع مِن لحم بَشَريّ، وبَعض القاذورات، وشُرب الدِّماء، والنَّوم مَع الموتىٰ في المقابِرِ ليلاً، والمَمَارسات الجنسيةِ علناً. والعياذُ باللهِ.

عبدة الشيطان في الشَّرق

لقد كنـَّا نظـنُّ أنَّ عبـادَةَ الشَّيطان ستقتَصِرُ علىٰ الغَربيـين نظـراً للخـواءِ الـرُّوحي، والتَّحريف بَل التَّخريف الدِّيني، وانقطـاع الصِّلـةِ بـاللهِ، وأنَّ أهـل الإسلام وأبناءه في معزلٍ عن ذلك البلاءِ، ولكنَّنا فُوجِئنا بالصُّحفِ تخبرنا بأنَّ هذا الوباءَ والبلاءَ قَد طالَ بعضاً مـن أبناءِ المسلمينَ: - في لبنان ذكَرَت صحيفة (كُلّ الأسرة) حادِثَ انتِحَار مراهق (١٦سنة) بإطلاقِ النَّـار علىٰ رأسـهِ، وقَد وجدت ملصقات وصُوَر لأعضـاءٍ مِن فِرْقَـةِ (الـرُّوكِ) ورسـوماً لجمـاجم، وثَبـتَ مِـن التَّحليل الأوَّل للقضيةِ أنَّ الفتَىٰ كان يَنْتَمِي إلىٰ إحدَى المجموعاتِ الشَّيطانية.

وأمَّا في مِصْر بلدِ الأزهر والإسلام فكـانَت الفاجعـةُ الكبرَى في شَهْر رَمَضَان (١٤١٧) هـ حيثُ قُبض علىٰ مجموعةٍ مِنَ الشَّباب مِن أبناء الطبقـةِ الأرستقراطية ينتمـون إلىٰ هـذا الفِكْـر الضَّـالّ ويَتَقَرَّبُـونَ إلىٰ الشيطانِ، وقَـد اعـتَرَفُـوا بذلـكَ وقـد أدانَهُم القضاءُ، وحكَمَ عليهم المفتيّ بالرِّدَّةِ، ولكن للأسف ماتَت القضيةُ، وخَـرَجَ المتَّهمون بدونِ أيِّ عِقَاب؟! وصدقَ من قال: «لا رأي لمن لا يُطاع».

أسباب هذه الظاهرة

لا شـكَّ أنَّ لوجـودِ هَـذا الفِكْـرِ المنحـرف بـينَ أبنـاءِ المسـلمينَ ـ خاصَّـةً أبناء مِصْرَ المسلمةَ ـ أسباباً، ونحن نذكرُ بَعْضَهَا:

١ ـ الانفتاحُ الإعلاميُّ الرَّهيب بدونِ أيِّ قُيُود، ونشر الإباحيةِ بصورةٍ كبيرةٍ. وإثارة النَّزوات، ونَشْر الفِكْر الهابِط مِن أغـاني ماجنَة، وأفـلام هَابِطَة، وكُتُب ومجلّات إباحيَّة بأيسرِ السُّبُل وأزهَدِ التكاليف.

٢- سياسة تجفيف المنابع الإسلاميَّة، وكذلكَ تحجيم دُور الدُّعاة، ومَنْع وصُولِ المفاهيم الشَّرعية إلىٰ النَّاس.

٣- الاختلاط الَّذي عمَّ جميعَ البلادِ، مَع السّفور الشَّديد وذهابِ الأخلاقِ.

٤- الدَّعوة المشبوهةُ للدِّفاع عن حُرِّيةِ الفِكْر والاعتِقَاد، في حين يُحَاسَب أهلُ الإسلام عَلىٰ النَّوايا والخطراتِ، حتَّىٰ صدقَ قَولُ القَائِل:

يقاد للسِّجن مَن سَبَّ الزَّعيمَ ... ومن سبَّ الإلهَ فكلٌّ النَّاس أحرَار

الرموز الشيطانية

إنه لمن الصُّعوبَةِ بمكانٍ أن تُتَرْجَم جميعُ الكتَابَاتِ أو الرُّمُوز السِّحريَّة الَّتي يستخدمُهَا عُبَّاد الشَّيطان، لأنَّ هذا يحتاج إلىٰ ساحِرٍ مُتَضَلِّع مِن لغةِ السِّحر، كما أنها قد كُتبت بحروفٍ ورُمُوزٍ سرية لا يَعْرفُها إلاَّ السَّحرة الكبارُ الَّذين حازُوا علىٰ الدَّرجاتِ العُليا في هذا العِلْم، ولكنَّا سنلقِي الضَّوء علىٰ المشهورِ منها:

(١) الدائرة السحرية:

تستعمل في الطقوسِ السِّحرية Pantagrame رمز عالمي للسحر الأسود والأبيض PantagrameInvers رمز عالمي للأعمال الشيطانية، إنه يمثل: (رأسَ الكبش) وهو رمز الشَّيطان نفسه، يمكن لهذا الرَّمز أن يكونَ محاطاً بالدَّائرة ويمكن ألاَّ يكونَ محاطاً بها Ssatanique معروف برمز الشيطان، وكان هذا الرمز منتشراً عند (SS) أثناء الحرب العالمية الثانية LaMarquedelabete وأن حرف (F) هو الحرف السادس في أبجدية الشيطان Laplumeemfermeedanslecercle إنه يمثل الميثاق الذي يمكن عَقدَهُ مَع الشيطان عند التوقيع بدمِهِ.

(٢) نجمة خماسيَّة:

هو رمز الارتفاع والتقدم فهو يرسم تخيلات اختراعية، الاختراع الروماني، وهذا الرمز نجده دائماً لدى إعلانات الجيل الصاعد L Exagrame مسمىٰ أيضاً بطل سلمومون فيرجىٰ عدم الخلط مع نجمة داود. فهذا الرمز مستعمل بالأعمال الشيطانية والأعمال السِّحرية، وهذا الرمز مستعمل كأقوى رمز بهذه الأعمال الخفية.

(٣) رأس الكبش (Baphomet)

وهو الرمز الأول عندهم فأحياناً يضعونهُ ضمن الدائرةِ وأحياناً لا يضعونهُ وهو مِن أشهر رموز عبَّاد الشيطان، فرأس الكبش يُمَثِّل إلههم ورئيسهم وهو الشيطانُ، ويعدُّ رمزاً مقدساً، لأنه يمثِّل الشَّيطانَ نَفْسَهُ.

(٤) الهلال والنجمة:

شعار مشترك بين الماسونية وعباد الشيطان، وهو يمثل آلهة القمر (ديانا) وإله الحب (فينوس) وهو الأكثر استعمالاً عند الساحرات.

(٥) العين الثالثة:

شعارٌ مُشترك بَينَ الماسونِيَّةِ وعُبَّادِ الشَّيطان، ونجدهُ أيضاً علىٰ الدَّولار الأمريكيّ.

(٦) منطقة الجنس:

هذا الشِّعار يَرْمُزُ إلىٰ أن المنطقةَ خاصَّة للطقُوس الجنسيَّة فَقَط.

(٧) مَنطقة القُدَّاس الأسود، والصليب المعقوف:

شعارٌ مُشترك بينَ النَّازية وعبَّادِ الشَّيطان، ويَرْمُزُ للشَّمس والجهاتِ الأربع.

⑧ الصاعقة المزدوجة:

شعارٌ مشترك بينَ النَّازية وعبَّاد الشَّيطان.

⑨ نجمة داود:

شعارٌ مُشترك بينَ اليهودِ وَعُبَّاد الشَّيطان ويُستَعْمَل في الطقوسِ السِّحرية.

◉ ومن الرُّمُوز المتداولة بكثرة بين عبَّاد الشيطان وقد أخذه «اليستر كرولي» من الإنجيل (من له فهم فليحسب عَدَد الوحش فإنَّهُ عددُ إنسان وَعَدده ستمائة وستة وستون). كما يستخدم الرمز (FFF) كذلك لأن (F) هو الحرف السادس من الأبجدية الإنجليزية.

⑩ الأنك:

أخذهُ عُبَّادُ الشَّيطان مِن قدماءِ المصريينَ، وهُوَ رَمْزُ الحياةِ وبخاصَّة الخلود، ويمثِّل الجزءُ العُلْوي الأنثىٰ، والجزءُ السُّفلي الذَّكَر.

⑪ ين/ يانج (Yin/Yang):

وهو رمزٌ للتكامُل بينَ المتضاداتِ في الكونِ.

المذبحُ

ويُبنىٰ عادةً مِنَ الرُّخام أو الجرانيت، تَتَوَسّطهُ حُفرةٌ عَلىٰ شكلِ نجمةٍ خُمَاسية وحولها دائرةٌ وهناكَ أدواتٌ تكونُ عادةً علىٰ المذبح مثل: خنجَر أو سَيف ذو مقبض أسود نقشَت علىٰ شفرتهِ آياتٌ شيطانيةٌ، شُمُوعٌ سوداء، أسياخ مِن حديد للتَّعذيب، وكأس مِنَ الفِضَّةِ لشربِ الدِّماء.

أمَّا الرموزُ التي علىٰ المذبح فَتَخْتَلِف باختلافِ الفِرْقَةِ الشَّيطانية.

طقوسٌ غريبةٌ

أغربُ طُقُوس جمَاعة عبدةِ الشَّيطان التي ظهَرَت في مِصْرَ وتمَّ القبضُ علىٰ أعضائِها كما جاءت علىٰ لسانِ أحدِ الطُّلاب المتهمين بذلكَ.. وكان يقومُ أعضاءُ الجماعة بممارسةِ طقُوسِهم في أحدِ المعابِدِ بمصرَ القديمة، وإذا تَعذَّر يقومونَ بذلكَ في شقَّةٍ سكنية خالية مِنَ الأثاثِ استأجروهَا لهذا الأساسِ لممارسة طقُوسِهِم ثمَّ يذهبونَ إلىٰ مقابر «الكومونولث» ثمَّ يستخرجون جثثَ الموتىٰ..

كما يقومُونَ بذبح قطَّة أو كَلْب صَغير يُلَطِّخُونَ بدمَائِهِ وجوهَهُم وأيديهم ويشربونَ منهُ.. ثمَّ يقومونَ بالدَّوران في دائرةٍ حتىٰ يَرضىٰ عنهُم الشيطانُ وإذا لم تتوافَر هذهِ الحيوانات يخدشونَ أيديهم حتىٰ تَسيل الدِّماءُ مِنْهُم بعدَهَا يَتعَاطونَ المخدِّرات وحبوب الهلوسَةِ علىٰ أنغام موسيقىٰ «الروك» الشَّهيرة.

أمَّا أغرب ما جاءَ في ملفّ التَّحقيقات في قضيَّةِ عبدةِ الشَّيطان هو قيام أربعةٍ مِن شبابِ عَبَدَةِ الشيطانِ بالتَّوجه إلىٰ مقابِرِ البساتين وفتح إحدى المقابِر دونَ أن يعلَم أحدٌ ونزلوا داخِلَ المقبرةِ وجلس كلٌّ منهم في أحدِ أركانِ المقبرة ومَضُوا داخلها (٤) ساعات كاملةً وردَّدوا خلالها تَرانيم خاصَّةً بهم وبعض الأغاني التي تساعِد علىٰ حضورِ الشَّيطان والتَّعامل مَعَهُ، وكان معهم كتابٌ خاصٌّ بعبادة الشَّيطان مرسلٌ إليهم مِن أمريكا، وراحُوا ينبشُونَ جُثَثَ الموتىٰ الموجودة بالمقبرَةِ كنوعٍ مِنَ التَّقربِ إلىٰ الشَّيطان.

الوصايا التسع

الغريب أنَّ هناك تِسع وصايَا يحفَظُها ويُرَدِّدها عبدةُ الشَّيطان وكلُّ فرد ينضَمُّ إلىٰ الجماعةِ يَتعَيَّن عليهِ حفظها وهِي:

(الوصية الاولىٰ) : الشيطانُ يمثِّل الانغماس الذَّاتي وإطلاق المرءِ العنانَ لأهوائه ورغباتِهِ وشهواتِهِ بدلاً مِنَ الامتناع عنهَا.

(الوصية الثانية) : الشَّيطانُ يمثِّل التواجد الحيوي بدلاً مِن الأملِ الكاذبِ الوهمِيِّ.

(الوصيةُ الثالثةُ) : الشَّيطانُ يُمثِّل الحكمةَ غير المشوهةِ وغير الملوثةِ بدلاً من خداع النَّفس بأفكارٍ زائفةٍ.

(الوصيةُ الرابعةُ) : الشيطانُ يمثِّل الانتقامية.

(الوصيةُ الخامسةُ) : الشيطانُ يمثِّل الشَّفقةَ لمن يستَحِقُّونَها بدلاً مِن مضيعَةِ الحبِّ للحاقدينَ وجاحِدِي الجميل.

(الوصيةُ السَّادِسَةُ) : الشيطانُ يمثِّلُ مجرَّد حيوان مختَلِف أحياناً، وفي أغلب الأحيان أشرَس الحيواناتِ الَّتي تمشِي علىٰ أربع، والَّتي هي سببُ رُوحَانِيَّته الرائعةِ ونموِّه الذَّكيّ.

(الوصيةُ السَّابعةُ) : الشيطانُ يُمَثِّل المسؤوليَّة اتجاه الشَّخص المسؤول بدلاً مِن مصاصّي الدِّماء المعتوهين.

(الوصيةُ الثامنةُ) : الشَّيطان يمثِّل كلَّ ما يُطلق عليهِ خطايا أو آثام، لأنَّها تُؤدِّي كُلُّها إلىٰ الإشباع العُضويّ والعقليّ والعَاطفيّ.

(الوصيةُ التاسِعَةُ) : الشيطانُ يمثِّل أعزّ صَديق للعبدِ، وذلكَ لأنَّهُ الأبقىٰ.

قلتُ : عافانا الكريمُ وذراري المسلمينَ منهم، وأيُّ صَدَاقةٍ لهذا الشَّيطان الَّذي هو عدوٌّ مبينٌ لبني البَشرِ، يدعُو حزبَهُ ليكونُوا مِن أصحابِ السَّعير؟..

[أخبار الحوادث، العدد/ ٤٦٧ سنة ١٤٢٢ هـ].

وسائل يجب أن تتبع من أجل التَّحصين من «عبدة الشيطان»

هناكَ عدَّةُ وسائل منهَا:

١- تعزيزُ الرُّوح الإيمانيَّة عندَ النَّاشئة.

٢- ضرورة تَصرُّف الأهل بمسؤولية تَربوية رقابِيَّة حيالَ أولادهم، ومُراقبتهم لناحية التَّصرُّفات والانفعالات وأنماطِ السُّلُوك والاختلاء مَع الكومبيوتر.

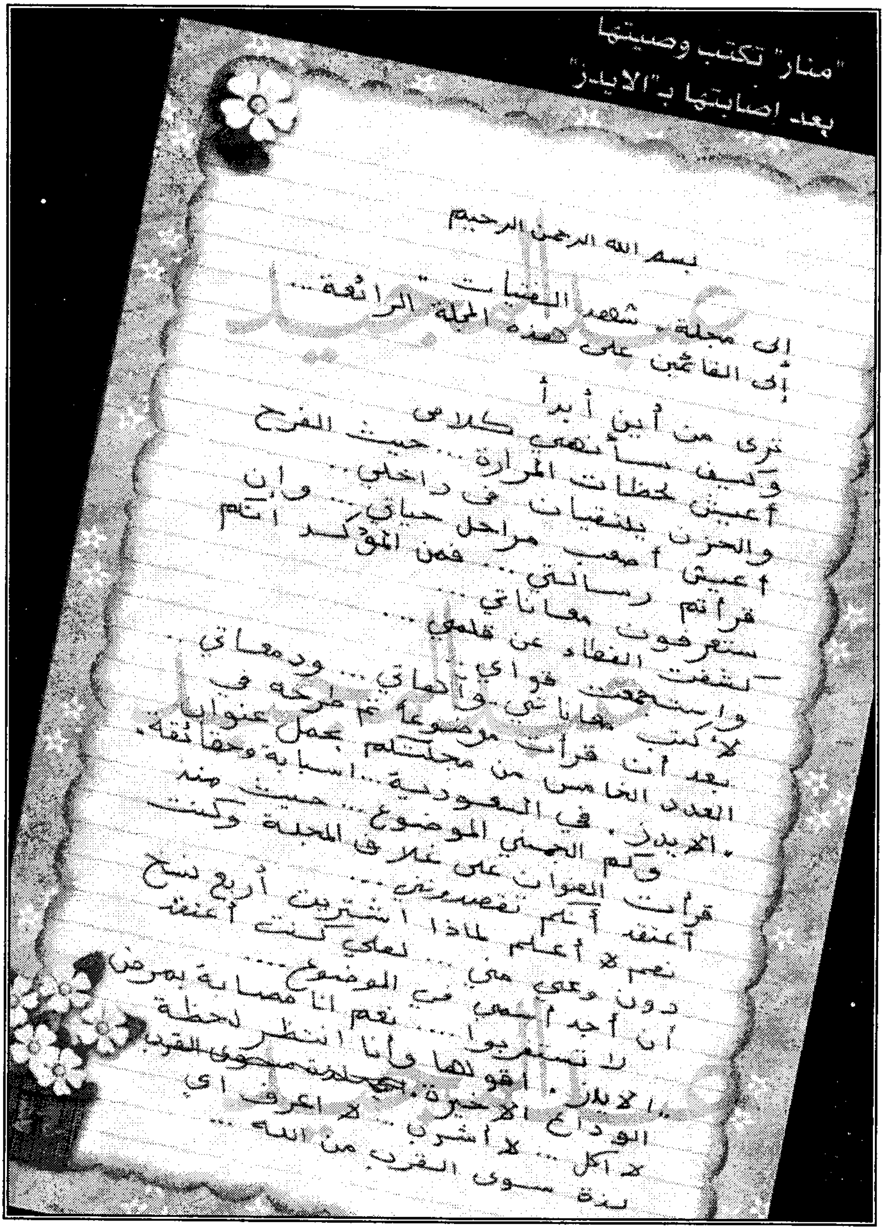
٣- ضَبط وسائِل الإعلام والإعلان لناحية عَدَم نَشْرِهَا المفاسدِ مخافَةَ تَدمير الجيلِ تحتَ شِعَارِ الحرِّية.

[الشرق الأوسط/ جريدة العرب الدولية/ السبت ٢٨ ذو الحجة ١٤٢٣ هـ ١ مارس ٢٠٠٣م العدد ٨٨٥٩]

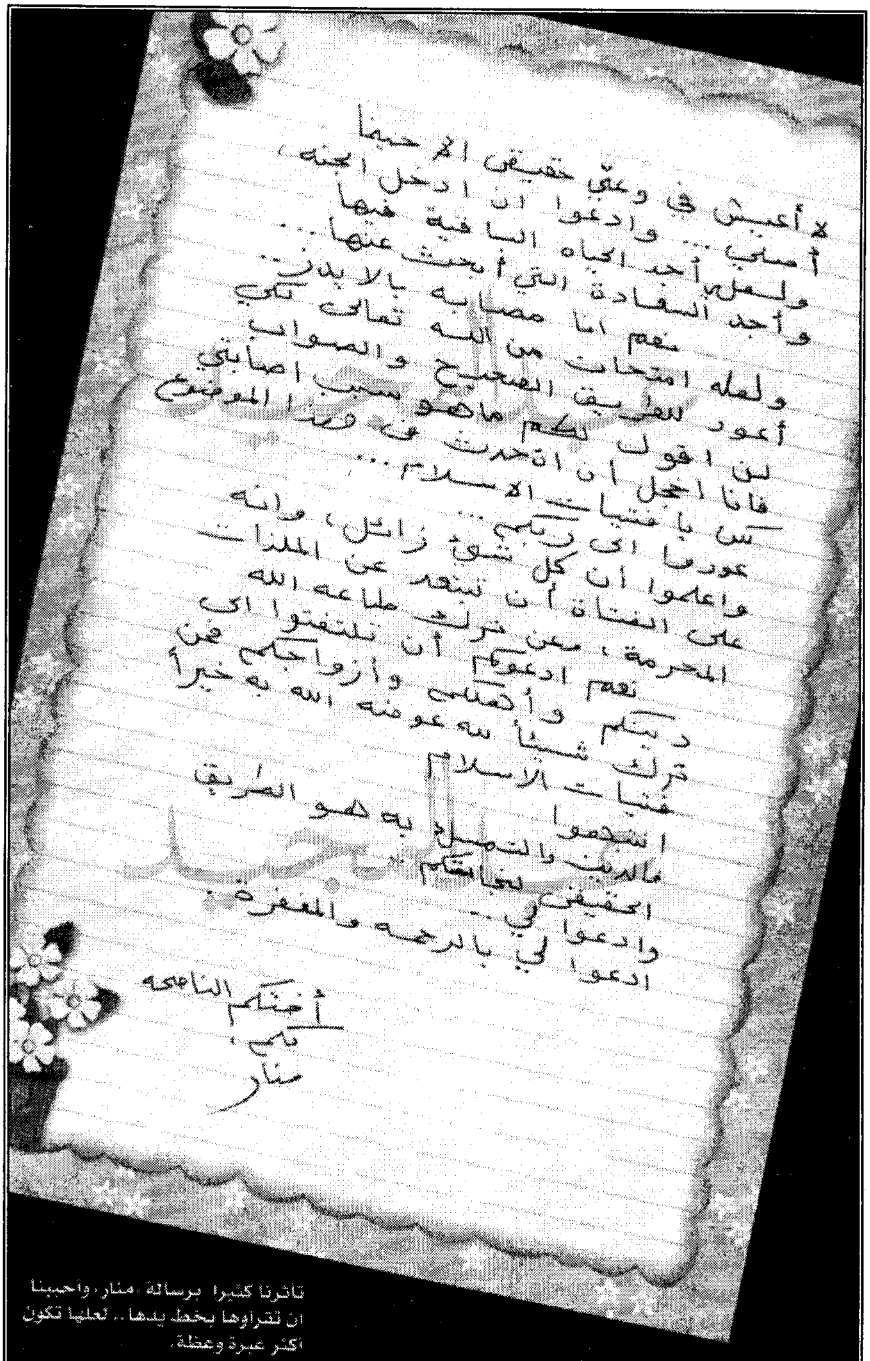
❖ ❖ ❖

وصية منار

وصيةُ مَنَار.. الفتاةُ المصابَةُ بمرضِ الإيدز تكتبُ وصيَّتها لكِلِّ فتاةٍ مسلمةٍ سارت على دربها لعلَّها تنقذها ممَّا وقعت فيه ببضعِ كلماتٍ.. وها أنا ذا أنقلُها لكم بخطٍّ يدها لعلَّ بهذهِ الكلماتِ أستطيع أن أوصلَ رسالةً من فتاةٍ تائبةٍ إلى كلٍّ من استهواها زيفُ الحبِّ وضلالُ الهوى ووسوسةُ الشيطانِ:



بسم الله الرحمن الرحيم
إلى مجلة .. شهد الفتيات ...
إلى القائمين على هذه المجلة الرائعة...
ترى من أين أبدأ كلامي
وكيف سأنهي ... حيث الفرح
أعيش لحظات المرارة ...
والحزن يلتقيان في داخلي ... وإن
أعيش أصعب مراحل حياتي ... فمن المؤكد أنتم
قرأتم رسالتي ...
ستعرفون معاناتي ...
لتشفت العقاد عن قلمي ...
واستجمعت قواي ... وآلامي ... ودمعاتي
لأكتب معاناتي ... وأطرحه في
بعد أن قرأت موضوعاً تم طرحه في
العدد الخامس من مجلتكم يحمل عنواناً
الإيدز في السعودية ... إصابة وحقائقه.
ولم ... الجنسي الموضوع ... حيث منه
... على غلاف المجلة وكنت
قرأت العنوان تقصيرني ... أربع نسخ
أعتقد أنكم ... اشتريت أعتقد
نعم لا أعلم لماذا ... لعلي كنت
دون وعي مني ... في الموضوع ...
أن أجد نفسي ... نعم أنا مصابة بمرض
الإيدز ... أقولها وأنا أنتظر لحظة
الوداع الأخيرة ... لا أعرف أي
لذة ... لا آكل ... لا أشرب ...
سوى القرب من الله ...



لا أعيش في وعي حقيقي إلا حينما
أصلي... وادعوا أن أدخل الجنه،
ولعلي أجد الحياه الباقية فيها
وأجد السعادة التي أبحث عنها...
نعم انا مصابه بالإيدز...
ولعله امتحانات من الله تعالى لكي
أعود للطريق الصحيح والصواب
لن اقول لكم ماهو سبب اصابتي
فانا اخجل ان اتحدث في هذا الموضوع
لكن يا فتيات الإسلام...
عودوا الى ربكم،
واعلموا ان كل شيء زائل، وانه
على الفتاة أن تبتعد عن الملذات
المحرمة، ومن خرج عن طاعه الله
نعم ادعوكم أن تلتفتوا الى
دينكم وأهاليكم وأزواجكم فمن
ترك شيئاً لله عوضه الله به خيراً
فتيات الإسلام
استمسكوا بالدين والتمسك به هو الطريق
الحقيقي لحياتكم
وادعوا لي بالرحمه والمغفرة...
ادعوا لي

أختكم الناصحه
لكم
منار

تأثرنا كثيرا برسالة منار، وأحببنا أن تقرأوها بخط يدها.. لعلها تكون أكثر عبرة وعظة.

مبروك ! ابنتك حامل

وهذه ضحيَّة أخرَى مِن ضحَايا هذا الحبِّ، إنَّها فتاةٌ في ريعانِ الشَّبابِ قد تَزوَّجت مِن ابن عَمِّها، وكان ظالماً لها أنانياً قاسياً لا يعرفُ الأحاسيسَ والمشاعرَ لاسيّما وأنه يتناولُ المسكراتِ، ولمَّا سألتهُ الطلاقَ بدأ يَضْربُهَا، المهم تمَّ الطلاقُ.. وبعدَ أن أتمَّت معهُ سبعَةَ أشهرٍ فارقتُهُ وهي تحمِلُ بجنينٍ منهُ.. وبعدَ مُدَّةٍ اختلَطَت عليهَا سعادةُ فِرَاقِ ذلكَ الزَّوج العاتِي وبؤس أسرتِها بسببِ تَعَامُلِهم القَاسي، فاتَّصلَت بإحدَى زميلاتِها لِتُخَفِّف همَّها وتُؤانسها في مُصيبتِها ولكنَّها لم تَتَّصِل باللهِ تَعَالىٰ أوَّلا ..

وعندمَا اتَّصلت بإحدَى زميلاتِها أخطأت في رَقم الاتِّصال دونَ أن تَشْعُر، وردَّ عليها شابٌّ فسألتهُ عَن صَديقَتِهَا، وربّما شعرَ بما في داخِلها من أحزانٍ وآهات.. فَقَالَ لها: لَقَد أخطأتِ الاتِّصالَ.. وأثناءَ بحثِها عَن رقم صَدِيقَتِها استغَلَّ ذلكَ الشابُّ التَّافه هذه الفُرصَةَ لمعاوَدَةِ الاتِّصال لوجودِ كاشِف للأرقام.. وبدأ يخادعهَا بمعسولِ الكلام.. وأنَّها صدفةٌ.. لكنَّها خيرٌ من ألف ميعادٍ.. وأنَّ القلوبَ مشاهدة وأنَّها تلاقَت مع بعضِها.. إلخ.. ثمَّ عاودَ الاتِّصالَ في اليومِ الثاني، وأخذَ يُكثرُ من اتِّصالاته بِهَا ويخبرُها بأراجيزِهِ الكاذِبَة عَن بَعْضِ ما وَجَدَهُ في حياتِهِ مِنَ المآسِي خصوصاً أَنَّهُ طَلَّق زَوْجَتَهُ وهو الآن يبحثُ عَن زوجةٍ تسعدُهُ بدلاً منهَا..

ويا للمصيبة الكُبرى.. إنَّها صاحبةُ مأساةٍ شبيهة بمأساتِهِ.. إنَّه مثلهَا مطلّقٌ.. فَرَقَّ قَلْبُ الفتاةِ لَهُ.. وألانت لهُ الكلام.. ومَع دَوام الاتِّصال أخبرتهُ عَن مآسيها وهُو يتظاهَرُ لها بالبكاءِ والألم علىٰ حَالِها ..

ومع مرورِ الأَيَّام وتتابع المكالماتِ تحوَّلت تلكَ الكلماتُ القائمةُ علىٰ بثِّ الأحزانِ والآهاتِ إلىٰ كلماتِ الحبّ والغَرَام والودادِ والمحبَّة والعشقِ والهيام.. وفي

ذات يوم أخبرَهَا أنه يرغَبُ في نِكَاحهَا خصوصاً أنَّها المرأة الَّتي كانَ يَنْتَظِرها مِن زمنٍ، وطلَبَ أن يرَاها.. وتحقق لهُ ذلكَ.. وقَويت العلاقةُ بعدَ ذلِكَ حتَّىٰ كانت تُعطيهِ بَعضَ حُلِيِّها لكي يَقضِي بعضَ ديونِه.

وكانت تَرُد كلّ مَن جاءَ لخطبَتِها وكلّها أملٌ في تَقَدُّم ذلكَ الشَّيطان لخطبَتِهَا حتَّىٰ ولَدَت وسَمَّت ولَدَهَا باسمِهِ باسم العَشيق، وبعدَ مُدَّة اتَّصَلَ عليهَا وبيّن عزيمته علىٰ إتيانه لخطبَتِهَا خصوصاً أنهُ توفَّر لديهِ المهرُ وطلبَ أن يرَاها ليذهبَا إلىٰ السوقِ ويَشْتَري لها فُستاناً وخاتماً فوافَقَت علىٰ الفورِ، وذهَبَا وعَرَض عليهَا الفستَان وتمَّ ذلكَ، ثمَّ ذَهَبا إلىٰ شُقَّةِ السكَن المنتظرةِ ولما ذهَبَا طلَبَ منها أن تُجرِّب ذلكَ الفستان، وتحتَ الخلوةِ المحرَّمة والنَّظرةِ الشَّيطانية المتَّجه بقصدِ العارِ.. كانَ الشيطانُ ثالثهما.. وما ظنُّك باثنين الشَّيطان ثالثُهما وماذا يُتصوّر أن يَقَعَ بينهُما لقد انسلخَ الإيمانُ وعُصِيَ الرَّحمنُ.. لَقد فَجرَ بتلكَ العفيفة، لَقد فَجرَ بتلكَ المغفَّلة وسَلَبَهَا العِفَّةَ والنَّزاهةَ واكتَوت بنَارِ العَذَاب.. عندَهَا استيقظَت مِن سُباتِ الغَفْلَةِ صَرَخَت.. بكَت.. ولكن لا فائِدَةَ وجَدْوى.. فَطَلَبت إرجاعَهَا إلىٰ بيتِهَا وهي تَتجَرَّع المرارةَ والألمَ.. وهو يُمنِّيهَا ويَعِدُها الخميسَ تِلْوَ الخميس وهي تَرقُب الهلالَ تِلْوَ الهلالَ، ولكنَّها لم ترَ بدراً قطُّ فَضلاً عَن رؤيتها هلالاً..

بَدأت تَتَّصِلُ عليهِ وهو يَتَهرَّب منها حتَّىٰ رَدَّ عليها ذات مَرَّة بنبرةٍ حادّةٍ غاضبَةٍ قائلاً لها: اسمَعيهَا مِنِّي بكلِّ وُضُوح لا يمكِن أن تكونَ امرأةٌ مثلكِ زَوجةً لي أبداً، لأني لا يمكِن أن أثِقَ بهَا قَطّ، وأرجوكِ أن يكونَ هذا آخر اتِّصالٍ بيننا.. وأغلقَ سمَّاعةَ الهاتِف..

وما إن سمعت منهُ هذا الكلامَ حتىٰ صُعِقَت.. لقد سَقَطَ القِناع، وانكشَفَ المستُور.. أينَ كلماتُ الحبِّ المعسول؟؟ أين بكاؤهُ عليها؟ أينَ شفقتُه التي كانَ

يُظهرُها لها أثناء مكالمتِهِ إيَّاها؟ أينَ فساتينُ العُرس التي وعَدَ أن يشتَرِيها لَهَا؟؟

وهكذا ظلَّت شهراً ونِصْفَ الشهرِ وهي طريحةُ الفِراش مِن هولِ الصَّدمَةِ وشِدَّةِ الموقفِ.. بدأت تكرهُ الحياةَ بَل كَرِهَت وَلَدَها الصَّغير، لأنَّهُ يذكِّرُها بذلكَ الغَادِر فلَمَّا تماثلت للشِّفاء وأحسَّت براحةٍ فإذا هي ذات يوم تُصَابُ بِدَوَّارٍ وغَثَيَانٍ.. وسَقَطَت مُغمىً عليهَا.. حملَهَا أبوهَا للمستَوصَف.. تمَّ إجراءُ الفُحوصات وجَاءَ الخبَرُ مثل الصَّاعِقَةِ للوالدِ قالت الطبيبةُ للأب: مَبرُوك مَبروك ابنَتُك حَامِلٌ.

عندَها أظلَمَت الدُّنيا في عينَي الأب اضطرَب تفكيرُهُ.. وعَقَدَت الدَّهشَةُ لِسَانَهُ لَم يدرِ ما يَقُول ولا كيفَ يَتصرَّف.. من أينَ تحملُ ابنتي وليسَ لها زوجٌ.. ولكنَّه تمالكَ نفسَهُ وطلَبَ مِن الطبيبة ألاَّ تخبرَ البنتَ بذلكَ.. وما كادَ الأبُ أن يَصِلَ إلىٰ البيتِ وهو يحملُ ناراً في قلبِهِ حتَّىٰ خَلا بِهَا في الغرفةِ لوحدِهِما وأخبرَهَا الخبرَ الَّذي لم يستطع أن يَتحمَّلَهُ قلبُهُ بضعَ دَقَائِق.. فصدِمَت ابنتُهُ وهي تَسْمَع والدِهَا يخبرُها الخبرَ.. واختَلَطَت أوراقُها في رأسِها.. وتَوقَّفَ لسانُها عَن الكلام.. واحتَقَنَ الدَّمُ في رأسِهَا فانخرطت في بكاءٍ مَرِير.. أصابَها الذهولُ والاندهاشُ لم تُفق مِن ذلكَ كُلِّه إلاَّ حينَ ضَرَبَها أبوهَا وصاحَ بهَا قائلاً: كيفَ حَمَلتِ يا فَاجِرَة؟ كيفَ حَمَلتِ يا فَاجِرَة؟ أخبريني بكلِّ الحقيقةِ أخبريني كيفَ حَمَلْتِ؟

فأخبرتهُ الخبرَ وكيفَ كانَت علاقتُها مع ذلكَ الرَّجل.. لم يَتمَالَك الأب نَفْسَهُ وهو يسمعُ الكلامَ والأحداثَ والتَّفاصيل مِن ابنَتِهِ التي خانَت وباعَت عرضَهَا للشَّيطان، فانهالَ عليها ضرباً وركلاً وصفعاً وهي تَصْرُخ وتبكِي وتستغيث وتَتَوَسَّل إليهِ أن يُسَامِحَها.. أفلَتَت مِن قبضَةِ أبيها.. وأسرعَت تركضُ باتِّجاه بابِ الغُرفةِ لِتَهْرُبَ منهُ.. جُنَّ جُنُونِ الأب لذلك، فتناولَ بغير شُعور منهُ تحفةً حديديَّةً كانت بجوارِهِ ورماهَا بهَا فأصابتهَا في مؤخّرة الرأسِ سَقَطَت علىٰ الفَور مُغمًىٰ

عليهَا.. أخذت الدماءُ تَسيلُ مِن رأسهَا، توافقَ ذلك مَع دُخُول أخيهَا إلىٰ المنزل فرآها مُلقاة عَلىٰ الأرض والدِّماء تنزفُ مِن رأسِها .. أسرعَ بنقلِها إلىٰ المستَشْفَىٰ وهناك تمَّ إجراءُ بعض الفحوصاتِ الأولية لها، ثمَّ جرى عَرضُها علىٰ الطبيبةِ المختَصّة.. وجاءت المفاجأةُ المذهلةُ لَقَد أصيبَت بتهتّكٍ شديدٍ في الأعصاب البَصَريَّة المتصلّة بمركز الإبصارِ الموجودِ في الدِّماغ وفَقَدَت البَصَرَ تماماً.. وأمَّا الجنين الَّذي في بطنهَا فَقَد ماتَ متأثراً مِن الضَّرباتِ التي تَلَقَّتها عَلىٰ بطنِها من أبيها.. بقيت في المستَشفىٰ عشرة أيَّام ثم خَرَجَت منهُ وهي عميَاء لا تَرى شيئاً وبيدِها عصاً تَدُلُّها عَلىٰ الطَّريق.. ظَلَّت في بَيْتِهَا جثَّةً هامدةً ملقاةً علىٰ سَريرِها واحتَوشَتْها الهمومُ مِن كلِّ جَانِب وأحاطَت بهَا الأحزانُ مِن كلِّ صَوبٍ ..

لَقَد خَسِرَت كلَّ شَيءٍ.. خَسِرَت والدَهَا وخَسِرَت وَلَدَهَا الصَّغير الَّذي طالما تحرَّك في أحشائها لاسيما وأن وَلَدَها الأوَّل تُوفيِّ إثْرَ حادِث وَقَعَ لَهُ تَزدادُ لوعة قَلْبِهَا عندما تَتَذكّر قولَ أبيهَا وهُو يقولُ لها دائماً: اللَّهمَّ اجعَلني أدفِنُهَا في التُّراب بِيَديّ.. اللَّهمَّ اجعَلني أدفِنُهَا في التُّراب بِيَديّ، لأدفِنَ مَعَهَا الخزي والعَار ..

كَفِلَهَا أخُوها بعدَ ذَلِكَ، ومَع مُرُور الأيام بَدَأت تَتَغيَّر مُعَامَلَتُهُ لَهَا حتَّىٰ فَهِمَت ما وراءَ ذَلِكَ.. فطَلَبَت مِن أخيهَا أن يُلحِقَهَا بإحدَى دُور رِعَايَةِ العَجَزَةِ والمسنين وذَوي العاهَاتِ الدَّائمة لِتَقْضِي هناكَ مَا تَبَقَّىٰ مِن عُمُرِهَا حيث ستجد هناك من يقومُ عَلىٰ خِدْمَتِهَا ورعايَةِ شُؤونِهَا..

قَالَت صَاحِبَتُها ـ التي روت قصَّتها ـ: هِي في كلِّ صَلاةٍ تَدعُو وتَقُول: اللَّهُمَّ انتَقِم لي من ذَلِكَ الفَاجِر.. وتُسَمِّي هاتِكَ عِرْضِهَا.. اللَّهُمَّ انتَقِم لي مِن ذلكَ الفَاجِر يا حيّ يا جَبَّار..

فتاة تموتُ عارية في البال توك

لا أدري واللهِ من أينَ أبدأُ، أو كيفَ أبدأ، فقَد دارتْ بـي الأرضُ، وحُـمَّ جسَدِي، وزادتْ عليَّ العلّةُ، واستحكمَ المرضُ، وغَشِيَني مِنَ الهـمِّ والغَـمِّ ما غَشِيَني، بعدَ أن سمعتُ خبراً لَو نَزَلَ وقعهُ علىٰ جبلٍ لتَضَعْضَـعَ، ولـو مُزجَ في مُستعذبِ الأنهارِ لأحالها كـدَراً، ولـو سمعَ بـهِ أحدُ أسلافِنا من الرعيلِ الأوّلِ لقضىٰ ما بقيَ من عُمُرهِ ساجداً، يحذرُ ذلـكَ المصيرَ المشؤومَ ويرجـو ربَّهُ العافيةَ وحُسنَ الخاتمةِ.

وقعَ بتاريخ ١٧/١١/١٤٢٤هـ في الساعةِ الثالثةِ ليلاً وفي ثُلثِ الليلِ الأخيرِ، بمدينةِ الرِّياضِ، لفتاةٍ في العشرينَ من عُمرِها تُدعىٰ «س.ح» واقعةٌ تُلينُ الصُـمَّ الصِلابَ، وذلكَ أنَّ تلكَ الفتاةَ قد أخذتْ أُهبتها وازَّينتْ، وقامَتْ تتهادَى وتخطرُ أمامَ كميرا شاشةِ الحاسِبِ (الكومبيوتر) الخاصِّ بها، وتَعْرِضُ ما دَقَّ وجلَّ من تفاصِيلِ جِسْمِهَا، تجلسُ عاريةً من الثيابِ.. عاريةً من الحياءِ.. عاريةً من كـلِّ الأخلاقِ.. مُقابلَ مبلغٍ زهيدٍ من المالِ، عَلىٰ حثالةٍ من (الشّبابِ) بَل مِن الذئبانِ البَشريّةِ وسَقَطَةِ الخَلْقِ، والَّتي لا تعرِفُ معروفاً ولا تُنكِرُ منكَراً، وتَعِيشُ علىٰ هَامشِ الوجودِ، في أحدِ مواخيرِ البالِ تُوك العَفِنَةِ.

وفجأةً في لحظةٍ عابرةٍ وغفلـةٍ مُباغتةٍ وأمامَ مرأى الجميعِ وتحتَ بَصَرِهِـم، سقطتْ تلـك الفتـاةُ مُمـدّدةً علـىٰ الأرضِ، ووقعـتِ الواقعـةُ، وابتـدأتْ قصّـةُ النهايةِ!.

لقـد جاءهـا ملـكُ الموتِ الـذي وُكِّـلَ بـها وهـي تسـتعرضُ بمفاتِنـها وتُبـدي عورتَها، وقد سكِرَتْ بخمرِ الشَّيطانِ، ولم تستيقظْ إلاَّ وهي في عسكرِ الموتىٰ.

إنَّها الآنَ ميِّتةٌ بلا حولٍ ولا قوّةٍ.

لَقَد مَاتَتْ وكَفَىٰ!.

أصبَحَتْ جُثّةً هامدةً، سكنَ منها كلُّ شيءٍ إلاَّ الروحَ، فَقَد عَلَتْ وعَرَجَتْ إلىٰ اللهِ تعَالىٰ، ولا نَدْري ماذا كَانَ جزاؤهَا هناكَ.

إنَّها لحظةُ الودَاعِ المُرعبةِ.

لم تُلقِ نَظَراتِ الوداعِ علىٰ أبيها وأمِّها، طمعاً في دعوةٍ منهم نظيرَ برّهَا بهم..

ولم تلقِ نظرةَ الوداعِ علىٰ ورقةٍ من المصحَفِ الشَّريفِ، ولم تكنْ لحظةَ وداعِها ذِكْراً أو دَعْوةً أو خيراً، بل ليتَهَا كانتْ لحظةً من لحظاتِ الدنيا العابرةِ، تموتُ كما يموتُ عامَّةُ الخلقِ وأكثرُ البشرِ.

ليتَهَا ماتتْ دَهْساً أو غرقاً أو حرقاً أو في هدمٍ..

ليتَهَا كانتْ كذلكَ، إذاً هَانَ الأمرُ وسهُلَ الخطبُ..

ولكنَّها كانتْ ميتةً في لحظةِ إثمٍ ومعصيةٍ، وليتها كانتْ معصيةً مقصورةً عليها وقد أرختْ علىٰ نَفْسِها سترَ البيتِ، وأسدلتْ حِجابَ الخلوةِ، وانكفأتْ علىٰ ذاتِها، وإنَّما كانتْ علىٰ الملأ تُغوي وتُطرِبُ، وقَد سكرتِ الأنفسُ برؤيةِ محاسنِها، وأذيعتْ خفيّاتُ الشَّهوةِ وأوقدَ لهيبُها.

ثُمَّ ماذا يَا حسرَةَ! ماتتْ.. نعم، ماتتْ.

لَقَد وُلِدَتْ وربيتْ وعاشتْ لتموتَ.

سقطتْ وهي عاريةٌ، وبعد لحظاتٍ يسيرةٍ صارتْ جيفةً قذرةً لا يُساكُنها من المخلوقاتِ شيءٌ، والعظامُ قد نخِرتْ والجلدُ عدا عليهِ الدودُ، وأمَّا الروحُ فهي في يدِ ملائكةٍ غِلاظٍ شدادٍ، لا يعصونَ اللهَ ما أمرهم ويفعلونَ ما يؤمرونَ.

لقد ماتتْ !.

ما أقوى أثرَ هذه الكلمةِ في النفوسِ، واللهِ إنّها لتحرّكُ منها ما لا يُحرّكهُ أقوى المشاهدِ إثارةً وتهييجاً.

لن تُسعفني جميعُ قواميسِ اللغةِ وكُتبِ البيانِ، في تَصْويرِ فظاعَةِ وهَولِ تلكَ اللَّحظةِ، ولكنْ لفظاً واحداً قد يقومُ بتلكَ المُهمّةِ خيرَ قيامٍ، إنَّهُ لفظُ: الموتِ !.

أتدرونَ ما هو الموتُ! إنَّها الحقيقةُ الوحيدَةُ التي نجعلُها وهماً وخيالاً، إنَّهُ اليقينُ الذي لا شكَّ فيهِ، والذي غدا مَع مرورِ الوقتِ شكّاً لا يقينَ فيهِ، إنَّها اللحظةُ الحاسمةُ والسَّاعةُ القاصمةُ التي تُكشفُ فيها حِجابُ الحقيقةِ، ويسطعُ نورُ اليقينِ.

في غفلةٍ خاطفةٍ صارتْ من بناتِ الآخرةِ، وارتحلتْ مُقبلةً إلىٰ ربِّها، تحملُ معها آخرَ لحظاتِ النَّشوةِ، تلكَ التي أصبحتْ ألماً وأسفاً وحسرةً، في وقتٍ لا ينفعُ فيهِ الندمُ.

لقد جاءتْها سكرةُ الموتِ بالحقِّ، وفاضت الرّوحِ إلىٰ بارئِها، وبدأتْ رحلَةُ المعاناةِ والمشقَّةِ، بعدَ سنواتِ العبثِ والمجونِ والضَّياعِ، مَضَىٰ وقتُ اللَّعبِ والأُنسِ والطربِ، وجاءَ وقتُ الجدِّ والعنَاءِ والتَّعبِ، ذهبتِ اللذةُ وبقيتِ الحسرةُ، إنَّها الآنَ رهينةُ حفرةٍ مُظلمةٍ، يُسكانُها الدودُ ويقتاتُ علىٰ محاسنِهَا.

لقد سكَتَ منها الصَّوتُ الحسَنُ، وأطفئتِ العينانِ السَّاحرتانِ، وسكَنَتِ الجوارحُ والأعضاءُ، وبقِيَتِ الرُّوحُ تُكابِدُ وتُعاني، في رحلَةٍ مُترعَةٍ بالغُربةِ والوحشةِ، ليسَ فيها مِن أنيسٍ إلاَّ العملُ الصالحُ.

تلكَ الساعةُ المُرعبةُ واللحظةُ المخوفةُ، التي خافَهَا الصَّالحونَ، وعَمِلُوا مِن

أجلِها، لحظةُ اليقينِ والنزعِ، أمّلوا أن تكونَ في سجدةٍ أو ركعةٍ، أو في ثغرٍ من الثغورِ مرابطينَ، أو على تلٍّ أو في وادٍ شهداءَ مُكرمينَ، وتأتي هذه الفتاةُ لتأخذَ نصيبَها من السكَراتِ والغمراتِ، وهي في حالةٍ من العُرْيِ والفُحشِ، يَسْتَحي الإنسانُ حِكايةَ واقعِها فضلاً عن ملابسةِ تفاصيلِها.

أفي ثُلثِ الليلِ الآخرِ! وقَد أخذتْ أصواتُ الدِّيكَةِ تَعْلُو، مؤذنةً بدخولِ وقتِ النزولِ الربَّانيِّ، وهبَّ عبَّادُ الليلِ ورهبانُهُ مِن مَضَاجِعِهِم، وقصَدُوا إلى مواضِيهم فغسَّلوا وغَسَلُوا، ثمَّ راحُوا في خُضُوعٍ وتَبَتُّلٍ يَضرعُونَ ويجأرونَ إلى اللهِ بالدُّعاءِ، ويُسبلُونَ دمعاً رقراقاً مِن محاجِرهم خوفاً وطمعاً، يرجُونَ رحمةَ اللهِ ويخشونَ عذابهُ.

هبُّوا ولبُّوا، فملأ اللهُ وجوهَهُم نوراً، وصُدُورَهُم رهبةً وحُبوراً، وزادَهُم فضلاً ونعمةً.

إنَّهُ وقتُ النُّزولِ الربَّاني، إنَّهُ وقتُ الرَّحمةُ، إنَّها ساعةُ الخشُوعِ والخضُوعِ والبكاءِ، لا إلهَ إلا اللهُ ما أطيبها وأرقّها وأحناهَا مِن سَاعةٍ، تخفقُ القلوبُ فيها بذكرِ اللهِ، وتهيمُ شوقاً إلى لقائهِ، وتميدُ الأجسادُ في محاريبِ العبادةِ، فلا تَرَى إلاَّ دمعاً هامياً، وجبهةً مُتعفرّةً ساجدةً، وركباً تنوءُ بطولِ القيامِ والتهجُّدِ.

يخلو فيهَا العارفُ فيناجي مولاهُ، وتَرتَعِدُ فرائِصُهُ إذا تذكَّرَ خطاياهُ، فَلا يزالُ في استغفارٍ ونَدَمٍ، وتُشعلُ جوانِحَهُ قوارعُ الألمِ، يذكرُ فَضْلَ ربِّهِ فيقرُّ ويهدأ، ثُمَّ يذكرُ بأسهُ فَيَفْرَقُ ويضطربُ.

ما أحلمَ اللهِ عنَّا ونحنُ نبرزُ إليهِ في وقتِ نزولهِ بهذا العُهرِ وذلكَ المجونِ! سُبحانكَ ربَّنا ما عبدنَاكَ حقَّ عبادَتِكَ. ثبِّتنا على طاعتِكَ حتى نلقاكَ وأنت عنَّا راضٍ.

فقدت عفافي والبداية من المشفى

تَرَدَّدت كثيراً قبلَ أن أكتُبَ قِصَّتي وذلكَ خَجلاً مما فَعَلتُ، بَل خجلاً مِن غبائِي وضَعْفِي وانقيادِي وراءَ أهوائي، ولكنَّ الآنَ سأجمَعُ قواي وسأروي قِصَّتِي مَع الحياةِ لتَقرأها كلُّ فتاةٍ تُسوِّلُ لها نفسُها بالسقوط..

أنا فتاةٌ في الثَّانيةِ والعشرينَ مِن العُمُر، ولقد حَصَلَت لي هذه القِصَّةُ قَبْل الآن بسنَةٍ تقريباً، وياليتَ عُمري تَوَقَّفَ ولَم يحدُث مَعِي ذلكَ، لَقَد تَمَنَّيتُ أنِّي لم أُولَد ولَم أعِش، لَقَد مَرَّت سَنَةٌ علىٰ هذهِ الحادثةِ وأنا أستيقظُ كُلَّ يوم حَامِلَةً مَعي همومِي ومَا فَعلتُهُ بنفسِي.. لَقَد تعبتُ مِن عتابِ نَفْسِي ولومِهَا.

في يوم مِنَ الأيَّام مَرِضَت أمِّي فذَهبتُ بهَا إلىٰ المستشفىٰ، ولَم أكُن أعرفُ أو أدري أنِّي ذاهبةٌ إلىٰ دمَاري ونِهايتي، دَخلنَا قِسْمَ الطوارىء وكنتُ أرتَدِي حجابِي الكَامِل ولَم يكُن بهِ مَا يلفِتُ النَّظَرَ.. وفجأة إذا بشابٍّ يجلِسُ في الانتظار لم ألتفت إليهِ كثيراً.

المهم دَخلتُ مَع والدتي وأجرينَا لها الفُحوصات، ولأنهُ قِسمٌ خاصٌّ بالنِّساء رَفَعتُ الغطاءَ عَن عينيّ، وفجأة ونحنُ في انتظارِ الفُحُوصاتِ فُتِحَ البابُ.. وإذا عيني تنظُرُ إلىٰ عَينِ ذلكَ الشَّاب، لم أستَطع أن أغضَّ طَرفي أو أُنزل الغِطَاءَ علىٰ وجهي.. بَل استَمَرَّ نَظَري إليهِ بشغفٍ شديدٍ.. لَقَد كانَ شابّاً وسيماً جدّاً وقد بادَلَني النَّظرات، استطعتُ أن أغافِلَ أمِّي قَبْلَ خُروجِي مِن المستشفىٰ وحَصلتُ علىٰ رَقمِه..

وبدأ المشوارُ مشوارُ الجحِيم، وكانت المحادثةُ الأولىٰ وحَدَّثني فيهَا بأنَّه يُريدُ الزَّواج مِنِّي؟

فقلتُ لَهُ: كيفَ وأنتَ لا تَعْرفُ عَنِّي شيئاً؟

فَرَدَّ قائلاً: بأنهُ أُعجِبَ بحجابِي الكامِلِ، ومما زادَ إعجابهُ بي عينَاي..

لا أعرفُ إن كـانَ صادقاً أم لا؟ فأعجبني كلامُهُ كثيراً بَـل سَحَرَني بعباراتِهِ تلكَ.

واستمَرَّت الاتِّصالاتُ بيننَا حتَّىٰ طَلَـب مِنِّي الخروجَ مَعَهُ، فلَـم أتـردَّد لحظةً واحدةً في الخروج مَعَهُ لأنَّني وَثقتُ بهِ ثقةً عَمياء، وفعلاً خَرجتُ معـهُ عـدَّةَ مرَّات، فمرَّة أذهبُ مَعَهُ إلىٰ منزلِ أهلِهِ أثناءَ سَفَرهِم، ومرَّةً إلىٰ منزلِ أختِهِ، ومرَّة أخرى يستأجر شقَّة من شُقق العزّاب.. وكنت أرتدي زيّ الرَّجل الكامِل مِن ثوب وشماغ وعقال، وأدخُلُ مَعَهُ الشُّقَّةَ دُون أن يَشُكّ بي أحدٌ..

وفي يومٍ من الأيامِ اندَفعتُ وراءَ أهوائي وخَرجتُ مَعَهُ وأنا في كامِلِ زينَتِي، وذهبنا إلىٰ منزلِ أختِهِ في ذلكَ اليوم، لم أكُن أعلَم أنِّي سأخسَرُ كـلَّ شـيءٍ.. حياتي.. شرفي.. عَفَافي.. حيائِي.. جوهرتي.. والتي هي جَوهَرَةُ كُلّ فَتَاةٍ تَعتَزُّ بشرفِهَا وطهارتِها.. أمَّا أنا فقَد تنازلتُ عنهَا بكلِّ سُهولة.

ورغم أنَّ ذلك الشابّ كانَ يتحمَّلُ المسؤوليةَ إلاَّ أنَّني أتحمّلُ المسؤوليةَ أكثرَ منهُ، لأنه لم يكُن يريدُ أن تَصِلَ الأمورُ بنَا إلىٰ تلكَ الحالِ.. لكنني أغويتُهُ وزَيَّن لنا الشيطانُ هَذا العَمَل حتَّىٰ وقعنا في جُرم عظيم.. هو الزِّنىٰ..

بعدَها بدأ الندمُ واللومُ فقلتُ: يا اللهُ مَاذا أفعَل؟ كيفَ سأواجِهُ أهلِي ومَاذا أقولُ لهم؟ وكانَت أسئلةٌ كثيرةٌ تَدُورُ في ذِهْنِي حتَّىٰ أحسستُ أن جبلاً قائماً فوقَ رأسي، لأقولَ لِنفسِي وأُعاتِبُها: كم أنتِ سخيفة..

ولم يمر إلاَّ أسبوعٌ واحد إلاَّ وهـذا الشابُّ يقدُم مَع أهلِهِ ليخطُبَنِي.. فَرِحْتُ

كثيراً لم أصَدِّق.. ولكـنَّ المصيبةَ كـانت في أهلـي.. لقَـد رفـضَ أهلِـي ذلـكَ الشّـاب رغمَ بكائِي ورجائِي إلاَّ أنَّهم رفضُوهُ بشدَّةٍ..

ولم ييأس ذلكَ الشابُّ حيثُ جاءَ بأهلِهِ مرَّةً أُخرى وثالثـة.. إلاَّ أنَّ أهلـي كـانَ رفضُهم قاطعاً، وبالذَّات أخي الأكبَر حتَّىٰ إنَّهُ هدَّد الشابَّ إنْ عَادَ مرَّةً أُخـرى أنَّـهُ سيؤذيهِ.

وخرجَ هذا الشابُّ مِن حياتِي وبقيتُ أنا حاملةً معي العـارَ والـذُّلَ.. إلىٰ متىٰ.. لا أدري؟

والآن أنا حـائرةٌ مـاذا أفعَل؟ فَلَقَـد تقـدَّم الكثيرُ لخطبَتِي ولكنِّـي أرفضُـهُم، إلاَّ أنني لا أستطيع الرَّفضَ دائماً.. ولا بُدَّ لي مِنَ الموافقَةِ وحينهَا لا أعلم ماذا سأفعل؟

لم تنتهِ قصةُ مأساتِي بعدُ.. المهم بعدَ هذهِ الحادثةِ بقيتُ حائرةً وفكـري مُشَتَّت ثمانيةَ أشهُر، لأقعَ مَرَّة أخرى مَع شابّ آخر، وبعدَ أن حكيـتُ لـه قِصَّـتي أخبرني بأنهُ يستطيعُ مُساعدتي.. فَفَرحتُ كثيراً ولم أصدِّق بـأني سَوفَ أعـودُ إلىٰ طبيعَـتي وأسترد شَرَفي، لكنِّي لم أكن أعلَم أنَّهُ ذئبٌ ويكيدُ لي المكائِد..

وفي مَرَّةٍ قـالَ لي: إنَّـهُ سيأخذني إلىٰ مستشفَىٰ يعرفُ بـهِ طبيـبٌ يسـتطيعُ أن يُسَاعدُني بعمليةٍ صغيرةٍ تستمرّ نصفَ ساعةٍ فَقَط، وبَعْدَهَا أعودُ كما كُنْتُ سابقاً.

فصدَّقت ما قالَـهُ لي، وبـدلاً مِـن أن أذهـبَ للكُلِّيـةِ ذَهَبْـتُ مَعَـهُ كـي يُوصلني لذلكَ الطَّبيب، وبما أنني لا أعرفُ في هـذهِ المدينـةِ شيئاً فقَـد ذَهَـب بِي بعيـداً عَـن المدينةِ.. لأدركَ بَعْدَهَا أنهُ مَا هُوَ إلاَّ ذئبٌ مفترسٌ.. لم أعرف ماذا أفعل؟

صرختُ بكيت كثيراً وتَوسّلتُ لَهُ بأن يتركنِي.. ولكنَّهُ كـانَ مُصِـرّاً، ولَـم يكـن أمامِي إلاَّ المقاومة، فقاومتهُ بشدَّةِ حتَّىٰ أنه ضَربني وشقَّ ثيابِي.. وعندما عَلِمَ أنه لن يَستطيع لمسي استَسْلَم وعادَ بي إلىٰ السكَن، وبقيتُ ذلكَ اليوم كأنِّي ميّتة.

وأدركتُ في النهايةِ أنَّ العلاجَ الوحيدَ لما أنا فيهِ هُوَ التوبةُ النَّصوح والتوجّهُ إليهِ بالدُّعاء الخالِص، فلجأتُ بعدَ اللهِ إلىٰ أختِي لتساعدَني في مُصيبتي.. واللهُ وحدهُ يعلمُ ما سيحلّ بي..

فيا أخيّتي هذه نصيحةٌ مِن أختِك: حافظي علىٰ جوهرتِك فأنتِ لديكِ جوهرةٌ و لا تُباع بكنوزِ الدُّنيا كُلِّها..

والمصيبةُ الأعظمُ والأدهىٰ أنَّني حاولتُ الانتِحَار أكثَر مِن مَرَّة، وخاصَّةً عندما انظرُ في وجهِ أمِّي المسكينَة الَّتي تَظُنّ في ابنتِهَا العفافَ والحشمَةَ والحياءَ، وهي لا تعلمُ أنّني قد خنتُ الثقةَ التي أولاها لي أهلي.. وانجرفتُ وراء شهواتي ولذاتي الكاذبة..

فأنا الآن أسكُنُ والعارُ سواء في بيتِ أهلِي، إلىٰ متىٰ، اللهُ أعلم.

أختكم: التائبةُ.

❖ ❖ ❖

فاتنة

اسمها «فاتنة» وهي كاسمِها.. جريئة ومتحَرِّرة مثقَّفة في كلِّ شيءٍ إلاَّ في الدِّين، المهم عندَها أن تكونَ ذات قَلْبٍ طَيِّب، ولا عليهَا بعدَ ذلكَ أن تُخَالِطَ مَن تشاء.. وأن تَلْبِسَ مَا تَشَاء.. وأن تَفْعَلَ مَا تَشَاء..

وفي ليلةٍ جَمَعت «فاتنة» صُوَيحباتها للاحتِفَال بعيدِ مِيلادِهَا.. عيد ما أنزلَ اللهُ بهِ مِن سُلطانٍ.. ورثناهُ عَن الكفَّار تَشَبّهاً وتقليداً.. ومَن تَشَبَّه بِقَوم حُشِرَ مَعَهُم - والعياذ باللهِ - لقد كانت «فاتنة» في أجمَل هيئةٍ وأحسَن مَظْهَرٍ.. بدأت تَدُورُ بين صديقاتِها وتُطلقُ الضحكات هنا وهُناك وتَسألهنّ: أتدرونَ يا بَنَات.. ماذا يَنْقُصُ حَفْلَتنَا هذهِ؟ فأجبنَهَا إجابات، وهي تَقُولُ: لا.. ثمَّ لا.. وهي مُصِرَّة علىٰ سُؤالها.. ثم قَالَت وهي تجيبُ علىٰ سُؤالها بِنفْسِهَا وتَضْحَك: تَنقُصُنا الشّيخة «عَلياء». فانطَلَقت مَوجاتُ الضحكِ والاستهزاءِ مِن كلِّ مكانٍ..

فقَالت أحداهُنَّ مُدافِعَةً: لماذا كلّ هذا الضَّحك والاستهزاء علىٰ «عَلياء» أليست زميلتَنا في الصَّف؟ أليست صَديقتَنا؟ ألم تكُن إلىٰ عَهْدٍ قَريبٍ رفيقتنا في سَهَراتِنا وحفلاتِنَا وغَفْلَتِنَا وقد هداها اللهُ تعالىٰ.. فهنيئاً لها، فهي الآن في محرَابِهَا مَع صلواتِها وقرآنها.. ونحنُ في لهونا وعبثِنا.. إنَّها تبحثُ عَن الآخرةِ ونحنُ عَن مّاذا نبحثُ.. فتجَاهلنَ سُؤالَها..

وتدخّلت واحدةٌ أخرى وقَالت: لَقَد ذهبنَا إليها أي: إلىٰ «عَلياء» لندعُوهَا إلىٰ عيدِ الميلادِ ولكنَّها اعتذَرَت، وأعطتنا محاضرةً طويلةً في الأخلاقِ والدِّين والعاداتِ والتَّقاليد الاجتماعيةِ..

فقَالت «فاتنة»: مسكينةٌ هي «عَلياء» لقَد كانَت عاقلةً مُتحَرِّرة قَبْلَ أن

يُصيبها هَذا الهوسُ الدِّينيّ الَّذي اختطفَهَا مِن بينِنَا..

فقلتُ أنا: سُبحان اللهِ.. أصبحَ الدِّينُ هوساً وجنوناً..

ثمَّ تابعت «فاتنة» حَديثَهَا وهي تَقُول: فِعلاً مسكينة «عَلياء» لَقَد انقَلَبَت بسرعةٍ، وتَسَمَّمت أفكارُها وتَغَيَّرَت هيئتُها.. لَقَد أطالَت ثيابَها فأصبحَ منظرُهَا ككبيراتِ السنِّ والفَلاَّحاتِ، لَم تَعُد تُؤمن بأنَّ خَيْرَ اللِّباسِ مَا قَلَّ ودلَّ.. والأدهَىٰ من ذلكَ شعرُها أصبحَ بضاعةً مُحَرَّمةً مُغَطَّاة تحتَ ذلكَ السَّواد.. مسكينة هي «عَلياء» نَسيَت أنَّ اللهَ يهمُّهُ مِنَّا القَلْبُ فقط.. وكلّ مَا عدا ذلكَ شكليَّات..

(اللهُ أكبرُ أصبَحَ الحجابُ والتَّمَسُّك بالدِّين شكلِيَّات لا قيمةَ لها.. قَاتَلَ اللهُ الشَّاشات والقَنَوات التي تبثُّ هذا الفساد..)

ثمَّ تَابعت «فاتنة» حَديثَهَا عَن «عَلياء»: إنَّها تخوّفنا مِنَ النَّار وأنَّ اللهَ سيحرقُ بِهِ أجسَادَنَا المكشوفَةَ.. إنَّها تُنذِرُنَا مِن شيء اسمُهُ الموتُ.. ومن شيءٍ آخر تُسَمِّيهِ الحسَاب، والحشر.. بل اسمَعُوا يا بنَات إنَّها تُحمِّلنَا مَسؤوليةَ إغواءِ الشَّباب وإغراءِ الرِّجال..

فقالت أحداهُنَّ: نَعَم لَقَد قَتَلَتها الهواجسُ والوساوسُ.. ونَسِيَت أنَّ الرِّجَالَ خُلِقُوا لَنَا ونحنُ خُلِقْنَ لهم.. مسكينة «عَلياء» أين سَتَجِدُ فَتَىٰ أحلامَها؟ أينَ سَتَجِدُ السَّعادةَ والأُنسَ؟ لَقَد قَتَلَت نَفْسَهَا بهذا الدِّينِ وهي ما زالت في ريعانِ الشَّباب، ولا بدَّ أن نَصْنَع شيئاً لإنقاذِهَا.. فَارتَفَعَت الأصواتُ: لا بُدَّ مِن إنقاذِهَا.. لا بدَّ مِن إنقاذها قَبل أن تَقْتُلَ نَفْسَهَا بطولِ العبادَةِ ولُزُوم البيتِ.. فَلا أسواقَ ولا حفلات.. ما هَذا الفَهم الخاطئ للدِّين؟ إنَّ الحياةَ مُتعَةٌ وحرّية.. أمَّا الموتُ فما لَنَا وما لَهُ الآنَ.. نَعَم سنموتُ ولكن عِنْدَمَا نَشيخُ ونَهرَمُ..

وانتهىٰ الاحتفالُ ودارت (٧) سَنوات بعدها وتخرَّجت البناتُ تخرجت «فاتنة» و«عَلياء» وثَبَتَت «عَلياء» عَلىٰ طريقِ الاستقامةِ والالتزام.. فماذا حَصَلَ لـ«فاتنة» وماذا حدثَ لـ«علياء» والأخرياتِ؟؟

تَعَالوا معي وأعطُوني مَسَامِعكُم لنُتَابع القِصَّةَ لكن مِن مكانٍ آخَر.. ففي إحدى المستشفياتِ في الدّور الرَّابع وفي غرفةٍ مِن غُرَفِهِ ينبعثُ صَوتُ أنينِ مَريضةٍ يملأُ الغرفةَ.. إنَّها في تلكَ الغرفةُ والصوتُ ينبعثُ منها منذُ عِدَّة أشهُر ولَقَد يَئِس الأطباءُ مِن حَالَتِهَا، وأصبحَ صَوتُ أنينِهَا معتادٌ في المستَشفَىٰ، ولا أحد يَستطيع أن يَفْعَلَ لها شيئاً، لقد تَعَوَّدت المرضاتُ عَلىٰ سَمَاع أنينِهَا وشكوَاهَا.. إلىٰ أن جاءت ليلةٌ من الليالي ودخلت إلىٰ المشفىٰ طبيبةٌ جديدةٌ.. واليوم هو دورُها في المناوبةِ، وبدأت تطوفُ علىٰ غرف المرضَىٰ.. وفجأةً سمعت صوتَ أنينٍ فلَم تَستَطع أن تَتجاهَل ذلكَ الصَّوت وذلكَ الأنين، فأخذَت بعضَ العَقَاقير والمهدِّئات وولجت إلىٰ تلكَ الغرفةِ، وفتَحَت البابَ، فإذا بامرأةٍ علىٰ السَّريرِ في شبهِ غَيبوبَةٍ.. جَسَّت نَبْضَهَا فإذا هُو نبضٌ ضعيفٌ عَلىٰ وشكِ التَّوقّفِ.. أصغَت إلىٰ تَنَفُّسِهَا فكانَ التَّنفّسُ مضطرباً خافتاً.. فجلَسَت إلىٰ جانِبِها وأعطَتها بعضَ المنعِشَات والمهدّئات فأفَاقَت بعد قَليل واستوَت عَلىٰ سَريرِها وأدارت المريضةُ عينيهَا فيمَا حولَها ثمَّ ثَبَتَ نَظَرُها علىٰ وَجْهِ الطَّبيبة فأخَذَت تَفْرُكُ عينيهَا بيديهَا الضَّعيفتين.. ثمَّ زادَ اضطرابُها وزادت دهشتُها.. ثمَّ قَالَت للطبيبةِ: بربِّك قُولي لي: مَن أنتِ أسألُكِ باللهِ العظيم من أنتِ؟ كأنِّي أعرفُكِ مَن أنت؟

فقالتِ الطبيبةُ: أنا أنا الطبيبةُ يَا أمَّاه..

فَقَالَت المريضةُ: أنا لا أسألُكِ عَن مهنَتكِ، أنا أسألُكِ عَن اسمِك؟؟ أسألُكِ

باللهِ العَظيم ألستِ أنتِ «عَلياء» نعم أنتِ «عَلياء»!!

فقالت الطبيبةُ.. باستغراب: بلا أنا «عَلياء» وفي لحظاتٍ إذا بالمريضةِ تُطوِّقُها بذراعيهَا وتَضُمَّها إلىٰ صَدْرِهَا وتُقبِّلها وتجهشُ بالبكاءِ..

وزادَ استغرابُ الطبيبة «عَلياء» وصُعِقَت من هـذا الموقف الغريب نوعاً ما.. فسألت نفسَها من عسَاها أن تكونَ هَذهِ المريضةُ؟ وهَل بها مَسٌّ مِنَ الجنونِ؟؟ ولكن كيفَ عَرفتني وأنا لم أقابِلهَا مِن قَبْل؟ ولم يَسبق لي علاجُها بَل هذه أوَّل ليلةٍ لي في المشفىٰ كطبيبة مناوبةٍ؟

فرجعت «عَلياء» بذاكرتِها إلىٰ الوراءِ وأخذَت تَنْظُرُ إلىٰ المريضةِ مَشدوهَةً مصعوقةً لا تدري ماذا تَفعل.. غيرَ أنَّها سألتها: مَن أنت يا خالَة؟ وكيفَ عرفتِ اسمِي؟ وهَل التقينا مِن قَبْلُ؟

فَردَّت المريضةُ بصوتٍ تخنقهُ العَبراتُ: نَعم يَا «عَلياء» لَقَد التَقَيْنَا مَرَّات ومرَّات إنَّ اسمَكَ وصورَتَكِ لم يفارِقَا خَاطري خاصَّةً عندما أصابني المرضُ قبلَ ثَلاثِ سنينَ.. آه يَا «عَلياء» أنا التي أكلتُ لَحمَكِ واستهزأتُ بِكِ.. أنا صديقتُكِ «فاتنة» يا «عَلياء».. ثمَّ انفَجَرَت بالبكاءِ والنَّحيبِ..

صُدمت «عَلياء» ولم تَستَطع الكلامَ، فقَالَت وهِي لا تُصَدِّق ما سَمِعَت: أقسَمْتُ عليكِ بِاللهِ أأنتِ «فاتنة»؟ مُستحيل «فاتنة» كانَت كَاسمِهَا أصغَر وأنضَر..!

فقالت «فاتنة» بصوتٍ خَافِتٍ متقطع: نَعَم أنا الَّتي كان يُقَال لها ذات يَوم «فاتنة»..

فأكَبَّت عليها «عَلياء» تَضُمّها إلىٰ صَدْرها وتَجهَش بالبكاءِ المُرّ الأليم، فَلَمَّا

هَدأ البكاءُ أخَذَت « فاتنة » تروي قِصَّة سبعَ سِنين منذُ أن افتَرَقَت عن صديقتِها فقالت:

تَخَرَّجت مِن البكلوريا وحاولتُ إكمالَ الدِّراسةِ فَلَم أستَطع.. كنتُ لاهيةً مُتَمَرِّدةً على كلِّ شيءٍ، لم أكُن أشكُّ بِاللهِ، لكِن كنتُ أعتَقِد أنَّ اللهَ طلبَ منِّي أن أكونَ طيِّبَةَ القَلْبِ وكَفَى.. تعرَّفتُ على كثيرٍ مِن شبَّان وفتَيَات.. ثمَّ ارتبطتُ برجلٍ تَعَرَّفتُ عليه في الوظيفةِ أحَبَّني وأحببتُهُ، لكنَّنا كنَّا نعيشُ حياةً غافلةً بعيدةً عَن اللهِ، ثمَّ بعدَ زواجنا بسنواتٍ رزقنَا اللهُ بطفلةٍ صغيرة جميلةٍ رائعةٍ سَمَّيتُها « سَوسَن » على اسم صاحِبَتي الَّتي تَعرفينَهَا، ثمَّ بدأتُ أشكُو مِن آلامٍ في بطنِي.. وعرضتُ على الأطباءِ فقالوا: إنَّها قرحةٌ فأخذتُ أتعالج مِن دونِ فائدةٍ، وأخذَت آلامي تَزيدُ، وهمومِي تزيدُ وأنا أهرُبُ منها بمزيدٍ مِنَ الغفلةِ والضَّياع، ثمَّ تَدَهورَت صِحَّتِي وجاءَ التَّشخيص الجديدُ ليقولَ بداية تَورُّم خبيثٍ في المعدَةِ وهكذا استحَالت القرحةُ إلى سرطانٍ.. ثمَّ أخذَ السرطانُ يستَفْحِل ويزيدُ إلى أن أقعَدَني هنَا أصارعُ الألمَ وانتظرُ الموتَ في أيِّ لحظةٍ.. لم أرى ابنَتي منذُ أربعةِ أشهُر عمرها الآن أربع سَنَواتٍ.. وزَوجي لم يأتِ لزيارتي منذُ أسبوعين، لَقَد تَعِبَ مِن التَّردد عَلَيَّ كلّ يوم لعلّه مَلَّني أو كرهَنِي..

فَلَمَّا سمعَت « عَلياء » قِصَّتها لم تَتَمَالَك نَفْسَهَا وانخرطَت في بكاءٍ شَديدٍ، ثمَّ تمَالكَت نَفْسَهَا وقامَت إلى « فاتنة » تَضمّها إلى صَدْرِهَا وتواسِيها وتخفّف عنهَا قائلةً لها: لا تجزعي يا « فاتنة » لا تجزعي يا « فاتنة » فَقَد عرفتُك شجاعةً قويةً لا تَقنطِي من رحمةِ اللهِ.. لا تستَسْلِمي لليأسِ فَقَد يكتبُ اللهُ لكِ الشِّفاءَ، وقد يكون هذا ابتلاءً فاستسلِمي لقضاءِ اللهِ وقدرِهِ واصبري، فالصبرُ جميلٌ واللهُ مَع

الصَّابرين.. هَدأت «فاتنة» وأخذَت تَقُول: عفوكَ يا رَبّ.. عفوكَ يَا رَبّ، لم يبقىٰ لي سواكَ، فَهَل تَقبلُني.. رُحمَاكَ يا الله ليتَهُ الابتلاءُ.. لا إنَّهُ الانتقَامُ إنَّهُ الانتقَامُ لأولئك الضَّحايا الذيـنَ فَتَنتهُم وأغويتُهم.. إنَّه الانتقامُ يا «عَلياء» كَم تجاهَلتُ كلامَ أُمِّي الحنون.. كم تجاهلتُ كلامَ النَّاصحينَ المحبِّين.. يا الله كَم أغويتُ مِن شابٍّ، وأفسدتُ مِن فتاةٍ!! ثُمَّ أخـذت تُردِّد وتقول: اقترب مِنِّي يا موتُ.. اقترب مِنِّي يا موتُ فَلَطالما خَدَعتنِي أوهامِي، لَقَد ظننتُ أنَّك لا تأخُذ إلاَّ الكبارَ والشيوخَ وتَترُك الشَّباب، لَقَد خَدعتنِي نَفْسِي والشيطانُ، وغَرَّني طولُ أمَلِي..

ثمَّ أخذت تَسأل «عَلياءَ» أصحيحٌ يا «عَلياء» إنَّ القبرَ مظلمٌ؟ أصحيحٌ يَا «عَلياء» إنَّ القبرَ ضَيِّقٌ؟ فتجيبُ نَفْسَهَا: نَعَم صَحيح، وعمَّا قليل سَأحمَلُ إليهِ جسداً بارداً هامداً.. هُناك لَن يموتُ مَعِي أهلٌ ولا أحبابٌ، ولن يكونَ مَعِي مالٌ ولا ثيابٌ، لن يكونَ هُناك زوجٌ ولا أصحابٌ.. يا الله كيفَ سأفارقُ صَغيرتي «سوسن» أنا لا زلتُ صغيرةً ولم أشبَع مِنَ الحياةِ.. ثمَّ أمسكَت بخصلةٍ مِن شعرها وقالَت: أصحيحٌ أنك ستتَساقَط في القبر شَعرةً شعرةً؟ ثم تَلَمَّست عينيهَا وقالت: بكما أرى النورَ كم أسقَطتُ بنظراتي مِن شابٍّ أحقّاً سيأكلكمَا الدودُ وينهشكما الترابُ؟؟

أخذتها «عَلياء» بين ذراعيهَا وضمَّتها إلىٰ صَدْرهَا وأخذت تَقرأ عليها القرآنَ وتدعُوا لها بالشِّفاء وأخذت تَقولُ لَها: كفىٰ يا «فاتنة» كفىٰ يا «فاتنة» لا تَقنَطِي من رحمَةِ اللهِ.. ولا تيأسي مِن شفاءِ اللهِ..

فقالت «فاتنة»: أسألك باللهِ يا «عَلياء» أيغفِرُ اللهُ لي وقَد فعلتُ مَا فَعلتُ؟

فقالت «عَلياء» بصوتٍ واثقٍ: وكيفَ لا يا «فاتنة» أليسَ اللهُ واسعَ المغفرةِ..

أليسَ اللهُ توّاباً رحيماً.. ألم تَسمَعِي قولَ اللهِ تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فقَالت « فاتنة » : بربّك يا « عَلياء » لا تُناديني بعدَ الآن « فاتنة » ناديني ظَالمة.. ناديني ظالمة.. نَعَم ظالمةٌ لَقَد ظلمتُ نَفْسِي ظُلماً كثيراً..

ثمَّ وبقدرةٍ عجيبةٍ استَوت « فاتنة » علىٰ سريرهَا ورفَعَت يديهَا إلىٰ السماءِ وهي ترتجفُ ضَارعةً وأخذَت تَدعُو اللهَ برقّةٍ وخُشُوع : اللَّهمَّ اشهَد بأنِّي قد رجعتُ إليكَ، وأنبتُ إليكَ، فها أنا ذا طريحة علىٰ بابكِ، اللَّهمَّ إن كُنت قَد كتَبْتَ لي الشِّفاء وهَذا ليسَ صعباً عليكَ وقَد أخفَقَ الأطباءُ وعَجزَ الحكماءُ.. فاشهَد يا حكيمُ بأنَّني لن أعصيكَ أبداً.. اللَّهمَّ وإن كُنتَ قَد قَدَّرتَ عَلَيَّ الموتَ عاجلاً.. فاشهَد بأنِّي لم أيئس مِن رحمَتِكَ ولن أقنَط مِن مَغْفِرَتِكَ.. طالَمَا بقيَ في صَدري نفسٌ يَتَرَدَّد.. يا رحمَن الدنيا والآخرةِ.. يا اللهُ ظلمتُ نَفْسِي ظلماً كبيراً ولا يَغْفِرُ الذنوبَ إلاَّ أنتَ إنَّك أنتَ الغفورُ الرَّحيم.

[بتصرف من قصَّةٍ للشيخ خالد الرَّاشد]

❖ ❖ ❖

الأرملة

حَدَّثني أحدُ الدُّعاة عَن امرأةٍ تَبلُغ مِن العُمُر ستَّةً وثلاثينَ سنةً، لها ثلاثةٌ مِنَ الأبناءِ، سُجِنَت ثلاثةَ أشهُر بسببِ خطيئةِ دَقَائِق ونزوة عَابِرَة.. ضُبِطَت بتهمةِ مزاولةِ مهنةِ الدَّعارة، وهَذا بحقّ ما يحزُّ في النَّفسِ ويَستخرج الدَّمعَةَ مِن محجرِهَا كيفَ لا، وهي أمٌّ لثلاثةٍ مِنَ الأبناءِ أكبرهُم عمُرُهُ (١٩) سنةً وهي أرملةٌ لرجُلٍ غَنِيٍّ ثريّ قَد ماتَ عنها بسبَبِ حادثِ سيَّارةٍ، وكانَ آنذاك كمَا تحكِي عَن نَفْسِهَا لا يَرُدّ لَهَا طلباً مَهْمَا كانَ، وأنَّه بَعْدَ وفاتِهِ خَلَّفَ لهم تَرِكَةً جيِّدةً مِنَ المبالغ النَّقديةِ والعَقَارات.

هذه الأمُّ مَضَت عليها الشُّهورُ والأعوامُ تَقُوم علىٰ مصَالح أولادِهَا وتتابع تربيتَهُم تحتَ المسؤولياتِ المضاعفةِ، يُشاطِرُهَا ولدُهَا الكبيرُ أعمالَ البيتِ، والأموالُ تحتَ إشرافِ العَمِّ المباركِ، لكن ومَع تَعَاقُب الأعوام أصبحَت الأمُّ كثيرةَ الخُروج مِن بيتِهَا لمناسَبَةٍ ودونَ مُنَاسبَةٍ حتَّىٰ وقَعَت ضحيةَ رَجُلٍ اصطادَهَا في حين غفْلَةٍ منهَا فاستطَاع أن يَقتُلَها في عَفَافِها وكَرَامتِهَا وخاصَّةً بَعْدَ وفاةِ زَوجِهَا في تفاصيل مُؤسفة وصَفَحَات مُوجِعَة مِن خلالِها تَعرَّفت عليهِ أكثَرَ بطرقٍ مَشبُوهَةٍ ودُون أن يُلاحِظَ أولادُهَا ذلكَ..

وفعلاً قَويت العَلاقَةُ والارتباطُ المحرَّم.. فأصبحَ بشكلٍ يَوميّ عبْرَ سَمَّاعةِ الهاتِفِ، ورَسَائِل الجوالِ الشَّيطانية.. باسم نحنُ كبار ونَعرفُ مصلَحَةَ أنفُسِنَا..

أقولُ: لكن ثمةَ طريق كانَ لهذهِ المرأةِ أجلَىٰ وأنقَىٰ مِن ذلكَ، تَحفَظُ فيهِ الأرملَةُ حَقَّ زَوْجِهَا بَعْدَ وفاتِهِ بأشهُر.. أن تَتزَوَّج بطريقٍ شرعيٍّ لا أن تَسْلُكَ دُروبَ الخطيئةِ والزَّلل لإشباعِ رغباتِها.. لكن صدَقَ الشَّاعِرُ:

بَعْضُ الجراح إذا دَاويتهَا اندمَلَت … وبَعْضُهَا لا تُداويهِ العَقَاقِير

ومَضَت أيَّامُ التَّعارف تَسيرُ بهَا في بحرِ الشَّهوةِ ونارِ الفِتْنَةِ، فأخذَ الرَّجُل يضغَطُ عليها بالخروج مَعَهُ حتىٰ انجرَفَت وراءَ رغباتِهِ، فقابلتهُ مَرَّات عَديدة وكثُرَت المقابلاتُ ووقعَت في جريمةِ الخيانةِ المقيتَةِ.. يا الله ماذا فَعَلَت هذهِ الأمّ ؟؟ وما عَسَاها تَقُول لأولادِهَا ؟؟ وبم تُعَلِّل هذا الانحرافَ والخَلَل ؟؟ لقد جَنَت علىٰ نَفْسِهَا بنفسها، والخطبُ عظيمٌ، والمعصيةُ كبيرةٌ، والحافظُ علىٰ أعمالِها هُوَ اللهُ، لَقَد قتَلَهَا الرَّجُل في أعزِّ ما تملِكُهُ مِن عفافِهَا وشرفهَا وصيانَةِ حَقِّ زوجِها المَيِّت وأولادها منه كيفَ لا !! وقد أسرَهَا بكلماتِهِ الكاذبةِ ووعودهِ المزيفةِ التي لا تَنْتَهي إلاَّ بالتَّخديرِ المعنوي وبالصُّور الجنسيةِ القَاتِلَةِ، والقصَص الخليعةِ المهلِكَةِ..

المهمَّ أمهلَها اللهُ كثيراً ولكن لم يُهملُها، وضبطت هذهِ الأمُّ وقيدت إلىٰ السِّجنِ، ونالَت العقابَ حَسبَ النُّصوص الشَّرعيةِ فيما اقترَفَت يداها.. وذاقَت مرارَتَهُ وتجرَّعَت غصصَهُ وآلامَهُ.. وهنا وقَفَ العمّ (أخ الزوج الميت) وسترَ علىٰ زوجَةِ أخيهِ، وجعلَ يُبرِّر دخولَهَا السِّجن لهذِهِ المدَّةِ دُونَ الإفصاح للأبناءِ بتفاصيلَ تَضُرّ ولا تَنْفَع.. تبكِي ولا تُفرح.. تُفَرِّق ولا تجمع.. تَفضَح ولا تستر.. وإلاَّ فَمَاذا تَقُولُ الأمُّ الحنونُ لأولادِها؟؟ وما عَسَاهُم فاعِلُون؟؟ ومَا الأسبابُ الحقيقيةُ الَّتي دَفَعَت أمَّهُم للسِّجن؟؟ وهَل أُمُّنا مجرمةٌ تَسْتَحِقّ السِّجنَ؟

نعم إنَّها تَساؤلات حائرة، لم تجِد إجابةً شافيةً في نُفُوس أولادِهَا، وكأنهُ أنينٌ ونَدَمٌ مِن تَبِعَات الزِّيارةِ الأسبوعيةِ الَّتي يقومُ أولادُهَا لَهَا وهي نزيلَة السِّجنِ، وكأنها تَقْرأُ في وجوهِ الأبناءِ الاستفهاماتِ في سببِ سِجْنِ أمِّهم الحنون.. لكن ومَع هذه الأحزانِ كانَت الفرحةُ تَبْدُو علىٰ محيّا وجهِ هَذِهِ الأمِّ التَّائِبَةِ والأرمَلَةِ العائِدَةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وقَد سَترَهَا وحفِظَهَا مِن تَفَاصِيل تَشيبُ مِن هَولِهَا الرؤوسُ ويَصْعُبُ علىٰ مِثْلِهَا تحمُّل ذَلِكَ.

هذهِ الأمُّ السجينةُ كم كانَت تَعُدُّ السَّاعات والدَّقائق والثَّواني انتظاراً لموعِدِ الزيارةِ مَع قَلَقِهَا المتواصِل خوفاً من معرفةِ أبنائها لسببِ سجنِها، فَضْلاً عَن شَغَفِ الأبناءِ برؤيةِ أُمِّهم الَّتي طالما رَدَّدُوا حُرُوفَهَا وهَفَت قُلُوبُهم لِفَقْدِهَا فعَاشُوا بلا أمٍّ حياةً مليئةً بالمصاعِبِ والهمُوم والأحزانِ، فبيتُهُم الواسعُ أصبحَ ضَيِّقاً بِغيرِهم، قَد ذَبُلَت زهرةُ المنزلِ، ولم يبق مِن ذكراهَا سِوى عَبَق ريحانِهَا.. تَلاشَت معاني المحبةِ في قلوبِ أولادِهَا، ولم يبقَ مِن ابتسامَتِهَا سوى الدُّمُوع الحارَّة والسؤال: لماذا سُجِنَت أمُّنا ؟؟ وما جريمَتُهَا ؟؟ ومَتَىٰ تخرجُ مِنَ السِّجن ؟؟

متىٰ تَعُودُ إلينَا لعلَّ ذلكَ يكونُ في القريبِ العَاجلِ، لأنَّها أمٌّ وحَقُّ الأمِّ أنَّها بحرٌ مِنَ الحبِّ لا يَنْفَد وإن أخطأت، ونهر مِنَ العاطِفَةِ لا يجفّ وإن زَلَّت، وشَلّال مِنَ الحنانِ لا ينقطعُ بِسَبَبِ الخطيئةِ والزَّلل..

أنا يا قومُ أمٌّ قدْ جنيتُ   أتيتُ إلىٰ السجونِ فقد أتيتُ
كواني حرُّ ذنبي واجتياحي   ونارُ الجراح في قلبي تُميتُ
أظلُ أراقب الساعات حتىٰ   أراه الموت إني قد هويتُ
متىٰ رؤياكم تَشْفِي فُؤادي   متىٰ تشفىٰ عيوني ما ارتويتُ
ففي قلبي لكُم ودٌّ وشوقٌ   وتحنانٌ وحبٌّ ما سليتُ
فإن زُرتم أيا أبناءِ عَادت   طيورُ سَعادتي قُربِي تَبيتُ
فأمسحُ دَمْعَتِي كي لا تَروهَا   وأدفنُ عَبْرَتي حتَّىٰ أبيتُ
وإنْ قَرُبَ الوداعُ مَدَدْتُ بَاعي   إلىٰ كفِّ الشَّقاءِ هُنَا نَأيتُ
إلىٰ أمَلِ اللِّقاءِ مَتَىٰ أراكُم   ألا فَلترحَمُوا قَلْبِي عَييتُ
وزُورُوا أمَّكُم لا تَقْتُلُوهَا   فَجَفْوُ الأمِّ يَا قَومِي مقِيْتُ

الحب الزائف

وهذه فتاةٌ أخرى تَعلَّقت بشابٍّ وفي نهايةِ المطافِ جرَّها إلىٰ الرَّذيلة ثم تركَها ملَوَّثةً بالعارِ.. ظَلَّت تبحَثُ عنهُ وأخيراً وَجدتُهُ.. فالتَّفكير بالانتقام منه أخذَ جزءاً كبيراً من حياتِها.. كيفَ تنتقم ممَّن دنَّسَ شرفها، وفَضَّ بكارتَها، وكَذَبَ عَلَيْها.. ثمَّ راحَ وتَركَها يبحثُ عَن غيرِها.. وكأنَّ شيئاً لم يكُن..

وفعلاً بدأت تُخادعهُ بحبِّه وحُبّ لقائه.. وتَمَّ اللِّقاء في تلكَ الشَّقة المظلِمَةِ بالمعاصِي.. تذكَّرت تلكَ الليلة المشؤومة، فزادَ حبُّ الانتقامِ في قلبِها.. فطَلَبَت السَّهَرَ علىٰ الخمر لكي تحلُو السَّهرَةُ.. ولَمَا سكِرَ وغُطِّيَ علىٰ عَقْلِهِ قامت إلىٰ المطبخ وجلبت سكيناً وطعنتهُ عِدَّة طعناتٍ لكي تمحُو نارَ قَلْبِهَا..

ولَمَّا ماتَ نَقَلتهُ إلىٰ السَّطح وأراقَت عليه البنزين فأحرقتهُ بالنَّار.. إنَّها تُريد أن تحرقَهُ لتبعِدَ عنهَا كُلّ مَا كانَت تَرَاهُ منهُ..

وقبضَ عليها، وأدخلت السجن، ومن خلفِ قضبانِهِ أرادت أن تُقَدِّم نصيحَتَها بَعْدَما ذاقَت مَرارَتَها.. لتقولَ لِكُلِّ فَتَاةٍ: لقد ابتُليتُ بهذا الحبِّ الزَّائف وهَذِهِ هي مأساتِي المروعة.. وتلكَ هِي قِصَّتي الدَّامية.. وتِلْكَ هي نِهَايَتي المظلِمَة سَطَّرتُها لكن لتكونَ عِبْرَةً وعِظَةً لكلِّ فتاةٍ مِسكينةٍ مَفجُوعَةٍ تَبْحَث عَن الحنانِ والسَّعادة.. وتنشُد الزَّواج والاستقرارَ الأسري والطّمأنينة النَّفسية عَن طريقِ المكالماتِ الهَاتفيَّة أو بواسطَةِ التَّسكُع في الأسواقِ والاختلاط بالرِّجال، أو عبر شبكَةِ السّوء الإنترنت لأقولَ لَهَا: لقَد أخطأت الطَّريق أختاه فَلا تَسْتَمرّي في الخطأ.. أختَاهُ أفيقي قَبْلَ فواتِ الأوانِ.. أرجوكِ تَيَقَّظِي قبلَ أن تَفْقِدي عِرْضَكِ وأسرَتَكِ وسُمْعَتَكِ ومُستَقْبلَكِ وشَبَابَكِ.. احذَري ثمَّ احذَري ذئابَ الحبِّ.. احذَرِي أن تكُوني أنتِ الضَّحية القَادِمَة.. والسَّعيدُ مَن وُعِظَ بِغيرِه..

لماذا أحرقت نفسها ؟

كتب أحدُهُم يقولُ:

أحكي لكَ قِصَّةً كُنت أعيشُهَا مَع صاحِبي.. وهو أحدُ زُملائِي.. مرَّةً تَواعَدَ مَع صَاحِبِهِ علىٰ السَّهر كعادتِهِما.. فَقَالَ صَاحِبُهُ: أنا عَليَّ اللَّيلة الفَريسةَ.. إنَّ لكَ عندي في هذهِ الليلة امرأة جميلة جدّاً ستأخُذُ منكَ كلَّ مأخذ.. ولن تنسىٰ عشرتَها أبداً.. وفعلاً تَواعدا ليلاً.. ولَم يَعْلَم الطَّرفُ الآخَر مَن ستكونُ؟

وحضرت المرأةُ مع صديقِهِ في أحدِ الشُّقق المفروشةِ.. فأدخلَها إلىٰ المطبخ لِتُعِدّ الشّاي وتَتَزَيَّن لَهُما.. وصاحبُهُ جَالِسٌ في صالَةِ الشُّقَّة ينظرُ إلىٰ التّلفاز..

وما هي إلاَّ لحظات فَإذا بِهَا تَدخُل وهي تحملُ الشاي.. ويا لهولِ المصيبةِ صعقَ صاحبُهُ واندهشَ عندما شاهدَها.. وتلعثَمَ لسانُهُ، فلاحظَ صديقُهُ دهشتَهُ فسقِطَ في يدِهِ؟ يا تُرى من تكونُ هذهِ المرأة..

فلا بُدَّ للحقيقةِ أن تنجلي.. فما كانَ من صاحبِهِ إلاَ أن يترُكَ الشقَّةَ ليقفَ عندَ بابِها قائلاً له: أنتِ طالق ثلاثاً..

عرفَ عندَها صديقُهُ من تكونُ هذهِ المرأةُ.. إنَّها زوجةُ صديقِهِ..

فبدأت تبكي بُكاءً شديداً.. ولكن ماذا ينفعُ البكاءُ في مثلِ هذا الموقف.. ما أجملَ البكاء قبلَ أن نرتكبَ المعاصي.. المهم ما كانَ مِنْهَا إلاَّ أنْ أصلَحَت خطأها بخطأ أكبَرَ منهُ، قَامَت فأحرقت نَفْسَهَا - عياذاً باللهِ تَعَالىٰ - وماتَت بعدمَا قَتَلَت نَفْسَهَا.. اللَّهمَّ احفظنا وأهلَنا وذرارينا والمؤمنينَ والمؤمنات مِن كلِّ سوءٍ يا أرحمَ الرَّاحمين..

❖ ❖ ❖

موقع إباحي

يقولُ راوي القِصَّةِ: لي صَديقٌ حميمٌ في مكانةِ الأخ، انتقَل لرحمَةِ اللهِ الأسبوع الماضِي في حادثِ سَير، تَغَمَّدَهُ اللهُ برَحْمَتِهِ وألهَمَ أهلَهُ وذَويهِ الصَّبرَ والسَّلوانَ.. هذا الصَّديق لديهِ مجموعةٌ بريدية إباحيَّة، وصُور خليعية، والعياذُ باللهِ.. ولَديه مَوقع إباحِي يحتَوي علىٰ صُور جِنْسِيَّة..

المصيبة أنَّنا لا نَعْرف الرَّمْزَ السِّريّ لِتِلْكَ المواقع.. نُريد إتلافَهَا.. ولم نَسْتَطع.. يَا جَمَاعَة الخير كانَ هَذا الرَّجُل محمولاً علىٰ النَّعش.. ومجموعَتُهُ تَسْتَقْبِل صوراً جِنْسِيَّة.. حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل!!

أمَّا وَالدتُهُ فقد رَأت في المنام صِبْيَةً يمرُّونَ علىٰ قبرِهِ ويَتَبَوَّلُونَ فَوْقَهُ.. المسكينةُ لا تَدرِي عَن خفايا الأمور!! واللهِ إن هَؤلاءِ الصِّبية الَّذين يبولونَ علىٰ قبرِهِ هُم الذين يُرسِلُونَ إلىٰ موقعِهِ علىٰ الأنترنت الآن تِلْكَ الصُّور!! خاطبنا الشَّركةَ المستضيفةَ للموقع وكانَ رَدُّهُم إنَّهم لا يَستَطيعونَ عَمَل شيءٍ!!

يا جَمَاعَة الرَّجُل مات.. وأثارُهُ تُدمِي قُلُوبَنَا.. وإلىٰ مَتَىٰ سَيَبْقَىٰ هذا الحالُ!!

تلكَ المجموعةُ الخبيثةُ والموقع القَذِر أساءت لَهُ، وهذا مِن زَيغ شَياطين الجِنِّ والإنس.. حَسبي اللهُ عَليهم.. حَسبيَ اللهُ عَلىٰ مَن أغواه في إنشاءِ تِلْكَ المواقع!!

أرجُو نَشْرَ هَذهِ الرِّسالة ليتَدارك الأحياءُ وَضْعَهُم قبلَ فَواتِ الأوانِ ومَن عِنْدَهُ مَوقعٌ إباحِيّ أو مجموعةٌ بريدية إباحيَّة أو مُشترك مَعَهَا أقولُ لَهُ: أُقْسِمُ باللهِ العَلِيِّ العَظيم إنَّهُ لَن يَنْفَعَكَ هؤلاءِ الأشرار.. بَل سوفَ يَزيدُونَكَ حَسْرَةً وندامةً في يومٍ لا يَنْفَعُ فيه النَّدمُ!! وحَسبي اللهُ ونِعْمَ الوكيل..

❖ ❖ ❖

في جزر الهند

يقولُ الرَّاوي الذي نقلَ عنه الشَّيخُ: صَحِبَنَا على ظهرِ سفينةٍ نجولُ بها حولَ البلدانِ طلباً للرِّزق شابٌّ صالحٌ، نقيّ السَّريرة طيِّب الخُلُق، كنَّا نَرى التُّقَى يَلُوحُ في قَسَمَاتِ وَجْهِهِ، والنُّورَ والبِشْرَ يَرتسمَانِ علىٰ محيَّاه، لا تراهُ إلاَّ مُتوَضِّئاً مصلِّياً، أو نَاصحاً مرشداً، إن حانَت الصلاةُ أذَّنَ لنا وصَلَّىٰ بنَا، فإنْ تَخلَّف أحدٌ عنهَا أو تأخَّرَ عاتَبَهُ وأرشَدَهُ، وكانَ معنَا علىٰ هذهِ النَّصيحةِ السَّجية طيلةَ أسفارنَا.

وفي يومٍ من الأيام ألقىٰ بنَا البحرُ إلىٰ جزيرةٍ مِن جُزُر الهندِ فَنَزَلنَا إليها وكانَ مما تَعَوَّدَ عليهِ البحارةُ أن يبقوا أياماً يرتاحُونَ في هذهِ الجُزُر، يجتمِعُونَ بعدَ عناءِ السَّفر الطويل يَتَجَوَّلُونَ في أسواقِ المدينةِ ليشتَروا أغربَ ما يجدُونَ فيهَا لأهلِهِم وأبنائِهم ثمَّ يرجعونَ إلىٰ السَّفينة في اللَّيل، وكانَ منهم نفرٌ ممَّن وقَعَ في الضَّلالِ، يَتَيَمَّم أماكِنَ اللَّهو والهوَى والفُجُور والبغاءِ، وكانَ ذلكَ الشَّابُّ الصَّالح لا يَنْزل مِنَ السَّفينةِ أبداً، بَل يقضِي هذهِ الأيَّام يُصْلحُ في السَّفينةِ مَا احتَاجَ منهَا إلىٰ إصلاح، فَيَفْتِلُ الحبالَ وَيَلُفُّهَا، ويقدِّم الأخشابَ ويشدُّها ويشتَغِل بالذِّكْرِ والقِراءةِ والصَّلاة.

قالَ الرَّاوي: وعينُهُ ترقرقُ بالدُّمُوع وتَنْحَدِرُ علىٰ لحيتِهِ: وفي إحدَى السَّفرات وبينما كانَ الشابُّ مُنشغلاً بأعمالهِ تِلكَ إذا بصاحبٍ له في السَّفينةِ ممَّن أتبعَ نَفْسهُ هواهَا وانشغَلَ بطالحِ الأمورِ عن صَالِحِها، وبسافِلِ الأخلاقِ عَن عاليهَا، فجعلَ يُهَامِسُهُ قائلاً: يا صَاحِبي، لم أنتَ جَالِسٌ في السَّفينة لا تُفارقها؟ لم لا تَنْزِل حتىٰ تَرَى دُنيا غَير دُنياك ؟ تَرَى ما يَشْرَح الخاطِر ويُؤنس النَّفسَ! أنا لم أقُل لكَ تعالَ إلىٰ أماكنِ البغاءِ وسخطِ اللهِ، ولا إلىٰ البَاراتِ وغضبِ اللهِ، هيهاتَ يَا

صاحِبي، لكن تَعَال: فانظُر إلىٰ ملاعبِ الثَّعابين كيفَ يَتلاعَب بها صاحبُها ولا يخافُها، وإلىٰ راكب الفِيل كيفَ يجعل مِن خُرطومه له سلَّماً ثمَّ يصعَد برجليهِ ويديهِ حتَّىٰ يقيمه علىٰ رِجْلٍ واحدةٍ.. آه يا صاحبي لَو رأيتَ مَن يمشِي علىٰ المسامير أنَّىٰ لهُ الصَّبر، ومَن يَلتَقِم الجمْرَ كأنما هو تَمْرٌ، ومَن يشرب ماءَ البَحْر فيسيغه كما يُسيغ الماءَ الفُرات، يَا أخِي انزِل وانظُر إلىٰ النَّاس!

فَتحَرَّكَت نفسُ الشابِّ شوقاً لما سَمعَ، وقَالَ: وهَل في هذهِ الدُّنيا ما تَقُول؟.

فقالَ لهُ صاحبُ السّوء: نَعم، وفي هذه الجزيرة. فَانزِل، تَرَ مَا يَسُرُّك، ونَزَلَ الشابُّ الصَّالحُ مَع صاحبِهِ، وتَجَوَّلا في أسواقِ المدينةِ وشَوارِعِهَا حتَّىٰ دخلَ بهِ إلىٰ طرقٍ صغيرةٍ ضَيِّقة، فانتَها بهمَا الطريقُ إلىٰ بيتٍ صغيرٍ فَدَخَلَ الشَّابُّ السيئ البيتَ وطلَبَ مِنَ الشَّابِّ الصَّالح أن يَنْتَظِرَهُ وقالَ: سآتيكَ بَعْدَ قليل ولكِن ! إيَّاك إيَّاك أن تَقْتَربَ مِن الدَّار.

وجَلَسَ الشابُّ بعيداً عَن البابِ يَقْطَع الوقتَ قراءةً وذِكْراً. وفجأةً! إذا بِهِ يَسْمَع قَهْقَهَةً عاليةً، لِيُفتَحُ البابُ بعدَها وتخرُج منهُ امرأةٌ قَد خَلَعَت جلبابَ الحياءِ والمروءةَ. أوَّاه !! إنَّهُ البابُ نَفسُهُ الَّذي دَخَلَ فيهِ صَديقي. وتَحَرَّكت نفسُ الشَّابِّ فدنَا مِنَ البابِ ووضَعَ سَمْعَهُ لما يَدُور في البيتِ، فإذا بهِ يَسْمَع صيحةً أُخرَى، وقَهْقَهَةً عاليةً، فَنَظَر مِن شقِّ البابِ وأتبَعَ النَّظرةَ أختَهَا وواصلَ النَّظرات فَهُو يَرَى شيئاً لم يَألَفْهُ ولَم يَرَهُ مِن قَبْلُ، المهم أنَّهُ رَجَع إلىٰ مكانِهِ، ولما خَرَجَ صاحبُهُ بادَرَهُ الشَّابُّ مُستنكراً: ما هذا؟! ويحك! هَذا أمرٌ يُغضِبُ اللهَ ولا يُرضيه، فَقَالَ الشَّابُّ: اسكُت يا أعمَىٰ يا مُغَفَّل، هذا أمرٌ لا يَعْنيكَ.

قالَ الرَّاوي: ورَجَعْنا إلىٰ السَّفينةِ في ساعةٍ متأخرةٍ مِنَ اللَّيل، وبقِيَ الشَّابُّ

ساهراً ليلَتَهُ تِلْكَ، مشتَغِلَ الفِكْر فيمَا رآه، وقَد استَحكَمَ سَهْمُ الشيطانِ من قلبِهِ، وامتلَكَت النظرةُ زمامَ فُؤادِهِ، فما إن بَزَغَ الفَجْرُ وأصبَحَ الصَّباحُ حتَّىٰ كانَ أوَّل نازلٍ مِنَ السَّفينةِ وما في بالِهِ إلاَّ أن يَنْظُرَ فقَط، ولا شيءَ غيرَ النَّظر، وذَهَبَ إلىٰ ذلكَ المكانِ، فما إن نَظَرَ نظرتهُ الأولىٰ وأتبعَهَا الثَّانية، حتىٰ فُتِحَ لهُ الباب وقضَىٰ اليومَ كُلَّه هناك، وكذلكَ اليوم الَّذي بَعْدَه، وبعد يومين افتَقَدَهُ رُبَّانُ السَّفينةِ وسألَ عَنْهُ: أينَ المؤذِّن؟ أينَ إمامنا في الصَّلاة؟ أينَ ذلكَ الشَّابّ الصَّالح، فَلَم يجبهُ مِن البحارةِ أحدٌ، فأمَرَهُم أن يَتفرَّقُوا للبحثِ عَنْهُ، فجاءَ صديقُهُ السَّيئ إلىٰ رُبَّان السفينةِ واعترفَ أنَّهُ ذَهَبَ بهِ إلىٰ مكانٍ للزنىٰ والفُجور وإنَّهُ الآنَ هُناك..

فصرخَ الرُّبَّانُ في وجهِهِ قائلاً: اذهَب فَأحضِرهُ.. ألا تَتَّقِي اللهَ.. ألا تخشَىٰ عقابَهُ، عَجِّل اذهَب فأحضِرْهُ، فَذَهَبَ إليهِ صديقُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّة لكِن دونَ جَدْوى فَلَم يستَطع إحضَارَهُ، لأنهُ كانَ يَرْفُض ويأبىٰ الرُّجُوع مَعَهُم، فَلَم يكُن مِن قائِدِ السَّفينة إلاَّ أن يأمُر عِدَّةً مِنَ الرِّجالِ أن يحضرُوهُ قَسْراً، فَسَحَبُوهُ بالقوَّةِ وَحَمَلُوهُ إلىٰ السَّفينة.

قالَ الرَّاوي: وأبحرَت السَّفينةُ راجعةً إلىٰ البلادِ ومَضَىٰ البحارةُ إلىٰ أعمَالِهِم وأخذَ ذلكَ الشَّابُّ في زاويةٍ مِن السفينةِ يبكِي ويئن حتَّىٰ لتكاد نياطُ قَلْبِهِ أن تَتَقَطَّع مِن شدَّةِ البكَاءِ، فقامَ أحدُهُم يُقدِّم لَهُ الطَّعام ولكنَّهُ لم يَأكُل، وبَقِي علىٰ حالِهِ البائسةِ هذهِ بضعةَ أيَّام، وفي ليلةٍ مِنَ اللَّيالي ازدادَ بكاؤهُ ونحيبُهُ ولَم يَسْتَطع أحدٌ مِن أهلِ السَّفينة أن يَنامَ، فجاءه ربَّانُ السفينةِ وقَالَ لَهُ: يَا هَذا اتَّقِ اللهَ مَاذا أصابَكَ لَقَد أقْلَقنَا أنينُكَ فَمَا نستطيع أن نَنام، ويحك مَا الَّذي بَدَّلَ حالكَ؟ ويلَكَ مَا الذي دَهَاك؟

فَرَدَّ عليهِ الشَّابُّ وهو يَتَحَسَّر: دَعْنِي فإنَّك لا تدري مَا الَّذي أصابَنِي ؟

فَقَال الرُّبانُ: ومَا الَّذي أصابَكَ ؟ عندَ ذلكَ كَشَفَ الشابُّ عَن عَورتِهِ وإذا الدُّودُ يَتَسَاقَطُ مِن سوأتهِ، فَانزَعَجَ رُبَّان السَّفينةِ وارتَعَشَ لما رَأى وقالَ: أعوذُ باللهِ مِن هَذا، وقامَ عنهُ الرُّبَّانُ..

وقُبيل الفَجْر قَامَ أهلُ السَّفينة علىٰ صيحةٍ مُدَوِّيةٍ أيقَظتهُم فذَهَبُوا إلىٰ مَصْدَرِهَا فَوَجَدُوا ذلكَ الشَّابّ قَد ماتَ وهُو ممسكٌ خشبةَ السَّفينة بأسنانِهِ، استَرْجَعَ القومُ وسألوا اللهَ حُسنَ الخِتَام، وبقيت قِصَّةُ هذا الشَّابّ عِبْرَةً لمن يَعْتَبِر. ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ.

[ذكرها الشيخ أحمد القحطاني في محاضرة له]

❖ ❖ ❖

فتاة في رمضان

◉ هذه القصةُ حقيقيةٌ وقعَت في مَدينةِ غزَّة الفلسطينيةِ..

كانَت هناك فتاةٌ مُتبرجةٌ ومظهرة لمفاتِنهَا بصورةٍ لافتةٍ للنَّظر في مُنتصف شهرِ رمضانَ الفضيل من السَّنة الماضية.

وركبت هذهِ الفتاةُ في سيَّارةٍ للأجرةِ، وكانَ التبرُّجُ عليها ظاهراً ملفتاً للنَّظر، وفعلاً لفَتَ مَشهدُ تِلْكَ الفتاةِ سائِقَ السَّيارة، فتكلَّم معَهَا بصورةٍ مُهَذَّبةٍ بأن تَتَّقي اللهَ في لبسِهَا وأن تَستُر علىٰ نَفْسِهَا وخصوصاً في هذا الشَّهر الفَضيل الذي يُقبلُ فيه العصاةُ إلىٰ اللهِ تَعالىٰ.

فماذا تَعْتَقدُونَ كانَ رَدُّها، لَقَد رَدَّت عليهِ بهذهِ العبارة: خُذ الجوَّال (الهاتف المحمول) وكَلِّم ربَّكَ لِيَحجِز لي مكاناً في جَهَنَّم ومكاناً لكَ في الجنَّة..

وكانَ الرَّدُّ مِنَ اللهِ سَريعاً واستَجَابَ دعوتَها، فَقَبَضَ رُوحَهَا، وتُوفِّيت من ساعتها وهي جالسة علىٰ مقعدِ السَّيارة، وأسرع السائقُ بها إلىٰ المشفىٰ وكانَ كما توقَّع، وأُدخلت هذهِ الفتاة إلىٰ ثلاجةِ المشفىٰ، ولمَّا تمَّ التَّعرُّف علىٰ أهلِها وجاؤوا لأخذِها، أُخْرِجَت مِن ثَلاَّجةِ مشفىٰ الشِّفاء، وظَهَرَ جسدُها ووجهُهَا بلونٍ أسود قَاتم والعياذُ باللهِ.

حتَّىٰ أنَّ الجوَّال لَم يَسْتَطيعُوا إخراجَهُ مِن يَدِهَا لِيُدفَنَ مَعَهَا ليكونَ شَاهداً عليها يَومَ القِيَامَةِ. والعياذُ باللهِ.

اللَّهمَّ أحسن خاتمتنا وعاقبتنا يا أرحمَ الرَّاحمين.

❖ ❖ ❖

العجوز القذر والطفل البريء

كثيراً تلكَ القصَصُ التي نسمَعُها وتَهتَزُّ لها نفوسُنَا، فكم مِن قِصَّةٍ مُؤثِّرة احتارَ العقلُ أمامَ أبْطَالِ أحداثِها، بَل منهَا مَا يَشُكُّ العاقلُ بآدميَّةِ أصحابِها لفظاعَةِ الموقفِ الَّذي تَقْشَعِرُّ منه الأبدانُ، وتشيبُ لهولِه الولدانُ، إلاَّ أنَّ أحداثَ قِصَّتِنا هذهِ مُغايرةٌ لكلِّ القصَصِ التي سمعتَ، إذ يَعْتَقِدُ السامعُ لها أنهَا مِن وحي الخيالِ، فإنَّ أحداثَهَا تكادُ لا تخطُرُ علىٰ قلبِ بَشَرٍ يَعْرِفُ ماهيَّةَ الحياةِ خَيرها وشرّها، لكنها قِصَّةٌ واقعيةٌ حصلت علىٰ مَسْمَع ومرأى كثيرٍ مِنَ النَّاس وتَتَلَخَّصُ أحداثُها فيما يَلي:

بينَما كانَ الطفلُ الَّذي لم يبلغ سَبْعَ سنينَ مِن عُمُرِهِ يَلْعَبُ مَع أصحابِهِ بعيداً عَن أولئك الوحوش البَشريّة، فهم يلعبونَ وبراءةُ الطفولةِ تحجُبُ عَن أذهانِهم أطماعَ البائسينَ، واستغلالَ الذِّئاب البشريَّةِ التي تنهشُ لحومَ الأبرياءِ والضُّعفاء مِن غير رحمةٍ أو شفقةٍ، إذ يعتزلُ هذا الطِّفْلُ البريءُ أصحابَهُ، ويمضِي علىٰ قارعَةِ الطريق وحيداً يُرَدِّدُ تلكَ الأغنيات الجميلة الَّتي جعلتهُ يحسِّنُ الثِّقةَ بمن حولَهُ مِن النَّاس خاصَّةً أقرباءه وجيرانَهُ وأهلَ حارَتِهِ، وفجأةً يقفُ رجلٌ يبلُغُ السابعَةَ والخمسين مِن عُمُرِهِ بسيَّارتهِ جانبَ الطِّفل ويطلُب منهُ الصعودَ إلىٰ السَّيارة، ينظرُ الطفلُ إلىٰ هذا الرَّجُل ذي الابتسامةِ العريضةِ، ويمتلئ فَرَحاً برؤيَتِهِ، إنَّهُ جارُهُ العزيزُ المحبّ للخيرِ وأهلِهِ، فهو بمنزلةِ أبيه إن لم يكُن جدّه، المهم يصعَدُ الطفلُ إلىٰ السيارةِ بكلِّ فرح وثِقةٍ وثباتٍ، دُونَ أن يخطُرَ ببالِهِ الخبْثَ العظيمَ الَّذي يخبئهُ له ذلكَ الرَّجُل اللئيم ميِّت القَلب، بَل حقيقة لا أجدُ كلاماً مناسباً أعبِّرُ بِهِ عن وحشيَّةِ ذلك الرَّجُل الشِّرير، يصعدُ الطفلُ السيارةَ وقَد مُلِئَ

القلبُ بهجة وسروراً، كيفَ لا وهو يصاحِبُ رجلاً عزيزاً علىٰ قلبِهِ يُصَاحِبُ جارَهُ، وصاحب أبيهِ، ثمَّ ينظرُ الرَّجُل يميناً ويساراً هل مِن أحدٍ يَراه، ولَمَّا اطمأنّ أن لا أحدَ، انطَلَقَ بسيَّارتهِ الَّتي جَمَعَت براءةَ الطُّفولةِ والنِّيةِ الصَّادقة، والخبثَ والخساءةَ والدناءةَ، تَنْطَلِقُ السَّيارةُ بعيداً عن أعينِ النَّاس، تنطلقُ إلىٰ حُرشٍ (بستانٍ) كبيرٍ تَسْهُلُ فيهِ الرَّذيلةُ، وتَنْقَطعُ فيهِ الفَضيلةُ، تقفُ السيارةُ وينزلُ الرجلُ الشِّريرُ منها طالباً من الطفلِ النُّزولَ، فينزلُ الطفلُ مِنَ السَّيارة متسائلاً أين أنا؟ ما هَذا المكانُ الموحشُ؟ لماذا جاءَ بي هذا الرجلُ إلىٰ هنا؟ أسئلةٌ كثيرةٌ تدورُ في خلَدِ الطفلِ، لكنَّهُ لم يَصَلْ إلىٰ حقيقةِ مُرَادِ ذلكَ الرَّجُل الأثيم، وبينما كان الطفلُ يجولُ بفكره مستغرباً الأمرَ، إذ سمعَ صوتاً أفظع مِن صوتِ الرَّعد في الليلة المطيرة، صوتاً كأنما يزلزلُ الأرضَ لهولِه، صوتاً أذهَلَ الطفلَ وأبدلَ سُرورَهُ حزناً، وأمنَهُ خوفاً، صوتاً يحمِلُ أدنىٰ دركاتِ الحقارةِ والخبثِ، يقولُ لَهُ: اخلَع ثيابَكَ، فيردُّ الطِّفلُ: ولمَ يا عمّ؟

الرجلُ: اخلع هيَّا لا تُضيِّع الوقتَ..

هنا شعرَ الطفلُ بما أُريدَ بهِ فأخذَ يتوسل: أرجوكَ يا عمَّاهُ أرجوكَ خُذنِي إلىٰ أمِّي، فإنَّها ستكونُ عليَّ قلقةً جداً..

الرجلُ: اخلَع ثيابَكَ.. لا وَقْتَ لديّ هيَّا اخلَع ثيابَكَ وأغلق فَمَكَ..

الطفلُ يَصيحُ ويَصيحُ يَسْتَنْجِد ويَسْتَنْجِد ولكن لا حياةَ لمن ينادي، فأخذَ الرَّجلُ الشِّريرُ يضربُ الطفلَ البريء ويمزِّق عليهِ ثيابَهُ حتَّىٰ أصبحَ الطفلُ عارياً لا ثوبَ يَسْتُره، ولا قَلْبَ يشفقُ عليهِ، وهكذا يَسْتَلْقِي الطفلُ في أحضانِ هذا الرَّجُل العجوز الَّذي لم يَرْقُب فيه إلاًّ ولا ذِمَّةً، يستلقي في أحضانِ هَذا الرَّجُل البَشِع ولا يَعْلَم أيصيحُ مِن شدَّةِ الألم، أم يرتجفُ مِن شِدَّةِ الخوفِ، ولكنَّهُ لا زال

يهاتِفُ الرَّجُل ويرجوهُ: أرجوكَ يا عمَّاهُ، أتوسَّلُ إليكَ أعدني إلىٰ أمِّي.. أرجوك يا سيِّدي أرجوك كفَىٰ.. إلاَّ أنَّ ذلكَ الرَّجُلَ البشعَ يُواصِلُ جريمَتَهُ النكراءَ غيرَ مُبال بتلكَ الاستنجاداتِ الضَّعيفَةِ الَّتي تخرُجُ مِن فَم طفلٍ بَريء لا ذَنْبَ لَهُ إلاَّ أنهُ أطاع رجلاً حقيراً بَل في أدنىٰ دركاتِ الحقارةِ، ولم يَستَفِق ذلكَ الرَّجُل إلاَّ علىٰ حرارةِ الدِّماءِ التي تَسِيْلُ مِن دُبُرِ الطفلِ كأنها سَيلٌ، يستفيقُ الرجلُ ويحتارُ في الأمرِ ماذا يَفْعَل، يأخذُ يُطبِّب الطفلَ عَسَىٰ الدِّماء أن تَنْقَطع، ولكنَّ سيلَ الدِّماء أعظَم من تلكَ المحاولات البائِسَةِ، ماذا يَصْنَع الرَّجُل ليخفي جَريمَتَهُ، فَقَد كادَ يُفْضَحُ أمرُهُ، يفكِّر الرَّجُل، فَلا يجد إلاَّ أن يَرْضَخَ رأسَ الطِّفل في صخرةٍ قريبةٍ منهُ ليتَخلَّص مِنَ الطفل إلىٰ الأبدِ هكذا وسوسَ لهُ شيطانُهُ، بعدها تَرتقي روحُ الطِّفلِ إلىٰ بارئها، يموتُ الطفلُ بأبشع جريمةٍ عَرَفتهَا البشريةُ، يموتُ الطِّفلُ ويَبْقَىٰ مُسَجّىٰ في ذلكَ الحرشِ دُونَ رفاقٍ أو أصدقاء، ويعودُ الرَّجُلُ الشِّرير إلىٰ بيتِهِ وكأنَّ شيئاً لم يكن.

وفي المساءِ يزدادُ قَلْبُ الأمِّ لوعةً وخوفاً علىٰ طفلِها تَصْرُخُ بالأب: أينَ ابنُكَ؟ اذهَب وابحَث عنهُ، الأب حائراً: أين طفلي ؟ أينَ ذَهَبَ ؟ لا جَواب..

يخرجُ الأب مِن منزلهِ حائراً لا يَعرفُ ماذا يَفعَل، أينَ يبحثُ عَن طفلِهِ ؟ مَن يَسْأل ؟ وإذا بهِ بذلكَ الرَّجُل الشِّرير، فيقولُ لَهُ الرَّجُل: ماذا بكَ ؟ أراكَ قلقاً.

الأب: نَعَم، لقد تأخَّرَ طفلِي كثيراً وأصبَحْنَا قَلقين عَليهِ.

الرَّجُلُ الشِّرير: وهل مِن عادةِ طفلِكَ التأخُّر إلىٰ هذا الوقتِ ؟

الأب: كلاَّ طبعاً، إنَّها المرَّةُ الأولىٰ ولذلكَ أنا قَلِقٌ عليهِ.

الرَّجُلُ الشريرُ: لَعَلَّهُ عند أحدِ أقاربهِ ؟

الأب: ربما.

الرجلُ الشِّريرُ: ما رأيكَ أن نَذْهَبَ معاً بسيارتي للبحثِ عَنْهُ ؟

الأب: ولكن أخافُ أن أثقِلَ عليكَ.

الرَّجُل الشِّرير: لا عليكَ يا رَجُل، نحنُ أخوةٌ وأبناءُ حارةٍ واحدةٍ.

.. ويصعدُ الأب إلىٰ السيارةِ ويذهبا معاً ليبحثَا عَن الطفل، يتجولانِ هُنا وهناك، ويسألانِ هذا وذاكَ ولكن لا جَدْوى، لا أثرَ للطِّفل.

وبعدَ أن يأسَ الأب مِن العثور علىٰ طفلِهِ إذ سَمِعَ صوتَ ذلك الرَّجُل الشِّرير يقول لهُ: ما رأيكَ أن نخبرَ رجالَ الأمنِ؟

الأب: إنها فكرةٌ جيِّدةٌ هيَّا بنا.

يَصلان معاً إلىٰ مركزِ الأمن ويُبَلِّغان عَن فُقْدَان الطِّفل.

ويَعْمَلُ رجالُ الأمن علىٰ البحثِ عَن الطفلِ فما هِي إلاَّ ساعاتٌ قليلةٌ حتَّىٰ وجدوا الطِّفلَ غارقاً بدمائِهِ قَد فارقَ الحياةَ.

وقامَ الرجلُ الشِّرير يُعَزِّي بوفاةِ الطِّفل ومشىٰ في جنازتِهِ، وأخذَ طعامَ الوضيمةِ علىٰ مكرمتهِ، يسانِدُ أهلَ الطِّفل إبعاداً للتُّهمَةِ الفظيعةِ عنهُ، إلاَّ أنَّ الله سُبحانَهُ يُمهلُ ولا يُهْمِلُ، فما هِيَ إلاَّ أيّاماً حتَّىٰ تَلْتَف خيوطُ الأدلةِ السَّاطعَةِ علىٰ عُنُق ذلكَ الرَّجُل الشِّرير، إذ كانَ في شهادَةِ الشُّهود أنَّ آخرَ عَهْدِهِم بالطِّفل كانَ ذلكَ اليوم الَّذي صَحِبَ فيه ذلكَ الرَّجُلَ الشِّرير في جولةِ الموتِ رأهُ أحدُهم يركبُ معه السيَّارةَ بعدَ أن فرغَ من اللّعبِ مع أصدقائه.. ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ وتَشْتَدُّ الضغوطُ علىٰ الرَّجُل الشِّرير وتزدادُ المواجهة.. وأخيراً يعترفُ بجريمتِهِ النكراء، ليُقادَ بِها إلىٰ حبلِ المشنقةِ تاركاً وراءهُ جريمةً مِن أبشع الجرائم الَّتي عرفتهَا البشريةُ. ولا بُدَّ هنا من كلمةٍ وهي: أنَّ سببَ الجرائم اليوم هو: أوَّلاً: تساهل ولاةِ الأمور أمامَ الفواحش، فلا يُعاقبُ المجرم عندَ ارتكابِهِ الفاحشةَ وإنَّما عندَ فعلِهِ الجريمةَ ونسوا أنَّ السكوتَ علىٰ الفاحشةِ هو جريمة.. ثانياً: تَسَاهُلُ الأمهاتِ في تَربيةِ أبنائِهنّ، بحيثُ يخرجُ الطفلُ ولا تسألُ عنه.

نهاية الظلم

تقولُ إحداهنَّ: أنا زوجةٌ وأمٌّ لابنٍ وبنتٍ، ومنذُ أن بَدأت حياتِي مَع زَوجي ونحنُ نَعيشُ حياةً رغدةً، وقد استعَنْتُ طوالَ حياتي الزَّوجيةِ علىٰ تَربيةِ أولادِي بمربِّيات عديدات، وكانَت كلُّ واحدةٍ منهنَّ لا تمكُث عندِي أكثرَ مِن شَهرين ثمَّ تَفرُّ مِن قَسْوةِ زَوجي العُدوانيَّة بطبعِهِ، فقَد كانَ يَتفَنَّن في تَعذيب أيّ مُربِّيةٍ تَعْمَل عندنَا، ولا أُنكِرُ أنَّني شَاركتُهُ في بعضِ الأحيانِ جريمَتَهُ.

ولما صارَت ابنَتِي في السَّابعةِ مِن عُمُرِهَا وابني في المرحلةِ الإعداديةِ، جاءنا مزارعٌ مِن معارفِ زَوجي يَصْطَحِبُ مَعَهُ ابنَتَهُ الطِّفلةَ ذاتِ الأعوام السَّبعة فَاستقبلَهُ زوجِي بكبرياءٍ وتَرفُّع.

قالَ المزارعُ البسيطُ: إنَّهُ أتىٰ بابنَتِهِ لِتَعْمَل عندَنَا مُقابل عِشرين جُنيهاً في الشَّهر، فوافقنَا.. وفعلاً تَركَ المزارعُ طفلَتَهُ التي انخرَطَت في البكاءِ وهِي تمسِكُ بجلبابِ أبيها، إلاَّ أنَّ الرَّجلَ انصرفَ دَامعَ العينينِ وتركَها عندَنا..

وهكذا بدأت الطفلةُ حياتَها الجديدةَ مَعَنا، فكانَت تستيقظُ في الصَّباح الباكِر لتُساعدني في إعدادِ الطعام لِطفْلَيّ، ثمَّ تحملُ الحقائبَ المدرسيةَ وتَنزِلُ بها إلىٰ الشارع، وتظلّ واقفةً مَع ابنتي وابني حتَّىٰ يحملهما أُتوبيس المدرسَةِ، وتعودُ إلىٰ الشّقةِ فتتناوَل إفطارَهَا، وكانَ غالباً مِن الفولِ بدونِ زَيتٍ، وخبز علىٰ وَشَكِ التَّعفُنّ، ثمَّ تبدأ في ممارَسَةِ أعمال البيتِ مِن تَنْظيفٍ ومَسْح وشراءٍ للخضرةِ وتلبيةٍ للنِّداءات حتَّىٰ منتصفِ اللَّيل.. فَتَسقُط علىٰ الأرض كالقَتيلةِ وتَسْتَغْرق في النَّوم، وعندَ أيّ هفوةٍ أو نسيانٍ أو تأجيلٍ لأداء عَمَل مطلوبٍ منها ينهالُ عليها زَوجي بالضربِ بقسوةٍ شديدةٍ، فَتَتحَمَّل الضربَ باكيةً صابرةً..

ورَغْم ذلك فقَدَ كانت في مُنتَهىٰ الأمانةِ والنَّظافة والإخلاصِ لنا، حتىٰ أَنَّها تَفْرح بأبسطِ الأشياءِ حينَ نقدِّمها لها وهي نادرةٌ قليلةٌ..

ورغم اعترافي بأني كنتُ شريكةً لِزَوجي في قسوتهِ علىٰ الخادمَاتِ وتَفَنُّنهِ في تَعذيبِهِنَّ، إلاَّ أنه كانَت تأخذُني الشَّفقةُ في بعضِ الأحيانِ بهذهِ الفتاة، لِطيبتِهَا وانكسارِها فأناشِدُ زَوجي ألاَّ يَضْرِبَها، فكانَ يقولُ لي: إنَّ هَذا الصِّنفَ مِنَ النَّاس لا تُجْدِي مَعَهُ المعاملةُ الطَّيبةُ.

وهكذا استَمَرَّت الفتاةُ تَتَحمَّل العذابَ في صمتٍ وصَبْرٍ، وأذكرُ أَنَّهُ حينَ يأتي العيدُ ويخرجُ طفلاي مُبْتَهجين تَبْقَىٰ هذهِ الطفلةُ المسكينةُ تُنَظِّف وتَغْسِلُ دونَ شفقةٍ منا لها.

أما أبوهَا فلم نَرَهُ إلاَّ مرَّاتٍ مَعدُودةٍ عندما يأتي لأخذِ الأجرةِ، وأحياناً كانَ يُرسِلُ أحدَ أقاربهِ لاستلام أجرَتِها الشَّهريةِ، كما لم تَرَ أمَّها وأخواتهَا إلاَّ في ثلاثِ مناسباتٍ محدودةٍ: (الأولىٰ) حين ماتَ شقيقُها الأكبر، و(المرة الثانية) حين مَرضَت مرضاً مُعدياً وخشينا علىٰ طفلينَا مِن انتقالِ العَدوى إليهمَا فأبعدنَاهَا إلىٰ بلدتها، و(المرَّة الثالثة) عند وفاةِ أبيها.

وهكذا استمَرَّت قَسوةَ عقابِنَا لها إذا أخطأتِ أيَّ خطأ، فَقَد كانَ زَوجي يصعقُهَا بِسِلْكِ الكهرباءِ!! وكثيراً ما حَرَمنَاهَا مِن وجبةِ عَشَاءٍ في ليالي البردِ القاسيةِ فباتَت علىٰ الطوى جائعةً، ولا أتذكَّر أنهَا نامَت ليلةً من عِدَّة سنواتٍ طويلةٍ دون أن تبكي!!

وتقولُ صاحبةُ القصَّةِ: وسوف تتساءل لماذا تَحمَّلَت هذهِ الفتاةُ كلَّ هذا العذابِ ولم تَهْرب بجلدِها مِن جَحيمكُم؟

وفي الحقيقة: إنَّ الفتاةَ حينَ قاربت سنَّ الشبابِ خَرَجت ذاتَ يوم لشراءِ الخضروات ولم تَعُد، فسألَ زَوْجي البوابَ عنها وعَرَفَ أَنَّها كانت تَتَحدَّث

لفتراتٍ طويلةٍ مع شابٍّ يعمل لدى جزارٍ بنفس الشَّارع، وأنهُ مِن المحتمَل أن تكونَ قَد اتَّفقَت مَعَهُ علىٰ الزَّواج حتىٰ ينتشلَهَا مِن هذهِ الحياةِ القَاسية الظالمةِ..

ولكن لم يمض أسبوعٌ حتىٰ كانَ نُفُوذُ زوجي قَد تكفَّل بإحضارِهَا مِن مخبئِها، واستقبلنَاهَا عندَ عودَتِها استقبالاً حافلاً بكلِّ أنواع العَذَاب، فقَامَ زوجِي يَصعقُهَا بالكهرباءِ، وتَطَوَّعَ ابني بركلِهَا بعنفٍ، إلاَّ ابنَتِي فإنها كانت تَتَألَّم بما يُفْعَل بهذهِ الخادمةِ المسكينةِ.

وبعدها عادَت المسكينةُ لحياتِها الشَّقية مَعَنا واستَسْلَمَت لمصيرِهَا..

وفي يومٍ من الأيام بدأنا نُلاحِظ عليهَا أنَّ الأكوابَ والأطباقَ تَسْقُط مِن يديهَا وأنها تَتَعَثَّرُ كثيراً في مشيتِها، فعَرَضنَاهَا علىٰ الطبيبِ فأكَّدَ لنَا أنَّ نظرَهَا قد ضَعُفَ جداًّ وأنَّها لا تَرَى حالياً ما تحتَ قَدميهَا أي: أنها أصبحَت شبه كَفيفةٍ، ورغْم ذلك لم نَرْحَمْهَا وظَلَّت تقومُ بكلِّ أعمالِ البيتِ وتخرجُ لشراءِ الخضرِ مِن السُّوق، وكثيراً ما صفعتُها إذا عادَت مِنَ السُّوق بخضرواتٍ ليست طازجةً.. فأشفقَت عليها زوجةُ البوابِ فكانت تَشْتَري الخضروات لها حتَّىٰ تُنْقِذَها من الإهانةِ والضَّرب.

واستَمرَّ الحالُ هكَذا لفترةٍ مِنَ الزَّمن، ثمَّ خَرَجَت الفتاةُ ذاتَ يَوم مِنَ البيت بعدَ أن أصبحَت كفيفةً تقريباً ولم تَعُد مَرَّةً أُخرى، ونحنُ بدورنا لم نَهْتَمّ بالبحثِ عنها هذهِ المرَّةَ.

ومَضَت السنواتُ وأُحيلَ زَوجي للتَّقاعُد وَفَقَد المنصبَ والنُّفُوذَ وتخرَّج ابنِي من الجامعةِ وعَمِل وتَزَوَّج وسعدنَا بزواجِهِ، واكتَمَلَت سعادَتُنا حينَ عَرَفنَا أن زوجتَهُ حاملٌ، وبَعْدَ مرورِ شُهور الحملِ وَضَعَت مولودَهَا، فإذا بنَا نكتشِفُ أنهُ كفيفٌ (أعمىٰ) لا يُبْصِر، وكانَت صدمةً قاسيةً علينَا، وتحوَّلت الفرحةُ إلىٰ

حزنٍ، وعرضناهُ علىٰ الأطباءِ ولكن بلا فائدةٍ، واستَسْلَم ابني وزوجتُهُ للأمرِ الواقع، وأدخلَنَا حفيدَنَا حضانَةً للمكفوفين، وقرَّرت زوجَةُ ابني ألاَّ تحمِلَ خوفاً مِن تكرارِ الكارثةِ.

ولكنَّ الأطباءَ طمأنوهَا وشَجَّعُوهَا علىٰ الحملِ وشجّعناها نحنُ أيضاً، وحَمَلَت وأنجبَت طفلةً جميلةً، وزفَّ الطبيبُ إلينَا البُشْرى بأنَّها تَرَى وتُبْصِر كالأطفَالِ، وسَعِدْنا بهَا سعادةً مُضاعَفَةً، ولكن بَعْد مُضِيِّ سبعَة شُهورٍ لاحظنَا عليها أنَّ نَظَرَهَا مركَّزٌ في اتِّجَاهٍ واحدٍ لا تحيدُ عَنْهُ، فَعَرضنَاهَا علىٰ أخصائيّ عيون، فإذا بهِ يصدِمُنا بحقيقةٍ أشدّ هولاً وهي أنَّها لا تَرَى إلاَّ مجرَّد بصيص مِن الضوءِ وأنَّها معرَّضةٌ هي أيضاً لفقدِ بَصَرِهَا، فأصيبَ زَوْجي بحالةٍ نفسِيَّةٍ فَسَدَت معها أيامُهُ وكَرِهَ كلَّ شيءٍ، ونصحنَا الأطباءُ بإدخالِهِ مَصَحَّةً نفسيَّةً لعلاجِهِ مِن الاكتئابِ.

وانقبَضَ قَلبي بعدها.. وبدأتُ أُفكِّرُ وكأنني أمامَ حلمٍ مُزعج.. يا تُرى ما هو السببُ لهذا البلاءِ.. وفجأةً تذكَّرت الخادِمةَ الكسيرةَ الَّتي هَرَبَت مِن جحيمِنَا كفيفةً عمياءَ بَعْدَ أن أمضَت معنا عَشْرَ سنواتٍ ذاقَت خلالَهَا أهوالَ الصَّعق بالكهرباءِ والضَّربِ والهوانِ والحرمَان، وساءت نَفْسِي مِنَ الجزع، هَل هذا عقابُ اللهِ لنا علىٰ ما فَعَلنَاهُ بِهَا؟!

وأصبحَت صورةُ هذهِ الفتاة اليتيمَةِ الَّتي أهمَلْنَا عِلاجَهَا وتَسَبَّبنا في كَفِّ بَصَرِهَا تُطاردني في وحدَتِي، وتعلَّق أملِي في عَفْوِ ربِّي وتداركِ أمري قبلَ فواتِ الأوان.. لعلِّي أصلِحُ شيئاً أفسدناه..

وبدأتُ أبحثُ عن الخادِمةِ المسكينةِ.. وبعد البحثِ والسُّؤال عنهَا عَلِمْنَا أنَّها تعملُ خادمةً بأحدِ المساجِد، فَذَهبتُ إليها لأحضرهَا كي تعيش مَعِي ما بَقِي لي

من أيَّامي، وحينَ علمت بقدومي فَقَد فرِحَت بسُؤالي عَنْهَا، رَغْم قَسْوَةِ الذكريات، فهي بحقٍّ كانت بعكسنا تماماً.. طيِّبة القلب..

لم تنس العِشرةَ الَّتي نسيناهَا نحنُ.. المهم للَمَت ثيابَها وعادَت مَعِي تَتحَسَّسُ الطريقَ وأنا أمسكُ بيدِهَا..

واستَقَرَّت الفتاةُ مَعَنا وأصبَحْتُ أرعاهَا بَل وأخدمُهَا هي وحَفيديّ الكفيفين وَأمَلِي ودُعَائي لِرَبِّي أن يَغْفِرَ لي ما كانَ وما سَلَفَ مِنِّي إنَّهُ غفورٌ رحيمٌ..

وها أنا ذا أقولُ وأُخاطبُ مَن انعَدَمَت الرَّحمَةُ في قُلوبهم:

لا تظلمنَّ إذا ما كنتَ مقتدراً ... فالظلمُ مرتعُهُ يُفضي إلى النَّدَم

تنامُ عينُكَ والمظلومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عليكَ وعينُ اللهِ لم تَنَم

[جريدة الأهرام المصرية / بتصرف].

❖ ❖ ❖

إنكار حقوق الناس

يتحدثُ (تركيّ محمَّد) قائلاً: استدنتُ مِن رجل مبلغ «مئتي ألف ريال» مِن أجلِ إتمام أحدِ المشاريع، وبعدَ انتهاءِ المدَّةِ المحدَّدةِ لي، جاءَ صاحبُ المالِ لاستعادَةِ المبلغِ وطالبَني بحقِّهِ، ولكنَّني قمتُ بطردهِ وأنكرتُ أنّهُ أعطاني أيَّ مَبلغ، وخاصَّةً أنَّهُ لم يأخُذ منِّي أيَّ إثباتٍ.

ولم أكُن أعلَم ما يَنتَظِرُني بسببِ ظُلْمِي، فبعدَ مُضيّ ثلاثَةِ أشهرٍ خَسرتُ صفقةً بقيمةِ نِصف مليون ريَال، ومنذ ذلكَ اليوم والخسارةُ تلازِمُني، ولَقَد نَصَحتني زَوجَتِي بإرجاع المبلَغ لصاحبِهِ لأنَّ ما يحدثُ لَنَا عقابٌ مِنَ اللهِ، ولكن مَع الأسفِ لم أستَمع لها وتَمَاديتُ في المكابرةِ والإنكار دونَ مبالاةٍ أو مراقبةٍ لله تعالىٰ.. إلىٰ أن خَسِرتُ أعزَّ مَا أملِكُ لقد خسرتُ أبنائِي الثلاثَة في حادثِ سيَّارة أثناءَ عَودتِهم مِنَ الدَّمام.

وأخيراً وأمام ذلكَ الحدَثِ الرَّهيب قَرَّرتُ وبدُون تَرَدُّدٍ إعادةَ الحقِّ لصاحِبِهِ وطلبتُ منهُ المسامَحَةَ حتَّىٰ لا يحرمِني اللهُ مِن زَوجَتِي وابنِي ذي السَّبع سنوات، فهم كُلّ مَا بَقِيَ لديَّ بعدَ اللهِ تعالىٰ..

❖ ❖ ❖

اتهام باطل

تقول (نورة عبد الله) أستاذة جامعيةٌ ومطلقةٌ مَرتين: حدَثَت قِصَّتي مَع الظُّلم قَبْل سبع سَنَوات، فبعدَ طلاقــي الثَّاني قررتُ الزَّواج بأحدِ أقاربي والـذي كـانَ يَنْعَم بحيَاةٍ هادئةٍ مَع زَوْجَتِهِ وأولادِهِ الخمسة.

فاتَّفقتُ مَع ابن خَالتي والَّذي كانَ يُحِبُّ زوجَةَ الرَّجُل الَّذي قَرَّرت الزَّواجَ بِهِ عَلىٰ اتِّهامِها بخيانَةِ زَوْجِهَا، كي يُطلِّقها ويزوّجُها ابنُ خالتي ومن ثمَّ أنا أتزوّجُـهُ.. وبدأنا في إطلاقِ الشَّائعاتِ بينَ الأقاربِ، ومَع مُـرور الوقـتِ نَجَحنَـا حيثُ بـدأت الحياةُ الزوجيةُ تَتَدهورُ بينَ الزَّوجين حتَّىٰ وصَلَت إلىٰ الطلاقِ.. وتمَّ فعلاً الطلاقُ..

وتتوقفُ والدُّموعُ في عينيها.. لتقول: بَعْدَ مُضـيِّ سنةٍ تَزَوَّجَت امرأةُ الرَّجـلِ الَّتي كنَّا سبباً في طلاقِها برجلٍ ذي مركزٍ عالٍ.. أمَّا الرَّجُـل الـذي نويـتُ أن أتـزوجَ منه (أي: زوجُ المطلّقةِ) فَقَد تَزَوَّج بامرأةٍ غَيري..

وبالتَّالي لم أحصُـل مَـع ابـن خَـالتِي علىٰ هَدَفِنَـا المنشُـود ولكـن حَصَلنَـا علـىٰ نتيجةِ ظُلْمِنا، حيـثُ أصبـتُ أنـا بسرطانِ الـدَّم، أمَّـا ابـنُ خَـالَتِي فَقَـد احـتَرَقَ مَـع الشَّاهِد الثَّاني بسببِ التَّماس كهرُبَائّي في الشُّقةِ الَّتي كـانَ يُقيـمُ فيـهَا، وذلـكَ بَعْـدَ ثلاثِ سَنواتٍ مِن القضيةِ.

❖ ❖ ❖

خراب مزرعتي

يقولُ (سعد سالم): أملكُ مَزرعَةً خاصَّةً بي، وكانَ بجانِبِها قطعةُ أرضٍ زراعيةٍ.. حاولتُ كثيراً مَع صَاحِبِها أن يَتَنَازَلَ عنهَا ولكنَّهُ رَفَضَ..

فقَرَّرتُ في النهايةِ الحصولَ علىٰ الأرضِ ولو بالقُوَّةِ، خاصَّةً أنَّني علمتُ أنَّ صاحبها لا يَمْلِكُ أوراقاً تُثبتُ مِلكيَّتَهُ للأرضِ الَّتي ورثهَا عَن والدِهِ..

وفعلاً أحضَرتُ شَاهدين ودَفَعتُ لكلِّ واحدٍ منهم ستين ألفاً مُقَابلَ الشَّهادةِ أمام المحكمَةِ أنَّني المالكُ الشَّرعيُّ للأرضِ، وبالفعل بعدَ عِدَّةِ جَلَسَاتٍ في المحكمةِ استَطعتُ الحصولَ علىٰ تلكَ الأرضِ..

بعدها بدأتُ أحاولُ زراعتَها وحاولتُ كثيراً ولكن بدونِ فَائِدَةٍ، مَع أنَّ الخبراءَ وضَّحُوا لي أنَّها أرضٌ صالحةٌ للزِّراعةِ..

أمَّا مَزرعتي الخاصَّة فَقَد بدأتِ الآفاتُ مِنَ الحشراتِ الأرضيةِ تَتَسَلَّطُ عَليهَا في وقتِ الحصادِ لِدَرجَةِ أنَّني خَسِرتُ الكثيرَ مِن المالِ.. ضِفْ إلىٰ ذلكَ الحوادث الَّتي كُنتُ أتَعرَّضُ لَهَا وكادَت أن تُودي بِحَيَاتِي.

وأخيراً، قُمْتُ بإعادةِ الأرضِ لِصَاحِبِهَا وقَد لا تُصَدِّق إذا قُلتُ لَكَ: إنَّ الأرضَ التي لم تُنْتج أصبحَت أفضَلَ إنتاجاً مِن مَزرَعَتِي.. وأمَّا الحشراتُ التي في مزرعتي فَقَد اختَفَت ولم يَعُد لها أيّ أثَرٍ.. وأحمدُ اللهَ أن ألهمني ووفّقني لردّ المظلمةِ وأنصحُ كلَّ من سوّلت نفسُهُ لهُ بالظلمِ، أن يأخذَ العظةَ والعبرَةَ مِنِّي ومِن كُلِّ ظالمٍ فإنَّ الظلمَ عاقبتُهُ وخيمةٌ..

❖ ❖ ❖

فضيحة طالب

يقولُ (حمد بدر) : قَبلَ ثَمانِي سنواتٍ عندَمَا كنتُ طالباً في المرحلةِ الثَّانويةِ حدَثَت مشاجرةٌ بينِي وبينَ أحَدِ الطُّلاب المُتفوّقين.. حيثُ قَرَّرتُ بسببِ تِلْكَ المشاجَرَةِ تَدْميرَ مستقبَلِهِ..

ولا يمكِنُ أن يغيبَ ذلكَ اليوم الشؤوم عَن ذاكرتِي.. فوسوسَ لي الشيطانُ ذاتَ يومٍ حيثُ حَضَرتُ في الصَّباح الباكِرِ إلىٰ المدرسةِ ومَعِي مجموعةٌ مِن سجائِرِ الحَشيشِ الَّتي كنَّا نَتعَاطَاها ، ووضعتُها في حقيبَةِ ذَلكَ الطَّالِبِ ، وطلبتُ مِن أحدِ أصدقَائِي إبلاغَ الشُّرطةِ بأنَّ في المدرسةِ مُروِّجَ مُخدِّرات.. وبالفِعْل تَمَّت الخطةُ الشيطانيَّةُ بِنجاح ، وكنَّا نَحنُ الشهودُ الَّذين نستخدمُ المخَدِّرات.. ومنذُ ذلكَ اليوم بدأتُ أُسدِّدُ فاتورةَ الظلمِ.. فأنا الذي افتريتُ عليهِ وعلىٰ نفسي قبلَهُ.. فَقَبْلَ سَنتين تَعَرَّضتُ لحادثِ سيَّارةٍ فَقَدتُ بسببهَا يَدِي اليمُنىٰ.

فذهبتُ بعدَ الحادثِ إلىٰ منزلهِ أطلُبُ منهُ المسامَحَةَ ولكنَّهُ رَفَضَ بشدَّةٍ.. لأنَّني تَسَبَّبتُ في تَشويهِ سُمعتِهِ بينَ أقاربِهِ.. وأنَّهُ بسبَبِ ظلمي لهُ أصبَح شَخصاً منبوذاً مِن الجميع ، وأخبرني أنَّهُ يَدْعُو عَلَيَّ كُلَّ ليلةٍ ، لأنَّهُ خَسِرَ كُلَّ شَيءٍ بِسَببِ تِلْكَ الفَضيحةِ.

ويتابعُ الظالمُ قائلاً : بالإضافَةِ إلىٰ يَدِي المفقودَة أصبَحْتُ مُقعداً علىٰ كُرسيّ مُتَحرِّك نتيجَةَ حادثٍ آخَرَ.. وإنَّني أعيشُ اليومَ حياةً تعيسةً.. وأخوفُ ما أخافُ مِنَ الموتِ ، لأنَّني أخشَىٰ عُقُوبَةَ رَبي وسؤالهُ.. وأسألُهُ تعالىٰ أن يُسامحني وأن يُلهمَهُ فيُسامحني..

❖ ❖ ❖

مات ولم يركع لله ركعة

قِصَّةٌ حقيقيةٌ حصلَت مَع الشَّيخ إبراهيم بن عبد العزيز (شبكة أهل السُّنَّةِ والجماعة).

يقول: قالَ لي أحدُهم: يا شَيخ أترى ذلكَ الرَّجُل العجوز ؟

الشَّيخُ: نَعَم، ولكن ما بِهِ!

فقال: إنَّه لا يُصلِّي.

الشيخ: سبحانَ اللهِ مَاذا تقول لا يُصَلِّي!!

نَعَم إنَّهُ لا يُصَلِّي؟

الشيخ: أمتأكدٌ أنتَ؟

نَعَم متأكِّدٌ.

الشيخ: بهذا العُمُر ولا يُصَلِّي!!

فقال لي الشابُّ: هلاَّ يا شيخنا ذهبتَ إليهِ وتحدَّثت مَعَهُ لعلَّهُ يُصلِّي.

الشيخ: بالتأكيد يا بُنَيّ هذا واجبٌ عليَّ. وفعلاً توجَّهتُ إلىٰ العجوز.. وقلتُ لهُ: السَّلام عليكَ يا أخِي.

العجوزُ: وعليكَ السَّلام ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ.

الشيخ: كيفَ حالُكَ يا رَجُل؟

العجوزُ: بخيرٍ والحمدُ للهِ.

الشيخ: أصحيحٌ ما يُقَالُ عنكَ؟

العجوزُ: وماذا يُقَالُ عَنِّي؟

الشيخ: يُقَالُ عنكَ إنَّكَ لا تُصَلِّي.

العجوزُ: لقد أخفتَنِي حسبتُ أنه حَصَلَ خطبٌ مَا، أهذا ما يُقَالُ عَنِّي؟

الشيخ: نَعَم.

العجوز: هذا صحيحٌ، فأنا لا أُصَلِّي.

الشيخ: وأنتَ بهذا العُمُر!

العجوز: صحيحٌ أَنَّني لا أصلِّي لكـن قَلْبي ممتلئٌ إيماناً، فأنا مُؤمنٌ والحمدُ للهِ، وأسألُ اللهَ أن يَهْديني يا بُنيَّ كي أصلِّي.

الشيخ: قَلْبُكَ ممتلئ إيماناً! هذا غيرُ صَحيح، لو كانَ قلبُكَ ممتلأ إيماناً لاستقامَت جوارحُكَ، هذا ما أخبَرَنا بـه رسولُ اللهِ ﷺ إذ قالَ: «ألا وَإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ألا وَهِيَ القَلْبُ». [متفق عليه] ولكن بسبب ضَعْفِ إيمانِك أنتَ لا تُصلِّي، فَلا تخدَعَنَّ نفسَكَ بهذهِ الأكذوبةِ.. وَارجع إلىٰ اللهِ قَبْلَ فَواتِ الأوانِ.

العجوز: ولكن ماذا عَلَيَّ لو تركتُ الصلاةَ؟ فأنا مُؤمنٌ وقَد وعدَ اللهُ المؤمنينَ بالجنَّةِ حتَّىٰ أصحاب الكبائرِ منهم، فَلِمَ تُقَنِّطني مِن رحمةِ ربِّي الَّتي وسِعَت كلَّ شيءٍ؟

الشيخ: أنا يا هَذا لا أقنطكَ مِن رحمةِ اللهِ، ولكنِّي لا أريدُ أن تكونَ مِن الَّذين يأمنونَ مكْرَ اللهِ سُبحانَهُ فتكونَ مِنَ الخاسرينَ.

واعلم أنَّ الصلاةَ عَمُودُ الدِّين، مَن أقامَهَا أقامَ الدِّين، ومَن هَدَمَهَا هَدَمَ الدِّين، بَل هي الفارقُ بينَ الإيمانِ والكُفْر، وهي أوَّل ما تحاسبُ عليه. ولقد قَالَ تعالىٰ عَن أهل النَّار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾. [المدثر: ٤٢- ٤٣]. وقَالَ سُبحانَهُ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ

وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]. فكيفَ بَعْدَ هذا كُلّه لا تَتُوب إلىٰ اللهِ وَتُصَلِّي؟

العجوزُ: إنِّي أريدُ أن أصلِّي، ولكن..

الشيخُ يقاطِعُهُ قائلاً: دونَ لكن، أيُّها العجوز إنَّك لا تَضْمَن عمركَ فإنَّ الأعمارَ بيدِ اللهِ سُبحانَهُ فَمَا مِن إنسانٍ إلاَّ مصيرهُ إلىٰ الموتِ قَالَ سُبحانَهُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. فكيف أُراكَ تحرصُ علىٰ الدُّنيا وتَترُكُ الآخرةَ وأنتَ تَعْلَم يقيناً حقيقَةَ الدُّنيا وأنَّها ليسَت لنَا بَل هي سجنُ المؤمن وجَنَّةُ الكافِر، وأنت كما ترى قَد بَلَغْتَ مِن العُمُرِ مَا يعذرُكَ اللهُ بِهِ فَلا تكونَنَّ يومَ القيامَةِ مِنَ الهالكينَ.

العجوزُ: حسناً.. سمعتُ قولَكَ وفهمتُهُ جيداً وقَد عملتَ أنتَ مَا عَليكَ، فَدَعْنِي الآنَ وَشَأنِي. ثمَّ تركني وذهبَ..

الشيخ: لقَد نَصَحتُكَ والأمرُ راجعٌ إليكَ.

يقولُ الشيخُ: وبعدَ مُضي يومين اثنين سمعتُ صوتاً يناديني.

يا شيخ.. يا شيخ..

الشيخ يلتفتُ فيرى الشَّابَّ الذي أخبرَهُ عن العجوز.. يتقدَّم نحوهُ يسلِّمُ عليهِ ويقول: يا شَيخ أتذكُر ذلكَ العَجُوزَ الذي تحدَّثتَ مَعَهُ بالأمسِ؟

الشيخُ: نَعَم، أذكرُهُ جيِّداً.

الشاب: إنَّه قَد مَاتَ.

ماذا تَقُول: ماتَ !!!! أمتأكِّدٌ أنتَ؟

نعم يا شَيخ لَقَد ماتَ صباحَ الأمسِ.

الشيخُ: سبحانَ اللهِ ! وكيفَ مَاتَ؟

الشابّ: لقَد خرجَ في الصَّباح إلىٰ أرضِهِ، وبيدِهِ معولهُ، فسقَطَ فَوقَع علىٰ رأسِهِ فماتَ مِن فورِهِ، ولكن يا شَيخ لقد رأيتُ مِن أمرِهِ عَجَباً.

الشيخ: وماذا رأيتَ؟

الشاب: رأيتُهُ مُسَجّىٰ في أرضِهِ البعيدة عَن الطريق الرَّئيسي، وقَد طلبتُ لَهُ سيارةَ إسعافٍ حتَّىٰ تنقلهُ، إلاَّ أنَّ سيارةَ الإسعافِ تأخَّرت حتَّىٰ وصَلَت بسببِ وعورة الطريقِ، وأغرب من ذلكَ يا شَيخ !

لقَد تَعَطَّلت فَرَامِلُ السَّيارة واحتاجَ النَّاسُ إلىٰ سيارةٍ أُخرى لتنقُل الجثَّةَ.

الشيخ: يا إلهي، وماذا حَصَلَ؟

الشاب: لَقَد مكثَت الجثةُ وقتاً طويلاً في الشَّمس إذ لم يكن هُنالك شجرَة تُظَلِّل الجثَّةَ بهَا حتىٰ انتفَخَت وأصبحَ مظهرُهَا مروعاً، وبَعْدَ وَقْت لَيْسَ بالقَليل وصلَت السَّيارةُ الثانيةُ، فحملَت الجثةَ وسارَت بهَا ولكنَّها في الطريق...

الشيخُ: ماذا حَصَلَ لهَا؟

الشاب: تَوَقَّفت فجأةً فَقَد تَعطَّل المحرِّكُ.

الشيخُ: اللهُ أكبرُ.. إنَّهُ أمرٌ حقاً عَظِيم، وماذا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟

الشاب: استُدْعِيَت سيَّارة أُخْرَى فما وَصَلَت الجثَّةُ إلىٰ مغسلَةِ الأمواتِ إلاَّ بعدَ صلاةِ الظُّهر.. وبعدَ أن غُسِّلت الجثةُ وصُلِّيَ عليهَا حُمِلَت إلىٰ المقبرةِ، وقَد حَدَثَ هنالكَ أمرٌ غريبٌ للغايةِ.

الشيخُ: وماذا حَصَل؟

الشابُّ: عندما أرادَ الناسُ وَضْعَ الجثةِ في القَبْر، وجَدُوا بابَ القَبْرِ ضَيِّقاً لا يَتَّسع للجثَّةِ خاصَّةً وأنها منتَفِخَة، فَتَعَذَّر عليهم إدخالها في القَبْرِ وركَنُوا الجثَّةَ علىٰ حافَّةِ المقبرةِ وأخَذُوا يبحَثُونَ له عَن قبرٍ آخر، ولكنَّهم لم يَجِدُوا القَبْرَ إلاَّ بعدَ صلاةِ المغرب، فتأمَّل يا شيخَنَا الحبيب ماذا حَلَّ بالعجوز؟

الشيخُ: سبحَانَ اللهِ لَو كانَ هَذا يعلَم مَا سَيَحِلّ بِهِ لما تَركَ السُّجودَ حتَّىٰ فاضَت روحُهُ إلىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ، ولكن الأملَ يُولِّدُ الغَفْلَةَ فيصبحُ المرءُ لا يُفكِّر إلاَّ بالدُّنيا الزائلةَ.. يا أخي اقصُص هذه القِصَّةَ علىٰ النَّاس لَعَلَّهم يَتذكَّرُونَ فإنَّ فيها الموعظةَ الحسنَةَ والذكرَى الطَّيبة، والذكرَى تَنْفَعُ المؤمنينَ.

اللَّهمَّ إنَّا نسألُكَ الثباتَ علىٰ هذا دينِكِ ومحبَّتِكَ وطاعتِكَ حتىٰ نلقاكَ وأنتَ راضٍ عنَّا يا أرحم الرَّاحمين..

❖ ❖ ❖

في الجامعة

فِي إحدى الكليات بدولةٍ عَربيَّة، وقَفَ أحدُ الطَّلَبَةِ العلمانيينَ ممسكاً بساعَتِهِ محدقاً نَظَرُهُ فيهَا، وهو يَصْرُخ قائلاً: «إن كانَ اللهُ مَوجُوداً فليُمِتنِي إذاً بَعْدَ ساعَةٍ» وكانَ مشهداً عجيباً شَهِدَهُ جمهرةٌ مِنَ الطُّلاب والأساتِذَة، ومَرَّت الدَّقائق عَجْلَىٰ، وحين أتممت الساعةُ دقَائِقَهَا انتَفَضَ الطالبُ بزهوٍّ وتَحَدٍّ، وهو يقولُ لزملائِهِ: أرأيتم لو كانَ اللهُ مَوجُوداً لأماتَنِي، وانصرفَ الطُّلابُ، وفيهم مَن وَسْوَسَ لَهُ الشيطانُ.. وفيهم مَن قَالَ: إنَّ اللهَ أمهَلَهُ لحكمةٍ.. وفيهم مَن هَزَّ رَأسَهُ وَسَخِرَ منهُ!

المهمّ عادَ الشابُّ المذكورُ إلىٰ أهلِهِ مَسرُوراً يتمطَّىٰ، وكأنَّهُ أثبتَ بدليلٍ عَقْلِيّ لَم يسبقْهُ إليهِ أحَدٌ أنَّ اللهَ سُبحَانَهُ غير موجودٍ، وأنَّ الإنسانَ خُلِقَ هَمَلاً، لا يَعْرِفُ له ربّاً وليسَ لَهُ معادٌ أو حسابٌ!

ودخَلَ منزِلَهُ فإذا والدتُهُ قَد أعَدَّت مائدةَ الغداءِ، وقَد أخذَ والِدُهُ مكانَهُ علىٰ المائدةِ يَنْتَظِرُهُ، فَهرَعَ الولدُ مُسرعاً إلىٰ بيتِ الخلاءِ، دخلَ ولم يخرُج.. وطالَ الانتظارُ فقامتْ أمُّهُ تطرقُ عليهِ البابَ: ولدي حبيبي لمَ تأخَّرت؟؟ ولكن لم يُجِب.. فهبَّ الأبُ مسرعاً وفتحَ البابَ ليرى ما لم يكن بحسبانِهِ أبداً.. لقدَ رأى ولَدَهُ بجانبِ المغسلةِ جثَّةً هامدةً.. نَعَم لَقَد سَقَط ميتاً، ليُثْبِتَ الطَّبيبُ بعدَها في تقريرِ وفاتِهِ، أنَّ موتَتَهُ كانت بِسَبَبِ الماءِ الَّذي دخلَ بأُذنِهِ! وفي ذلكَ قَالَ الدكتور عبدُ الرزاق نَوفَل ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «أبىٰ اللهُ إلاَّ أن يموتَ كمَا يموتُ الحمارُ! لأنَّ المعروفَ علمياً أنَّ الحمارَ والحصَان إذا دَخَلَ الماءُ في أُذنِ أحدِهِمَا، ماتَ مِن ساعَتِهِ».

فهل من مُعْتَبِرٍ وهل مِن مُتَّعظ؟؟

مكالمة شيطانية

بَدأت أصابعُهُ تَتلاعَب بأرقَام الهاتِف.. وإذا بهِ يَدُقُّ أحدَ أرقَام الهاتِف.. وإذا بِطفلٍ يكَلِّمُهُ فيَقُولُ لهُ المعاكِسُ: ألو.. ألو..

الطفلُ: ألو.. أهلاً.. مَن أنتَ؟

المعاكِسُ: كَم عُمُرُكَ؟

الطفلُ: ٦ سنين..

المعاكِسُ: ما شَاءَ اللهُ.. رِجَّال وَالله.. هل يُوجدُ أحدٌ بجانِبكَ الآنَ؟

الطفلُ: لا.. مَن أنتَ؟

المعاكسُ: أنا عَمُّكَ..!

الطفلُ (بسعادةٍ غامِرةٍ): هَلا عَمِّي.. أنتَ.. اللِّي في السُّعوديةِ؟

المعاكسُ (بنبرة يملؤها الملل): أي.. أي أنا اللِّي في السُّعودية.. أين أخواتُكَ؟

الطفلُ: ما عندِي أخوات.!

المعاكِسُ: طَيِّب مَن عِنْدَك في البيتِ الآن؟

الطفلُ: بس الخدَّامه؟

المعاكِسُ: حِلْوَة؟

الطفلُ: ويع لا مُو حِلْوَة.

المعاكسُ: أينَ أمُّكَ؟

الطفلُ: في الحمَّام عمَّا تَسبَح..

المعاكِسُ: يا الله معَ السَّلامَة.. ويُغلِقُ الهاتِفَ.. وبَعْدَ دَقَائِق.. يُعيدُ الاتِّصالَ..

المعاكسُ: ألو.. ألو..

الطفلُ: هَلا.. مَن عَمِّي؟

المعاكسُ: أي.. أينَ أمُّكَ؟

الطفلُ: رَاحَت غُرفَة النَّوم.

المعاكسُ: ما تلبسُ الآنَ؟

الطفلُ: ثوبٌ أحمر جميلٌ جداًّ.. كُلُّهُ مَاء.

المعاكِسُ: يَالله مَعَ السَّلامةِ..

ويُغلِقُ الهاتِفَ مَرَّةً أُخْرَى.. وبَعْدَ دَقَائِق..

المعاكِسُ: ألو.. ألو.. فيجيبُ في هذهِ المرَّة والدُ الطفلِ قائلاً:

ألو.. نَعَم.. مَن مَعِي؟

المعاكسُ (بنبرة استهزاءٍ): يَا مِسكين.. الظاهر أنَّكَ رجعتَ الآنَ مِن الدَّوام؟

والدُ الطفلِ: مَن أنتَ تكلَّم.. ماذا تُريد؟..

المعاكِسُ: لا تَغضَب.. بَس أحببتُ أن أُصارحكَ فعندَكَ زَوجَة جميلَة.. ولَقَد عَرفتَ أن تختَارَ يا مسكين.. أقولُ لكَ وإن شئتَ فلا تُصَدِّق لقد كنتُ قبل قليلٍ نائماً مع زوجتِكَ.. حتىٰ أنّني طلبتُ منها أن تلبسَ الثوبَ الأحمر.. وأغلقَ الهاتفَ.

والدُ الطفلِ: يا نَذْل يا قليلَ الأدب.. ويرمي بالهاتِفِ.. ويركُضُ مُسرعاً إلىٰ الدّورِ العُلويّ.. ويدخُلُ غُرفَةَ النَّوم.. وإذا بِهِ يَرَى زَوجَتَهُ وعَلَيْهَا الثوبُ الأحمَر.. وشعرُهَا مُبَلَّلٌ.. وهي جالسةٌ أمامَ التَّواليت تُزيِّنُ نفسَها.. فَيخطفهَا.. ويَضْرِبُ رأسَهَا بالمرآةِ.. ثمَّ يقومُ بركلها وضَربها ضرباً مُبرحاً.. وهو يَقُول: اخرُجي مِن بَيْتِي.. يَا فاجرة.. أنتِ لستِ من بَيتِ عِزٍّ ولا كرامة.. وتَنظُرُ إليهِ زَوجَتُهُ بنظَرَاتِ المأخوذَةِ علَىٰ أمرِهَا من فرطِ الدَّهشةِ.. ولا تَعْرِفُ مَاذا تَقُولُ وبماذا تُجيب.. لتُسْرِعَ

بعدها فَتَجْمَع شَتَاتَ أغراضِهَا.. لتنطلقَ إلىٰ بيتِ أهلِهَا..

ويجلِسُ أبو الطِّفل حائِراً.. غاضباً.. لا يَعْلَمُ مَا الَّذي فَعَلَ ومَا الذي حَلَّ بِهِ.. لقد أصبَحَ في حَيْرَةٍ مِن أمرِهِ.. لا يَدْري ماذا يفعل.. ولمن يَشتكي أمرَهُ..

المهم استَمَرَّ علىٰ هذا الحالِ يَومين اثنين لا يَعْرِفُ طعماً للرَّاحةِ.. ولا يغمضُ لهُ جفنٌ..

أمَّا المعاكِسُ.. فإنَّ اللهَ تعالىٰ لم يُمهلهُ بل عجَّلَ لهُ العقوبةَ.. فكانَ إذا أرادَ أن ينامَ لا يستطيع ذلكَ.. إنَّهُ يرقدُ في الفراشِ ساعات وساعات.. ولكن لا يستطيعُ النومَ ومرَّ علىٰ هذا الحالِ أيَّامٌ ونحلَ جسمُهُ وضاقت بهِ الدُّنيا.. يُريدُ النَّومَ ولو للحظةٍ.. لكنَّهُ لم يَقْدِر.. ليَبقىٰ طوالَ الليلِ يتذكَّر ما فعلَ مَع هذهِ المرأةِ البريئةِ الَّتي فرَّقَ بينها وبينَ زوجِها بمكالمةٍ هاتفيَّةٍ شيطانيَّةٍ واحدةٍ..

المهم سأل أحدَ الشُّيوخ وقصَّ لهُ القصَّةَ..

فقَالَ لهُ الشيخُ: واللهِ ليسَ لَكَ حلٌّ إلاَّ أن تَعْتَرِفَ للزَّوج والزَّوجَةِ لَعَلَّ وعَسىٰ أن يغفرا لكَ فتستريح وتعود لحالِكَ الطبيعي..

فقَالَ المعاكِسُ: أنا مُسْتَعِدّ.. المهم أنِّي أريدُ أن أنامَ.. أعصابي تَلِفَت يَا شَيخ..

الشيخ: إذن اذهب الآن واتَّصل بوالِدِ الطِّفل وخُذْ مَوعداً مَعَه.. وأنا مُسْتَعِدٌّ للذهابِ مَعَك..

وتَمَّ الاتصالُ، وحُدِّدَ الموعدُ.. ودخلَ المعاكسُ والشيخُ.. واستقبلهما الرجلُ أيّما استقبال.. وبدأ الشيخُ بالتمهيدِ فذكرَ كلامَ اللهِ وما فيه من فضلٍ للعافين عن الناس.. إلخ ما جاءَ في فضلِ العفو.. ثمَّ أمرَ المعاكِسَ أن يُصارحَ الزوجَ بالحقيقةِ.. فبدأ المعاكسُ بالحديثِ والزوجُ يستمعُ، وما إن أتمَّ كلامَهُ وعرفَ الزوجُ الحقيقةَ

حتىٰ قام بضربِهِ ضرباً شديداً سالت منهُ الدِّماءُ.. والشيخُ يحاولُ أن يحولَ بينَهُ وبينَهُ.. وهدأ الزوجُ بعدَ ضربٍ كثيرٍ للمعاكس..فقال لهُ الشيخُ: يا هذا، الحمدُ اللهِ الذي أظهرَ الحقَّ والمسامحُ كريمٌ.. وزوجتُكَ طاهرةٌ عفيفةٌ.. الله يرضىٰ عليك سامحهُ للهِ..

الزوج: نعم ـ وكانَ يَلْهَثُ مِنَ التَّعَبِ وكثرةِ الضَّربِ ـ ولكن بِشَرطٍ واحدٍ هو أن يَعْتَرِفَ هذا المجرم أمامَ زوجتي بهذا كي تُبرِّرَ مَوقِفِي منها وتَعُود..

المعاكِسُ: أنا موافق.. المهم أن أنام..

وفعلاً يَذْهَبُونَ إلىٰ بَيتِ الزَّوجَةِ.. ويجلِسُونَ في ديوانيَّةِ البيتِ.. ويجلِسُ مَعَهُم إخوانُ الزَّوجةِ.. وبعدَهَا يطلُبُ الزَّوجُ حُضُورَ زَوجَتِهِ لِسَمَاع كَلامٍ مِنَ الشَّيخ والمعاكِس.. وجاءت الزَّوجةُ.. وبدأ المعاكِسُ فقصَّ القصَّةَ من جديد.. فما كانَ من الإخوةِ إلاَّ أن هبُّوا كرجُلٍ واحدٍ وقاموا بضربِهِ أيضاً ضرباً مبرحاً شديداً كادَ أن يُغمىٰ عليه.. وقامَ الشيخُ وقرأ شيئاً من كتابِ اللهِ تعالىٰ وحالَ بينَهم وبينَهُ..

عندها قامت الزوجةُ.. وتوقَّفَ الضربُ.. وانتظرَ الجميعُ ماذا تقول.. وفعلاً لقد تكلَّمت فقالت: يا شيخ.. الحمدُ للهِ الذي أظهرَ الحقيقةَ، ولكن للأسف لا يمكِنُ بل ويستحيلُ أن أرجعَ إلىٰ زوجي.. لن أرجعَ لِشَخْصٍ يَضْرِبُنِي ويُهَدِّدُني بالطَّلاقِ لمجرَّدِ مكالمةٍ طَائِشَةٍ.. هذا يا شيخ يَعني: أنه لا يوجدُ بينَنَا ثِقَةٌ.. ولا أستطيعُ العيشَ مَع شخصٍ لا يَثِقُ بي.. ثمَّ غادرت مَجْلِسَهَا.. وهي تؤكِّدُ لإخوتها وتقولُ: هَذا آخِرُ رَدٍّ عِنْدِي لَهُم..

قلتُ: صدقَ اللهُ تعالىٰ عندما قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

خزي وعار

تَقُولُ عَن نفسِهَا : هَربتُ مِنَ المدرسةِ لأنّي كُنتُ عَلىٰ مَوعدٍ مَع أحدِ الشَّبابِ.. هَربتُ ولَم أكُن أعلَمُ مَاذا يَنْتظِرُني..

وجاء الشَّابُّ وركبتُ مَعه في السَّيارة.. وانطَلَقنا سويّاً ونحنُ في قِمَّةِ السَّعادة كَمَا خيَّلَ لنا الشيطانُ وزيَّن.. وما هِي إلاَّ ثَوانٍ مَعدُودَة حتَّىٰ انقَلَبت السَّعادَةُ إلىٰ تَعَاسَةٍ، فَلَقَد وقَعَ لنا حادثٌ.. وخرجنا منهُ سالمين.. وما هي إلاَّ دقائق حتَّىٰ حضرت الشّرطةُ، واشتغلَ صَديقي في استكمَالِ التَّحقيق بشأن الحادِث.. وخشيَ من الفضيحةِ لأنني لستُ أُختاً أو قريبةً له.. فسمعتُهُ اتَّصلَ بأحدِ زُملائِهِ الَّذين يُشاركُونَهُ المعاصِي والرَّذيلةِ وقَالَ لَهُ: أُريدُك أن تَأتي إلىٰ مَوقع الحادِثِ كَي تأخُذ الفتَاةَ إلىٰ الشُّقَّةِ (وكرِ الرَّذيلة) بسببِ انشغالي بالحادِثِ..

وما هي إلاَّ دقائق حتىٰ حضَرَ الشَّابُّ ليأخُذَني.. وكنتُ أضعُ المنديلَ إذا خرجتُ.. وتَوَجَّهتُ مَع صديقِهِ إلىٰ سيَّارتِهِ.. ولما رَفَعْتُ بصري لأنظُرَ إليهِ راعني ما رأيتُ فَالذي اتَّصلَ بهِ صَديقي كانَ أخي.. صُدِمْتُ صدمةً كُبرَىٰ لَم أكُن أتوقَّع ذلكَ أبداً. انتهىٰ. اللهُ أكبَرُ كمَا تَدينُ تُدَان.. قال الشَّافعيُّ ـ رحمهُ اللهُ تعالىٰ ـ:

عِفُّوا تَعِفّ نِسَاؤُكُمْ فِي المَحْرَمِ ... وَتَجَنَّبُوا مَا لا يَلِيقُ بِمُسْلِمِ
إِنَّ الزِّنَا دَيْنٌ فَإِنْ أقْرَضْتَهُ ... كَانَ الوَفَا مِن أهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَم
يَا هَاتِكاً حُرَمَ الرِّجَالِ وَقَاطِعاً ... سُبُلَ المَودَّةِ عِشْتَ غَيْرَ مُكَرَّم
لَوْ كُنْتَ حُرّاً مِن سلالَةِ مَاجِدٍ ... مَا كُنْتَ هَتَّاكاً لِحُرْمَةِ مُسْلِم
مَن يَزْنِ يُزْنَ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ ... إنْ كُنْتَ يَا هَذَا لَبِيباً فَافْهَم

[هذه قصة حقيقيَّة ذكرها الشيخ خالد الرَّاشد في شريط أحوال الغارقات].

بأي ذنب قتلت؟

النقيب سامي بن خالد الحمود:
عضو إدارة الشؤون الدينية في الأمن العام ومكافحة المخدرات سابقاً.

عالَمُ المخدّرات عالم عجيبٌ.. مليءٌ بالأحداثِ والمواقِف المُؤثِّرة التي يَعْجَز عَن وَصْفِها لِسَانٌ أو قَلَمٌ.

هذهِ صفحةٌ مِن صَفَحَاتِ هَذا العَالم.. تَحكِي قِصَّةَ مُعاناةٍ عَاشَتْها أسرةٌ بريئةٌ ابتُلِيَت بأبٍ ظَالِم.. قَد شُغِفَ قَلْبُهُ بالمتاجرَةِ في المخدِّرات، وثَقُلَ سَمْعُهُ عَن آهاتِ البنينَ والبناتِ.

في يومٍ مِنَ الأيَّام، إبَّانَ عَمَلِي في إحدى إداراتِ مكافَحَةِ المخدِّرات، كُلِّفتُ بالقبضِ علىٰ أحدِ مُروِّجي المُخَدِّرات الَّذين ـ مَع كلِّ أسف ـ تَلاعَبَت بهم شَيَاطِينُ الإنسِ والجنِّ، واتَّخذَت مِنْهُم مَعَاولَ هَدْم في كَيَانِ هَذا البلَدِ الطَّاهِرِ.

يَمُرُّ شَرِيطُ أحداثِ القَضِيَّةِ بسرعةٍ.. يَتِمُّ اتِّخاذُ الإجراءات التَّحضيريَّةِ للإطاحة بالهدفِ، ومن ثمَّ تَحْدِيد سَاعَةِ الصِّفر لتنفيذِ المهمَّة.. وبتوفيقٍ مِنَ اللهِ تَعالىٰ يَتِمُّ القَبْضُ علىٰ هذا الرَّجُل مُتَلَبِّساً بترويج كمِّيةٍ مِنَ الحبوبِ المخدّرة.

لم يَنْتَهِ مُسَلْسَلُ الأحداثِ.. بَل بَقِي فيهِ لَحظَاتٌ لا تُنْسَىٰ.

لَقَد ثَبَتَ أن هَذا الرَّجُلَ يَتَّخِذ منزلَهُ موقعاً لإخفاءِ المخدِّرات التي يَقُومُ بترويجِها وتعاطيها.. كان هذا الموقفُ يستلزمُ ضرورةً ضبط هذه الكميَّة وفق الإجراءات الأمنيَّة المتبعة حمايةً للمجتمع من خَطَرِ هذهِ السُّمُوم القاتلة.

تَقُومُ الفِرْقَةُ بالانتقال مَع المتهم إلىٰ منزلِه.. بالوصولِ إلىٰ المنزل يَتَرجَّل الجميعُ وقوفاً أمامَ بابِ المنزل وقَد نصبَ الصمتُ أطنابَهُ علىٰ أفواهِهم، وكأنه الهدوءُ الذي يسبقُ العاصفَةَ.. يتقدم المتَّهم نحو منزلِه.. يطرقُ البابَ، فتنطلق علىٰ الفَوْر

نبراتٌ مِن الفـرح والسُّرور تملأ أفواه مجموعةٍ مِنَ البراعـم الأبرياء وراءَ الباب: هيـه.. جا بابا.. جا بابا، بينَما تُدَاعِبُ إحدى الصَّغيرات أباها بكـلِّ رقَّةٍ وحنـان: بابا لن أفتح لك الباب.. وتَالله ما علمت المسكينةُ ما الذي يكمن وراءَ الباب.

أمَّا المشهدُ في الخـارج، فـألمٌ وحزنٌ يُخَيِّـم علىٰ وجوهِ الحَاضِرينَ.. يَتَبادَلُون نَظرات الأسىٰ.. بينَمَا أرخىٰ بعضُهُم لرؤوسِهم العنـــان وهُـم يهزُّونـها يميناً وشمالاً حتَّىٰ اتكأت علىٰ صدورهم من شدَّةِ الموقف.

لم تَمْض سوى لحظات حتَّـىٰ فتحَ الأطفالُ البابَ، وفي مخيلتهم ذلـكَ الأب الحَبيب الذي رُبَّمـا يحمِلُ في يديهِ لعبةً، أو حَلْوى.. أو علىٰ الأقلّ يَحْمِلُ علىٰ وجهِهِ ابتسامَةً مشرقةً.. لكنَّهم يُفاجَؤون بهِ مجرمًا محاطاً برجالِ الأمنِ، فتَنْقَلِبُ النَّبراتُ إلىٰ آهاتٍ.. والأفراحُ إلىٰ أتراح.. والآمالُ إلىٰ آلام، فَلَو رأيتَهُـــم! هـذا يَحْتَضِنُ أباهُ.. وهذهِ تَتَعلَّق بثيابِهِ.. وأخرى في عُمرِ الزُّهور تُحَدِّق بِعَيْنَيْهَا عـاجزةً عن تفسيرِ الحَدَثِ.

أقولُ: لَو رأيتهُم لبكيتَ بكاءً جمّاً.. ولتَفطَّر قلْبُكَ ألماً.

بعدَ هذا المشَهد المؤلم يُؤدِّي رجالُ الأمن واجِبَهُم في مشهدٍ آخرَ مِن مشاهدِ الألم والشَّقاء، تمثِّلُهُ صورةٌ شاحبةٌ لبيتِ البُؤس الذي تستَظِلُّ به هـذهِ الأسرةُ.. تَدْخُل غرفةَ الجلوسِ فَلا تَرَى إلا أثاثاً مُتَهَالِكاً، وفرشاً مُبَعْثَرَةً.. أمَّا غُرفَة الطعَام فَمَسْرحٌ للقَذَى ومَرْتَعٌ للأوساخ.. وأمَّا المؤنةُ وما أدراكَ مَا المؤنـةُ فما هِيَ إلاَّ بَقَايَا مِنَ الحبوبِ والمُعَلَّبات المعدودةِ.. لا تكاد تُسْمِنُ ولا تُغْنِي مِن جوع.

ضَنْكٌ في المَعِيْشَةِ.. وشَظَفٌ في الحياةِ.. ومَع هـذا.. فـالأبُ غـارقٌ في غَفْلَتِـهِ.. مُتمَادٍ في إهمالهِ لأسرتهِ.

وفي نهايـةِ المشـهدِ يَتِـمُّ العثورُ علىٰ كمِّيـةٍ مِـنَ المخـدِّرات في المـنزلِ.. ثـمَّ يُغْلَـقُ السِّتارُ بمغادرةِ المنزِلِ وَسَطَ عاصفةٍ مُدَوِّيةٍ مِن بكاءِ الأبرياءِ الَّذين وقَفُوا علىٰ بـابِ المنزلِ.. يودِّعُونَ إنساناً كانُوا يَتَربُّونَ في كنَفِـهِ.. ويـتراكضُونَ إلىٰ حضنِـهِ.. يُقَـالُ لَـهُ : (بـابا).

في خِضَّم ذلكُم المَشْهَد المؤلِم عَصفَت بي مشاعِرٌ مِنَ الأسىٰ تِجَاه هَذا المجرِم : أما تخافُ اللهَ؟ ألم تُفكِّر في هَذا المَصِير؟ أهكَذا يرْعَىٰ الأبُ فَلذات كَبِدِهِ؟ ما ذَنْبُ هؤلاءِ الأبرياءِ في هذهِ المأساةِ؟ ومَا جَريرتُهُم في تَحَمُّل المعانَاة؟.

تَقَدَّمتُ إليه وجهاً لوجهِ، سألته لَعَلِّي أجدُ جواباً.. لكنَّـهُ لم يَنْبِس ببنـتِ شَـفَة عَدا كلمتين.. قالَ : أنا السَّبب، ثمَّ انهمكَ في بكاءٍ حارّ..

وفي نهايةِ المطاف يجْرى التَّحقيق مَع المتَّـهم.. ويُقَـدَّم للعدالـةِ لِيَنَـالَ جَـزَاءه الرَّادع، والَّذي يُمَثِّل في حقيقَتِهِ إصلاحاً وعِلاجاً لنفسه المريضةِ.. وصيانةً لأسـرتِهِ وللمجتمَع بأكمله.. و حفاظاً علىٰ قـيَم هَذا البلدِ وأخلاقِهِ مِن أن تَمَسَّـها أيـدي السُّفهاءُ العَابثِينَ.. حمىٰ اللهُ بلادَ التَّوحيد من كلِّ شيطانٍ مَريدٍ.

❖ ❖ ❖

حكايتي مع طفلتي

قالَ أحدُ المتعافين « ب م » مُتَزَوِّج وله مِن الأولادِ سبعةٌ : إنَّ حياةَ المخدراتِ ذلٌّ وإهانةٌ فالمدمنُ يَقْبَلُ أيَّ شيءٍ ويُوافقُ عليهِ مِن أجلِ الحصولِ علىٰ المخدِّرات حتَّىٰ أصدقاء السُّوء تَبْحَث عنهُم بكلِّيتِكَ وتبذُل جهدَكَ.. لأنَّهُم هُم مَن يهدُونَكَ للطريقِ الذي ستحصلُ منهُ علىٰ هذهِ السموم..

إنَّها بحقٍّ حياةُ نكَدٍ وبُؤسٍ.. ففي البدايةِ كانت حُبّ استِطلاع وأصبَحَت اليومَ ولمدَّةِ عشرينَ سَنَة عِشْتُ فيها جميعَ أنواع الأساليبِ المهينة والذَّليلة إدماناً خطيراً.

كانَت بدايةُ الطَّريق إلىٰ العالم المظلِم صديقَ سوءٍ عَرَضَ عليَّ بَل أصرَّ عليَّ أنْ أستعمِلَها لأنَّها علىٰ حَدِّ قولِهِ تجلِبُ السَّعادَةَ وتُنشِّط الجسمَ بكامِلِهِ!!!.

وَافَقتُ وَيا ليتَنِي لم أوافِق قَالها وهُو يتنَهّد.. وتابعَ قائلاً : وسَلكتُ بعدهَا الطريقَ مِن حيثُ لا أعلَمُ، وصَدِّقني إذا قلتُ لَكَ إنَّني لا أعلَمُ كيفَ استطعتُ أن أداوم عليها لأنَّها تّجرّكَ رُويداً رُويداً حتَّىٰ تَقَع في المصيدةِ الَّتي تَرفُض أنت الخروجَ منهَا وكيفَ لا ، ونحنُ لم نَذكُر اللهَ إلاَّ قليلاً والصَّلاة الَّتي هي عمادُ الدِّين لا نَعْرِفُهَا أصلاً.

أمَّا عن حياتي مع زوجتي وأولادي فقد كُنت كَثِيْرَ الضَّربِ لِزَوجَتِي وأولادِي ولمجرَّدِ أن يَطلُبوا مِنِّي شيئاً ولو كانَ يسيراً ، وعلىٰ الرَّغم من قسوتي التي كنتُ أعاملُهم بها ، كانَ الأولادُ علىٰ العكسِ تماماً إذا رأونِي أقبَلُوا لاحتِضَانِي ولكن لا حيَاةَ لمن تُنَادِي ، كنتُ لا أُلقِي لهم بالاً والسببُ هي المخدّرات.

وأذكرُ ذاتَ مَرَّةٍ أنِّي كنتُ جالساً بالمنزِل وأتت إليَّ ابنَتِي وكانَ عُمُرهَا ستّ سَنَوات ، فقَالت لي والبراءةُ في وَجْهِها : لماذا يا أبِي لا نُشَاهِدُكَ إلاَّ قليلاً؟؟ ولا

تَضْحَك مَعَنا؟ وكانَت تَقُوم بحركاتٍ (طفوليةٍ) مَعِي كالصُّعودِ فَوقَ ظَهْري ومَا إلىٰ ذلكَ، أمَّا أنا فكنت مكتوماً لا أبادُلها هذهِ البراءةَ.. ولا أبادُلها هذا الحبّ.. فإنَّني بعدَ الإدمانِ لم أعد أشعُر بشيءٍ مِنَ الحنانِ، وبقيت تُلاعبني ثمَّ قالت لي: أبي اشتَري لي لعبةً كصديقاتي في المدرسَةِ.. فضاقَت بي الدُّنيا وكانَ الوقتُ ليلاً، فقُمت وضَربتُها ضرباً مبرحاً وأمسَكْتُ بِيَدِهَا وفَتَحتُ بابَ المنزل وألقيتُها في الشَّارع وأغلقتُ البابَ، وسمعتُها تَتَوَسَّل إليّ وأنَّها لَن تَطلُب مَرَّةً أُخرَى شيئاً أبداً.. فأعدتُها بعدَمَا تَدَخَّلت أمُّهَا. ثم سكَتَ (بُرهة) وقالَ: تخَيَّل أضربُ ابنَتِي وأرميهَا في الشَّارع بسببِ لُعبَةٍ!! إنَّها المخدرات، قَالها بصوتٍ عَالٍ.. لعلَّ هذهِ الكلمات أن تصل لكلِّ مُدمنٍ حتىٰ يعي حقيقةَ أمرِهِ.. ثمَّ أضافَ قائلاً: عِشْتُ جلّ حيَاتِي في ذُلٍّ أبحثُ فَقَط عَن المالِ لأشتَرِي ما أريدُ مِن دمارٍ وفسادٍ..

وفي يومٍ من الأيَّام خَرجتُ مِن مَنزلي متضايقاً وإذا بأحدِ رجالِ الحيّ يَقِفُ بسيّارتِهِ ويُسَلّم عليَّ بحرارةٍ وقَالَ لي: أريدكَ في موضوعٍ مُعَيَّن، وبَعْدَ إصراره ركبتُ مَعَهُ في سيارتهِ، وأخذ يطوفُ بي في شوارع المدينةِ زادها اللهُ شرفاً وعزّاً وأخذَ يُذكِّرني باللهِ وأنَّهُ لم يُشاهدني أصلِّي معهم في المسجدِ منذُ فترةٍ.. وإلىٰ متىٰ سأستَمِرُّ علىٰ هذا الحالِ؟. وأرادَ اللهُ لي الهدايةَ.. فبدأ يدخُلُ كلامُهُ إلىٰ قلبي قبلَ عقلي.. وخصوصاً أنَّهُ يملكُ أسلوباً رائعاً في التَّأثيرِ والإقناع جزاهُ اللهُ عَنِّي خيرَ الجزاء.

وبَعْدَمَا انتهىٰ من حَديثِهِ مَعِي، اتَّفقنا علىٰ أن يَذْهَبَ بي إلىٰ مركَزِ التأهيل النَّفسيّ الَّذي بإذنِ اللهِ ومَع الإرادةِ والعزيمةِ سيكونُ سبباً في الصَّلاح والهدايَةِ والخلاصِ مِنَ الدَّمار والفَسَاد، وبالفِعْل لم يخب ظَنِّي فيهِ، فالحمدُ للهِ عافاني اللهُ تعالىٰ وأنا أعيشُ حالياً بِعِزٍّ ووقَارٍ وتَعَامُلِي مَع أسرتي أكثَر مِن جَيِّد حتىٰ ابنَتِي الَّتي ضَربتُها (أبشِّرُك) أنَّني اشتَريتُ لها لُعبَتَين ولَيْسَت واحدةً قالها وهو يضحكُ.

ضيعتنا يا زوجي

هذه امرأةٌ حزينةٌ.. ابيَضَّ شعرُها من طوارقِ الأيام.. وبدَا وجهُهَا بائساً مِن الآلام.. تحكِي معاناتها مَع زوجِها المدمِن.. وهذا بكاؤها يَتَخلّل حديثَها المحزِنَ.. ولو أنَّني لم أقِف علىٰ هذه القِصَّة وأنقلُ مشاهِدَهَا المؤلمةَ عَن لسانِ مَن عاشَ أحداثَها لَظَنَنْتُهَا مِن نَسج الخيالِ أو المبالغَةِ.. تقولُ:

كان زَوجي يعملُ رئيساً في شركة مرموقَةٍ، وكانَ يُحِبُّني ويُدَلِّلُني ويفيضُ العطفَ عليَّ وعلىٰ أولادِي.. كنتُ أشعُرُ بأنَّني أسعدُ زوجةٍ في الدُّنيا.. وتَمضِي الأيامُ بنا وسُرعان ما يَتَحوّل هذا النَّعيمُ إلىٰ جَحيم.. بدأتِ الأحداثُ المريرة بتغيُّرٍ مفاجئ لزوجي فحالتُهُ النَّفسيةُ تبدَّلت وانقلبَت رأساً علىٰ عقب.. مِزاجٌ مُتَقَلِّب.. عصبيةٌ لأتفهِ الأسبابِ وأحياناً كان يَضْرِبُني حتَّىٰ يَتوَرَّمُ وَجْهي!! كانَ يأتي للبيتِ ورائحتُهُ كريهةٌ.. وفي يوم مِنَ الأَيَّام أخذتُ ثيابَهُ لِغَسْلِها فوقَعَت يَدِي علىٰ قطعةٍ مِنَ الحشيش المخَدِّر..

اكتَشَفْتُ المصيبةَ وهي أنَّ زوجي مُدمناً للمخدراتِ.. حاولتُ أن أنصحَهُ ولكن لم تَنْجَح محاولاتي المتكرِّرة في نُصْحِهِ.. فلجأتُ لوالديَّ استجابًا لِطَلَبي وحضرا المنزلَ وليتَهُم لم يحضُرا.. فمَا إن تحدَّثا عَن الموضوع إلاَّ وشَتَمَهُما وطردَهُما مِنَ المنزل.. ازدادَت حالةُ زَوْجي سُوءاً.. حتَّىٰ صارَ يشكّ في سُلوكي..

كنت أصبِّرُ نفسي أمامَ هذهِ الاتهامَات المرَّة حفاظاً علىٰ أسرَتي وأولادِي.. ربما لا تُصدّقوني بأنه كانَ يشكُّ في سلوكِ ابنَتِي البالغة مِنَ العُمر سَبعَ سَنوات!! في أحدِ الأيّام طرقَ البابَ فقامَت ابنَتِي المسكينَةُ بفتح البابِ لكنَّه كان في سكرِهِ فتَخيَّل حينَهَا أنَّ هذهِ الطفلة تجلِسُ مَع رجَال!! كيفَ لا أدرِي!! وانهالَ عَليها

بالضربِ.. فهربت منه فانطَلَقَ وراءها حتَّىٰ اختبأت في غُرفتي رَمَاهَا بزجاجاتِ العُطُور فكَسرَ يَدَهَا.. صَرَخْتُ بأعلىٰ صَوتي مِن هولِ الموقِف.. اتَّصلت بأخي.. وقمنا بنقل ابنَتِي للمستَشفَىٰ وقَد دَخَلَ الزُّجاج في عَينيها البريئتين..

ولم ينتهِ عندَ هـذا الحدّ.. ففي يوم آخر دَخَلَ كالمسعُور وأخذَ ابني الصَّغير وألقىٰ بهِ في الشارع فتورَّمَ رأسُهُ.. ولكن مِن لطفِ الله كانَت أمّ زَوجي في البيت معنَا فأخذتهُ للمستشفَىٰ ليتمّ إسعافُهُ..

كانَ زوجي إذا تَنَاوَلَ هذهِ السُّمومَ تحوَّل إلىٰ مخلوقٍ آخَرَ.. قَلْبٌ بِلا رَحْمَةٍ، جِسْمٌ بِلا عَقْل، يتحوَّل إلىٰ حَيَوانٍ مفترس..

وفي يومٍ آخر دخَلَ علينَا وكانَ فاقداً لِعَقْلِهِ فألقىٰ بالشَّاي الحارّ علىٰ رأس ابنَتِي الصَّغيرة فأصيبَت بحروق وتَشَوّهات.. ولا تزال إلىٰ هذا اليوم تَنْطِقُ علىٰ وجهِهَا بشاعَةُ الموقِفِ.. أمَّا أعظمُ المصائبِ فكانت بابنِي الأكبر.. كانَ عُمُرُه في ذلكَ الوقت (١٢ عاماً).. كانَ هذا الولدُ هُوَ الأملُ الَّذي بَقِي لي في حَيَاتي.. فَقَد يئستُ مِن زَوجي..

لقَد قَتَل آمالي وحَطَّم المعاني الجميلةَ في نَفسِي.. في أحدِ اللَّيالي جَلَسَ زَوْجي مع رفاقِهِ في إحدَى مجالِس الشَّيطان.. كنت أخشَىٰ مما سيحدُث في نهايةِ هذا المجلس الشيطانيّ.. المهم أخذتُ أبنائي للغُرفةِ وأقفلتُ البابَ.. مَضَت السَّاعاتُ ونامَ الأولادُ.. وبقيتُ لوحدِي.. لم يغمض لي جفنٌ.. وكيف لي أن أنَام في هَذا اللَّيل المرعِب مع زوجٍ فاقد لكلِّ معاني الرَّحمة..

وفي ظلمةِ اللَّيل وعند الساعَةِ الثَّالثة ارتَّج بابُ الغُرفَةِ.. وإذ بِزَوجي يصرُخ: افتَحِي البابَ.. صَرختُ: لَن أفتح.. استيقظُ الأولادُ.. لكن سُرعَان مَا تَحطَّم

البابُ فَدَخَل زَوجي الغرفةَ وانهال عَليَّ وعلىٰ أولادِي بالضَّرب حتَّىٰ تمزقت ملابِسي فأخذَ العَصَا.. وسُرعان ما انكَسَرت علىٰ رأس وَلَدِي ثمَّ التَفَتَ كالمجنونِ يميناً ويساراً فلم يجد سِوى طاولةً فرَفَعَهَا للأعلىٰ ثمَّ هوى بهَا عَلىٰ رأسِ الولَدِ فإذا بالدِّماءِ تَتَفَجَّر مِن رأسِهِ.. صَرَختُ مستنجدةً بالجيرانِ ولكن لا مُجيب ولا مُعين..

أسرَعْتُ للثلاجةِ لأخرج قِطَع الثَّلج وأضعهَا علىٰ رأسِ وَلَدِي ولكِن لازالَت الدماءُ تصبّ مِن جرحِهِ.. خرجتُ مِن المنزل أجري مِن هولِ المصيبةِ.. بلا شُعور.. بلا نِعَال.. بل وَاللهِ بِلا حِجَاب!!

طرَقْتُ بابَ الجيران فأخبرتُهُ بما جرى.. فَذَهَب للمنزل يجرِي وأنا أجرِي وراءه فإذا بابني يَسْبَحُ بدمائِهِ حملناهُ للمستَشْفَىٰ ووضع في العنايةِ المركزة لمدة (٣ أسابيع).. وتأتي الفاجعةُ الموجعَةُ.. وَلَدِي قد أختَلَّ عَقْلُهُ بسببِ الضَّربة.. وبَعْدَ شهرين خَرَج ابني مِنَ المستَشْفَىٰ عالةً عليَّ في المنزِل.. لا يملكُ نفعاً فكيفَ يكون عوناً لي علىٰ مَصَائِب الحياة !!

صَدِّقُوني تمنَّيتُ أن يموتَ، كانت هذه أمنِيَتِي تجاهَ زَوجِي.. دَعَوتُ اللهَ أن يُقْبَض عليهِ ويُسجن وفعلاً بعدَ أسبوع قَبَضَ عليه رجالُ الأمن لِيُقْضَىٰ عليهِ لمدَّة عامين... وفي البيتِ بدأت مُعَاناةٌ أُخرى مَع أسئلةِ أولادِي المتكرّرة أين أبونَا.. لماذا قبضُوا عليهِ؟ لماذا هو في السِّجن؟؟

كنتُ أزورُهُ مرَّات ومرَّات.. ومَضَت الأيَّامُ في السِّجن.. ابتَعَدَ زَوجي عن رفقةِ السُّوء.. فاستَقَامَ سُلُوكُهُ.. وخَرَج محافظاً علىٰ الصَّلاة مُتَمَسّكاً في الخُلُق والفَضِيْلَةِ.. ولكن حَدَثَ مَا لم يكُن في الحسبَان.. تجمَّع حَولَهُ رفاقُهُ الأوَّلُون واستدرجُوهُ

للإدمانِ مِن جَديد.. تَردَّت أحوالُنـا الماديَّـةُ مـرَّةً أُخـرى بِسَببِ إدمـان زوجـي علىٰ المخـدِّرات بـاعَ أثـاثَ المنزل بَـل وحتَّىٰ أدوات المطبَـخ!! ولم تكُـن هـذه الأمـوال لِتُشبِعَ شرَاهتهُ في تَعَاطِي المخدِّرات..

فكان لا بُدَّ مِن ثمن أغلَىٰ أتدرونَ مَـا هُـو؟؟ إنَّـهُ ابنَتِـي الصَّغيرة وكـان عُمُرُهـا (١١) عاماً، قَـام بتزويجهَا لِرَجُل مريض ومُصَاب بِتَخَلُّـف عَقْلِـيّ.. كُـلّ ذَلِـكَ ليستَولي علىٰ المهر البالغ (٥٠ ألف) ريالاً لينفِقَهُ علىٰ سُمُومِهِ..

ضَاقت نَفْسِي ولم أعُد أُطيـق أعبـاءَ المنزِل.. مَـع كـلِّ ذلـك لم يكُـن يُعيرنَـا أيّ اهتمام إلاَّ إذا نَفَذَ ما بيدِهِ مِنَ النُّقود.. فيدخُل ويأخُذ ما وَقعَت عليهِ يَدُهُ مِـن قُوتِنا الَّذي كانَ يَصِلُنا مِن المحسنينَ ثمَّ يمضِـي.. تفكّرت في أيّامِي الخالية فكِدْتُ أموت حزناً وكمَداً وحسرَةً ولكِن عزائي بَعْدَ هذا العُمُر الطويـل أنـني ولله الحمـدُ مُؤمنـةً باللهِ.. ولم أفقِد الأملَ.. لم أيأس مِن روح اللهِ.. وأدعُـو اللهَ ليـلاً ونـهاراً أن يَـرُدَّ لي زوجِي ويُصلِح أولادِي ويُعيد أيَّامي السَّعيدة الَّتي غَرَبَت شَمْسُـهَا وأفَلَـت نجومُـها فَلَعَلّ فَجْراً صادقاً يُضيءُ حياتِي مِن جديد.

[من شريط (عبرة وعبرة) للرائد سامي بن خالد الحمود].

❖ ❖ ❖

وقتلت أخي

أنهىٰ سَامِي امتحانَ السَّنةِ الأولىٰ المتوسطةِ بتفوُّق، وقبلَ أن يعرفَ نتيجةَ امتحانِهِ سألَ والدهَ قائلاً:

ما هي الهديةُ الَّتي ستهديني إيَّاها إذا نجحتُ هذا العامَ؟

قالَ والدُهُ بسعادةٍ: عندمَا تحضرُ الشهادةَ وتكون ناجحاً سأوافِقُ علىٰ سَفَرِكَ مَع خَالِكَ إلىٰ الحبشةِ لِتَقْضِي إجازةَ الصَّيفِ هُناك.

لقد كان سامي أكبرَ الأولادِ، وقَد أنجبتهُ أمُّهُ بعدَ طُولِ انتظارٍ، فنشأ بَينَ والديهِ حَبيباً مدلَّلاً، الجميعُ يسعونَ لإسعادِهِ وتحقيقِ مطالِبِهِ وإدخالِ السُّرور علىٰ نفسِهِ.

لم يَنَم سامِي تلكَ الليلة مِن الفرحةِ فَقَد كانَت الأحلامُ الوردية تُداعبُ مخيِّلتهُ وفِكْرَهُ الطفوليّ البريء كيفَ لا؟ وهو سَيُسَافِر لأوَّلِ مَرَّةٍ إلىٰ الحَبَشَةِ وسَيَقْضي فيها ثلاثةَ أشهُر هي فترةُ الإجازةِ المدرسيةِ، وسيَتَمَتَّع خلالَها بكلِّ جديدٍ.

وفي صباح اليوم الثَّالث لانتهاءِ أعمالِ الامتحاناتِ خَرَجَ سامي بصحبَةِ والدِهِ إلىٰ المدرسةِ لِيُحضرَ الشَّهادَةَ.

غابَ سَامي داخِل المدرسةِ دقائِقَ معدودة بينَما كانَ والدُهُ ينتظرُهُ في السَّيارةِ ثمَّ عادَ وهُو يحمِلُ الشَّهادَةَ في يدِهِ وعلاماتُ البُشْرى تَنْطِقُ مِن وجههِ البريء وهُو يهتفُ قائلاً: أبي، أُبَشِّرُكَ لَقَد أخذتُ التَّرتيب الثاني علىٰ زُمَلائي.

ابتسامةٌ عريضةٌ سكَنَت عَلىٰ محيّا والدِهِ، وبَدا الفرحُ جليّاً في عينيهِ فحضنَهُ الأبُ بفخرٍ وفرح شديدين وهو يَقُولُ لهُ: ألفُ.. ألفُ مُبارك يا سَامي بَل مليون مبارك يا وَلَدِي، الحمدُ للهِ علىٰ تَوفيقِهِ لَكَ.

وحانَ موعدُ السَّفَرِ فَودَّع سامي والديهِ وهُو في غايةِ الزُّهُوّ والسَّعادةِ، وفي

الطائرةِ الَّتي ركبَهَا سَامِي لأوَّل مَرَّة رأى عالماً جديداً ومُتعَة لم يَتذَوّقهَا مِن قَبْلُ، متعة فيهَا خليطٌ مِنَ الخوفِ والبهجةِ معاً خصوصاً عندمَا سَمعَ هَديرَ الطائرةِ وهي تُقْلعُ عَن أرض المطارِ لِتحلِّق في الفضاءِ الواسع، لَقَد كانَ كُلُّ شَيء يُشاهِدُهُ ويَسْمَعُهُ جديداً بالنِّسبةِ لَهُ، وشيئاً غريباً لم يألفهُ مِن قَبْلُ وفي الحبشَةِ رَأى سَامِي بصحبَةِ خالِه عالماً جديداً آخرَ.. ومَرَّ هناكَ بعدَّةِ تجارِب مُثيرة وشَاهَدَ أشياءَ لم يُشاهِدهَا مِن قَبْلُ.

ولكنهُ كانَ يُلاحظُ بينَ فترةٍ وأُخرى وفي أوقاتٍ مُعَيَّنةٍ أنَّ خالَهُ تَنْتَابُهُ حالةٌ غريبةٌ يَضعُفُ فيها جَسَدُهُ ويَفْقِدُ توازنَهُ.. ومع ذلكَ كانَ يَراهُ سَعيداً ضاحكاً أحياناً ويراهُ في أحيانٍ أخرى يُتَمْتِم بكلماتٍ غير مفهومةٍ.

وتَوَصَّل سَامي إلىٰ السرِّ في هذهِ التَّصرفاتِ الغريبةِ، إنَّ خالَهُ مُدْمِنٌ علىٰ شربِ الخمرِ.

ونَمَت في نَفْسِ سَامِي غريزةُ حُبِّ التَّقليد، ولم يرحم الشيطانُ سنَّهُ الصغيرةَ فوسوسَ لهُ ليُحوِّل رَغْبَتهُ إلىٰ تَجْرُبَةٍ فِعلِيَّة..

وشربَ سَامي الخمرةَ لأوَّل مرَّة، في البدايةِ لم تُعْجبهُ ولكن رُؤيتَهُ لخالِهِ وحبّ التَّقليد الأعمَىٰ دفعاهُ إلىٰ أن يجرِّبَها مرَّةً واثنتين وثلاثاً حتَّىٰ تعَوَّد عليها وأصبحَ مُدمناً لها وهو لم يتجاوز الثالثةَ عشرةَ مِن عمرِهِ.

وانتهَت فترةُ الإجازةِ وعادَ سامِي بصحبَةِ خالِه إلىٰ «جَدَّة».. وكانَ تفكيرُهُ منصباً علىٰ كيفيةِ الحصولِ علىٰ الخمرِ والتَّمكّن من تناولِهِ، ولكنَّهُ لم يستطع الحصولَ عليها بسهولةٍ فَقرَّر في النهايةِ أنَّ الامتناع عنها نهائياً هو الحلُّ الوحيدُ للمحافظَةِ علىٰ نفسِهِ ومُستقبلِهِ، فهو لا يزالُ طفلاً كما أنه فِعلٌ مُشينٌ حرَّمهُ اللهُ

تعالىٰ ورتَّبَ عليهِ عقاباً صارماً لمن يفعلهُ..

وفعلاً عادَ سامي إلىٰ حياتِه الطبيعيةِ ونسيَ الخمرَ ومرَّت عليهِ ثلاثُ سَنَواتٍ دونَ أن يُفكِّر في شُربِهِ.. وفي نهايةِ السَّنةِ الرابعةِ قرَّر أهلُهُ السَّفَرَ إلىٰ الخارجِ لِقضَاءِ عطلَةِ الصَّيفِ في إحدَى الدُّولِ الأوربيةِ.. وهناكَ في تلكَ الدَّولَةِ استيقَظَت الرَّغبةُ الكامنةُ في نفسِهِ لشربِ المسكرِ وتجدَّدت ذكرياتُ الحبشةِ فَمَضَىٰ الشيطانُ يُزَيِّنُ لَهُ شربَ الخمرِ، فكانَ سَامي ينتَهِزُ فرصةَ غيابِ أهلِهِ للخروجِ، أو وَقْتَ نَوْمِهِم ليتناوَلَ الخمرَ خفيَةً.

واستَمَرَّ علىٰ تلكَ الحالِ حَتَّىٰ أدمَنَ الخمرَ مِن جديدٍ وأصبَحَ لَدَيْهِ كالماءِ لا يَسْتَغْنِي عنهُ.

وفي إحدَى الليالي خرَجَ سَامي مع «فوزي» ابنِ خالِهِ لقضاءِ السَّهرةِ في أحد النوادي اللَّيليَّة الأوروبيةِ، وجلسا معاً يحتسيانِ الخمرَ بعدَ أن أكلا ما طابَ لَهُما مِنَ الطعام وهُمَا يُنْصِتَانِ للموسيقىٰ الصَّاخبةِ في المطعَم.

وبينما هُما علىٰ تلكَ الحالِ إذ أخرجَ «فوزي» مِن جيبِهِ قطعةً صغيرةً سوداء وأخذَ يَسْتَنشقُهَا بهدوءٍ ولَذَّةٍ وكأنهُ يُقبِّلُ طفلاً رضيعاً.. وكانَ بينَ آونةٍ وأُخرَى يَتَمَايل يميناً وشمالاً.

لاحظَ سامي ذلكَ فسأله في فُضُول: ما هَذِهِ القطعةُ؟ ولماذا تَفْعَلُ ذلكَ؟

فضَحِكَ فَوزي وقالَ: ألا تَعْرف مَا هِي؟ إنَّها الحشيشةُ السوداءُ إنَّها قمَّةُ اللَّذة العارِمَةِ.

قال سامِي: هَل مِن المعقول أن هَذِهِ القطعةَ تَفْعَلُ كلَّ هَذا؟

قال «فوزي»: إنَّ ما قلتهُ لكَ هُو جزءٌ من الحقيقةِ.. وعليكَ أن تجرِّب حتّىٰ تعرفَ الحقيقةَ بنفسِكَ.. خُذ وجرِّب.

ومدَّ يدَهُ إلىٰ سامِي بالحشيشةِ السَّوداء.. تَناول سَامِي الحشيشةَ وأخذ يَسْتَنشقُهَا وانتَقَل معهَا إلىٰ عالم آخرَ مِن الزَّيف والوهم والضَّياع.

لم يكُن سَامي يَعْلَم أنَّ هـذهِ الحشيشةَ الصَّغيرةَ ستكونُ لَهُ بالمرصادِ.. وأنها موتٌ يطرقُ بَابَهُ كلَّ يَوم ويُهَدِّدُ مستقبَلَهُ وصحَّتَهُ.

ولم تمض سِوى أيَّامٌ حتَّىٰ أصبحَ سَامي مدمناً للحشَيش فانقَلَبَت حياتُـهُ رأساً علىٰ عقب، وساءت صِحَّتُهُ واعتَّلَ فِكْرُهُ بِسَبَبِهَا، ونَفدت نُقُودُهُ مِن أجلِهَا.. وعندَما أنهىٰ سامي تعليمَهُ وحَصَل علىٰ الوظيفةِ بدأ يشعرُ بكراهيتهِ للنَّاس وحُبِّ الابتعاد عَنْهُم.. لقد كانَ يشعرُ في قرارةِ نفسهِ أنَّ الجميعَ يَعرفُونَ سِرَّهُ وأنَّ أحداً لم يَعُد يثقُ بهِ.. فأضحىٰ عَصَبِيّ المزاج كثيرَ الانطواءِ علىٰ نفسهِ.. ومضَت ثمانيـة عَشَرَ عاماً وهو أسيرُ حشيشَتِهِ السَّوداء، وعلىٰ رَغْـم تقلُّبهِ في عـدَّةٍ وظائف للحصـولِ علىٰ راتبٍ أكبَر يُساعِد علىٰ مصـاريف الحشيش إلاَّ أنَّ مشاكِلَهُ كَثُرت حتَّىٰ مَع أهلِهِ وأقربِ النَّاسِ إليهِ.. وقَلَّت ذاتُ يدهِ من المالِ..

وكان سامي يشعرُ في قرارةِ نَفْسِهِ أنه بحَّارٌ ضائع في بحرٍ لا سَاحِلَ لَهُ ولا سبيل للنَّجاةِ منهُ.

عزم سامي علىٰ أن يبوح بالسر لأحد أصدقائه الأعزاء لعله يجد عنده ما يخلصه من هذا الجحيم الذي لا يطاق.

وبالفِعل حملهُ ذلكَ لأن يذهَب إلىٰ أحدِ أصدقائهِ القُدَامىٰ الذينَ علىٰ شاكلتِهِ لعلَّهُ يجدُ لهُ حَلاً.. واستقبله صديقُهُ بفرح كبيرٍ وعاتَبَهُ علىٰ انقطاعِهِ عنهُ.

وأخبرَ سامي صديقَهُ بكلِّ مَا جرَى ويجري مَعَهُ بسـببِ هـذِهِ الحشيشـةِ السَّامَّةِ وطلَبَ منهُ المساعدَةَ في التَّخلُّص مِن هذهِ الحشيشةِ القاتِلَةِ، ولما أنهىٰ حديثَهُ بـادَرَهُ

صديقُهُ قائلاً: عندي لكَ ما يُنْسِيكَ كلّ آلامِكَ! فقَط عليكَ أن تَمُدَّ يَدَكَ وتُغْمِضَ عَينيكَ وتَنْتَظِرَ لِلَحظات.

قالَ سامي باستغرابٍ: ماذا تَقُول؟ يا صديقي أنا في حالةٍ سيِّئةٍ لا تَسْتَدعِي المزاح والسُّخرية مِنْكَ.

فقالَ الصديقُ: أنا لا أمزحُ! وسترَى النَّتيجةَ.

وفعلاً مَدَّ سَامي يدَهُ وأغمَضَ عَيْنَيه، فتناولَ ذاكَ الصديقُ عَضُدَهُ وحَقَنَهُ بحقنةٍ من «الهروين» وحين فتَحَ سَامي عينَيه كانَ صديقُهُ (النَّاصحُ) قَد انتَهىٰ من تفريغ حُقْنَةِ «الهروين» في جسمِهِ.

ومع حقنة الهروين كانَت بدايةُ رحلةِ الألم والعذاب الجديدة بالنِّسبةِ لسَامي ومن يَومِها أدمَن عَلىٰ «الهروين» ولم يَعُد يَستَغْني عنهُ، وكان حينَ يتركُهُ يَشْعُر بآلام تَنْخرُ عظامَهُ لا سبيلَ إلىٰ تحمُّلِها.

وصرفَ «سامي» كلَّ ما يجمعهُ علىٰ «الهروين» واستدانَ مِن أهلِهِ وأصدقائِهِ وهُم لا يَعلَمُونَ عَن الحقيقةِ شيئاً، بَل ورَهَنَ بيتَهُ أيضاً.

وعندما ساءت حالَتُهُ الصِّحيَّةُ دَخَلَ المشفىٰ، وخرجَ منهُ بعدَ فترة لِيَعُودَ للإدمانِ مِن جديد، لقد دخلَ المشفىٰ أكثَرَ مِن مرَّةٍ ولكن دونَ جَدْوَى.

وفي ذات ليلةٍ لم يستَطع مقاومَةَ الآلام في جِسْمِهِ بسببِ الحاجةِ إلىٰ «الهروين» ولم يكُن لديهِ مالٌ ليشتري هذا السمَّ القاتِل، ولكن لا بدَّ من تناولِ «الهروين» هذه الليلة مهما كانَ الثَّمنُ، وكان والدُهُ آنذاكَ مسافراً، وكانَت تَصرّفات سَامي في تلك الفترةِ يَغلِبُ عليها الطابعُ العُدوانيُّ الَّذي أفقدَهُ آدميَّتَهُ وإنسانيَّتَهُ.

وكانت تلكَ الليلة الحزينة ليلةً مقمرةً بعضَ الشَّيء، فخرجَ سامي مِن غرفتِهِ

وقد عَزَم علىٰ أمرٍ خطيرٍ.. لقد عَزَم علىٰ سرقةِ شيءٍ مِن مجوهراتِ أُمِّه ليشتَرِي بها « الهروين » فهو لم يعد يطيق عنهُ صبراً.

وفعلاً تَسَلَّل سَامي بهدوءٍ إلىٰ غُرفَةِ والِدَتِه، وفتَحَ دُولابَها وسرَقَ بعضَ مجوهراتِها ليبيعَهَا ويشتَرِي بها « الهروين ».

استيقظَت الأمُّ علىٰ صوتِ الدُّولاب رأت شبحاً يَتَحَرَّك فَصَرخَت بكلِّ قُوَّتها « حَرامي.. حَرامي.. » اتَّجَـهَ ناحيتَهَا وهُوَ مُلَثَّمٌ وأقفَلَ فَمَهَا الطَّاهِرَ بيدِهِ الملوَّثَةَ بالخطيئةِ، ثمَّ قَذَفَ بها علىٰ الأرضِ، ووقعَت الأمُّ وهي مرتاعةٌ هلعةٌ.. وفرّ سامي هارباً خارجَ الغُرفَةِ.

وفي تلك الأثناءِ خَرَجَ أخوهُ الأصغر علىٰ صوتِ أمِّهِ ليرى شَبَحَ الحراميّ فَلَحِقَ بهِ ليمسِكَهُ، وبالفعلِ أمسكَهُ ودخلَ الاثنانُ في عراكٍ وتَدَافُعٍ، لقد كانَت اللحظات صعبةٌ والموقفُ مريرٌ.. وسينكشِفُ سامي لو أمسَكَ بهِ أخوه، فوسوس لهُ الشيطانُ طعنَ أخيهِ.. وطعَنَ سَامي أخاه بالسكين في صَدرِهِ ليتَخَلَّص منهُ ومِن الفضيحةِ، وفرَّ هارباً بالمجوهراتِ.. ولكنَّ اللهَ كانَ بالمرصاد.. فكانَت سياراتُ الشرطة تجوبُ الشَّارع في ذلكَ الوَقت في دوريةٍ اعتياديَّةٍ فَلاحظهُ أحدُ الشُّرط وهُوَ يخرجُ مِن البيتِ مُسرعاً يكادُ يَسْقُطُ أرضاً وفي يدهِ عُلبةٌ كبيرةٌ، فشكَّ في أمرِهِ ولحقهُ مباشرةً وألقَىٰ عليهِ القبضَ.

ونُقل بعدَها الابنُ الأصغرُ إلىٰ المشفىٰ ولكنَّهُ فَارقَ الحياةَ وأسلَمَ الرُّوحَ إلىٰ بارئِها متأثراً بتلكَ الطَّعناتِ الغَادِرَةِ التي تَلَقَّاها جَسَدُهُ الطَّاهِرُ مِن أقربِ النَّاسِ إليهِ مِن أخيهِ الأكبَر الَّذي طالما أكَلَ مَعَهُ وشَرِبَ مَعَهُ ونَامَ مَعَهُ وَضَحِكَ مَعَهُ وخرجَ ودخَلَ معهُ.. إنَّها المخدّرات..

وبعد التَّحقيق الدؤوبِ كانَت المفاجأةُ المريرةُ والحقيقةُ المذهِلَةُ.. المجرمُ والسَّارقُ والقاتِلُ هُو الابنُ « سامي » والضَّحيَّةُ هُما الأمُّ والأخُ والبيتُ المسروقُ هُوَ بَيتُهُم جميعاً.

لم تحتَمِل الأمُّ هذهِ المفاجأة.. فسقَطَت مَريضةً على فِراشِهَا تذرفُ الدُّمُوعَ دموعَ الحسرةِ والنَّدَم والألم معاً على ابنِهَا « سامي » المدلَّل الَّذي ضاعَ مُستَقبَلُهُ الدُّنيويُّ والأخرويّ وأصبحَ في عيونِ النَّاس ابناً عاقّاً مجرماً ضَائِعاً ولصّاً محترِفاً.

بكى سامِي كثيراً.. وتَألَّم وتحسَّر على ماضِيه.. لَقَد خَسِرَ كلَّ شَيءٍ بسببِ المخدِّرات.. خَسِرَ دِيْنَهُ.. خَسِرَ وظيفَتَهُ، خَسِرَ صِحَّتَهُ، خَسِرَ أسرَتَهُ، وفوقَ ذلكَ كلِّهِ قَتَلَ أحبَّ الناسِ إليهِ لقد قتلَ بيديه المجرمتين أخَاه.

ونُقِل سامي إلى المشفى للعلاج مِنَ الإدمان، ولكنَّهُ مَع ذلكَ سَيَظَلُّ مُتذكّراً دائماً أنه قَتَلَ أخاه الأصغَرَ وحَطَّمَ حياتَهُ كُلَّها بسببِ المخدِّرات، فَاعتبروا يَا أُولي الأبصَار.

❖ ❖ ❖

أرادت أن تنقذ خالها فماتت

كانت الدماءُ تَسيلُ مِن فَم الطفلَةِ الَّتي لم تَتجَاوَز الخامِسَةَ مِنَ العُمُر عندَمَا وصَلَت سياراتُ الإسعافِ إلىٰ المنطقة العاشِرَةِ لنَقْلِهَا لأقربِ مشفىٰ حيثُ كانت حالَتُها خَطِرَةٌ، وأُدخِلَت فوراً إلىٰ غرفةِ العملياتِ، وأُجريت لها ثلاثُ عمليّاتٍ جراحيةٍ عاجلَةٍ لإنقاذِهَا مِنَ النَّزيف الدَّاخلي والخارجيّ الَّذي كانَت الدماءُ تَسيل من فَمِهَا من جرَّائِهِ، لكن جميعَ المحاولات باءت بالفَشَل، ولم يَتمكَّن الأطباءُ مِن إنقاذِ حياتِها حيثُ فارَقَت الرُّوحَ بعدَ ساعاتٍ مِن وصولها للمشفَىٰ.

ولقد أدركَ الأطباءُ منذُ وصولِ الطفلةِ للمشفىٰ أن الأمر بهِ شبهةٌ جنائيةٌ، وتمَّ إبلاغُ الإدارةِ العامَّةِ للمباحثِ الجنائيةِ، حيثُ حضَرَ وكيلُ النائبِ العام، واطَّلَع علىٰ تقريرِ الطَّبيب الشَّرعيّ الَّذي وردَ فيهِ أنَّ الطفلَةَ ابتَلَعَت إبرةً مُلَوَّثةً بدماءٍ مُلَوَّثة مَع وجودِ آثار لمادَّةِ الهروين في عُنُق الفتاةِ، وبمجرَّدِ عِلْم الأب أنَّ ابنتَهُ تُوفِّيت بالمشفىٰ فقَدَ اتِّزانه، وصعدَ بجنون إلىٰ سَطْح البيتِ وألقَىٰ بنفسِهِ مِنَ السَّطح، وكسرت قدَماهُ، وجاءت سياراتُ الإسعافِ مَرَّةً أُخرى لِتَحمِلَ الأبَ إلىٰ المشفىٰ وهُو في حالةٍ سيِّئةٍ، وتم إدخالُهُ العنايةَ المركَّزةَ، أمَّا والدةُ الطفلةِ فكانت تَمُرُّ بظروف غايةً في الصعوبةِ، واعتَلىٰ الحزنُ محيَّاها، وبقي التَّحقيق متوقفاً بعضَ الوقتِ، حيثُ كانَ السؤالُ الذي حَيَّرَ رجالَ المباحِث، ولم يجدُوا إجابَةً عليهِ: لماذا ماتت الطفلةُ؟ وكيفَ وصَلَت الإبرةُ الملوثَةُ إلىٰ فَم الطِّفلَةِ؟

وأمرَ ضابطُ المباحِثِ باستدعاء والدة الطفلةِ، وأخذَ الضابط يخفِّفُ عَن الأمِّ آلامَهَا، فقد كانَت بين مصيبتين مَوت ابنتِهَا وحال زوجِهَا الرَّاقد في العنايةِ المركَّزة، وانتَظَرَ الضَّابطُ فترةً مِنَ الوقتِ، ثمَّ قالَ لَهَا: إنَّ ابنتك لم تَمُت ميتةً

طبيعيةً، وإنما هناكَ شبهة جنائيّة، لذا يجب مَعْرفَةُ الأسبابِ الحقيقةِ لموتِ ابنتِهَا، وسألها الضابط عَن الكيفيةِ الَّتي وصَلَت بها الإبرةُ إلىٰ فم الطفلةِ؟ ومِن أين حَصَلَت عليهَا؟ وحاولَ الضابطُ أن يجدَ إجابةً علىٰ هذين السُّؤالين مِنَ الأمّ، ولكنَّها كانت تحاورُ الضَّابطَ وكأنَّها لا تعرفُ أيَّ شيءٍ عَن موتِ ابنَتِهَا.

وأثناء حديثِ الضابط مَع الأمِّ دخل رجالُ المباحِثِ وأبلَغُوه عَن وجودِ إشارة تَلَقَّاها مِن المشفىٰ أنَّ الزَّوج هربَ مِنَ المشفىٰ وهو في حالةٍ صحيَّةٍ سيئة حيثُ يمشِي بواسطةِ عكَّازين، وعندَما سمِعَت الأمُّ ذلك صاحَت قائلة: سوفَ يَقْتُلُهُ.. عندها سألها الضابطُ عَن معنىٰ ما تَقُول؟ فقالت لَهُ: سوفَ أحكي لكَ كُلَّ شيءٍ، ولكن المهم الآن أن تلحَق زوجي قَبْلَ أن يَقْتُلَ أخي.

وهنا هرعَ رجالُ المباحِث إلىٰ منطقة سكن أخيها.. ولَدَى وصولهم إلىٰ باب المنزل شاهَدُوا امرأةً عجوزاً تَصرُخ وتمزِّق ثيابَها، وتصيحُ: «أمسكوهُ إنَّهُ يهربُ لا تدعوه يهرب» سألها ضابطُ المباحِث عَن مدى معرفَتِها بأيِّ شيء عَن قضيةِ وفاةِ الطفلةِ فَرَدَّت العجوزُ التي كانَت هي جدَّةُ الطفلةِ الَّتي تُوفّيت، إنَّها تعرف كلَّ شيء عَن أسبابِ الوفاةِ، هنا طَلَبَ منهَا الضابطُ مُرافقَتَهُ إلىٰ مكتبهِ، ومعهمَا أمُّ الطفلَةِ، وجَلَسَت تلكَ السيدةُ العجوزُ تحكي عَن أسبابِ وملابساتِ الحادِثِ فقالت: لقد راحَت الطفلةُ ضحيةَ إنسانٍ حقيرٍ لا يعرفُ معنىٰ الطفولَةَ، وهو ابنُهَا الَّذي حضَرَ في يوم الحادِثِ، واختبأ في حجرةٍ في سطح المنزلِ حيثُ كان خائفاً مِن مطاردةِ المباحِثِ لَهُ، وبعدَهَا بفترةٍ نزل إلىٰ ديوانيةِ المنزلِ الَّذي كانت تَلْعَبُ فيهِ الطفلَةُ الصغيرةُ ابنةُ أختِهِ، وجَلَسَ لكي يُعطي لنفسِهِ حقنةَ «هيروين» في ذراعِهِ، ودخلَت الإبرةُ في ذراعِهِ، فنادى علىٰ ابنةِ أختِهِ وطلَبَ منها أن تَعَضَّ بأسنانها

علىٰ ذراعِهِ كي تَستَخْرج الإبرَةَ، وعندمَا قامَت بذلك دخَلَت الإبرةُ في فَمِهَا، وحاول هو أن يُخْرجَ الإبرةَ مِن فَمِهَا، ولكنَّهُ فَشِلَ في ذلكَ حيثُ كانت الإبرةُ قد دخلت حُنْجرتَهَا، وصارَ الدَّمُ ينزفُ ويخرجُ مِن فَمِهَا، وعندَما شاهَدت ابنَتِي هذا المنظرَ، ورأت الدمَ يخرجُ مِن فم ابنَتِهَا الصغيرة أخذَت تَصيحُ وتَصْرُخ، فما كانَ منه إلاَّ أن خافَ وهربَ مِنَ المنزل.

وهنا اتجهت قوة من ضباط المباحث إلىٰ منزلِ خالِ الفتاةِ الَّذي تَسَبَّب في وفاتِهَا فعَثَروا فيه علىٰ أدواتٍ مستعملَةٍ لتعاطِي المخدِّرات، وعِدَّة أوراقٍ، ولاحَظَ أحدُ الضُّبَّاط تكرار رقَم تليفون باسم «أبو أحمد» وورقاً صغيراً يُستعمل لتعاطِي الحشيش، وبعد التَّحرّي والسؤال قبضَ علىٰ الخالِ الذي كان عَلىٰ «يختٍ» وسَطَ البحر في مياهِ الخليج حيثُ اقتَحَمَ رجالُ الأمنِ «اليختَ» وكانَ الخالُ نائماً، أقصدُ خالَ الفتاةِ الَّذي تسَبَّب إدمانُهُ في قَتْلِهَا بالرغم من أنها قبلَ أن تموت أنقذتهُ مِن دخولِ إبرةِ الهروين في عُرُوقِهِ أو شرايين يدهِ، ووجدُوا بجوارِهِ كميَّةً مِن مادَّةِ الهروين، وأدواتِ التَّعاطي، ومجموعةً كبيرةً مِنَ الإبر وتمَّ اقتيادُ الشابّ المتهم بتَعَاطِي وحيازةِ المخَدِّرات، وقَتْلِ ابنةِ أختِهِ للتَّحقيق مَعَهُ، وأخذَ الشابُّ يبكِي وهو يقولُ: لم أقصِد قَتْلَ ابنةَ أُخْتِي فَقَلْبِي مُعَلَّقٌ بهَا، ولكن الإبرةَ كُسِرَت في ذِراعي، وطلَبْتُ منهَا أن تَعَضَّ ذراعي لِتُخْرجَ الإبرةَ، فكانَت النتيجةُ ابتلاعها الإبرةَ وماتَتَ.

ولقد تم إرسالُ المتهم إلىٰ النيابةِ العامَّةِ وحُكِمَ عليهِ بالسِّجن (٢٠) سنة. ولكن بعدَ أنَّ حطَّمَ أسرةً كاملةً كانت آمنةً مطمئنةً.. وبسبب انقيادِ الخالِ وَرَاءَ شَهَوَاتِهِ ولذَّاتِهِ حَرَمَ أختَهُ مِن فَلِذَةِ كَبِدِهَا وهي لم تَتجَاوَز بعدُ الخامسةَ مِن عُمُرِهَا.

هكذا اغتصبت عمتي !!

(ن.م) شابٌّ في الثامنةِ والثلاثين مِنَ العُمُر، بدأت رحلَتُهُ مع عـالَم المخدراتِ قبل (٢٠) عاماً، في أوّل رحلةٍ سياحيةٍ له خارجَ المملكَةِ كان في الثامِنَةِ عشرة مِن عمرهِ، يروي لنا قِصَّتَهُ فيقولُ:

كنَّا مجموعةً مِنَ الأصدقاء في دولةٍ غربيَّةٍ، وأثناءَ وُجُودِي هناكَ أقمتُ مَع فتاةٍ تُدعَىٰ «جكلين» علاقةً حميمةً، وكانت تُوفِّرُ لي المخدّرات بكمياتٍ مُغريةٍ، وخاصَّةً عندما كنتُ أمارسُ الجنسَ معها، ومضتِ المدَّةُ بسرعةٍ وحانَ موعدُ العودةِ إلىٰ المملكةِ لقضاءِ فترةِ العطلةِ.. وحينَ أردتُ الرجوعَ قمتُ بتوديع «جاكلين» فقامت ودَسَّت لي في الحقيبةِ كَمِّيةً كبيرةً من المخَدِّرات، تكفيني حتَّىٰ يحينَ موعدُ عودتي إلىٰ بلادِهَا مَرَّةً أُخرى..

وفي أرض الوطنِ تَعرَّفتُ علىٰ «أبو رعد» وتَوثَّقَت العلاقةُ بيننا، وكان خبيراً بالأماكِن الَّتي تَتوافَرُ فيها كمِّياتٌ مِنَ المخدِّرات، فكنتُ أحصلُ علىٰ المخدِّرات مِن «جاكلين» حين أكونُ في الخارج، ومِن «أبي رعدٍ» حين أكونُ في أرض الوطَن.. وبقيتُ علىٰ هذه الحال (١٣) عاماً، أصبحتُ بعدهَا مُدْمِناً علىٰ المخدراتِ، أنام وأصحُو عليها.

وكانَت لي شقيقة، وكنتُ أعيشُ معها في رفاهيةٍ لا حدودَ لَها، كنَّا مُنعمين ومُدَلّلين بدرجةٍ لا تَتَصَوَّرهَا، كانَت طلباتُنا مجابةً وبدونِ تَرَدُّد، خاصَّةً مِن الوالدةِ الحنونةِ، التي عانَت مرارةَ الإهمالِ مِن أبي الَّذي كانَ يَغيبُ في سَفَراتٍ مُتَعَدِّدة وطويلة.. وبقينا عَلىٰ هذا الحالِ سنوات طويلَة، فأصبَحت الوالدةُ تَشُكُّ بي خُصوصاً مِنَ الوقتِ الطويل الَّذي أقضيه في الحمَّام، فكانَت تقولُ لي: لماذا

تبقىٰ في الحمام ساعةً كاملةً؟ لماذا لا تـأكُل جيِّداً؟ لماذا هـذا الإعياءُ الدَّائم الـذي يعتريكَ؟ لماذا كلُّ ذلكَ يا بُنيَّ..

وأمامَ هذهِ الأسئلةِ المحرجةِ والمريبـةِ فَضَّلـتُ الانتقـالَ إلىٰ مَـنزلِ عَمَّتِي وكـانت أرملَةً.. يقول: وجدتُ في منزلها الجوَّ مُهيّاً لممارسَةِ إدماني دونَ إزعاج مِـن أحدٍ، فالقاطنونَ فيه كانُوا ثلاثةً: (عَمَّتي التي كانَت في الثلاثـينَ مِن عُمُرِهَا، والخادمَةُ وزَوجُهَا السَّائق) حيث بَنَت لَهُما عَمَّتِي غرفةً منفصلةً عَن المنزل..

ولم يكُن أحـدٌ في مَنزلِ عَمَّتي يسـألُنِي عَـن تَصرُّفـاتي، بَـل العكسَ، كـانت عَمَّتي تَعْطِفُ عليّ بلا حُدُود، فكنتُ أَتَرَدَّدُ عليها بشـكلٍ دائـم، أبقـىٰ هنـاكَ (٣) أيَّام، ثمَّ أعودُ إلىٰ منزِلنَا.

وفي هـذهِ الفـترةِ انقَطَعـتُ عَـن دراسـتِي الجامِعِيَّـةِ، فَلَقَـد كنـتُ أدرُسُ اللُّغَـةَ الإنجليزيةَ في إحدَى الجامعاتِ، وفي المقابِل ارتَفَعَت وتـيرةُ التَّعـاطي للمخـدراتِ، بنحوٍ كبير.. فكنتُ أُصَابُ بحالةِ هستيريا، لا تَنْتَهِي إلاَّ عندمَا أتناولُ المخدِّرات.

ومن خِلال فَترات تَردُّدي علىٰ عَمَّتي الأرملةِ، كـانت هنـاكَ مُفاجـأة مُدوِّيـة تنتظرُ أُمي في المنزلِ، فَلَقَد أعلَنَ والدي لأمِّي عن تزوّجـهِ مـن امرأةٍ أُخـرى، ولـهُ منها (٣) أطفال.

يقـولُ: وعاشَـت والدتـي أزمـةً عاصفـةً، وصدمـةً نفسـيَّةً لم تَـهدأ خِلالَـها، ولكنَّها بدأت بعدها تَستوعِبُ الأمرَ شيئاً فشيئاً، ورَضِيت بـالأمرِ الواقـع، ولكنَّـها طلَبَت مِن والدي أن يجلِبَ زوجتَهُ الثانيةَ وأطفالَـهُ إلىٰ المـنزلِ، حتَّىٰ تضمَـنَ بقـاءَهُ وقتاً أطولَ في مَنزِلنا، ووافَقَ والدِي علىٰ ما طلبتُهُ مِنهُ أمي..

ولكـن هـذا الأمرَ لم يكـن في صـالحي فبقـاءُ الوالـدِ وقتاً أطولَ في المـنزلِ، لا

يغادِرُهُ إلاَّ لعمَلِهِ في التِّجارةِ الخاصَّةِ، كانَ يجعلُني تحتَ رقابةٍ شبه دائمة، وبدأ يضيقُ عليَّ الخناقُ، ولكن بعدَ فواتِ الأوانِ، ودونَ أن يكتَشِفَ أبي الإدمان.. ولكن كانَ يَزجُرني ويتَّهمُني بأنَّني فاشلٌ، ولا أقوى علىٰ القِيام بأيِّ عَمَل ناجح.

فقَرَّرتُ الإقامةَ الدَّائمةَ في منزلِ عمَّتِي، الَّتي فَتَحَت لي أبوابَ بيتِهَا..

يقول: وهناك وَجدتُ الأجواءَ مُناسبةً جداً، وكانت تَتَفَهَّمُ أنني شابٌّ بحاجةٍ إلىٰ مزيدٍ مِنَ الحرِّيةِ، فأصبَحَت تَصْرفُ عليَّ بسخاءٍ، وبالإضافةِ إلىٰ ما كُنت أحصلُ عليهِ مِن مالِ وَالدتي، حين كنتُ أتسَلَّلُ إلىٰ منزلنا في غيابِ والِدي. لأنفقَ ذلكَ كلّه في تعاطي المخدّرات..

إلىٰ أن جاءت المأساةُ الَّتي دَمَّرت حياتي وحياةَ عَمَّتي المسكينة علىٰ حَدٍّ سواء، ولنستَمع منهُ حرفياً ما قَالَهُ عَن اللَّيلة الكَارِثَةِ يقولُ: كانَت ليلةً غبراءَ، وكانَ المخَدِّرُ يلعبُ بِرَأسِي كما يَلْعَبُ اللاعبُ بكرةِ القدم تماماً، فأحضرتُ حَبَّةَ مُخَدِّر، ووضعتُهَا في عصيرٍ جلبتُهُ مِنَ خارج المنزلِ وسقيتُ منهُ عمَّتي فاستغرقتَ بالنوم، عندهَا حرَّكَنِي الشيطانُ بقوَّةٍ لأقومَ بفعل تَقْشَعِرُّ له الأبدانُ، فبينَما كنتُ أراقب عَمَّتي الممدَّة علىٰ السَّرير وهِي تَرتَدي ملابسَ النَّوم الشَّفافَةِ خَيَّل لي الشيطانُ أنَّها عروسٌ وقَمَرٌ (١٤ عاماً) وأنَّني العريسُ الذي تَنْتَظِرُهُ، فَدَنوتُ منها، وهي بِلا حِرَاكٍ من جرّاء المخدِّر، وسُرعان ما عَاشرتُها معاشرةَ الأزواج، وبَعْدَ أن قضيت حاجَتِي عَملتُ علىٰ إزالةِ أيِّ آثار يمكِنُ أن تَدُلَّ علىٰ ما قُمتُ بِهِ.

وهكَذا مَضَت الليلةُ الأولىٰ بِسَلام، وللأسف بَعْدَ يومين كَرَّرتُ الموقفَ نفسَهُ وفَعلتُ مَع عَمَّتي المسكينة ما فعلتُهُ أوَّلَ ليلةٍ، وجئتُها بالعَصير ومَعَهُ الحبةُ المخَدِّرةُ، وشربت عَمَّتي العصيرَ، وانتَظَرتُ قليلاً وما هي إلاَّ لحظات حتىٰ نامت

ثمَّ قُمتُ بالفعلةِ الشنعاء ثَانيةً. يقول: لم أُبدعُ أنا هذهِ الخطةَ بَل كانَت مِن بناتِ أفكارِ صديقي «أبي رعد» الَّذي وضَعَ الخطوطَ العريضةَ لحياتي.. ووضعَ تجاربَهُ بينَ يديَّ ولم يكن يدري أنَّني سوفَ أُجرِّبُها في أقربِ الناسِ إليَّ.. فكانَ أبو رعْدٍ يقول لي: إنَّ لهذهِ الحبَّةَ مفعولُ السِّحر علىٰ جسم الإنسانِ.

وهكذا كُنتُ أضعُ لعمَّتي مَع كُلِّ كأس عَصيرٍ حبَّةَ مخدِّرٍ واحدةٍ، ومن جرّاء ذلكَ أي بعدَ فترةٍ وجيزةٍ أدمنت عمَّتي وبدأت تسألُني عن العصيرِ.. وبهذا دَخَلَت عَمَّتي عَالَم الإدمانِ، الذي سبقتُهَا إليهِ وأدخلتُها إيَّاه معي..

وحينَ تأكَّدتُ أنَّ عَمَّتي أدمنَت هذه الحبَّة الخطيرةَ، دونَ أن تَعْرفَ أنها تَشْرَبُ عصيراً بحبَّةٍ مخَدِّرة، وأنني أفعلُ بهَا ما أفعَلُ حين تَدْخُل في الغيبوبةِ..

ومضىٰ كلُّ شيءٍ بسلام بالنِّسبةِ لي.. وفي ليلَةٍ من الليالي اندَلَقَ العَصيرُ الخطيرُ مِن يدِ عَمَّتي دونَ أن أدرِي، ولَم تَطلُبَ مِنِّي عصيراً آخَرَ، لأنَّنا أصبَحْنَا في السَّاعاتِ الأولىٰ مِنَ الصَّباح، وبَعْدَ أن مَرَّ الوقتُ المعتادُ دَخلتُ إلىٰ غرفةِ نَوم عَمَّتي الخاصَّةِ، وخلعتُ مَلابسي ظنّاً مني أنَّها قد نامت، واقترَبتُ منها لأخلَعَ ملابِسَها لممارسَةِ ما اعتدتُ عليهِ في الأيَّام السَّابقةِ، لكن حَدَثَتِ المفاجأةُ المدوّيةُ، فلقد انتفَضَت عَمَّتي وقامَت مذعورةً مِنَ السَّرير، وهي تَصيح بصوتٍ عالٍ، عندها لم أعرفُ ماذا أفعَلُ، خاصَّةً أنني كنتُ أشعر بثقل في جِسْمِي ودورانٍ في رَأسي، بسببِ المخدِّر الَّذي تناولتُهُ، فعشتُ كما عاشَت عَمَّتي ليلةً مُرعبة لدرجةٍ يَصعُب تَصوُّرها.

المهم ألقَت عَمَّتي بملابسي إلىٰ الشارع، وكانَت في حالةِ ذُعْرٍ وهستيريَا مِن هولِ المفاجأةِ الَّتي لم تكُن تخطُرُ علىٰ بالِهَا بأيِّ حَالٍ مِنَ الأحوالِ..

وعدتُ إلىٰ المنزلِ.. وتطَوَّر الأمرُ مع عمَّتي المسكينة وتدهورت صِحَّتُها وفي يومٍ من الأيّام أُصيبت بنزيفٍ حادٍّ، وفي المشفىٰ وهي تَتَلَقّىٰ العِلاج أعلَمتَهَا الطبيبةُ أنَّ هذا النزيفَ هو من جرَّاء الحملِ وأنَّها أجهضَت جَنينَهَا الَّذي حَملَت بهِ قَبلَ (٣) أشهر.

عرفت عمَّتي الحقيقةَ المُرَّةَ فهي تعلمُ من نفسِها أنَّهُ لم يمسسها بشرٌ ولم تكُ بغيّاً.. وأصيبَت عمَّتي علىٰ إثرها بانهيارٍ عَصَبِيٍّ كامِلٍ، وأصبحَت تَتَلَقّىٰ العِلاج وبقيت علىٰ هذه الحال لمدَّة شهرٍ كَامِلٍ، ولكن ساءت صحَّتُها النّفسيَّةُ كثيراً.. وأصبحت حبيسةَ بيتِهَا، وهي تتساءل بحسرةٍ وألمٍ: كيفَ هانَ علىٰ ابنِ أخي أن يتَّخذني زَوجةً لَهُ، وهُو يَعْلَمُ أنَّ ذلكَ لا يحِلُّ لَهُ، ومن كثرةِ الحزنِ والتفكير حَدَثَت الصدمَةُ الكُبرى، لقد مَاتَت عَمَّتي المسكينة كمداً مِمّا اقترفتهُ يدي المجرمة التي قابلت الإحسانَ بالإساءةِ.

ومع وفاتِهَا دَخَلتُ في دَوَّامةٍ نفسيةٍ رهيبةٍ، بدأتُ أولىٰ خطواتي بالسفرِ إلىٰ خارج المملكةِ لِتَلَقِّي العلاج مِنَ الإدمانِ ومِن الحالةِ النَّفسيةِ الرَّهيبة الَّتي دَخلتُ فيها، يقول: مكثتُ في المشفىٰ خارجَ المملكة عاماً كاملاً، وكما تَرَى الآن أنَا أتماثَلُ للشِّفاءِ، ولكنَّ هناكَ جُرحاً غائراً لن يُفلحَ أطباءُ الكونِ في عِلاجِهِ، مَهمَا بذلُوا مِن جُهُودٍ، هو إحساسِي العميق بأنَّني دَمَّرتُ نَفْسِي في زمنٍ مُبكِّرٍ، عندَمَا انقَطَعْتُ عَن الدِّراسةِ الجامعيةِ، وأدمنتُ المخدِّرات القاتِلَة، ولَم يَتَوَقَّف بي الحالُ عندَ هذا الحدِّ، بَل عَمِلْتُ علىٰ تَدميرِ حياةِ عَمَّتي المسكينة[1]

❖ ❖ ❖

(١) جريدة اليوم.

قاتلُ زوجته

اعترفَ لها بعجزِهِ الجنسيِّ فأنجبت لَهُ بعدَ شهُور..
قاتلُ زوجتهِ يُدلي بتفاصِيل مثيرة عَن جريمةِ شرفٍ هَزَّت الإسكندريَّةَ..
تَزوَّج خادمَتَهُ الشَّابَّة واعترَفَ لها بِضَعْفِ قُدُراتِهِ..
أخبرتهُ بحملِها منهُ رغمَ ضَعْفِهِ الجنسيِّ..
بعدها اعترَفَت بعلاقَتِها المحرَّمة مَع آخَرَ..
فقتلَ ولَدها خنقاً، ثمَّ طعنها بسكِّين، وسَلَقَ أجزاءَ جَسَدِها..

(دبي - العربية. نت) ٢٠٠٦ م.

اهتَّزت مدينةُ الإسكندرية بمصرَ لحادِثِ العَجُوز الَّذي قَتَلَ زَوجَتَهُ الشَّابَّة ورَضيعَها، وقامَ بتقطيع جَسَديهِما إلىٰ أجزاءٍ وسلقِهَا علىٰ النَّار، بعد أن اعترَفَت له بخيانَتِها وعايرتهُ بضعفِهِ الجنسيّ.

كشفَ الزَّوجُ أثناءَ التَّحقيقات، أنَّهُ احتفَظَ بالجثّتين يومينَ كاملين، وأن الزوجةَ كانَت خادمةً له قبلَ أن يَعْرِضَ عليهَا الزَّواج الَّذي تمَّ بِسُرعةٍ رغم أنَّهُ أخبَرَها بِعَدَم استطاعَتِهِ أداء حُقُوقِها الجنسيَّة بسببِ سِنِّه المتَقَدِّمة.

وقَد انتابَت المتَّهم حالةٌ مِن اللامبالاة أثناءَ تمثيل جريمتِهِ والجزء الخاصّ بإلقاء قِطَع مِنَ الجثثِ بمنطقة العطارين، لكنَّه أصيب بحالةٍ عصبية شديدةٍ أثناء قيامه بالمعايَنَةِ وتمثيل طريقةِ سَلْق لحم نَجْلِهِ «بلال» بمنطقة العَصَافِرَة بحيِّ المنتزهِ.

ومن التَّحقيقِ تَبَيَّن أنَّ المتَّهم تُوفِّيت زوجتُهُ الأولىٰ منذ فترةٍ طويلةٍ ولديهِ وَلَدٌ يبلُغُ مِنَ العُمر (٢٨ عاماً) وابنة تَبلُغ مِنَ العمر (٣٥ عاماً) يعيشان بعيداً عنه لارتباطهما بالزَّواج.

فتزوَّج خادِمَتَهُ واعترفَ لها بضعفِ قُدُراتِه.. وقالَ للمحققين: إنَّ القتيلةَ زوجتَهُ الثَّانية حضَرَت للعمل في مجالِ تنظيفِ مَنْزِلِهِ وإعدادِ الطَّعام «كخادمة» له بعدَ أن رشَّحها لهُ أحدُ أصدقائِهِ منذ خَمْسِ سَنوات..

وأضافَ أنه عندما تَزَوَّج منها كان عمرها (٢٥ عاماً) وقد صارحها بعدم قدرَتِهِ علىٰ ممارسةِ العلاقاتِ الزَّوجية لِكِبَرِ سِنِّهِ، فهو قد طعنَ في السِّتينَ من عُمرِهِ، إلاَّ أنها لم تُبْدِ اهتماماً كبيراً بهذهِ المسألةِ، بَل اعترَفَت له بأنَّها قد تَزَوَّجت مِن قبل ثَلاثَ مَرَّات إحداها رَسمِيّ واثنتين عُرْفِيّ، وأنه سيكونُ الزَّوج الرابع.

ويُتابِعُ الزوجُ قائلاً: تَعَرَّفتُ علىٰ زَوْجتي عام (١٩٩٩م) وبدأت اعتادُ عليها وعَلىٰ تواجدِهَا مَعِي، وكنت أنفِقُ عليهَا بسخاءٍ، وعندمَا عَرَضتُ عليها الزَّواج رَحَّبت علىٰ الفَور بالرَّغم مِن فارقِ السنِّ بيننا «٣٥ عاماً» وعَدَم قُدرتي عَلىٰ أيَّة ممارساتٍ زَوجِيَّة، وأخبرتني بأنَّها تريدُ حياةً هادئةً بَعْدَ فَشَلِ زيجاتِها الثَّلاث وانجابِهَا لطفلين يمكثانِ مَع والديهما بعيداً عنهَا، وهو ما جَعَلَني أُسَارِعُ بطلب يَدِهَا مِن أسرتها وكانَت زيجةً سريعةً للغايةِ دَفَعْتُ ثمنها غالياً فيمَا بَعْدُ.

أضافَ قائلاً: وبعدَ بضعةِ شُهُور مِنَ الزَّواج أخبرتني بأنَّها حاملٌ فَتَعَجَّبت ولم أعترِض وكَتَمْتُ شكِّي في صَدْري بعدَ أن أكدَّت لي أنهُ طِفْلِي، إلاَّ أنني جاريت الأحداثَ حتىٰ أنجَبَت «بلالاً» منذ أربعةِ أشهر.

واستطرد: بدأ شكِّي يتحول إلىٰ يَقين عندمَا فُوجئت باستدعائِهَا أكثر مِن مرَّة إلىٰ نقطةِ الشُّرطة التابع لها مَنزلي، وتَبَيَّن أنَّها قامت بعمليةِ تَزوير حيثُ أثبتت نسبَ نجلِها البالغ مِنَ العُمُر خمس سَنَوات إلىٰ اثنين مِن الرِّجال أحدهمَا زَوجُها السَّابق والآخر كانَت علىٰ علاقَةٍ بِهِ، وأخْرَجَت شَهادَتَي ميلادٍ للطِّفل ونَسَبْتَهُ لأبٍ مختلفٍ في كلِّ شَهادَةٍ.

وعندَما واجهتُها وحاصرتُها أكثرَ مِن مَرَّةٍ فُوجِئْتُ بهَا تقول لي: إنَّ الرَّضيعَ (بلال) ليسَ ابني هو الآخرُ، وإنما هو ابنُ رَجُل ثانٍ كانَت علىٰ علاقَةٍ بهِ أثناءَ زَوَاجي بها.. فُجُنَّ جُنُوني، وعندَ نَومِها قُمتُ بخنقِ «بِلال» بِلا رحمةٍ لكنَّها استيقَظَت فجأة وقَامَت لِتَبْحَث عنهُ فألقيتُهُ في وَجْهِهَا جُثَّةً هامدةً، فأخذَت تصرُخ بصورةٍ هيستيريةٍ تَطلبُ النَّجدَةَ.

ومضىٰ في اعترافاتِهِ بِقولِهِ: قُمتُ بإحضارِ سكِّين المطبخ وسَارَعتُ بطعنِها عدَّة طعناتٍ ثمَّ ذبحتُها وشوَّهتُ وَجْهَهَا وسَحَبتُها إلىٰ البانيُو، وبقيتُ علىٰ مَدَار يومين أقومُ بتقطيع جُثَّتها بثلاثَةِ سكاكين وسَاطور بأحجام مختلفةٍ، وَوَضَعتُ المعدة وأجزاءً مِن الأردافِ داخل الثلاجةِ تمهيداً لتوزيعهَا في مختلف أنحاءِ الإسكندريةِ، وأحضرتُ «حُلَّةً كبيرةً» ومزَّقتُ لحم الرَّضيع «بلال» إلىٰ قِطَع صَغيرةٍ وسَلَقْتُها وكُنْتُ أُلقِي بهَا في حوضِ الحمَّام وأقومُ بِشَدِّ «السيفون» عليها لأتَخلَّص منها أوّلاً بأوّل، أما عظامُهُ فقد ألقيت بها بَعْدَ سلقِهَا لكلابِ الشَّارع.

وبدأتُ في عمليةِ سَلْق ذراعيّ وسَاقيّ زَوجَتِي تمهيداً للتَّخلُّص منهَا بنفس الطريقةِ، ثمَّ بدأت مَرحلةُ التَّخلص مِنَ الأجزاءِ الَّتي واجهت صعوبةً في تقطيعِها وسلقِها وهي منطقةُ الحوضِ والأردافِ، وتخلَّصت بالفعل مِن قطعةٍ مِن منطقة الأردافِ وعندما عاودتُ المحاولةَ مِن جديد للتَّخلص مِنَ الرأس سَقَطتُ في يدِ الشُّرطة.

في البداية حاولت الإنكارَ بدعوى وفاةِ زَوجتي بصورةٍ طبيعيةٍ وخوفي مِن أهلِهَا، ولكن كذبَتِي لم تَلْق طريقَهَا الصَّحيح نظرًا لوجودِ باقي الجثَّةِ في منزلي.

وأخيراً قالَ: كان عَدَم اختلاطي بالنَّاس هو فرصَتِي لإكمالِ باقي جَريمتي دونَ أن يَشْعُرَ بي أحدٌ. ولم يظهر القاتل أيّ نَدَم علىٰ جريمتِهِ مضيفاً: لم أكن أستطيع العيشُ مَع طفلٍ أشكُّ في نسبِهِ، ولم أكن لأسمَحُ لها بخداع المزيدِ مِنَ الرِّجال.

الأب المنحرف

دبي-العربية. نت (٢٠٠٦م)

طالبت عضوةُ الجمعيةِ الوطنيةِ لحقوقِ الإنسانِ في السُّعودية الدكتورة «سهيلة زين العابدين» بإنزالِ أشدِّ العقوباتِ الَّتي يقتضيـهَا حـدُّ الحرابـةِ علىٰ الأبّ الـذي أخضعَ جَسَدَ ابنَتهِ الصغيرة لـ«رغباتِهِ الحيوانية» بالمدينةِ المنوَّرة.

وقالت زينُ العادين: إنَّهُ يجب إنزالُ حَدِّ الحرابـة (القَتـل بالسَّيف، والصَّلبِ) علىٰ والدِ الفتاةِ ذات الـ (١٢) سنة.

وأضافت: إنَّ الجمعيةَ ستسعىٰ إلىٰ دراسـةِ حَالَـةِ الطِّفلـة والوقـوف عَـن كثـبٍ علىٰ مَدَى الأذى الذي لحق بهَا، مؤكـدةً أنَّ الحـلَّ الأنجـعَ لهـذهِ الكارثـةِ يَتمَثَّل في إيوائِها تحتَ أيٍّ مِن دورِ الحمايةِ الاجتماعية.

ونَقَلت صحيفةُ «الوطن» السُّعودية عَن مصادر ذات صِلَةٍ بالرَّجُل أنَّ الجـاني مِن أربابِ السَّوابق، وسَبَق أن حُوكِمَ في قَضَايا تَتعَلَّق بتعَـاطِي وحِيَازةِ المخـدِّرات حتَّىٰ باتَ مَنبُوذاً اجتماعياً في محيط مجتمعِهِ..

وأكَّدت المصادرُ أنَّ الرَّجُل قَضَىٰ بدايةَ حيَاتِهِ في الكويت، ثمَّ عادَ إلىٰ المملكـة في بدايةِ صِبَاه ليستَقِرَّ في المدينـةِ المنوَّرة، إلاَّ أنَّ أسـرَتَهُ سُـرعَان مـا كَشَفَت انحرافَهُ وتعاطيهِ المخدِّرات، وبرغم الجهودِ والمحاولات الَّتي بذَلَـهَا والـدُهُ في سبيل تَقْويمِـهِ ومنها تزويجه إلاَّ أنَّ كُلَّ ذلكَ لم يُفلح في إعادتِهِ إلىٰ جادَّةِ الصَّواب.

وعَوَّضَ الأب فَشَلَهُ الأسريّ والاجتماعي والمهني الذَّريع بأن التَفَتَ إلىٰ ابنَتـهِ ليفـرغ فيـهَا، ولمـدَّة طويلـةٍ كمـا أفصَحَـت التَّحقيقـات، أنَّـها نَزْعَـةٌ تَعـدَّت إطارَهَـا الإنسانيّ لِتَقْتَرب مِنَ الحيوانيةِ.

أمَّا والدةُ الطفلةِ الضَّحية فَقَد فُوجِئت باستدعاءِ مركزِ شُرطة « العقيق » لابنِها لاستلام شَقيقَتِهِ قَبْلَ أن تُصَابَ بحالةٍ مِنَ الانهيارِ العَصَبِيِّ حينَ عَلِمَت بحقيقةِ الواقعةِ الَّتي كانَت فُصُولُها مستمرةً لفترة طويلةٍ دُونَ أن تَدْري عنهَا أيّ شَيءٍ.

يذكرُ أنَّ الأب البالغ من العُمُر (٤٢) عاماً مُتَزَوِّج وله أبناءٌ أكبرُهُم يبلغ مِن العمر (١٦) عاماً ولم يَسبِق له العَمَل في أيّة وظيفةٍ عدا بَعْض الأعمالِ الحرَّة التي لم يفلح فيهَا كثيراً.

❖ ❖ ❖

الزاني بأمه

كنتُ ذات يوم في المحكمَةِ عندَ أحدِ القُضاة وهو صَديقٌ لي، فجاءت امرأةٌ كبيرةٌ في السنِّ تَردَّدَت.. ودَخَلَت.. ثمَّ خَرَجَت..

فقلتُ لَهُ: يَا أستاذ مَا قِصَّةُ هذهِ المرأة؟

قَالَ: لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلاَّ باللهِ، هذه كانَ عِنْدَها ولدٌ يَتَعَاطىٰ المخدِّرات، فإذا سكِرَ جاءَ إليها وقَالَ: أعطيني فُلُوس ويُهَدِّدُها حتَّىٰ تعطيهِ تحتَ الخوفِ..

وجاءها مَرَّةً وبيدهِ سكِّينٌ فظَنَّت أنهُ يُريد نُقُوداً، فقَالَت: سأعطيكَ.. سأعطيكَ ـ وهي خائفةٌ ـ ولكنَّهُ قالَ لَهَا هذهِ المرَّة: ارقُدي علىٰ الفِرَاش، وتحتَ وطأةِ السِّكين زَنَا بأمِّه.

قالَ القَاضي: فَأحضرْنَا الولَدَ وشكَّلنا المحكمَةَ وحكَمْنا بِقَتْل الولَدِ لِقَولِ الرَّسُول ﷺ: «مَن وَقَعَ علىٰ ذاتِ محرَم فَاقتُلُوهُ». [رواه الترمذي، وابنُ ماجه].

[حاول وأنت الحكم/ سعد البريك].

❖ ❖ ❖

أبي.. أبي.. أعطني يديّ ورجليّ

منزلٌ جديدٌ وأثـاثٌ جديـدٌ، بَـذَلَ الرَّجُـلُ فيـهِ جُـلَّ مالِـهِ حتَّىٰ جعَلَـهُ زَهْرَةً في الجمالِ والحسْنِ، ثمَّ ذَهَبَ بالزَّوجةِ فرأتهُ وفَرِحَت بهِ جِدّاً..

وما هي إلاَّ أيامٌ حتىٰ انتقَلُوا إليـهِ.. وفي صباح اليومِ الأوَّل ذَهَـبَ الرَّجُـلُ إلىٰ عَمَلِهِ مُخَلِّفاً الزَّوجَةَ والأولادَ، فقَامَ أحـدُ أبنائِـهِ بِعَبَثِ وشَقَاوَةِ الأطفـالِ، فأخَذَ سِكِّيناً وبدأ يَلْعَب بالأثاثِ فَخَرَقَ كنباً وكُرسياً هناك..

وعادَ الأب مِن عملهِ، وعندَما رأى عَبَثَ الأطفالِ غَضِبَ جداً وأخَذَ أكبَرَهُم ورَبَطَهُ مِن يديهِ ورجليهِ بالحبالِ وأوثَقَهُ..

ظَلَّ الطفلُ يبكِي وَيَتَوسَّل ولكِن دُونَ جَـدْوى مَع أبٍ أعمَـاهُ الغَضَـبُ وحـبُّ الدُّنيا.. حَاوَلت الأمُّ إطلاقَ ابنِهَا فَقَالَ الأب: إن فَعَلْتِ فأنتِ طَالِقٌ..

وهكذا ظلَّ الطفلُ يبكِي ويبكِي حتَّىٰ أعياهُ البكاءُ فاستَسْلَم إلىٰ ما يُشْبِه النَّوم العميق..

وفجأة.. بدأ جسمُهُ يَتَغـيَّر ويَتحـوَّل إلىٰ اللَّـون الأزرَق.. خـافَ الأب فَفَـكَّ قَيْـدَ الطِّفل ثمَّ سارع بِنَقْلِهِ إلىٰ المستَشْفَىٰ لأنَّه كان في غيبوبةٍ.. وبَعْدَ فُحُوصٍ سَريعةٍ قَرَّر الأطباءُ أنهُ لا بُدَّ مِـن بَتْرِ أطرافِ يديـهِ ورِجْلَيْهِ حيثُ إن الـدَّم تَسَـمَّم، وفي حالـة وَصَلَ الدَّمُ إلىٰ القلبِ فإنَّه قَد يَمُوت الطّفل..

فَقَـرَّرُوا البـترَ فوقَـع الأب عَلىٰ القَـرَارِ وهُـو يبكِـي ويصيـح.. وكـانَت المصيبـةُ عندمَا خرجَ الابنُ مِن العمليةِ فأخَذَ يَنْظُرُ إلىٰ أبيهِ وَيَقُول لـهُ: أبِي، أبي، أعطِنِي يَدَيَّ ورِجْلَيَّ، ولن أعودَ مَرَّةً أُخْرَى إلىٰ مِثْل هَذا العَمَل.

[شريط يا أبت/ محمد الدويش].

أخرج التلفاز من بيتي

رجلان كانَ بينهمَا علاقةٌ حميمةٌ في اللهِ، قامَ أحدُهما بإدخالِ جهازِ التِّلفاز إلىٰ بيتِهِ دونَ عِلْم صاحبِهِ بَعْدَ الضَّغطِ الكبير مِن الزَّوجة والأولادِ..

ماتَ صَاحِبُ التِّلفاز، وبعدَ الفَراغ من دفنِهِ تَوَجَّهُ صاحبُهُ الحزينُ الصابرُ إلىٰ مَسجدٍ ونامَ فيهِ.. فرأى في منامِهِ صَاحِبَهُ مُسودّ الوجهِ تَظْهَرُ عليه آثارُ الإرهاق والتَّعب وكأنهُ مُعذَّب عذاباً شديداً فسأله: مَا بَالُكَ هكذا؟ قَالَ: يَا فُلان، أسأُلكَ باللهِ أن تَذْهَب إلىٰ بيتي وتُخْرج جهازَ التِّلفاز، فإنِّي منذ وضَعتُمُوني في قبري إلىٰ الآن وأنا أُعَذَّب بسببِهِ. فاستَيقَظَ صاحبُهُ مِن منامِهِ واستَعَاذَ باللهِ مِن الشَّيطان وغَيَّرَ مكَانَهُ ثمَّ نامَ فرآه مَرَّةً أُخرَى علىٰ أشدّ مِن حالِهِ الأولىٰ يبكِي ويطلُب منهُ إخراج التِّلفاز مِن بيتِهِ.. فقَامَ مرَّةً أُخرى وغَيَّرَ مكَانَهُ ونامَ لِشدَّة تَعَبِهِ فشاهَدَ صاحِبَهُ يركلهُ بقدَمِهِ ويقولُ: قُم.. أنسيتَ مَا بينَنا.. أسأُلكَ باللهِ.. إلاَّ ذَهَبت وأخبرتَ أهلِي فإنَّ كُل ساعةٍ ودقيقة تأخير فيهَا زيادةٌ لسيِّئاتي وزيادة في عَذابي.

يقول: فقمتُ وذهبتُ إلىٰ دارهِ وأنا بينَ مُصَدِّق ومكذِّب أنَّ في بيتِهِ هذا الجهاز دَخَلْتُ عند الأبناءِ وطلبتُ اقترابَ الزَّوجة والبنات بحيثُ يسمعونَ مَا سأقولُ: فحدَّثْتُهُم بالخبرِ ووصفتُ لهم ما رأيتُ مِن آثارِ العذابِ علىٰ جسَدِ أبيهم وَوَجهِهِ، فبكىٰ النساءُ والأطفالُ وبكيتُ مَعَهُم.

وقامَ أحدُ الأبناءِ العقلاءِ المحبّ لوالده، وحملَ الجهازَ أمام الجميع وَحَطَّمَهُ، فَحمدتُ اللهَ وَذَهَبتُ. وبعدَهَا رأيتُهُ في المنام مُنَعَّماً مبتسماً تظهرُ عليه علاماتُ الارتياح والسُّرور ويقول: فرَّج اللهُ عَنْكَ كَربَك كما فرَّجت عَنِّي عذابَ القَبْرِ.

قلت: هذا في حال عدم استخدامِهِ في المباح والمفيد، وإلاَّ فإثمُهُ كبير، والله أعلم.

الجاني هو أبي؟

قال: صحيحٌ أنني أتعَاطىٰ الهيروين وأشربُ المخدرات.. لكنّي لا أحبُّ أن أفصحَ عن سببِ وقوعي في الإدمانِ، لأنني كلمَّا تذكَّرتُ ذلك السببَ شعرتُ بألم وحُزنٍ شديدٍ لا يعلمُهُ إلاَّ اللهُ.. ومَع هذا سأحدّثك عَن نَفْسي..

عشتُ أيَّامَ طفولتي بكلِّ حنانٍ وبراءةٍ بين والديّ وإخوتي، حتَّىٰ بلغتُ سنَّ الخامسة عشرةَ، وكنتُ وقتها أدرسُ في المرحلةِ المتوسِّطة.. وفي يوم مِن الأيَّام دخلتُ غرفةَ والدي، فوجدتُهُ علىٰ غير الحالِ الَّذي كنتُ أراهُ فيهَا.

كانَ بيدِهِ مسحوقٌ يَضَعُهُ علىٰ ورَقَةِ قصديرٍ ويقومُ باستنشاقِهِ، ثمَّ يقوم بحركاتٍ غريبةٍ لم تَقَع عينيَّ علىٰ مثلِها.

لم أكن أعلَم حقيقةَ ما يجري.. إذ لم أرَ هذا المسحوقَ السَّاحق في حياتي.. بل لم أكن أعلَم عَن المخدرات شيئاً.. وقبلَ هذا كلّهِ وفوق كلّ اعتبار فأنا أريدُ أن أكونَ رَجُلاً مثل أبي في كلِّ شيءٍ.. لأنهُ (كما أظنّ) إنَّهُ قدوتي في كلِّ شيءٍ..

تقدَّمتُ إليه.. وبدافع بَريء مِن حبِّ الاستطلاع والتَّقليد طلبتُ منهُ أن أشاركَهُ، لكنَّهُ انتهرني وطردَني مِنَ الغرفةِ بَعْدَ أن هَدَّدني بالضَّرب.. فخرجتُ مِن الغرفةِ لكنَّ هذا المشهَد لم يُفارق مخيّلتي أبداً.

مرَّت الأيامُ.. ودخلت علىٰ أبي مرَّة أُخرى، فرأيتُهُ علىٰ حالٍ شبيهةٍ بالحال الَّتي رأيتهُ فيها في المرَّةِ الأولىٰ.

ومن جديد.. ثارت في نَفْسِي شهوةُ التَّقليد.. حتىٰ طغت علىٰ ما تَقَدَّم من التَّهديد.

لم أفقد الأملَ.. كَرَّرتُ طلبي مِن والدِي أن يشركني مَعَه.. ووسط إلحاح

مستَمِرّ وإصرار شديد قَدَّم إليَّ شيئاً مِنَ المسحوقِ.. لكنه اشترطَ عليَّ ـ لأنه بالطبع والدي المشفق الحريص علىٰ مَصْلَحَتِي ـ أن لا أقومَ بتعاطيهِ..

وليتَهُ تَوَقَّف عند هذه الكلمةِ فتهون المصيبةُ.. لكنَّه ـ ويا للأسفِ ـ اشترط عليَّ ألا أقوم بتعاطيهِ أمَامَهُ بل في الغرفةِ الأخرَى !!

ذهبتُ إلىٰ الغرفةِ الأخرى.. استنشقتُ المسحوقَ.. أُصبتُ بصدمةٍ كبيرة حتَّىٰ ضاقَت عليَّ نَفْسِي، ودخلتُ مِن حينها عَالَم الوهم والإدمان..

ولم أزل في دَوَّامة الإدمانِ حتَّىٰ فشا أمري إلىٰ أحدِ أفرادِ الأسرة الغَيورين.. فحضر إليَّ، وقامَ جزاهُ اللهُ عنِّي خيراً بِنُصحِي وإرشادي.. ثمَّ عرضَ عليَّ العِلاج بمستشفىٰ الأمل واتَّصل بالمسؤولين فَهَبُّوا لإنقاذي مِن الهاوية التي وَقعت فيهَا..

ها أنذا أتنفس الصعداء بَعْدَ أيام عَصيبةٍ عشتُ فيها صراعاً مريراً كان المجرم فيهِ نَفْسِي الأمارةُ بالسُّوء، وكانت الضَّحية فيه أنا.. ولقد كادت الأولىٰ (نفسي) أن تقضي علىٰ الأخرى (أنا) لولا لطفُ اللهِ تَعَالىٰ..

إنني أداري نَفْسِي.. فَلَعَلَّها تَسْلُو بيومي عن أمسِي.. لكن بَقِي مِنَ الأمس مَا لا يمكن أن أنساهُ أبداً.. وهو أن أكونَ أنا الضَّحيةَ، والجاني هُو أبي؟

إنه جرحٌ غائر في القلبِ.. فأنَّىٰ لجرح القَلْب أن يَلتَئِمَ..

وظلم ذوي القُربىٰ أشدّ مضاضةً علىٰ النَّفس مِن وقع الحسَام المهنّد.

[هذه القصة ذكرها النقيب سامي بن خالد الحمود].

❖ ❖ ❖

لماذا قتل زوجة أخيه؟

في ظهرِ أحدِ الأيام ورَدَ بلاغٌ إلىٰ غرفةِ العملياتِ بالدَّوريات الأمنيَّة يُفيد بوجودِ حادثة قَتْلٍ لامرأة وطفلتَين في أحدِ أحياءِ الرِّياض.. انتقَلَ المحقِّق إلىٰ مكانِ الحادثِ وَوَصَلَ إلىٰ مكان الجريمةِ، ولمَّا دَخَل الشّقّة فإذا بجثَّةِ امرأةٍ مُلقاةٍ علىٰ مَمَرّ الشّقّة الدَّاخلي بها آثارٌ لطعنةٍ في مؤخرةِ الرَّقبة وطعنة أخرى في الأذنِ، ثمَّ ينتقِل المحقِّقُ إلىٰ الغرفة المجاورةِ لِيُشاهِد مشهداً مؤلماً لِطفلَتين تمَّ قَتْلُهُما بالطريقةِ نفسِها الَّتي قُتِلَت بها الأمُّ، الأولىٰ عمرُها أربعُ سَنوات والثَّانية عُمُرهَا سنتان..

بدأ المحقِّقُ بمعاينةِ المنزل.. لم يُلاحظ أنَّ المنزلَ قَد سُرِقَ منهُ شيءٌ علىٰ الرَّغم مِن وجود بَعْض النُّقُود والذَّهب في الغرفةِ الرَّئيسيةِ.. ولاحظَ المحقِّق أنه لا يُوجَد أيّ منفذ إلىٰ الشّقّةِ إلاَّ الباب الخارجيّ، ولم يُوجد علىٰ بابِ الشّقَّة أيّ آثار تكسير.

وباجتماع هذهِ القَرائن رَجَّح المحقِّقُ أنَّ الجاني شخصٌ قريبٌ أو معروفٌ لَدَى أهلِ المنزل.. وفي البدايةِ تمَّ توجيهُ الاتِّهام إلىٰ ثلاثةِ أشخاص: (الزَّوج واثنان من إخوان الزَّوج) كانا يَتَردَّدان علىٰ المنزلِ باستمرارٍ، وتمَّ التَّحقيق معهم وثَبَتَت براءة الزَّوج بَعْدَ التأكّد مِن مكانِ وُجُودِهِ أثناء وقوع الحادِثِ، وأيضاً تمَّ إطلاق سَرَاح الأخ الأوَّل بعدَ أن أثبَتَت التَّحريات أنهُ كانَ علىٰ رأسِ العَمَل أثناء وقُوع الحادث وبقي الأخُ الثَّاني الَّذي تركَّزت حولهُ الشكوكُ..

ومع التَّحري تَبَيَّن أنَّ هذا الشابّ فَاسِدٌ، له سلوكٌ مُنحرف، يَتَعاطىٰ الخمُورُ.. عاطِلٌ عَن العَمَل، ولم يستطع الشابّ إثبات مكانِ وُجُودِهِ أثناءَ الحادِث.. ومِن خلالِ التَّحريات اتَّضَحَ وجود خِلافٍ قديم بينَ الشَّابّ والقتيلَةِ، وكانَ سَبَبُ الخلاف عندمَا أُصيبَت القتيلةُ بالمرض قبلَ سَنَوات واحتَاجَت إلىٰ نَقْلِ دم تَقَدَّمَ

الشابُّ إلىٰ التَّبرع لهَا، لكنَّها رَفَضَت وأخبرَت زَوْجَهَا أنَّها لا تُريدُ مِن دم أخيهِ شيءٌ لأنَّ دَمَهُ فاسدٌ.. بِسَبَبِ إدمانِهِ وشُربِهِ للخُمُورِ.. فَتَوَلَّد بسببِ هذا الموقِف نوعٌ من الحِقْدِ في قلبِ هذا الشَّابّ علىٰ زوجةِ أخيهِ، وبعدَ أيَّام مِن التَّحقيق اعتَرَفَ الشابّ بالجريمةِ البشعةِ.. يقول الشابّ: كنتُ أتردَّدُ باستمرار علىٰ منزلِ أخِي وإذا دخلتُ المنزلَ في الفترةِ الصَّباحيَّةِ كانَت زوجةُ أخي تُحضِر لي طعام الإفطارِ في حال غيابِ أخي وهو في العمل.. وقَد تجلِس مَعِي..

في يوم الحادِث دخلتُ المنزلَ علىٰ زوجةِ أخِي فَزَيَّن لي الشَّيطانُ الفِعْلَ القَبيح راودتُها عَن نَفْسِها فامتَنَعَت، بدأتُ أُلاحِقُهَا داخِلَ الشّقّةِ وهي تَرْفُض بشدَّةٍ.. اشتَدَّ الموقفُ، وفي لحظاتٍ دخلتُ المطبخَ وأخذتُ السكينَ وطعَنتُها بِهَا حتَّىٰ ماتَت، وبسبب الصِّياح والصُّراخ استيقظَت إحدَى الطِّفلتين علىٰ هَذا المشهَدِ ورأتني وأنا أقتلُ أمَّهَا خِفْتُ مِن انكشافِ أمري فَقَتَلْتُ الطفلةَ بسكِّين.. استيقظت الطفلةُ الأخرَى فألحقتُهَا بأُختِهَا ثمَّ هَرَبتُ مِنَ المنزل..

فانظُر إلىٰ عاقبةِ الذُّنوب... وإدمانِ الخمُور... والغفلَة عَن الآخرةِ... فإلىٰ اللهِ وحدَهُ المشتكىٰ..

[من شريط من ملفات التحقيق للرائد سامي الحمود].

❖ ❖ ❖

أرادت قتل زوجها فقتلت ولدها

قالت والدموعُ تتدفقُ علىٰ وجنتيها، وهي تقبعُ خلفَ القضبان:

كانَ لي زوجٌ شرسٌ كأنَّهُ وحشٌ كاسرٌ، يعملُ في شركةٍ، ولم نكُن نراهُ إلاَّ يومي الخميس والجمعةِ فقط، وكان إذا اقتربَ موعدُ مجيئِهِ أشعرُ وكأنَّهُ دُنوُّ أجلي.. وكان لي منهُ ولدٌ وحيدٌ عمرُهُ (١٠) سنين..

ومضت بنا الحياةُ بصعوبةٍ لا مثيلَ لها.. لقد كانَ يضربُني لأدنىٰ أمرٍ.. وكدتُ مرَّةً أن أموتَ من كثرةِ ضربِهِ لي.. وأنا لا أمدحُ نَفْسِي، لكن أقولُ لكم الحقَّ: لم أكن أُقصِّرُ معهُ في شيءٍ علىٰ الرَّغمِ من قَسوتِهِ مَعِي..

ومن جرَّاءِ هذهِ القسوة وسوسَ لي الشيطانُ أن أضعَ لهُ السُّمَّ في الشاي، لأنهي حياةَ العذابِ التي أعيشُها معه..

وفعلاً عادَ من عملِهِ يومَ الخميس، فوضعتُ لهُ الطعامَ وطلبَ الشَّاي كعادتِهِ، فصنعتُ لهُ الشَّاي، ووضعتُ لهُ فيه السمَّ المدقع.. ثمَّ قدَّمتهُ له.. فوضَعَهُ أمامَهُ علىٰ المائدةِ.. وكي لا يشكَّ بي رجعتُ إلىٰ المطبخِ لأزاولَ عملي..

وما هي إلاَّ دقائق حتىٰ سمعتُ صراخَ ولدي الوحيد يقرعُ الآذان.. فهرعتُ لأرى ما الخطبُ، فرأيتُ زوجي يغطُّ في نومٍ عميق، وقد دخلَ ولدي فَرأى أباهُ نائماً وقد تركَ كوبَ الشَّاي فشربَهُ عوضاً عنهُ.. يا لهولِ المصيبةِ رأيتُ فلذةَ كبدي يصرخُ ويستغيثُ بقاتلِهِ نعم بقاتلِهِ.. أنا من قتلَ ولدي.. كانت كلماتُهُ كالصاعقةِ في أُذنيَّ وكالرَّعدِ علىٰ قلبي يَقُول: أمِّي.. أبي.. ولكن ما بيدِي حيلةٌ فالسُّم كانَ قاتلاً وصراخُ ولدي كانَ يعلو وهو ممسكٌ ببطنهِ حتىٰ غابَ صوتُهُ.. وما هِي إلاَّ لحظات حتَّىٰ فاضَت روحُهُ البريئةُ إلىٰ خَالِقِها.. وأنا اليومَ خلفَ القُضبانِ.. ولن أنسىٰ مهمَا عِشْتُ أبداً صُورةَ ولدي حينَ كانَ يتلوّى أمامَ عيني، ولن أنسىٰ أني قتلتُ ولدي.

مأساة فتاة

فتاةٌ تكتُب مأساتَها التي عاشتها وذاقَت أثرَهَا بسببِ هذا الحبِّ إذ تَقُول هذهِ الفتاةُ: ما أريدُ أن تكتُبُوا عنواناً لمأساتِي تحت أيِّ عِنْوَان؟ دَمعة نَدَم؟ بَل اكتُبُوا عنوانَ قصَّتي دُمُوع النَّدم والحسرة.. إنَّها دموعٌ كثيرةٌ تجرَّعتُ خِلالَها آلاماً عديدةً وإهاناتٍ ونَظَرَات كُلَّها تحتقِرُني بسَبَبِ ما اقترفتُهُ في حقِّ أهلِي ونفسِي وقَبْلَ هَذا وذاك في حقّ ربِّي.. إنَّني فتاة لا تستَحِقُّ الرحمةَ ولا الشَّفَقَةَ لَقَد أسأتُ إلىٰ أُسْرَتي وأهلِي جميعاً.. وكلّ ذلك بِسَببي أنا لَقَد خُنْتُ الثِّقةَ الَّتي أعطونِي إيَّاها بِسَبَبِ الهاتِف اللَّعين الَّذي سبَّب لي الاتِّصال بذلكَ الإنسان المجرّدِ مِن الضَّمير وأغرانِي بكلامِهِ المعسُول فَلَعِبَ بِعَواطِفِي وأحاسِيْسِي حتَّىٰ أسير مَعَهُ في الطَّريق السيِّئ وبالتَّدريج أتمادَى في علاقَتي مَعَهُ إلىٰ أسوءِ مُنْحَدَرٍ كلُّ ذلك بِسَبَبِ الحبّ الوَهمِيّ الَّذي أعمَىٰ عَيْنَيَّ عَن مُنْحَدَرِ الحقيقةِ، وأدَّى بي في النهايةِ إلىٰ فُقْدَان أعزّ مَا تَفْتَخِرُ بهِ الفتاةُ ويَفْخَرُ بهِ أبواهَا عندَما يَزفّانِها إلىٰ الشَّابِّ الذي يأتي إلىٰ مَنْزِلها طالباً يَدَها عَن طريق الحلالِ.. لَقَد أضعْتُ هذا الشَّرفَ مَع إنسانٍ عديم الشَّرَف إنسانٍ باعَ ضَميرَهُ وإنسانِيَّتَهُ بَعْدَ أن أخذَ مِنِّي كلَّ شيءٍ..

ثمَّ بعدَها تركَني أُعَانِي وأُقَاسِي لحظات وساعات من جرَّاء ما فعلَهُ معي لَقَد تَركَنِي في محنةٍ كبيرةٍ بَعْدَ أن أصبَحْتُ حاملاً..

لَم يكُن أحدٌ يَعْلَمُ بمصيبتي سِوى اللهُ سبحَانَهُ وتَعالىٰ.. وعندَما حاولتُ البحثَ عنهُ كانَ يَتهرَّب مِنِّي علىٰ عكس ما كانَ يَفعَلهُ مَعِي مِن قَبْل أن يأخُذَ مَا يُريدهُ منّي.. لقد مكثتُ في نارِ العذابِ طوال أربعةِ أشهُر لا يَعْلَمُ إلاَّ اللهُ مَا قَاسيتُهُ مِن آلام الحمْل الَّذي أثقلَ نَفسي وأتعبَها، كنتُ أفكِّرُ كيف أقابِل أهلِي بهذه

المصيبةِ الَّتي تَتَحَرَّكُ في أحشائِي؟

فوالدي رجلٌ ضعيفٌ يَشْقَىٰ ويكدّ من أجلِنَا ولا يكادُ الرَّاتبُ يكفيهِ.. ووَالِدَتي امرأةٌ عفيفةٌ وَفَّرت كلَّ شَيءٍ لي مِن أجل أن أتمّ دِراسَتِي لأصِلَ إلىٰ أعلىٰ المراتِب.. لكن خَيَّبتُ ظَنَّها وأسأتُ إليهَا إساءةً كبيرةً لا تُغْتَفَر لا زلتُ أتجرَّعُ مرارَتَهَا إلىٰ الآن..

ولم أيئس من الاتصالِ بهِ لعلَّ قلبَهُ يرقّ لحالي، وفعلاً ردَّ عليَّ فأخبرتُهُ بحملي.. وعندمَا عَلِمَ بحملِي عَرَضَ عليَّ المساعدة في الإجهاضِ وإسقاطِ الجنين الَّذي يتحرك داخلَ أحشائِي.. كدتُ أُجَنّ.. إنَّهُ لم يُفكِّر أن يَتَقَدَّم للزَّواج مِنِّي لإصلاح ما أفسَدَ بَل وضَعَنِي أمام خَيَارين إمَّا أن يتركَنِي في محنَتِي أو أسقِط هَذا الحملَ للنَّجاةِ مِنَ الفضيحةِ والعَار، ومَرَّت الأيَّام دُونَ أن يَتَقَدَّم لخطبتي عندها ذهبتُ إلىٰ الشرطة وأخبرتُهم بما حَدَثَ لي مِن جانِبِهِ، وبعدمَا بحثُوا عنهُ في كلِّ مكانٍ وجدُوهُ بَعْدَ شَهرين مِن بلاغِي لأنَّه أعطاني اسماً غَيْرَ اسمِهِ..

وفي النهايةِ وَقَعَ في أيدي الشُّرطة واتَّضَحَ أنهُ مُتزَوِّج بَل لديهِ أربعةٌ مِنَ الأولادِ وعندها وُضِعَ في السِّجن، ووضعتُ أيضاً أنا في سجنٍ للنساءِ، وأرسلَ إليَّ مِن سجنِهِ امرأةً تخبرني بأنَّني إن أنكرتُ أمامَ القاضِي فَسَوفَ يَتزَوَّجني بعدَ خُروجهِ وخروجي مِنَ السِّجن، ولكنِّي رفضتُ عَرْضَهُ الرَّخيص، فلا يُعقَل أن أقعَ في فخِّهِ مرَّةً أُخرى، والآن أكتبُ لكم بَعْدَ خُروجِي مِن سجنِ الشُّرطة إلىٰ سِجن أكبر هو مَنْزِلي، وأنا قابعةٌ فيهِ لا أكلِّمُ أحداً ولا يَرَاني أحدٌ بِسَبَبِ تِلْكَ الفَضيحة التي كُنتُ أنا سببها.. وها أنا أبكي ليلاً ونهاراً لَعَلَّ اللهَ أن يَغْفِرَ لي خَطيئَتِي يومَ الدِّينِ وأطلُبُ منكُم الدُّعاء لي بأن يتوبَ اللهُ عَلَيّ وأن يُخَفِّف مِن آلامِي..

مات وهو يردد: (لاتتركوا الأسهم)

كَتَبت إحداهنَّ تقولُ: فضيلة الشَّيخ المسؤول عَن مَوقع (يا لَهُ مِن دِيْن) بَـارَكَ اللهُ فيكُم علىٰ هذا الموقع الطَّيب والمؤثِّر، وها أنا أنقـلُ لكـم هـذهِ الرِّسالة بالنِّيابةِ عَن أختٍ لي في اللهِ في سُوريا وقَد استَحلفتني أن أُرْسِلَ ذلـكَ لكُـم للحديثِ عَنْهُ في خطبةِ الجمُعَةِ ونَشرهِ في الموقع حتَّىٰ يَصِلَ إلىٰ قُلُوبِ الرِّجال مِن آباءٍ وأزواج.

والقصَّةُ ترويها صديقتي لي بِقَلْبٍ محروقٍ عندمَا رأت عَمَّها يحتَضِر.

تقولُ: كانَ عمِّي يُصَلِّي صلاةً لا يَهْتَمُّ بِهَا.. المهمّ أنْ يُسْقِط هذا الفَرْض عنهُ و كانَ لا يَقْرأ القُرآنَ إلاَّ مِن رَمَضَان إلىٰ رَمَضَان وبصُـورَةٍ لا تُذكَـر، ويَتَعَـامَل مَع البنوكِ الرِّبوية ولا يُؤمِن بأنَّ الفوائِدَ رباً، ويَدَّعِي أنَّها تجارة وربح.

وقَبْلَ وَفاتـهِ بِسَنَةٍ دَخَلَ في تجارةِ الأسهُم والبُورصة وطبعـاً في بنـكٍ رِبَـوي وأصبَحَ ذلكَ هو هَمَّهُ الوحيدَ في هذهِ الحياةِ.

المأساةُ الَّتي تذكُرُها الأخت أنَّ عَمَّها حَصَلَ لهُ حادثٌ ونُقِل إلىٰ المشفىٰ.

تَقُول: وعندَمَا ذَهبنَا لرؤيتِهِ جَلَسْتُ فوقَ رأسِهِ حتَّىٰ أُذكِّره بالنُّطق بالشـهادَةِ.. ولكنَّهُ لم يَنْطق بِهَا، بَل بَدأ يُرَدِّدُ ويقُولُ: لا تَتركُوا التِّجارَةَ بالأسهُم مِن ورائـي، ولكنِّي لم أيئس فجعلتُ أُرَدِّد أمامَهُ قائلـةً: (لا إلـهَ إلاَّ اللهُ.. لا إلـهَ إلاَّ اللهُ) رَدَّدتُ ذلـكَ مراراً أمامَـهُ لعلَّـهُ ينطِقُ بِـهَا.. ولكنَّـهُ أعـادَ مقولتَـهُ تلـك: لا تَـتركُوا التِّجارَةَ بالأسهُم مِن ورائي، لا تبيعوا الأسهمَ..

وللأسف مَاتَ وكانَت آخر كَلِمَة يَقُولُها لا تَبيعُوا الأسهُمَ..

تَقُول: ولما خرجت روحُـهُ احتقـنَ وجهُـهُ، ومِن شِـدَّةِ احتِقَانـهِ اسـوَدَّ لَونُـهُ والعياذُ باللهِ تعالىٰ، وأسألُ اللهَ تَعَالىٰ الرَّحمَةَ وحُسْنَ الختام لنَا ولِسَائِر المسلِمينَ..

مات وفي يده الريموت

يقولُ أحدُ مُغسِّلي الموتىٰ: اتَّصل عليَّ أحدُهم وقالَ لي: إنَّ ابنِي ماتَ وأريدُكَ أن تَأتِي لِتَحمِلهُ إلىٰ المغسلةِ، فَذَهَبْتُ ووقفتُ أمامَ المنزِل وفَتَحُوا البابَ.. وسألتُ عن الميِّت؟ فقالُوا: في أعلىٰ المنزِل فَصَعدتُ إلىٰ السَّطح وإذا بغرفة مُجَهَّزة بكلِّ أنواع التَّرف، تلفاز.. ديجتال.. كومبيوتر..

ولما دخلتُ غرفةَ الشَّابِّ وجدتُ أمراً غَريباً، لقَد رأيتُ شابّاً في العِشرينَ من عُمرِه وعلىٰ يَدِهِ لفافةٌ بيضاء والدَّم يخرجُ منهَا فَتَعَجَّبتُ.

فسألتُ والِدَهُ عَن سَبَب وفَاتِهِ وكيفَ كانَت؟

فَتَرَدَّد كثيراً في الإجابةِ.. ثمَّ قالَ: ابني كانَ مِنَ المتابعين للقَنَواتِ، وكانَ كثيرَ السَّهرِ عليهَا والبارحةَ.. قُلنا لَهُ: انزِل لِتَنَاوُل طعَام العَشَاءِ مَعَنَا فَقَالَ: أرسلِوا العشاءَ مَع الخادِمَةِ، وفعلاً أرسلَنا العشاءَ مَعهَا وصَعِدَت الخادمةُ بالعشَاءِ وطَرَقَت البابَ عَليهِ، ولكنَّهُ لَم يَفْتَح، فَنَزَلت إلينَا وأخبرتنَا بذلكَ، فصعدت إليهِ وطرقتُ البابَ عليهِ فلم يَفْتَح ولم يُجِب، نَظرتُ مِنَ النَّافذة فرأيتُ أمراً غريباً رأيتُ ابنِي كأنه ميِّت، فَقُمتُ بكسرِ البابِ، ورأيتُ ابني ميتاً وفي يَدِهِ «ريموت القنوات» وجهازُ التِّلفاز فيهِ «فِلمٌ ماجنٌ».

عندها أصابَنِي الذُّهول والحسرةُ والنَّدمُ علىٰ هذهِ الوفاةِ، فأوَّل شيءٍ فعلنَاهُ حاولنَا إزالةَ الريموت مِن يدِهِ ولكِن والله لم نَستَطع وكأنَّ الريموت التَصَقَ بيدِهِ فلم نجِد حَلاًّ إلاَّ بتكسير الجهازِ علىٰ يدِهِ فتكَسَّرَ الجهازُ والتصقَت الأزرارُ والأسلاكُ بيدِهِ، فَقُلنا: لوقَطَعْنَا يَدَهُ لكانَ أستَر لنَا ولَهُ، فأحضرنا المنشَارَ وقطعنَا يَدَهُ وسالَ الدَمُ فوضعنَا اللفافَةَ عليها..

يقولُ المغسِّل: فأخذتُ الشابَّ وغسّلناهُ، وقلتُ لوالِدِهِ: خُذ ابنَك لِتُصلِّي عليهِ في أحدِ المساجِد لَعَلَّ الله أن يَغْفِرَ لهُ..

ولكن الأب رَفَضَ ذلكَ، وذهبتُ وَتركتُهُ مَع ابنِهِ.

فيا سبحانَ اللهِ انظر كيفَ ماتَ، ماتَ على تلكَ القَنوات وفي يدهِ الرِّيموت والله إنَّها لمصيبةٌ وفضيحةٌ.. فيا مُدْمِن القَنوات انتبِه فَقَد تكونَ لكَ نهايةً كنهايتِهِ، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أجَلٌ إِذَا جَاءَ أجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: من الآية ٤٩].

وإيَّاكَ أن تكونَ قِصَّةً يَتَنَاقَلُها النَّاسُ. عافانا اللهُ وإيَّاكَ والمؤمنينَ من كلِّ سوءٍ.

[الشيخ عباس بتاوي مغسل أموات في جدَّة].

❖ ❖ ❖

أنا وحماتي

(لا طلاق ولا عدة.. بل فراق)

قالت: قِصَّتي أُقدِّمُها عبرةً لكلِّ فَتَاةٍ:

لقد تَفَنَّنت وتَلَذَّذت بتعذيبِ أمِّ زوجي، وإبعادِهِ عنها قَدَر المستطاع، ونَسيتُ حَقَّها الَّذي فرضَهُ اللهُ عَلينَا.

كانَ الرَّدُّ انتقَامَ رَبِّ العالمين مِنِّي، أو انتقامها كانَ صعباً، وقاسِياً دَمَّرَ حَيَاتي مِن أساسِهَا.

تذكَّرتُ قولَهُ تَعَالىٰ: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

فانهمَرت دموعِي بحراً كثيراً فما يحدُث هو نزَاع صامِتٌ أو معلنٌ بينَ الزَّوجة وأمِّ الزَّوج حولَ الزَّوج وحقوق كلٍّ منهما، فالأمُّ ترَى حقَّها مُقدَّماً علىٰ الزَّوجةِ، والزَّوجَةُ لا تَعْتَرفُ بهذا الحقّ، وتَرَى أنَّ زَوْجَهَا مِلْكٌ خاصٌّ لها، لا تَسْمَح لأخرى أن يكُونَ لها اعتبارٌ حتىٰ ولو كانَت أمّهُ.

الزَّوجَةُ غالباً ما تَمْتَلِك أوراقَ اللُّعبة، وتَعْتَقِد أنَّها ستكسب، فَتضَع رأسها برأسِ أمِّه، ولكن مهما كانَت حساباتُها فالحربُ محسومةٌ لصَالح الأمِّ، لاعتباراتٍ كثيرةٍ، وقد تكون مرارةُ العداوةِ تجعل الزوجةَ تَتجَاهَلَها أو لا تَتفَهّمها بما فيهِ الكفاية، فَتأتي الرِّياحُ بما لا تَشْتَهي السُّفن.

قِصَّتي أقربُ للخيالِ، وقَد تكون رُعُونَتي واستفزازي لأمِّ زَوْجي هي سَبَب تَعَاسَتِي الَّتي لا تُوصَف، فَقَد انهَارَ كلُّ شيءٍ في لحظةٍ لا تخطُر علىٰ البالِ، لهذا أُقدِّمُ قِصَّتي عبرةً لكلِّ فتاةٍ لِتتَّعظَ بِهَا:

إنَّه ابنُ عَمِّي وزوجي، حيثُ نشأ كلٌّ منَّا متعلقاً بالآخر منذُ الطفولةِ، حتَّىٰ إذا كبرنا تمَّ زواجُنا وسطَ فرحةِ الأهل وأمنياتِهم لنا بالحياةِ السَّعيدةِ، عشنا حياةً مليئةً بالحبِّ والسَّعادةِ هي أقربُ للأساطير، حتَّىٰ أصبحَ البعضُ يضربُ بِنَا المَثَلَ مِن حيثُ الانسجامَ، والحبِّ، والتَّفاهم والتَّوافق، كما أكرَمَنَا اللهُ بِطفلين، الوَلَدُ حَمَل اسمَ جَدِّهِ، والبنتُ حَمَلَت اسمَ أمِّي، زَوجي يحبّني كثيراً حبّاً أُحْسَدُ عليهِ، أمَّا أنا فجميلةٌ جدّاً بشهادةِ الجميع، وأهتمُّ بِنَفْسِي كثيراً، وقَد يكونُ الجمالُ وما حَظيتُ بهِ مِن حُبٍّ هما اللذان دَفَعاني أن أفتَعِلَ العداءَ مَع أمِّ زوجي، أو بالأصحِّ أتَسَلَّىٰ بإغاظَتِهَا بأسلوبٍ بَارِد، لأنني ممسكة بكلِّ الخيوطِ، علماً أنَّني كنتُ أحسّ في قرارةِ نَفْسِي أنَّ ما أقومُ بهِ هو عينُ الخطأ، ولكنَّني متأثرة بما استَمعُ من كراهيةِ الأمِّ لزوجةِ الابنِ، المهم استَطَعتُ أن أُحْكِمَ قَبْضَتِي علىٰ زَوْجِي حتَّىٰ أصبَحَ اهتمامُهُ بأمِّهِ في حدودٍ ضَيِّقةٍ، واستَمَرَّت الأيامُ وأنا أتعَمَّدُ إغاظَتَها، وهكذا استَمَرَّت اللُّعبَةُ.. وعندمَا كانَ زوجي لا يُعير أمَّهُ أُذُناً صاغيةً لشكواهَا، كنتُ أشعرُ أنني أتمتَّعُ بدهاءٍ يفوقُ دَهَاء صُويحباتِ يُوسف ﷺ!!

حتىٰ جاءَ ذلكَ اليومُ المشؤوم، الَّذي سَدَّدت لي فيهِ هذهِ المرأةُ الضَّربَةَ القَاضيَةَ الَّتي نَسَفَت كلَّ شيءٍ في حياتي بلحظةٍ واحدةٍ، لا أدري أهيَ صَادِقَةٌ أم استفزَازي لها جَعَلَها تَقِفُ هذا الموقفَ؟ ومهمَا كانَ فأنا الخاسرةُ والنَّادِمَةُ.

في ذلكَ اليوم الأسود مَرضَت هذهِ العَجُوز (حماتي) فجئتُ أزورهَا، ولَمَّا جلستُ عندها ورأتني بكامل جمالي وزينتي قُلتُ لَهَا: اكتُبِي وَصِيَّتكِ..

فَتَنَهَّدت وقَالَت لي بعينينِ دامعتين: يا ابنتي الموتُ حَقٌّ. وسكتت، عندها حرتُ جواباً، فقمتُ وعدتُ إلىٰ منزلي مسرعةً..

وعندما رَجَع زَوجي كالعادَةِ نادى أطفَالَهُ ولاطفَهُم، وحَدَّثني عَن الذكرياتِ الجميلةِ الَّتي عشناهَا، وقالَ لي: لا أعرفُ بدونَكِ كيفَ أعيشُ، كلُّ النَّاس يحسدونني. قُلتُ لَهُ: وأنا كَذَلِكَ.. ثمَّ ذكَرْتُ لَهُ أنَّ أمَّهُ مريضةٌ ولا بأس مِن زيارتِها، فذَهَبَ، وما هِي إلاَّ دَقَائِق حتَّىٰ جاءَ زَوجِي بوجهٍ لم آلفهُ عليهِ جاءَ عابِسَ الوجهِ، مطأطئ الرأسِ، قُلْتُ لَهُ: مَاتَت؟ قالَ: لا ولكن..

قلتُ: ولكن ماذا؟؟ لكنَّهُ خَرَج من البيتِ دُون أن يكلِّمني..

لحظتهَا أدركتُ أنَّ أُمَّهُ قَالَت له شيئاً أزعَجَهُ، فذَهَبتُ لهَا وسألتُها بأسلوبٍ تهكُّمِيٍّ، وبلهجةِ التَّعالي والغُرُور، وقُلت لَهَا: مَاذا قُلتِ يا عَجُوز لزوجي؟؟

فقَالَت لي بِبُرودَةِ أعصابٍ وبصوتٍ مُتَهَدّج: الموتُ حقٌّ.. وأنا كُنْتُ جاهِلةً فيما مضىٰ، فأنتِ وابنُ عَمّك أرضعتكُم سَوِيّاً، وسَمعتُ الشَّيخ في الإذاعة اليومَ يقولُ: إنَّ الأختَ بالرَّضاعَةِ لا تَتزَوَّج أخاهَا مِن الرَّضاعَةِ، وسألتُ العلماءَ فقَالُوا لي زواج ابنكِ بَاطِل؟

صَرَختُ في وجهِهَا قُلتُ لَهَا: دَمَّرتني؟! حَرامٌ عليكِ.. أنتِ حاقِدَةٌ، لحظتها دارت بي الدُّنيا وسقطتُ مُنهارَةً، لَقَد وَقَعَت الكارثةُ وأصبحتُ حديثَ النَّاس، سألت أمِّي عَن موضوع الرَّضاعةِ فقالَت لي: هي رضعات لم تَتجَاوَز أصابع اليدِ الواحدة ولكن هَذِهِ المرأة أقسَمَت أنَّها أكثر مِن أصابع اليَدين، وبَعْدَ الرَّفع للقضاءِ صَدَرَ الحكم بالتَّفريق بيني وبَينَ زَوْجِي دونَ طلاقٍ وإلحاق الأبناء، لَقَد ضاعَ كُلُّ شيءٍ جميل في حَيَاتي، نَعَم أنا مُذنبةٌ فَقَد أكونُ دَفَعتُها لأن تَتَمَسَّك بروايةِ الرَّضاعة حتَّىٰ تُحطِّمَ قَلْبي كمَا حَطَّمْتُ قَلْبَهَا فالجزاءُ مِن جِنْسِ العَمَل.

ولحظتها انهَمَرَت دُمُوعي وسَالت بحراً، وتَذكَّرتُ عظيمَ الجرم والظُّلم الَّذي ارتكَبْتُهُ في حقِّ تلكَ المرأةِ المسكينة ومَا آل إليهِ أمري. [مجلة شهد الفتيات العدد: ١٣/ ١٤٢٥هـ].

حبيبة العمر

يقولُ راوي القصَّةِ عن نفسِهِ: ماتَ والدِي وأنـا صَغيرٌ، فأشرَفَت أمِّي علىٰ رِعَايَتِي.. فَعَمِلَت خادِمَةً في البيوتِ حتَّىٰ تَستطيعَ أن تَصْرِفَ عَلَيَّ، فَقَد كنتُ وحيدَهَا.. أدْخَلَتْنِي المدرسَةَ وتَعَلَّمتُ حتَّىٰ أنهيتُ الدِّراسة الجامعيةَ.. كنتُ باراً بِهَا.

وجاءت بِعثَتِي إلىٰ الخارج فَوَدَّعتني أمِّي والدُّمُوع تملأُ عَيْنَيها وهي تَقُولُ لي: انتبِه يا وَلَدِي علىٰ نَفْسِكَ جيِّداً ولا تَقْطَعِنِي مِن أخبارِكَ.. أرسِل لي رَسَائِل حتَّىٰ أطمَئِنَّ علىٰ صِحَّتِكَ.

وفعلاً سافرتُ إلىٰ دُولِ الغربِ حتىٰ أكمَلْتُ تَعْلِيمِي هناك.. وبعدَ مُضِيِّ زَمَنٍ طويلٍ رَجَعْتُ إلىٰ بلدي، إلاَّ أنَّني رجعتُ شخصاً آخَرَ، قَد أثَّرت فيهِ الحضارةُ الغربيةُ.. فرأيتُ في الدِّينِ تَخَلُّفاً ورجعيةً.. وأصبحتُ لا أؤمنُ إلاَّ بالحياةِ المادِّيةِ والعياذُ باللهِ.

وحَصَلتُ إثرَ عودتي علىٰ وظيفةٍ عاليةٍ وبدأتُ بعدَها أبحثُ عَن الزَّوجةِ حتَّىٰ حصلتُ عليها أخيراً.. وكانَت والِدَتي قَد اختارَت لي فتاةً مُتَدَيِّنةً محافظةً.. ولكنِّي أبيتُ إلاَّ تِلْكَ الفتاةَ الغنيَّةَ الجميلةَ لأني كنتُ أحلُمُ بالحياةِ «الأرستقراطية» كمَا يقولونَ..

وبعدَ ستَّة أشهُرٍ مضت مِن زَواجي كانَت زَوجتِي تكيدُ لأمِّي فيها المكائدُ حتَّىٰ كَرِهتُ وَالِدَتِي.. وفي يوم مِنَ الأيَّام دخلتُ البيتَ وإذا بِزَوْجَتِي تبكِي.. سألتُها عَن السَّببِ؟ فَقَالَت لي: شُوف يَا أنا يَا أمّك في هذا البيتِ.. لا أستطيعُ أن أصبِرَ عليهَا أكثرَ مِن ذلكَ.

فَجُنَّ جُنُوني وقمتُ بطردِ أمِّي مِن البيتِ في لحظةِ غَضَبٍ سيطرَ فيها علىٰ

عقلي الشيطانُ الرجيمُ، وفعلاً خَرَجَت أمِّي وهِي تبكِي وتَقُولُ لي: أصلَحكَ اللهُ يَا ولَدِي.. أسعَدَكَ اللهُ يَا ولَدِي..

وبعدَ طردِها بساعاتٍ خَرجتُ أبحثُ عنهَا ولكن بلا فائدةٍ.. ورجعتُ إلىٰ البيتِ، واستطاعَت زوجتي بمكرِهَا وجَهْلِي أن تُنْسيني تلكَ الأمّ الغاليةَ الفَاضِلَةَ. التي أفنت عُمُرَها في تربيتي، وسهرت ليالِيَ علىٰ راحتي.. جاعَت وأطعَمَتْنِي.. عَريت وكَسَتْنِي..

وانقَطَعَت أخبارُ أمِّي عنِّي فترةً مِنَ الزَّمن أُصبتُ خِلالَهَا بمرضٍ خَبيثٍ دَخَلْتُ علىٰ أثرِهِ المستشفىٰ..

فعلِمَت أمِّي بالخبرِ فجاءت تبكي تُريدُ زيارتي، وكانَت زَوجتي عندِي ولكن قَبْلَ أن تَدْخُلَ عَليَّ لتراني سمعتُ زَوجَتِي تطرُدها قَائلةً لهَا: ابنُكِ ليس هنَا.. ماذا تُريدين منا.. اذهَبِي عنَّا.. ورجَعَت أمِّي مِن حَيثُ أتَت!

وخرجتُ مِنَ المستشفىٰ بعدَ وقتٍ طويلٍ.. ثمَّ انتكَسَت فيهِ حالتي النَّفسيةُ وَفَقَدْتُ الوظيفةَ والبيتَ وتراكَمَت عليَّ الديونُ.. وكلُّ ذلكَ بسببِ زَوجَتِي الخبيثة.. لَقَد كانَت تُرهِقَني بطلباتِهَا الكثيرة..

وفي نهايةِ المطاف رَدَّت لي زَوجتي الجميلَ وقَالَت لي: مَا دُمتَ قَد فَقَدْتَ وظيفتَكَ ومالَكَ ولَم يَعُد لَكَ مكانٌ في المجتمَع فَإنِّي أعلِنُهَا لكَ صريحةً: أنا لا أريدُكَ.. طَلّقنِي.. طَلّقنِي..

فكانَ هَذا الخبرُ بمثابَةِ صَاعِقَةٍ نزلت فوقَ رَأسي.. وتحتَ إلحاحها وعنادِها وإصرارِها طَلَّقتُها.. لأستيقظَ بعدَ ذلكَ مِن السُّبَاتِ الَّذي كنتُ فيهِ.

فخرجتُ أهيمُ علىٰ وجهِي أبحثُ عَن أمِّي.. أنادي بأعلىٰ صوتي: أينَ أنتِ يا أُمِّي.. لقد ظلَمْتُكِ.. لقد أنكَرْتُ المعروفَ الذي أسديتِهِ لي..

وفي النِّهايةِ وَجدتُها.. ولكِن أينَ؟ لقد وَجدتُها تَقبَعُ في أحدِ الأربطةِ تـأكُلُ مِن صدقاتِ المحسنينَ.

دخلتُ عليهَا.. فوجدتُها وقَد أثَّرَ عليـهَا البكـاءُ فبَـدَت شَـاحِبَةً حزينـةً.. ومَـا إن رأيتُها حتَّىٰ ألقيتُ بِنفسِي عندَ رِجْلَيْهَا وبكيتُ بكـاءً مريـراً، فمـا كـانَ مِنـهَا إلاَّ أن شَاركتني البكاءَ.

وبقينا عَلىٰ تلكَ الحالِ حَوالي ساعَةً كاملـةً.. بَعْدَهَـا كَفكَفْـتُ دَمْعَـها وأخذتُـهَا إلىٰ البيـتِ وآليـتُ علـىٰ نَفْسِـي أن أكـونَ طائعـاً لَـهَا، وقبـلَ ذلـكَ أن أكــونَ مُتَّبعـاً لأوامِرِ اللهِ تعالىٰ ومجتنِباً لنواهيهِ. وها أنا ذا أعيشُ أحلَىٰ أيَّامي وأجملَها مَـع حبيبـةِ العُمُر أمِّي. [من كتاب « العائدونَ إلىٰ اللهِ » للشيخ محمد بن عبد العزيز المسند].

❖ ❖ ❖

من ضحايا السائقين والخدم

أيُّها الأبُّ الغافل.. أيَّتُها الأمُّ الغافلة: الخادمات والسائقون يغتالون براءة فلذات أكبادنا بالعار، أولاد وبنات يروين قصصاً مخلَّة مَع السائقين أو الخادمات..

ولا تزال الآثار السلبية المترتبة علىٰ استقدام الخدَم في الخليج ابتداءً وانتهاءً بكافَّة الدُّول الإسلاميَّة.. وهي قضيَّةٌ تُثير جدلاً مستمراً سواء بينَ المختصِّين من اجتماعيين وتربويين، أو بينَ العامَّة مِنَ النَّاس، ونحو محاولة إيجاد الحلول المناسبة لها، كانَ التفكير في تسليطِ الضَّوء علىٰ هذه القَضيَّة لذا لم يكن هَذا تحقيقاً بقدر ما كانَ كشفاً متعمداً عن أحدِ أقبح وجوهِ العمالة المنزلية.. سائق.. خادمة. تَابع معنا قَصَص الأطفال: (هند، أحمد، هيفاء، محمد، نورا، هتان، وليد، سارة وشقيقتها التوأم، سماهر، وأخيراً عبير..).

هند والمربية

إليكم هذه القِصَّة والَّتي تَدْمَعُ لها العينُ، لما فيهَا مِن إهمالٍ مِن جانبٍ وبشاعةٍ مِن جانبٍ آخَر.

فالأب يَتَعَيَّنُ عليهِ أن ينطلقَ صباحَ كلِّ يوم إلىٰ العَمَل ليعودَ مُنهكاً خائِرَ القِوى في الثالثةِ عصراً، بعدَ يوم حافلٍ بالبذلِ والعَرَقِ مِن أجل تَوفير لقمةِ العيش لأسرتهِ الصَّغيرة. والأمُّ بدورِهَا كانَت تَعْمَل هي الأخرَى تَنْطَلِقُ إلىٰ مقرِّ عَمَلِها بعدَ سُويعاتٍ مِن انطلاقِ زَوجها.

ووفقَ هذه المعادَلَةِ الحياتِيَّةِ، كانَ لا بُدَّ لهما مِن مُرَبِّيةٍ أجنبيةٍ لطفلتِهِمَا الصَّغيرة، الَّتي لم تكمِل عامَهَا الخامِسَ بَعْدُ.

كانت طفلةً جميلةَ المحيّا، يَشعُّ مِن عينيهَا الزَّرقاوتين بَريقُ ذكاءٍ مُتَّقد مختلِط

علىٰ نحو فريد ببراءةِ الطُّفُولة العذبةِ المنهَل.

وبالفعل فقَد أحضر الأبُ مُربيةً لرعايةِ طفلتِهمَا الصَّغيرة خلال ساعاتِ النَّهار إلىٰ حين عودتِهما، لِتَنْطَلقَ إلىٰ أحضانِ القَادِم منهمَا إلىٰ المنزلِ أوَّلاً.

فكِلا الزَّوجين كانَ يَتسَابقُ في العودةِ إلىٰ المنزلِ أوَّلاً، إذ أنَّهُ سيحظَىٰ بشرفِ عِناقِ الصَّغيرة وبتعلّقِهَا بعنقِهِ والذَّوبان في صَدْرِهِ.

وكانت المربّيةُ تقوم خلالَ هذهِ الفترةَ بالواجباتِ المنزليةِ المتعدِّدةِ، وفي يومٍ من الأيّام ارتكَبت المربّيةُ خطأً فادحاً، استَحقَّت عليهِ توبيخاً مِن أمِّ هِند.. وانتهىٰ الأمرُ إلىٰ هذا الحدِّ.. وقَد نسيت أمُّ هِنْدَ الواقعةَ بكلِّ تفَاصِيلِها مِن سَاعتِها لكنَّ المربّيةَ لم تَنسَ هذا الأمر! وقد أسَرَّت في نَفْسِها أمراً شيطانياً..

وفي صَبَاح اليَوم التَّالي أرادت أن تُعيدَ الصَّفعةَ صفعتَين وبطريقتها الشَّيطانية الخاصة. وفعلاً بدأت بِتنفيذِ الخطَّةِ فقامَت بإحضارِ قِطْعَةِ لحم مِنَ الثَّلاجةِ ثُمَّ دَسَّتها في أركانِ المطبخ لأيَّام حتَّىٰ تعفنت تماماً، ثمَّ غدا الدُّودُ يَتحرَّكُ فيها، وعِنْدَ مغادرةِ الوالدان المنزلَ صباحاً، أخَذَت الخادمةُ الطِّفلة البريئةَ بين أحضَانِهَا، ثمَّ أخذَت دودةً وَدَسَّتها في إحدَى فَتحَاتِ أنفِ الصَّغيرة.. ثمَّ أخذت دودةً ثانيةً وَوَضَعَتْهَا في الفتحةِ الأُخرى.. وكانت في كلِّ يومٍ تُعاودُ الكرَّةَ نفسَها..

شَعَرت الأمُّ بأنَّ صَغيرتَها لم تَعُد كما كانَت، حيثُ أنَّها أمسَت أكثَرَ خمولاً ولَيْسَت لها أيّ رَغْبَةٍ في اللَّعب أو الضَّحِكِ كما كانَت، بَل كانَت تُؤثِرُ النَّومَ.

وما إن تَصْحُو حتَّىٰ تَعُودَ مجدّداً لوضعِها، فظنَّتِ الأمُّ أنَّ ابنَتَها مُرهقةً مِنَ اللَّعب مَع مُربِّيتها نَهاراً.. لكنَّ الخمولَ والكَسَلَ أمسىٰ صِفَةً مُلازمةً لَها، وذَات يَوم سَمِعَت الأمُّ صَغيرتها تقولُ في توسُّلٍ لخادِمَتِها: أرجوكِ ضعي لي غداً واحدةً فَقَط.. ولا تَضَعِي لي في أنفِي الأخرَى، لم تَدْرِ الأمُّ مَاذا عَنَت ابنتُها هِند؟ وما هُو

الشيءُ الَّذي تضعهُ هذهِ الخادمةُ في أنفيها؟!

فقرَّرتِ الأمُّ أن تكتشِفَ ما يَدُورُ أثناءَ غيابِهَا، ودخلَ القَلقُ قلبَها وساورَها الشَّكُّ.. وفي صباحِ اليومِ الثاني تظاهرت أنَّها خارِجَةٌ للعَمَلِ كعَادَتِهَا، ثمَّ مَا لَبِثَت أن عَادَت أدراجَها بَعْدَ قَليل.. وبخفُوتٍ تَامّ وأخَذَت تمشِي علىٰ أطرافِ أصابِعِها، ووقفت تسترقُ السمعَ جيّداً.. فإذا بها تسمعُ صوتَ هند في المطبَخ تَتوَسَّلُ للخادِمَة بأن لا تَضَعَ لَهَا اليومَ دودةً في أنفِها.. وقالت لها: في ضَراعَةٍ إنَّهُ يُؤلمني..

إلاَّ أنَّ الخادِمةَ القاسيةَ لم تأبَه بتوَسُّلاتِها البريئة.. ووضعتها في حِجْرِهَا وَهَمَّت بِدَسِّ الدُّودةِ في فَتْحَةِ أنفِهَا كمَا كانَت تفعل في كلِّ يَوم.. عندها اندَفَعَتِ الأمُّ كالصاعقةِ وهي تُولولُ وَتَصْرُخُ وانكَبَّت علىٰ رأسِ الخادِمَةِ لتأخُذَ طفلتَها من بينِ يديها لتقولَ لها: ماذا فَعَلَت بكِ هَذِهِ الطِّفلَةُ الَّتي لا تَعْلَم شيئاً في هذهِ الحياة؟. وهل ظلمتكِ شيئاً حتىٰ تفعلي بها ما فعلتِهِ الآن؟..

وبكلِّ تأكيدٍ لم تَحِن ساعةُ الحسابِ بَعْدُ.. لأنَّ هنداً كانَت خائرةَ القُوَى شاحبةَ الوجهِ تُتَمتِمُ في صوتٍ منخفضٍ لا يَكادُ يُسمعُ.. فانطلقتِ الأمُّ كالمجنونَةِ المصعوقَةِ وحَمَلَت فَلِذَةَ كَبِدِها واندَفَعَت تَقُودُ سَيَّارتَها في سرعةٍ جنونيَّةٍ مُتَوجِّهةً للمشفىٰ.. والحسرةُ والنَّدَمُ يعصرُ قلبَهَا.

وعلىٰ الفور تمَّ أخذُ صُورَةِ أشِعَّةٍ لِدِمَاغ الصَّغيرة، وعندَمَا رَفَعَ الطبيبُ الصورةَ في اتِّجَاه الضَّوءِ، أهالَهُ مَا رأى فَقَد كانَ الدُّود يَسْري ويمورُ في دمَاغ الطِّفلَةِ هِنْد. فقَالَ الطَّبيبُ لأمِّها وقَد بللّت الدُّمُوع وجنَتيها: إنَّهُ لا فَائِدَة! فهند الآن تَحْتَضِر..

وعادتُ الأمُّ إلىٰ المنزل وهي تحتضنُ ابنتَها الصغيرةَ لتلفظَ أنفاسها الأخيرةَ بعد ذلكَ بيوم واحِدٍ.. لقد ماتَتَ هند.. يَا لَهَا مِن بشاعَة وَيَا لَهُ مِن إهمالٍ. وصحيحٌ أنَّ الخادِمةَ ستنالُ جزاءها.. لكنَّ هنداً لن تعودَ إلىٰ أمِّها وأبيها..

أحمد

أمُّهُ هي أمُّ أحمد.. سيِّدة مَرَّت بتجربةٍ قاسيةٍ مَريرة مَع سائقٍ مجرَّد من الإنسانيةِ اغتالَ بمنتَهىٰ البساطةِ براءةَ صَغيرها وتسبب في قتلِهِ، أحمدُ عُمرُه أربعُ سنوات يُرافق السائقَ إلىٰ مدرستهِ الخاصَّة صباحَ كلّ يوم، واستَغلَّ السَّائقُ ذلك وقامَ بالاعتداءِ المتكرِّر عليه، وذات يَوم أُغمي علىٰ أحمد في المدرسةِ، وعندَ نقلِهِ للمستشفىٰ بقيَ أُسبوعاً واحداً ثمَّ ماتَ، والسَّبب في موتهِ تَعَرّضه للاغتصابِ المتكرِّر، ورغم أنَّ السائقَ قَد نالَ جَزاءه لكن أحمد لَن يَعُودَ إلىٰ أبيهِ وأمِّه.

هيفاء

كانت صَغيرة لكنها الآن شَابَّة في العِشرين مِن عُمُرهَا هيفاء وهي هيفاء.. لكن بدونِ فَرحةِ الشَّبابِ، بدون التماعَةِ الصِّبا في العيونِ، شابَّةٌ مطفأة بلا مُستقبل، كان عُمُرها ستّ سنوات تعيش في منزلٍ كبيرٍ مَع سائقٍ وخادمةٍ ووالدٍ مَشغُول، وأمٍّ لا مبالية، كانَ عُمُرُها ستّ سنوات عندما رَأت السَّائق مَع الخادمةِ في وضع مَشين، وعندمَا اكتَشفَ السائقُ والخادمةُ أنَّها رأتهما فَقرَّرا معاقبتهَا وكان عمرها ستّ سنوات وكانت وَحيدة، دَخَلا عليهَا الغرفةَ وفي دقائِق كانَ السائقُ قَد أنجزَ مهمَّتَهُ القذرةَ بمساعدةٍ كاملةٍ مِنَ الخادمةِ، وعاقَبا الصَّغيرة وفرَّا هاربين، نُذَكِّرُ كلَّ أمٍّ وأب لَقد كانَت هيفاء صغيرة، وكانَت وحيدة، وكانَ عُمُرها ستّ سنوات.

محمد

وتَتَواصَلُ المواجع، ثلاثة أيَّام قضاهَا الطفلُ محمَّد في منزل قَديم مُتهالك في أحدِ الأحياءِ الشَّعبية بدونِ طعام أو شرابٍ، وفي وَضْع مزرٍ بينَ الحياةِ والموتِ بَعْد

أن استَدرجهُ سائقُ المنزلِ مَع صديق لهُ، كانَ محمَّد طفلاً رياضياً يمارس السِّباحة، ويذهبُ إلىٰ النَّادي الرِّياضي مع السائق يومياً، كـان مفعمـاً بالصِّحةِ، والنشـاطِ، والمرح، وذات يـوم تَوسَّل إليـهِ السَّائق في طريـقِ العـودةِ مِنَ النَّـادي أن يمـرَّ علىٰ صديقٍ له مريض ليزورَهُ خمسَ دقائِق فَقَط ثمَّ يَعُودان للمنزل..

كانَ محمَّد طيِّباً معهُ فَقَالَ: نَعم..

ذَهَبَ مَعَهُ وأمامَ ذلك المنزل جَلَسَ محمَّد في السَّيارة ينتَظِر، وما هي إلاَّ دَقَـائِق حتىٰ عادَ السَّـائق مستجيراً، وقَـالَ لمحمَّـد: إنَّ صديقَـهُ مُغمًىٰ عليـهِ، وطلَـبَ مِن محمَّـد أن يُساعِدَهُ في حملهِ إلىٰ المستَشْفَىٰ، صـدَّق محمَّـد ودَخَـلَ مَعَـهُ إلىٰ المـنزل، لكن للأسف لَم يخرجُ إلاَّ بَعْدَ ثلاثةِ أيَّام.. خرجَ وهـو محطَّـمٌ جَسَـدِيّاً ونفسياً.. لقـد اعتدى عليه ذلكَ السائق وصديقُهُ وتركاه في هيئةٍ مزرية.. فَهَل من مُتَّعظ؟

نورا

رغم حِرص أمِّها الكبير علىٰ عَدم تركِها وهي ابنةُ الستِّ سنوات مَـع السـائق وحدهَا في ذَهَابِهَا وإيابِها مِنَ المدرسةِ إلاَّ أنَّ نيةَ الغَدْر المبيتةِ لم تَرْحَم نورا الصَّغيرة مِن أقسىٰ وأمرِّ تجربةٍ يُمكن أن تمرَّ بها في حياتها كلِّها..

ففي يومٍ من الأيَّام مَرضَت الأمُّ وَوَافَقت مكرهةً علىٰ أن تذهبَ الصغيرةُ مَع السـائق إلىٰ المدرسـة وحدَهـا، حِرْصـاً علـىٰ مُستقبلها مِنَ الضّياع، فكـانَت هـذهِ الفرصةُ هي ما ينتَظِرهُ سائقٌ غريب.

ولَمَّا سَنَحَتِ الفرصةُ مـا كـانَ ليضيعـهَا، فمـا كـانَ منهُ إلاَّ أن ابتعـدَ بالفتـاةِ إلىٰ مكانٍ خالٍ من الناسِ ليقضي حاجتَهُ منها بأسلوبٍ وحشيٍّ حقير، ثـمَّ حملـها إلىٰ مكانٍ قريبٍ من المدرسةِ وحُملت الفتاةُ إلىٰ المدرسةِ..

بعدها تَلَقَّت الأمُّ اتصالاً هاتفياً مِن مديرةِ مَدرسةِ ابنَتِها تَدعُوها للحضُور فوراً، ذَهَبَت الأمُّ لِتَجِد ابنَتَهَا مضرجةً بالدِّماء تُعاني مِن اغتصابٍ وَحشيٍّ لسائق هاربٍ.

هتان

قد تكون البدايةُ مَع ملاحظاتٍ غَريبة كانَ يَرَاهَا الأب في تَصرُّفات أطفالِهِ كما حَدَثَ مَع والدِ هتان، فَقَد لاحظَ أنَّ ولَدَهُ ذا السنوات الثَّلاث يُفرط في تَعلُّقِهِ وتمسُّحِهِ بأمِّه إفراطاً غير مَعْهُود، وحركات غَريبة يفعلُها مع أمِّه..

فإن أثارت في البدايةِ ضَحِكاً فإنَّها بعدَ قَليل أثارَت شكوكاً دَفعَت الأب إلىٰ مراقبةِ الصَّغير في غيابهِ، وفُوجيء بعدها باستغلالِ الخادمَةِ له استِغْلالاً جِنْسِيّاً لم تَرحم سنينه الثَّلاث ولا طُفُولتَهُ المبكِّرة، لَقَد قامَت الخادمةُ بِتَعلِيم وتَلقين الصَّغير أسسَ العلاقةِ المحرَّمةِ، والعياذُ باللهِ..

وليد

وهذهِ خادمةٌ أخرى تمكَّنت مِن إخضاع (وَليد) ابن الخمسةِ عَشر رَبيعاً لنزواتِها، وجعلتْهُ أسيراً لشَهَواتِهَا وشهواتِهِ بالتَّبعية، كانَ الولدُ مُتفوِّقاً.. ناجحاً.. اجتماعياً، يحبُّ الحياةَ والنَّاسَ، ولكن بَعْدَ وُصُولِ الخادمَةِ بدأ يَرْفُض تَركَ المنزِل لحضورِ المناسبَاتِ مع أهلِهِ، وبدأ تحصيلُهُ الدِّراسي يَتراجَع، ولم يَنْتَبِه الأهلُ إلىٰ السَّببِ، الصُّدفَةُ وحدَها قادَت الأب ليعرفَ الحقيقةَ، خرجَ مَع الأمِّ لحضورِ مناسبةٍ وكالعادة رَفَضَ (وليد) الذهابَ معهم بحجَّةِ المذاكرةِ، عادَ الأب بَعْدَ قليل ليبحَث عَن شيء نَسِيَهُ، وفي غرفةِ الخادِمَةِ وجَدَ الحقيقةَ الغائبةَ عندَمَا رأى ابنَهُ والخادِمَةَ والشَّيطان ثَالثهمَا، (وليد) تَعرَّض يومَها لِضَربٍ مُبرح مِنَ الأب والخادمة رَحلَت إلىٰ بلَدِها، ولكن هَل انتهَت المشكلَةُ؟

سارة وسماهر

لاحظت الأمُّ أنَّ ابنتيها التوأمتين تَفْزَعَان مِن حُضُور الخادِمَةِ لتلبيةِ نِدَاءِ الأمّ لَهَا، لم تعِرِ الأمرَ اهتماماً فهما مَا زالتَا صَغيرتين (٤ سنوات) ولكن ذات يوم استَيْقَظَت علىٰ صُراخ إحداهما مِن غرفةِ الخادِمَةِ، ذهبَت مُسرعةً لِتَقِف علىٰ ما يحدُث كانَت إحدى ابنتيها أمامَ الخادِمَة العاريةِ تجبرهَا علىٰ المنكَر والثَّانية تَنْتَظِر، أيّ مُصيبة!!

عبير

وأمٌّ أُخرى كانَت تحادِث ابنَتَها عبير وتُلاطفها ـ والحديث كمَا يقولونَ ذو شجون ـ وبدأت الصَّغيرة بعفوية سَنَواتها الخمس تَتَحَدَّث عَن أشياء مخزية تَفْعَلُها معها الخادمةُ، وتَطْلُب منهَا أن تفعلَها بِدَورِهَا، صُعِقَت الأمُّ مِن هولِ مَا سَمِعَت، فأخرَجَت الخادمةَ مِن حيَاتِها، وتفرَّغَت هي لِتَربيَتِها.

❖ ❖ ❖

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَفَىٰ بِالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ».
رواه أبو داود والحاكم إلاَّ أنه قال: «مَنْ يَعُولُ» وقال: صحيح الإسناد.
وَعَن أنسٍ رضي الله عنه عَنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ، حَتَّىٰ يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ». [رواه ابن حبان في صحيحه. وهو صحيح].

الفهرس

قصص مؤثرة من ضحايا الشيطان

❖ ❖ ❖